دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

علي محمود طه

شعر ودراسة

سهيل أيوب
المحامي

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

علي محمود طه

شعر ودراسة

سهيل أيّوب
المحامي

تعهد

المؤسسة الثقافية
للنشر والتوزيع

بدمشق

توزيع

مؤسسة الخانجي
نجيب الخانجي
القاهرة
شارع عبد العزيز - هاتف ٤٣١٤٨

مكتبة المثنى
محمد قاسم الرجب
بغداد
شارع المتنبي - هاتف ٨٣٥٨٨

المشتمل

آ ـ الدراسة

ب ـ الشعر

الصفحة

الصفحة

علي محمود طه شاعر غنــائي قلّ أن تجود الشــاعرية العربية بنظيرٍ له ، يمثّلُ فترة من فترات الانطـلاق بالشعر العربي من قيوده القديمة الى عوالم جـديدة لم يطرقهـا من قبلُ شاعر

ولمـا كانت ((دار اليقظة العربية)) قد آلت على نفسهـا خدمة القارىء العربي والكتاب العربي في العالم العربي ، وكانت حيـاة ((الملاح التائه)) وآثاره مجهولة من كثيرٍ من القـراء ، فقد ارتأت الدار أن تعرّف بهذا الشاعر الفذّ ، فعمدت الى اصدار هـذا الكتاب .

فإلى كل فكرٍ ، نرفع هذه الدراسة وهذا الشعر .

مدير الجناح الثقافي

في دار اليقظة العربية

توطئة

الحديث في الشعر كالحديث في الحيـاة والأبدية ، قد يكون له بدء" ولكن ليس منه انتهـاء . فلكم هو شـاق" ، إذن ، الحديث عن الشعر ؟ !

والمتحدّث عن شاعر كالباحث في خضم" لجي" ، قد يستشف أغواره كلها ، بحيواتها وجماداتها ، بغرائبها وأساطيرها ، وقد يصل إلى بعضها دون بعضها الآخر ، قد يكتشف أشياء" لم يصل إليها من قبله غوّاص" أو صائد درر ، وقد لا تحمل شبكته غير ما حملت شباك الأوّلين .

وأنا ، إذ أروح أحاول ، في هذه العجالة الدراسية عن الملاح التائه ، علي محمود طه ، أن أبيّن بعض ما له وما عليـه ، لا أدّعي أني أصيد دررا أو أكتشف مجهولات جديدة ، ولكنني أدلي بدلوي على حذرٍ ، يحدوني الأمل في أن أؤدي تجاه هذا العملاق في الشعر الوصفي الغنائي بعض ما له من يدٍ سخية معطاء على الشعر العربي .

سهيل أيوب

المحامي

المقـــدمة

مدخـل :

كانت مصر ، في نهاية القرن التاسع عشر ، تعمل جاهدة على تضميد جراحاتها في أعقاب الثورة العرابية عام ١٨٨٢ في عهد الخديوي توفيق ، وتهبُّ مقارعةً بوادر الاحتلال الإنكليزي البغيض لها ، هذا الكابوس الرهيب الذي جثم على صدر الأمة ومنعه من التنفس والحركة والنشاط والبحث عن مقومات الحياة ، وبالتـالي عطّل نموَّه القومي ونشاطه الانساني في سبيل التقدُّم والمجد والتطور البشري .

وكان الشعب المصري يضيق ذرعاً بهذا الاحتـلال ، ويعيش على مضضٍ حين يرى إلى المحتلين المغتصبين ، غريبي اللغة والقومية والعقيدة والدين ، يراوحون ويغادون على أديم الوطن العـزيز وترابه الغـالي في كبرياء وصلف ، وينقلون المدنية الغربية الغريبة إلى مصر ، ويعلّمون أبنـاءها اللغة الانكليزية ، ويطلعونهم على العـلوم والآداب والفنون الانكليزية . ونشأ عن ذلك كراهية الشعب المصري للحكم الأجنبي ، فهبَّ جاهداً لتحطيم قيود هذا الاستعمار الجديد ، وطرد هذا الغاصب الدخيل ، خاصةً وأن من تثقف بالثقافة الأجنبية قد اطّلع على ما بذل الأوروپيون في المحافظة على استقلالهم وشعورهم بوطنيتهم ، فأوحى إليهم ذلك أن يحاربوا الاحتـلال ، ويطلبوا الاستقلال ، وإبزاغ فجر الحرية والكرامة ، بانتهاجهم النهج الذي اتّبعه الأوروپيون أنفسهم ، فنشأ في البلاد أولاً نوع من الأدب السياسي تجلّى في الخطابة والشعر ، مثّله جمـال الدين الأفغاني وعبد الله نديم ومصطفى كامل ، وشعر به محمود سامي البـارودي واسماعيل صبري وأحمد شـوقي وحافظ ابرهيم .

وأخذت الروح الوطنية تشتعل في صـدور شباب الوطن ، وتوقد من عزيمتهم ، وتوحّد جهودهم للعمل القومي المثمر ، ومناوءة السياسة الانكليزية الكريهـة ، وبدأ وعي الشعب ينمو ، وتتـآزر إدراكاته في صفوف متراصة لطرد المغتصب المحتل .

وأطلّ هذا القرن يحمل بوادر المقاومة المنظمة حينما شُكِّل الحزب الوطني بقيادة المرحوم مصطفى كامل عام ١٩٠٨ بتشجيع الشعب وعطفه وتوجيهه .

ونشبت الحرب العـالمية الأولى ، وانتهت ، وانطلقت مصر تطالب بحرياتهـا ، واشتعل لهيب الثورة الوطنية عام ١٩١٩ ، ثورة شعب في سبيل آماله العِظام ، ومستقبله وحريته واستقلاله المنشود ، وانتهت الثورة بالاستقلال والحياة النيابية ، وشرعت الأمور تستقرُّ شيئاً فشيئاً ، ولكن الملك فؤادَ لم يرضه أن ينال الشعب حريته وأن ينعم بالإصلاح ، فحارب الوطنية المصرية ، وسلّط الأحـزاب بعضها ضد بعض ، ودأب على الكيد للأحرار .

وأخذت الأذهان تتفتّح على صراعٍ في مجالات الحياة ، من سياسية واقتصادية وعلمية وأدبية ، وزاد إنشـاء الجمعيات السياسية والعلمية والأدبية في مصر ، وقامت نخبة من المفكرين تسعى إلى إحيـاء الفكرة العربية وتجديد ثقافتها القديمة بعد المحاولات التي قام بها فتيان الأتراك من أجل تتريك جميع العناصر غير التركية في امبراطوريتهم ، وكان من أثر هذه السياسة انبثاق وطنية الشبيبة العربية ، فألّفت جمعيات تطالب بالحقوق والاصلاح ، وحملت الصحف والمجـلات والجمعيات الأدبية والأدباء والعلمـاء في ذلك الحين قسطاً من واجبهـم في إذكاء الروح الوطنية ، وتجديد الثورة الفكرية ، وإحياء الثقافة العربية .

وبدأت مصر تتفتح أيضاً على صراع جـديد في الاتجاهات الأدبية

والثقافية بعد الخمول العام الذي أظلّها عقب ثورة أحمد العرابي . وكان قد التقى في العاصمة المصرية طبقة من الرجال نضجت نضوجاً تاماً في شتى نواحي الثقافة والانتاج ، منها الكتاب واللغويون والعلماء والخطباء والشعراء ، وكان الصراع بينهم يدور في اتجاهين

أحدهما : إحياء التراث القديم العربي الاسلامي بالطبع والنشر ، والبحث والدرس ، والتذوّق والتمثّل ، لأن هذا التراث كافٍ لنضج الحياة العقلية عند العرب .

وثانيهما نقل العلم الأوروبي ترجمةً وتعلماً في المدارس الوطنية ، واختلافاً إلى معاهد التعليم في أوروبا نفسها ، لأن التراث العربي وحده لا يكفي ، رغم أنه تراث مجيد ، لنضج الحياة العقلية الحديثة عند الشرقيين ، بل يجب تطعيمه بالعقل البشري الغربي ، لأن حركة التقدم لو تابعت سيرها في الشرق ولم يقفها ذلك التأخر الذي أصابه خلال قرونٍ عديدة لزاد من غير شك تراثه في العلوم والآداب ، ولما سبقه الغرب في ذلك . أما وقد بَعُدَ عهدُهُ بازدهار الحياة العقلية ، فعليه إذن ، إذا أراد بعث هذه الحياة ، أن يقتبس عن الغرب علومه الحديثة .

وهذا على وجه التحقيق ما اتجهت اليه حركة النهضة العلمية والعقلية في مصر منذ إطلالة هذا القرن ، فأخذت الثقافة الأدبية بشتى ألوانها تذيع منذ بدايته بتأثير كلية اللغة العربية في الأزهر ، ودار العلوم ، وكليات الآداب ، وكثرة المنشور من كتب الآداب قديمها وحديثها ، وتأثير الجمعيات الأدبية مثل جماعة أپولو ، وجامعة أدباء العروبة ، ورابطة الأدباء ، ورابطة الأدب الحديث ، وجمعية الأدباء ، والصحف اليومية والأسبوعية والشهرية التي تعنى بالأدب وتفتح للأدباء صدرها مثل الأهرام والثقافة والكتاب والمقطم والكاتب المصري والمقتطف والرسالة والسياسة الأسبوعية ، وليس من ينكر فضل

الصحافة على الأدب ، فهي عامل من عوامل النهضة الفكرية . ونشطت حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى لغة الضاد . وهكذا كان هذا العصر أوسع العصور من حيث انتشار الثقافات الأدبية وذيوعها بين الجماهير وأبناء الشعب كافة . وصاحب هذه النهضة الأدبية نموٌّ فني في الصور والأخيلة ، وفيما عداها من المعنى والموضوع ، وحدث تغيير شامل في مدلول الأدب وهيكله . فقد اندثر كثير من الصور والأساليب القديمة ، وحلَّ محلها صور وأساليب جديدة لعبت الحضارة والثقافة الحديثة والآداب العالمية في تكوينها وتلوينها . واندثرت المعاني والأخيلة القديمة التي يقف عندها الشعراء ، وحل محلها أخيلة ممزوجة بأخيلة الغربيين وتصوراتهم ومعانيهم .

ويقول الأستاذان أحمد أمين وزكي نجيب محمود : ان الغزل استمر محتفظاً بمركزه في الشعر الجديد كما كان في الشعر القديم لأنه ينبع من عاطفة ملازمة للانسان في بداوته واختلاف حالاته الاجتماعية ، فإن تغيَّر في شيءٍ فميله الى التعبير الصادق عن طبيعة الشاعر ودقته في تصوير عاطفته ، وقد كان أكثره مصنوعاً يصدرُ عمَّن لا يعشق .

وكذلك ما كان من رُقيٍّ الشعر في الطبيعة وجمالها ، فقد كان يفهم من هذا النوع أنه عبارة عن جهد الشاعر في أن يجد للمنظر تشبيهاً ، وكفى ، فبدأ يتحوَّل إلى محاولة للشاعر أن يشرب المنظر الطبيعي ويرتوي به أو يحتضنه . ثم يبثُّ ذلك كلّه مشاعر في شعره ، أو أن يفنى الشاعر في هذا المنظر الجميل ويصف فناءه .

الشاعر :

أبصر شاعرنا ، علي محمود طه ، النورَ في مدينة المنصورة الواقعة على فرع دمياط في إقليم الدلتا الخصب سنة اثنين وتسعمائة وألف ،

في أحضان أسرة لم تعرف للفقر ناباً ولا للمسغبة ظفراً ، ولم يمــرّ في حياتها طيف همّ أو قلق • وحبا على الضفاف الخضر من هذه المدينة ، يُترع عينيه من ألوانهــا الموشّاة ، ويستقطر طبيعتها الخيّرة المعطاء مختزناً في مشاعره صور الجمال الريفي وبدائيته وسذاجته ، متنقلاً في الرياض الغنّاء ، سارحاً مع الشاء والإبل ، مستظلاً أغصان الشجر الوارفة ، مرتاداً البحيرات ، وبخاصةٍ بحيرة المنزلة والبقعة الممتدة بينها وبين البحر الأبيض المتوسط ، حيث أكواخ أشتوم الجميل تشرف على آثار قلعة مهدمة كانت أول من فتح باصرتيه على الوجود الخلاّب ، فغنّاها روائع شعره •

وفي صغره ، شأنه شأن أبناء بلدته جميعاً ، بعث به أبوه إلى الكتّاب حيث تعلّم المبــادىء الأولية في القراءة والكتابة والحساب ، ومن ثم انتقل من الكتّاب الى المدرسة الابتدائية (وبعد أن نال شهادتها وُلد عنده شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الالتحاق بالمدرسة الثــانوية ، وآثر الالتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة • وفي سنة ١٩٢٤ يتخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المباني[١]) •

ويذكر الأستاذ أحمد حسن الزيات أنه كان عندما عرفه « شــاباً منضور الطلعة ، مسجور العــاطفة ، مسحور المخيّلة ، لا يبصر غــير الجمــال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللــذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوي ينشدها الدهر ويرقص عليهــا الفلك •

كان كالفراشة الجميلة الهائمة في الحقول تحوّم على الزهر ، وترفّ على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغيةً غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقّل • ثم تتبعته بعد ذلك في أطواره

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر ، لشوقي ضيف

وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاّح التائه في خضمّ الحيــاة ، والأرواح الشــاردة في آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح في أطباق اللانهاية ، وإذا الشاعر الناشيء يغدو الشاعر المحلّق تارة بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشــقُّ الغيبَ ، ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس » .

ولا أدلّ على صدق هــذا القول من أبيــات الشاعر في قصيدته « عاشق الزهر »

يا ليتَ لي كالفراشِ أجنحةً ... أهفو بهــا في الفضاءِ هيمــانا
أدفُّ للنورِ في مشارقهِ ... وأغتذي من سنــاهُ نشوانا
وأرشفُ القطرَ من بواكرهِ ... فلا أرودُ الضفافَ ظمآنا
وألثمُ النورَ في سنابلهِ ... مصفّقاً للنسيمِ جــذلانا
حتــى إذا ما المســاءُ ظلّلني ... ســريتُ بين الورودِ سهرانا
أشربُ أنفاسَهَا وقد خفقتْ ... صــدورُها للربيــعِ تحنانا
تحــلمُ بالفجرِ فوقَ جنّتها ... يموجُ فيه الغمامُ ألوانا
وبالعصافيرِ في ملاحِنِــها ... تهزُّ قلبَ الصباحِ إرنانا
لو يعلمُ الزهرُ ســرَّ عاشقهِ ... أفردَ لي من هواهُ بستانا
فلا تراني العيــونُ مقتحماً ... سياجهُ ، أو تحسّ لي شــانا
إذن لغَرّدتُ في خمــائلهِ ... وصغتُ فيه الحيــاة ألحــانا
فليحمني الحسنُ زهرَ جنّته ... وليقْصني العمرَ عنه حرمانا
ما كنتُ لولاه طائراً غرداً ... ولو جهلتُ الغنــاءَ ما كانا !

ولكنّ هذا التحليق كالفراش ، وهــذا الحب للطبيعة لم يصرفاه عن الدراسة ، وكان أن اختـــار الهندسة مهنةً له ، وآثر الوظيفة على العمل الحرّ ، فتقلّب في مناصب عديدة آخرها مديريته لمكتب رئيس مجلس النواب .

ويذكر الأستاذ نظير جابر أن « علياً لم يبقَ منعزلاً عن السياسة والوظائف الحكومية ، بل نراه غارقاً فيهما إلى أذنيه ، يحاور ويداور في عالم السياسة والأدب والنفس والاجتماع ، يترك هذه ليلتحق بتلك، كلمـــا حاول الاستقرار عصفت به ريح عاتية اقتلعته من أرض خصيبة لتغرسه في أرض أخصب . وقد جمع شاعرنا الى غناه المــادي غنىً روحيّ أهّله لأن يرتقي مناصب عليـــا في الدولة ، فمن موظف بسيط بهندسة المباني في بلدته المنصورة ، إلى مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم يصبح مديراً لمكتب الوزير ويقفز إلى أن يلحق بسكرتارية مجلس النواب ، فتبسم له الحياة ، وينهب من مباهجها ما لذّ وطاب ، ويقضي هــذه الفترة في القاهرة ، وتغمره النشوة النفسية الصافية ، ويستغلُّ مركزه الكبير فيجعل من منتديات العاصمة ومسارحها مستراداً ومذهباً . ولكنّ السياسة التي لا تعرفُ ديناً تقلب له ظهر المجنّ

تأبى السياسةُ غيرَ لونِ طباعهـــا وتريد غير طبـــائع الأشياءِ

ويخـــرج مع الوزارة الوفدية من الحـــكومة ، ويتسكع فترة في الشوارع . وتختلج في أعماقه ذكرى مجده الضائع وينظم الشعر يلهو به عمّا فاته . ولكنه أخـــيراً يتسنّم منصباً ثقافياً ، فيعين في سنة ١٩٤٩ وكيلاً لدار الكتب ، وهنا ينشد الراحة والهدوء في العمل » .

ولكن الراحة والهدوء اللذان عرفهما في عمله لم ينعم بهما كثيراً ، فلم يلبث أن توفي في المستشفىالايطالي نتيجة مرض شديد يوم الخميس

المصادف السابع عشر من شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٩ ، وله من العمر سبعة وأربعون عاماً .

* * *

وبدأ شاعرنا يخطو خطواته الأولى في قرض الشعر ، وشرع يبعث بمنظوماته إلى الصحف والمجلات الأدبية والسياسية ، وأخذت هذه الصحف والمجلات تنشر له منذ مطلع عام ١٩٢٧ ، وكان له من العمر خمسة وعشرين عاماً .

ومن يطّلع على ما نشر له في أوّل عهده بممارسة الشعر ، يدرك أي شاعر كان يحبو . وإذا رجعنا إلى بعض أمثلة من منشوراته الأولية في الصحف والمجلات ، وقارناها بعد نشرها في ديوانه الأول المنشور عام ١٩٣٤ ، لأدركنا التطور الذي طرأ على شعره .

فمن قصيدة « على الصخرة البيضاء » ، المنشورة في جريدة السياسة الأسبوعية بتاريخ ١٢ آذار ١٩٢٧ نقرأ هذه الأبيات

على الصخرة البيضاء ظللني الدجى	اسر الى الوادي نجية شاعرِ
سمعت هدير البحر حولي فهاج بي	**مشارةَ قلبٍ** مزبد اللج هادرِ
وقد نشر الغرب الحزين ظلاله	**على قمم الوادي وسود المغاورِ**
مهلهلة الثنيان حمراء ترتمي	على ثبج الأمواج شعث الغدائرِ
تلوح ورائيها الجبال كانها	**خيالات اوّاذيّه ذي الثوائرِ**
لقد غمر الأكواخَ فوقَ صخوره	**ولج بها في موجه المتزائرِ**
وانحى على قطّانها **غير رافقٍ**	بهم ، **او مشبعٍ منهمو** عين باصرِ
وبحّارة الوادي تلفّع بالدّجى	**وتنغمُ** الحانَ الربيع المباكرِ
لقد غرقوا في إثر اكواخهم به	وما **ملكوا من حكمةٍ عند** قادرِ
..اصخايها الواديأما منك صرخةٌ	يدوّي صداها **من** عميق السرائرِ
اتعلم سرُّ الليل ؟ ام انتَ جاهلٌ ؟	بلى ، **إنه في الناس ليل المقادرِ**

ونقرأ هذه القصيدة ذاتها في ديوانه « الملاح التـائه » ، فإذا هي كالآتي

علىالصخرة البيضاء ظللنيالدجى أسـر إلى الوادي نجيـة شـاعر
سمعتهدير البحر حولي فهاج بي **خوالج قلبٍ** مـزبد اللجّ هـادر
.. وقد نشر الغرب الحزين ظلاله على ثبج الأمواج شعث الغـدائر
ومن خلفهـا تبدو النخيل كأنهـا خيـالات جنٍّ أو ظلال مسـاحر
ألا ما لهـذا البحر غضبان مثلمـا تنفّس فيه الريح عن صدر ثائر
لقد غمـر الأكواخَ فوقَ صخوره ولجَّ بهـا في موجه المتزائر
وانحى على قطانهـا **غير مشفقٍ** بهم ، **أو مجيل فيهمو** عين باصر
وبحارة الوادي تلفّع بالدجى **وتنشد** الحـانَ الربيع المبـاكر
لقـد غرقوا في إثر أكواخهـم به وما **لمسوا من حكمه عفـوَ** قادر
..أصخ أيها الواديأما منكصرخة يدوّي صداها في عميق السرائر
أتعلم سرَّ الليل ؟ أم أنتَ جاهل ؟ بلى ، **إنه ، يا بحر ، ليل المقادر !**

وهذا مثل ثانٍ نراه في قصيدة « قيثارتي » المنشورة في العدد ١٦١ من السنة الرابعة لجريدة السياسة الأسبوعية بتاريخ ٦ نيسان ١٩٢٩

بدّدت يا قيثـارتي انغـامي ونسيت لحن صبابتي وغـرامي
كالبلبل الشاكي,رويتصبابتي لحنا **تمثـل في دمٍ وعظـامٍ**
خلق الشجون فلا رسيس صبابةٍ تذكينهـا ، أو لوعة استغرامٍ
وجفـا الذي غشى العوالم نضرةً وجـلا الحيـاة بثغره البسّـامِ
هل من نشيدك **ما يجدّد صبوتي** ويعيـد **لي المـاضي من الأعوامِ**
ويصور الأحـلامَ **أبدعَ مـا جلت مثـلٌ وصـاغت ريشة الرّسامِ**
طارت صوادحه وجفّ غديره **وذوى بشاطئه الشجير النـامي**

خرساء **بين يديَّ أنّى هجتها** **بالذكريات بدت كصمٍّ رجامِ**
يغري الكآبة بي ويكسف خاطري اني أراك حبيسة الأنغامِ

ونقرأ هذه القصيدة ذاتها في ديوانه الأول « الملاح التائه » ، فإذا هي كالآتي

بدّدت يا قيثارتي أنغامي ونسيت لحن صبابتي وغرامي
..كالبلبل الشاكي رويت صبابتي لحناً **تمشى في دمي وعظامي**
هل من نشيدك **ما يجدّد لي الصبا** ويعيد **لمحة ثغره البسّامِ**
ويصوّر الأحلامَ **فتنة شاعرٍ** **توحي الخيال لريشة الرسّامِ**
طارت صوادحه وجفَّ غديره **وذوى بشطيه النضير النامي**
خرساء **لا تتلو النشيد ولا تعي** سرَّ **الفناء ولا تعيد كلامي**
يغري الكآبة بي ويكسف خاطري أني أراك حبيسة الأنغامِ

لقد أدرك شاعرنا ، عند دفعه ديوانه الأول إلى المطبعة ، ما كان في منظوماته الأولية من أخطاء تعبيرية ولغوية وعروضية ، فبادر إلى إصلاحها وتنقيتها من الشوائب ، حتى تجيء مكتملة جليةً كالعروس ، خاصةً وأن الفترة التي مرت بين نشر القصيدة للمرة الأولى في السياسة الأسبوعية ونشرها في الديوان حوالي سبع سنوات ونيف . ونظرة واحدة من القارىء الكريم يلقيها على كل من القصيدتين ، وخاصة ماوضع تحته خطّ ، يلاحظ البون الشاسع والتبديل البيِّن بينهما . ومما لا ريبة فيه أن ثقافة الشاعر قد تطوّرت خلال هذه الفترة ، وان تمرّسه بالحياة ، وممارسة النظم ، وقراءة الآثار الشعرية الفرنسية والانكليزية والعربية ، أسهم في إغناء جعبته كثيراً . ويلاحظ أيضاً أن شعره، في بداية حياته الشعرية ، كان يصدر عن الخيال وحده ، فلم تكن له ثمّ تجارب معينة يتحدث عنها ، وإنما موضوعاته موضوعات عامة ، يرسم فيها البحر

أو يتحدث عن قيثارةٍ أو عن الحبّ بمعناه العــام ، وهذه العمومية تتجلى أكثر ما تتجلى في قصائده في ديوانه الأول « الملاّح التائه » .

★ ★ ★

ولم تمرّ السنون بالشاعر على وتيرة واحدة من الحياة ، ولما كان على شيء من الثراء ، فقد عاش متنقلاً في البلاد الأوروپية ، بين إيطاليا وسويسرا والنمسا وأواسط أوروپا ، يمتع الطــرف ، ويغني الروح ، وينشد المتعة واللذة بين أحضان الطبيعة الساحرة والغواني الفاتنات ، ولكنّ بلهنية العيش هذه لم توسّع أفق مداركه ، ولم تعركه الحياة ، فعاش كما بيّنا حياة مترفة ، خــالية من التجارب تقريبــاً ، محدودة محصورة بالوظيفة ، حتى إنه لم يجرؤ على ممــارسة مهنة الهندســة لحسابه الخاص ، وقد أفادته هذه الرحلات كثيراً ، فإذا أغلب قصائده بتأثيرها عبارة عن وصف فقط ، فكأنما مخيلته آلة تسجيل تنقــل عن الطبيعة صورها ومفاتنها ، أفراحها وحفلاتهــا ، أسمارها وخمورها ، وتخطّها على الورق في ألفاظ رقيقة عذبة الجرس ، تشدهك نعومتها ، ويستجلبك رنينها الحلو ، وخــاصة أنها تتراكب في كلمات سهلة نقية لا غريب فيها ولا حوشيّ ، مستمدة من واقع الحياة اليومية ، منسجمة في أوزان لطيفة على الأذن ، فإذا أنت تطرب للجمال واللحن والرقة ، وإذا أنت تحلّق معــه في أجواء الخيــال البعيد ، فتروح تغنــي تلك الأبيات غنــاء :

ليلنا خمرٌ وأشواقٌ تغني حولنــا
وشراعٌ سابحٌ في النور يرعى ظلّنا
كان في الليل سكارى ، وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحبّ فباتوا مثلنــا

ــ ف ــ

كلـّما غرّد كأس شربوا الخمرة لحنا
ياحبيبي،كلُّ مافي الليل روح يتغنـّى

أو يقول :

ياحبيبي ، غنت الفرحة في كل مكانِ
فهنا البلبلُ يشدو،وهناكَ العاشقانِ
غير أني أشتكي الوحشة فيظل التداني
إنما روحك في الكونِ وروحي توأمانِ
لاتدعني أقطع الأيام وحدي،وأعاني
فحرام» ، يا حبيبي

وكان أوّل تفتحه على جمـــال الريف في بلدته حيث الطبيعة خيرة غنية ، والطير تمرحُ في أجواز الفضاء ، والأشرعة تمخر عباب النيل ، وهو جالس تحت شجر الصفصاف مستغرقاً في أفكاره ، منتظراً قدوم حبيبته التي لا تجيىء والتي واعدته على اللقاء ، فهو يترقبها ، فيخايله وجههـا تحت النخيــل ، ويداعبه صوتهـا عند النهر ، ولكنها رؤىً لا تتحقق ، وإمّا تملُّ الطبيعة انتظاره غير المجدي ، ولا يملُّ هــو ، يرجع الى داره على أمل لقاء آخر

إذا داعب المــاء ظلّ الشجر وغازلت السحب ضوء القمرْ
ورددت الطـيرُ أنفاسهـا خوافق بين النـدى والزهرْ
..ومرّ على النهر ثغرُ النسيمِ يقبّلُ كل شـراعٍ عبرْ
..هنالك صفصافة في الدجى كأنّ الظـلام بهـا مـا شعر

أخذتُ مكانيَ في ظلّها		شـريد الفؤاد ، كئيب النظرْ
أمـرُّ بعيني خـلال السماءِ		وأُطرقُ مستغرقاً في الفـكر
أطالع وجهـك تحت النخيلِ		وأسمعُ صوتك عنـد النهرْ
إلى أن يمـلَّ الدجى وحشتي		وتشكو الكآبة مني الضجر
•• فأمضي لأرجـع مستشرفاً		لقـاءك في المـوعدِ المنتظرْ

وليست هي المـرة الأولى التي تخلف فيها موعدها معه ، فكم مرة ومرة واعدته على اللقاء ولم تأتِ ، بينا هو قد فرش لها بالزهر مكان اللقـاء ، مجمِّلاً معطِّراً ، ولكن زهراته كانت أبداً سيئة الحظ معه ، فما أعدّها مرة إلا وأخلفت الزائرة ميعادها أو تناست موعده ، ويظلّ ينتظرها حتى الفجر ، ولكنها لا تجيء • ويروح يسارر الزهرات معاتباً

كم أخواتٍ لك شاطرنني		فجـرَ لقـاءٍ رائعِ المطلعِ
وكم مسـاءٍ فيه سـامرنني		وبتنَ فيه ساهراتٍ معي

★ ★ ★

خلا بنا ، يا زهراتي ، المكانْ		وزايلَ الشرفةَ ضوءُ القمرْ
أليـلةٌ ما مرَّ ؟ أم ليلتـانْ ؟		إبقي معي حتى يلوح السحرْ

★ ★ ★

خلفزجاجِ البابِ طيفسرى		يـدنو إلى بابي من السـلّمِ
خفَّ له قلبي ومـا صـوَّرا		غير ذراعي شبحٍ مبهـمِ

★ ★ ★

ناشدتك الحبَّ ، فإن تؤثري		جـددتِ أسمارك في مخدعي
فانسيمواعيد الهوى،واذكري		أيَّ فتىً،فيالحبِّ،لم يُخدعِ

وقد كان من أثر هذه المواعيد التي لم يتحقق شيء منها ، أن غضب نوعاً ما على المرأة ، وطوّح بنفسه بين أيدي الغانيات وبنات الهوى ، مما سنبحثه بعد قليل .

وكانت أوّل أشعاره أشعاراً للحبّ ، وهتف بأولى رسالاته ، وكانت رسالة للجمال

جدّدتِ ذاهب أحلامي وليلاتي فهل لديك حديثٌ عن صباباتي ؟
يا كعبةً لخيالاتي ، وصومعةً رتّلتُ في ظلّها للحسنِ آياتي
للحبّ أوّلُ أشعارٍ هتفتُ بها وللجمالِ بها أولى رسالاتي

واستلذّ شاعرنا صناعة الشعرِ ، فأعطاها من وقته المرتبة الأولى. وبدأ نجمه يصعّد في سماء الوحي والإلهام ، وأحسّ بحاجة إلى الاستزادة من فنّ الشعر ، وكانت معرفته للغتين الفرنسية والانكليزية حافزاً له على المطالعة ، فإذا هو ينهل من آدابهما ، يقرأ كثيراً ، وينتج كثيراً ، ويترجم أحياناً مما يقرأ في الآداب الأجنبية إلى العربية شعراً ، ويترجم حياة بعض الشعراء ، ويتأثر بالمذهبين الكلاسيكي والرومانسي، الأول وقد ظلّ سائداً إلى ما قبل مطلع القرن التاسع عشر بقليل ، وشعراؤه من الطبقة العليا من الشعب في روما القديمة ، أي جماعة الأشراف الموسرين ، هؤلاء الذين يمتاز إنتاجهم بقوة التفكير ، وسمو المعاني ، وروعة الخيال ، وجمال العاطفة ، وفصاحة الأسلوب ، وسحر اللفظ ، والثاني وقد ظهر في فرنسا قبيل مطلع القرن التاسع عشر بقليل، بعيد الثورة الفرنسية الدامية ، حيث فزع الأدباء والشعراء إلى نفوسهم ووجداناتهم ، يلوذون بتجاربهم الباطنة ، ويهتمون بمشاهد الجمال والطبيعة ، ميّالين إلى التجديد والتحرّر ، منبعثين عن انفعال قوي وعواطف متقدة ومشاعر حية ، حتى أطلق ستندال على هذا المذهب

لقب « الفن الذي يقدّم للشعوب آثاراً أدبية من شأنها أن تحدث فيها أعظم لذة ممكنة » .

ولكن دراساته واطلاعاته وثقافته بوجه عام ظلّت قاصرة أمام اللغة والنحو ، فظلّت لغته منذ أول ديوان حتى آخر ديوان له غير سليمة تماماً ، وسنورد بعضاً من هفواته اللغوية والنحوية

جاء في قصيدته « على الصخرة البيضاء » قوله

وبحارة الوادي تلفّعُ بالدُجى وتنشد ألحان الربيع المباكر

وكان الأولى به أن يقول تلفعوا وأنشدوا ، أو يتلفعون وينشدون ، وإن فعل أفسد وزن البيت .

وجاء في قصيدة « أندلسية » قوله

آهِ ، هاتي قرّبي الكأس إليّهْ
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيهْ

وكان الأولى به أن يقول إسقينيها ، لأن المخاطب أنثى ، وإن فعل أفسد وزن البيت .

وجاء في قصيدته « الكرمة الأولى » قوله

هاتي اسقني هاتي من دنها المختومْ
أنسى بها الآتي من عمريَ المحتومْ

وكان الأولى به أن يقول هاتي اسقيني هاتي ، لأن المخاطب أنثى ، وان فعل أفسد وزن البيت .

وجاء في قصيدته « عام جديد » قوله

كن بشير الحبّ والنور إلى مهجٍ كلمى ، وأكبادٍ دوامي

وكان الأولى به أن يقول أكباد دوامٍ ،

ومثل هـذه الأخطاء الأخيرة نجدهـا كثيرةً في شعره • مما دعا الأستاذ الدكتور طه حسين إلى القول في كتـابه حديث الأربعـاء في معرض حديثه عن ديوان « الملاح التائه » أريد أن أقول له رأيي في صراحةٍ لا سبيل فيهـا للغموض والالتواء • فهو شاعر مجيد حقاً ، ولكنه ما زال مبتدئاً ، وهو شاعر مجيد حقاً ولكنه في حاجة الى العناية باللغة وأصولها وتعرّف أسرارها ودقائقها ، فلا ينبغي للشعراء الذين يستحقون هذا الاسم أن يكون علمهم باللغة يسيراً محدوداً • وأنا واثق بأن شاعرنا إن عنى بلغته ونحوه وقافيته وتوخى ما ألف من خفة التصوير ورشـاقته ، ودقتـه ، فسيكون له شـأن في تاريخ الشعر العـربي الحديث » •

كتب الشاعر :

كتب علي محمود طه في حياته من القصائد والتراجم ما جمع ثمانية دواوين هي

١ — الملاح التائه ، عام ١٩٣٤ •
٢ — ليالي الملاح التائه ، عام ١٩٤٠ •
٣ — أرواح شاردة ، عام ١٩٤١ •
٤ — أرواح وأشباح ، عام ١٩٤٢ •
٥ — زهر وخمر ، عام ١٩٤٣ •
٦ — أغنية الرياح الأربع ، عام ١٩٤٣ •
٧ — الشوق العائد ، عام ١٩٤٥ •
٨ — شرق وغرب ، عام ١٩٤٧ •

وطبعت أغلب دواوينه الشعرية عدة طبعات ، وأكثرها طبع خمس

أو ست مرات • كما أنه خلّف عدداً من القصائد المتفرقة المنشورة في الصحف والمجلات الادبية •

الشاعر ، ومدرسة ابولو :

توفرت لشاعرنا المهندس ، في قوافيه ، جزالة الألفاظ ، وإشراقة الديباجة ، وجزالة الأسر ، وعذوبة الجرس ، وكان من أول الثائرين على نظام القصيدة في الشعر العربي ، الذين أنحوا باللوم على الشعر العربي عامة ، والجاهلي خاصة ، لقصوره في ميدان وحدة القصيدة ، ونادوا بوحدة فنية لها ، القصد من قوافيها (إبراز فكرة أو صورة أو إحساس أو عاطفة يفيض بها القلب ، في صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفسَ وتصل الى أعماقها ، من غير حاجة الى كلفة أو مشقة[1]) •

وبالإضافة إلى هذا فهو من الذين يريدون أن تكون قصائدهم كالروضة الغنَّاء ، مزيَّنة بمختلف الأزهار ، وهذا أقرب ما يكون الى شعر الطبيعة • ولذلك نهج نهجاً جديداً ، هو وحدة القصيدة الفنية ووحدة الفكرة والموضوع فيها ، واتساق معانيها وانتظامها وتلاؤمها وتسلسلها ، وإحاطتها بالدقة والموسيقى، وعدمالتقيُّد بالقافية الواحدة• ولما كان الشعر الأوروپي لم يبلغ نهضته إلا بعد أن ثار الشعراء في أوروپا على القيود القديمة في القرن الثامنعشر ، وأعلنوا حرية الشعور، وساروا به خطوات واسعة حتى بلغ الشأو الذي أدركه اليوم[2] ، فلم لا ننطلق نحن إلى ميادين جديدة من الشعر ، مجدّدين فيها ، باعثين في عروقها الحياة والمتعة والجمال ، وفي فؤادها دماً نقياً ، متحررين من أسر القافية الواحدة ؟ ! ولما كان على الشاعر أن يحمل الى الناس رسالة

---

(١) ثورة الأدب للدكتور هيكل ص ٦٠

(٢) ثورة الأدب للدكتور هيكل ص ٧٣

الجمال ، وكان كل شيءٍ في الوجود هو قصيدة من قصائد الله ، فلنحمل المعول إذن ، ولنهدم الجدار العتيق ولنشد بدلاً منه سياجاً معطراً بالنرجس والدفلي والبيلسان .

ولما كان الشعر المعاصر ينحو غالباً منحى التقليد والاحتذاء والمعارضة للشعر القديم ، وكان الشعراء يخضعون لشتى التيارات السياسية والاجتماعية والأدبية المختلفة ، فلم تكن لهم شخصية ظاهرة ، ولا وجود ذاتي مستقل ، وكان شاعرنا يكره هذا منهم وينفر منه ، لذلك انضمّ الى مدرسة أپولو في الشعر التي أنشأها المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي عام ١٩٣٢ ، وكان من أهم أهدافها(١)

١ — السموُّ بالشعر العربي ، وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً .

٢ — مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر .

٣ — ترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً ومادياً ، والدفاع عن كرامتهم .

وترجع مدرسة أپولو الى الأدبين : العربي والغربي معاً ، تأخذ منهما أخيلتها ، ومعانيها ، وصورها المتعددة ، مع التناول السليم للفكرة ، والموضوع ، والمعاني ، والدعوة إلى الحرية الفكرية والأدبية والفنية ، وإلى تمثيل الشعر لخلجات النفوس ، وتأملات الفكر ، وهزات العواطف ، والمشاعر ، وإلى الطلاقة والحرية ، وظهور الشخصية الفنية ، ووضوح الطاقة الشعرية الخلاّقة ، التي هي الجوهر الأول لأية شاعرية متفوّقة ، وتوكيد الحفاوة بالأصالة ، والاهتمام بالفكرة ، وتوسيع آفاق التفكير ، والتأمل ، والذوق ، وكسر قيود التقليد ، مع الابتعاد عن الافتعال والتكلّف والتصنّع ، ونبذ المذهب الفردي في الأدب ،

---

(١) قصة الأدب المعاصر لمحمد عبد المنعم خفاجي ص ٥٤

واحترام النقد والمذاهب الأدبية المختلفة ، مع إيثـار الطبع ، والإيمان برسالة « الشعر بالشعر للشعر » ، وتجاوب الشاعر مع الطبيعة ، وتناول الموضوعات الانسانية والعالمية ، والاعتماد على القوة الشعرية في ذاتها ، حتى يؤدي الشعر رسالته من إعزاز الخير ، وتقديس الجمال ، وتحرُّر الشخصية الفنية ، والطلاقة في التعبير ، والأصالة ، والفطرة الشعرية ، وصـدق العاطفة ، والوحـدة التعبيرية ، والاعتقاد بتطور لغة الشاعر وأخيلته وتعـابيره ، بالإضافة إلى تطوُّر نفسيته ، وأفكاره ، ومثله العليـا .

ولكن هذه المدرسة لم تدم كثيراً ، فقد توقفت مجلتها عن الصدور عام ١٩٣٥ ، وهاجر مؤسسها إلى الولايات المتحدة ، وتفرّق شعراؤها ، بيد أن أهدافها ومثلها لم تبرح مخيلة الكثيرين منهم ، وخاصة شاعرنا الملاّح .

الملاح التـائه :

فلماذا ، إذن ، وقد توفرت لشاعرنا الملاّح هذه الإشراقات الفنية الرائعة ، وذلك الخيال السماوي العذب ، وتلك الموسيقى الابتداعية ، والروح الوثاب ، والتفكير المنطلق ، والقلب الجيّاش بالعاطفة المشبوبة ، والثغر الباحث وراء اللذة أينما وجدت ، يتعاطاها ويعطيها شعراً ، لماذا إذن كان **ملاّحاً تائهاً ؟**

مما لا ريبة فيه أنه رغم توفر هذه الظروف كلها ، بالإضافة إلى حالٍ من الثراء رغيـدة ، لم يستطع أن يجعل أجنحة السعادة ترفرف فوق رأسه لتغمره بالنشوة والمرح ، وما كانت النشوة التي تسري في شرايين شعره صادقة دائماً . وأغلب الظنّ أن مردّ ذلك إلى شكله غير الجميل، فقد كان أميل إلى السمنة ، متوسط القـامة ، غليظ الشفتين ، طويل الأنف ، غامق البشرة ، قصير الشعر أجعده ، فيثور على الحياة كلها ،

لأنه يرى نفسه تائهاً شارداً في صحراء الحيـاة ، متعباً ، لا يجد لنفسه ظلاً يفيىء إليه ، ولا غديراً يبلُّ به حرَّ لهاته

صَحرَاءُ الحياةِ كم همتُ فيها شاردَ الفكرِ ، تائهَ الخطواتِ
سرتُ فيها وحدي،وقد حطم المـ ـقدارُ في جنحِ ليلها مشكاتي
ولكم أرمد الهجيرُ جفوني ورمتني الحرورُ باللفحاتِ
لم أجد لي في واحة العيشِ ظلاً أو غديراً يبلُّ حرَّ لهاتي

وكيف لا يجد ما يبلُّ به حر لهاته وهو المترف الموسر . لا ريب ان صباه مجروح بحبّ فاشل ، حب لم يستطع اقتناصه رغم اقتداره المادي ، فاقتمَّ الوجود في عينيه منذ فتوّته ، منذ تفتحه على الشباب والحب والحياة ، ولا أدلّ على ذلك من قوله

يا قلبُ ، وادي الصبا حالت مسارِحهُ
وأقفرت من صبـاياهُ الجميـلاتِ
فلا الجداولُ تحدوهـا مسلسـلةٌ
ولا الخمـائلُ تهفو بالنضـيراتِ
صوّحنَ من مشرقِ الوادي لمغربهِ
فمـا بهنَّ مطيفٌ من خيـالاتِ
ما في حيـاتكَ من سلوى تلوذ بهـا
لكنّه الحبُّ ذاكَ القـاهر العـاتي
قد فاجـأتك غواشيه التـي سكنت
إنَّ الليـاليَ مـلأى بالمفـاجاتِ

ومن هنـا بدأت الحيرة والظنون تتسرب الى نفسه المتفتحة أول

العمر ، وتمكنت منه وبالتـالي من شعره ، فأحبَّ أن يطلق على نفسه هذا اللقب « الملاح التـائه » ، ومن أجدر بهذا اللقب من ذلك الذي يبحث عن السعادة في الحب فلا يلقـاها ، مثله مثل ذلك الملاّح الذي يبحث في قلب اليم عن شاطىء النجـاة ، فلا يجد غير مـزبد اللجّ ، وعاصف النوء ؟ !

وفي ذلك يقول الدكتور طه حسين في كتـابه حديث الأربعـاء « إنَّ شخصيته الفنية محبَّبة إليَّ حقاً ، فيها عناصر تعجبني كل الاعجاب وتكاد تفتنني وتستهويني ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيهـا هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التي لا حدَّ لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هـذه الحيرة التي تصوّر الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتي تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهمٍ إلى وهمٍ ، ومن خيالٍ الى خيـالٍ ، والتي لا تستقرُ به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنهـا دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منهـا ويتبيَّنها بعض الشيء حتى يراها أشدّ هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجدُ في الهرب » .

وهكذا انثالت الزفرات المحرقة تنبعث من نفس ملتهبة تضطرم في لا شعوره وتطفو على منبسط شعوره ، وأغلب ما تكون مسبباتهـا فقدانه الحب الصـادق ، وحرمانه من يد برّةٍ لحبيبة كريمـة رؤوف حنون ترعاه ويرعاها ، ومن هنـا كان سبب تعشقه وافتتانه ببائعات اللذة ، ومن هنا قويت حيرته وتمرُّده على الخالق ، فهو أبداً يبحث عن شيء ضائع ، شيء عزيز ، شيء أسـره بحيث لا يستطيع إلى نسيانه سبيلا ، ولذلك راح ينشد النسيان ، تائهاً من حالٍ إلى حالٍ لا يعرف للاستقرار ملاذاً ، باكيـاً على أيامه الأولى ، يوم لم يكن يدرك معنى الحب الحقيقي ، والحبيب الهاجر ، فشرع يغرق أيامه بالخمرة والمتعة

فتمهّل ، تسعدِ الروح بمـا وهمتْ، أو تطرب النفس سماعا
ودعِ الليـلةَ تمضي ، إنهـا لم تكن أوّل ما ولّى وضاعا
أيهـا الهاجرُ عزّ الملتقى وأذبتَ القلبَ صداً وامتناعا
أدرك التـائهَ في بحر الهوى قبل أن يقتله الموجُ صراعـا
وارعَ في الدنيا طريداً شارداً عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
ضلّ في الليل سراهُ ، ومضى لا يرى في أفقٍ منـه شعاعا

وهكذا راحت الأشباح والخيالات تملأ عليه عمره ، وهو يهـرب منها ، وهي تطارده أينما حلّ وارتحل ، في الوديان ، في السهول ، في غرفته ، في يقظته ومنـامه •

عنـدما ظلّلني الوادي مسـاءَ كانَ طيف" في الدُجى يجلس قربي
في يديهِ زهرة" تقطرُ ماءَ عرفت عيني بهـا أدمعَ قلبي

من كان هذا الطيف ؟ وفيمَ يحمل زهرة ماؤها من ذوب قلب الشاعر ؟ أليسَ هذا دلالة على الهجر ؟ وهل تبكي العين بدموع القلب إلا على حبيب هاجر ؟

قلتُ من أنتَ ؟ فلبّاني مجيبا نحنُ ، يا صاحِ ، غريبان هنـا
قد نزلنا السهلَ والليلَ الرهيبا حيثُ ترعاني وأرعـاكَ أنا

لقد أمسى شاعرنا غريباً ، والغـريب للغريب حبيب ، ولذلك راح الغريبان ، الطيف والشاعر ، يرعيان بعضهما بعضاً • وعندما يستفسر الشاعرُ منه عمّن دعاه ، يجيبه أنه أشفق عليه من الليـل ، فتتبّع إلى الوادي خطاه • وعندما يغنّيه ، يدرك الشاعرُ سرّ اللحن والصوت الوديع ، إنه حبّه ، هذا الذي هامَ مثله في الليـل شريداً ، ويتعانق

الشاعر والطيف ، وينطلقان في حديث وشجون والعبرات تخنقهما .

وتأبى ذكريات حبه القديم أن تمنحه الراحة ، فتعاود ملاحقته على صورة الأشباح ، ويحاول هو إنكارها وتجاهل أمرها ، وهي لا تصدّق دعواه الكاذبة ، فتصرُّ على موقفها منه ، ويروح يسألها

لمَ أقبلتِ في الظلامِ إليَّ ؟ ولماذا طرقتِ بابيَ ليلا ؟
لاتَ حينَ المزار أيتها الأشـ ـباحُ، فامضي،فماعرفتكِ قبلا !

ويهبُّ ينكرها ويطردها ، وهي تأبى عليه ذلك . ويتجاهلها ، وتدرك أنه كاذب

لا تطيلي الوقوفَ ، أيتها الأشـ ـباحُ، فامضي، فما رأيتكِ قبلا
أوَلم تسمعي ؟ جهلتك من أنـ ـت ! فعودي ، فما كذبتكِ قولا

وتهجره الأشباح إلى حين ، فتعاوده ذكرياته القديمة الخالية ، حيث يتحسَّر على أيام صباه ، وعلى أيام عواطفه المتفتحة بعدُ طريةً غضَّةً ، ويذكر أيامه الجديدة الحافلة بالتيه والقلق والحيرة ، ويحاول الهرب منها ، فتأبى عليه ، فيرى الصبح ظلاماً ، ويرى النار متأججة في جوانحه ، ويرى الليل وقد انطفأت مصابيحه جميعاً ، فلا يكاد يودع النهار بحيرته وكآبته ، حتى يحمل إليه المساء الدموع والأشجان :

ياصبح ما للشمس غير مضيئةٍ؟ يا ليلُ ما للنجم غير مبينِ ؟
يا نارُ ما للنار بينَ جوانحي ؟ يانورُ : أينَ النور ملء جفوني ؟
ذهب النهار بحيرتي وكآبتي وأتى المساءُ بأدمعي وشجوني
حتى الطبيعةُ أعرضت وتصاممت وتنكّرت للهاربِ المسكينِ

وتذهب عنه هذه الذكريات القديمة ، فتهاجمه الأشباح من جديد في شكل آخر ، في ثورة من حنين واشتياق ، وتطغى على أعصابه

وفؤاده ، وتئيد عليه بثقلها ، فيروح يرجوها أن تستكين إلى هـدوء ، وهي تستعصي عليه ، لا يزيدها تضرُّعه إلا ثورة واحتداداً ، فهي ريح جفول تحطّم قلبه تحطيماً ، فيشرع يخاطبها في لطفٍ

إهدئي ، يا نوازعَ الشوقِ ، في قلبي فلن تملكي لماضٍ رجوعا
آه ، هيهات أن يعود ، ولو أفنيتُ عمري ، تحرُّقاً وولوعا
آه ، هيهات أن يعود ، ولو ذوَّبت قلبي صبابةً ودموعا
فاهدئي الآنَ ، يا لثورتك الهوجاء جبّارة تدكّ الضلوعا

ويضيق بالحياة ، فإن أيامه الخالية ولياليه الوضيئة كلها ثوت في ثنايا الماضي ، فلا يملك لها رجوعاً :

أنا طيف الماضي على صخرة الآ ... بادِ أستشرفُ الزمانَ الآتي
وورائي الصحراء وادي المنايا ... وأمامي المحيطُ لجّ الحياةِ
بين عبريهما ثوت غُرُّ أيا ... مي ، وحال الوضيءُ من ليلاتي

ويأبى الشوقُ براحاً ، ويعاود طروقه يحمل إليه الأشباح والآلام ، فما يطوي ليلة إلا وتخيم عليه أخرى ، ويظلّ يطرق أبواب قلبه ، وربيع قلبه قد أشتى ، فمن أين له أن يذيب الصقيع ؟

أيها الزائرُ المعاودُ ما ألقاكَ أحسنتَ بالمزارِ صنيعا
ما أرى في سماتِ وجهك إلا شبحاً رائعاً وحلماً وجيعا
طال ليلي ، فما طويتُ هزيعاً منه إلا نشرتَ منه هزيعا
عدتَ ، يا شوقُ ، لي وعادت لياليك ، ولكن وجدتَ قلباً صريعا
عدتَ ، ياشوقُ ، فيمَ عدتَ؟ ربيع العمرِ ولّى ! فهل تعيد الربيعا ؟

وإنه ، حقاً ، لن يعيد الربيع !

ــ أ ب ــ

تمجيد الشاعر :

كان علي محمود طه يعرف للشاعر منزلته السامية ، ومكانه المقدس في العـالمين السماوي والأرضي ، فخصّه بقسمٍ كبير من قصـائده ، فتحدث عن ميلاده ، وعن غرفته ، وعن خمرته ، وعن صلته بالله والبشر، وعن قيمته في الحياة ، وأخيراً عن انتقاله إلى عالم الأبدية ، وعن الرمز الذي بقي له في الأرض ليذكّر الناس بمروره على وجه هذه البسيطة .

فالشاعر يهبط الأرضَ شعاعاً سنياً ، يحمل عصا السـاحر وقلب النبيّ ، فهو لمحة من أشعة الـروح تلبّست هيكلاً بشرياً ، والحكمة والنور طوع بنانه ، فإذا مـا مسّت قدماه الأرضَ زهـا الكونُ به مستبشراً ، وحفّ مهده الوردُ والريحانُ ، ورتّت القياثر بألحانهـا الشجية . وتستقبله الأرض بالضياء ، وتصفق له الخمائل ، وتشدو له الطيور ، وتبكر العذارى إلى الرياض في صبوةٍ ومراح ، وبعد أن تزدان الأرض له ، ويصفو القمر والنجوم ، ويلتفت الدهر ، ويستكين الوجود ، يطلُّ الشاعر ، فتستقبله جميعاً بالأغاريد ، وتتنادى الملائكة ، وتتجاوب الأصداء ليستبشر العالم ، فقد ولد فوقَ الأرض شاعر

هبط الأرضَ كالشعاعِ السنيّ — بعصـا ساحرٍ وقلبِ نبيِّ
لمحة ، من أشعة الـروح ، حلّت — في تجـاليد هيكلٍ بشريّ
ألهمت أصغريه من عالم الحكـ — ـمةِ والنور كلَّ معنىً سريّ
وحبته البيـــان رياً من السحـ — ـرِ به للعقول أعذبُ ريّ
صور الحسنِ حوّم حول مهدٍ — حفّ بالورد والعمـار الذكيّ
وعلى ثغره يضيىء ابتسام — رف نوراً بأرجـوانٍ نديّ
وعلى راحتيـه ريحانة تنـ — ـدى ، وقيثارة بلحنٍ شجيّ

فحنت فوقَ مهــده تتملّى فجــرَ ميــلاد ذلك العبقــريّ
وتساءلنَ حــيرة ملك جــا ءَ إلينا في صــورة الانسيّ
من ترى ذلك الوليــدُ الــذي هشّ له الكونُ من جمــادٍ وحيّ ؟
من تراهُ ؟ فرنّ صوتٌ هتوفٌ من وراءِ الحياةِ شاجي الدويّ
إن ما تشهدون ميــلاد شاعرْ

وفي قصيدة أخرى يصف لنــا الشاعر في غرفته وصفاً قلّ أن جاء سواه بمثله ، فقد مضى الليل والشاعر غارق في شجونه ، مسلمٌ رأسه الحزين إلى الفكر ، والسهد يأكل من جفونه ، وفي يدٍ يراعٌ وأخرى ترتعش وهي تمرُّ فوق جبهته ، وأنفاسه الحرّى تطغى علىأنينه الخافت. وثمة رعد وبرق ، ولكن جــلال الصمت قد أرخى سجفه في غرفتــه ، وليس غير سراجٍ هزيل وبقايا رمادٍ تحنو عليه في إشفاق .

يا شاعري ، نَصَلَ اللّيلُ فلم أذبلت بالأسى قلبك الغضّ ، وليس من يأسى للعبرات في مقلتيك ، فما بُغيتك من سهادك ، ولم لا تخلصُ من أحزانك ؟ ! هذه الدنيا للمجون والزيفِ ، وليستللشاعر الموهوب. فقم الآن والتمس ما ينسيك نهــارك الآسي في لين فراشــك ودفئه ، فالحياة لا تجزيك على ما حمّلته عنها من ضنىً وشحوب

أيها الشاعرُ الكئيبُ ، مضى الليــــلُ وما زلتَ غارقاً في شجونِكْ
مسلمــاً رأسك الحزين إلى الفكــــرِ ، وللسهدِ ذابلات جفــونكْ
ويدٌ تمسك اليراع ، وأخــرى في ارتعاشٍ تمــرُّ فوقَ جبينكْ
وفمٌ ناضبٌ به حرُّ أنفــا سكَ يطغى على ضعيف أنينكْ

★ ★ ★

لستَ تصغي لقاصف الرعد في الليـــلِ ، ولا يزدهيـك في الإبراقِ
قد تمشى خـلال غرفتـك الصمـــتُ ودبَّ السكون في الأعماقِ
غيرَ هذا السراج ، في ضوئه الشا حبِ ، يهفو عليـك من إشفاقِ
وبقايا النيرانِ ، في الموقدِ الذا بلِ ، تبكي الحيـاة في الأرماقِ

★ ★ ★

إن أحداً من الشعراء العرب لم يعنَ ، من قبلُ ، بمثل هذه الصورة الشعرية ، وإعطائها هـذا الوصف الدقيق للّحظة الشاعرة التي تمرُّ بالشاعر ، وهو يستولد بنات أفكاره الخلود والفنَّ والحيـاة • وإن كانت الصور في هذه الأبيات (بعيدة إلى حدٍّ ما عن المألوف من حياة شعرائنا الشرقيين ، إلا أن يكونوا مترفين قد ألفوا حياة الغرب وكلفوا بالسهاد في غرفة يضطرب فيهـا نور ضئيل شاحب ، وتفنى فيهـا بقايا الجذوة في الموقد ، وكل هـذا يألفه الغربيون ، وهو يذكـر بموسيه تذكيراً قوياً[1]) ولكنها غير بعيدة عن جوّ الشاعر ، خاصة إذا تذكرنا أنه قضى فترة من عمره متنقلاً في البلاد الأوروبية ، متأثراً بأجوائها ، آخذاً عن شعرائها •

ويتحدث الشاعر إلى الله ، في شيء من غرور الشعراء ، وكثير من التشكك في العقيدة • وإني لأؤمن أن الشاعر كتب هذه القصيدة في أيام عصيبة وثورة من التبرُّم ، فراح يجدّف في الكلمات ، ويتمرَّد ، ويتلظى ، ويريد أن يستشف اللغز الإلهي ، فيعجز ، ويستعيد تنفاً من الوعي ، فيعقب مستغفراً • وبعـد أن كان الشاعر مَنْ تهلّل الأرض والسماء والخلائق استبشاراً بمقدمه في « ميـلاد شاعر » ، نرى إليه

---

(١) حديث الأربعاء لطه حسين ص ١٤٦

الآن وقد غدا شقياً ، تفزع الأرض منه وتفرق ، وتكاد تضلّه في شعبها وملاويهـا

لا تفزعي ، يا أرضُ ، لا تفرقي   من شبحٍ تحت الدُّجى عـابرِ
مـا هـو إلاّ آدميٌّ شقي   سمّوه بين النـاسِ بالشـاعرِ

★ ★ ★

أتسمعينَ الآن في صـوتِهِ   تهـدُّج الأنّات من قلبـهِ ؟
وتقـرأين الآنَ في صمتِهِ   تمـرُّدَ الروحِ على ربّهِ ؟

وفيمَ تمرُّد الروح ، يا ترى ؟ هل ألقت الحيّة في قلبه من معصيتها قبساً ، فنزع إلى أن يدركَ ما وراء السماء ، ويفهم حقيقة الخـالق أو يساويه ، مثلما نزع بالأمس البعيد حواء وآدم إلى معرفة سر شجرة الحياة والموت ؟ ! وهل جال في خاطره أنه صنو الله على الأرض ، فودَّ أن يفتح مغاليق المجهول ؟ ولمَ روح الله صـافية ، وروح الشاعر لم تَصْفُ جوهرا ؟ ولمَ أثمر الخير في الله ولم يثمر في الانسان ؟

لكنما روحك من جوهـرٍ   صافٍ ، وروحي ماصفت جوهرا
أولا ؟ فمـا للخيرِ لم يثمرِ   فيهـا ؟ وما للشرِّ قد أثمـرا ؟

ويتّهم الشاعر القدرة الإلهية في صيحة مجفلة رهيبة

ما أثمت روحي ، ولا أجرمتْ   ولا طغى جسمي ، ولا استهترا
عنـاصر الروحِ بمـا أُلهمتْ   أوحتْ إلى الجسمِ ، فما قصّرا

فالإنسان مسيَّر إذن ، وليس مخيَّراً ! والله وحده المسؤول ، أولاً وآخراً ، عن ذنوب الإنسان على الأرض . أترى الانسان أُلهية الله ؟ ! وهل يتسلى المولى بنا ؟ طالما أن الله يرسم للإنسان طريقه ويقود خطاه كما يقود المبصر الأعمى ، فلم ينذره بالجحيم ، ولم يلمه ، وغرائزه ليست

طوع قواه ، بل طوع قوة مبهمة غامضة بعيدة عن الادراك والفهم

أمنــذري أنتَ بيــوم الحسابْ ولائمي أنتَ على مــا جــرى ؟
رحماكَ! مايرضيكهذا العذابْ لطيِّــعٍ لم يعصِ مــا قدِّرا !

★ ★ ★

ما كنتُ إلا مثلمــا ركبتْ غرائزي ، ما شئتَ لا ما أشــاءْ
فلتجزها اليــومَ بما قدمتْ وإن تكنْ ممــا جنته براءْ

★ ★ ★

وفيمَ تجــزى ، وهي لم تأثمِ ؟ ألستَ أنتَ الصــائغ الطابعا ؟
ألم تسِمْها قبــلُ بالميسمِ ؟ ألم تصــغْ قالبهــا الرائعــا ؟ ؟

★ ★ ★

ألخــيرُ والشرُّ بهــا تؤامــانْ والحبُّ والشهوةُ في طبعهــا
حوّاء والشيطــانُ لا يبرحــانْ يساقطان السحر في سمعهــا

ويروح الشاعر يشكو إلى الله هذا العالمبسيئاته وصراعهوجوره ، ويتّهم

يا ربِّ ، ما أشقيتني في الوجودْ إلا بقلبي ليتــه لم يكنْ
في المثــل الأعلى وحبِّ الخلودْ حمّلتــه العبءَ الــذي لم يهنْ

لقد أخذت لهجة الشاعر هنا ترقُّ ، فهو يبادرُ إلى الاعتذار وطلب المغفرة

حنــانك اللهمَّ ، لا تغضبِ أنتالجميلُالصفحِ ، جمُّ الحنانْ
ما كنتُ في شكواي بالمــذنبِ ومنك ، يا ربِّ ، أخذتُ الأمانْ

إن القلق ينهش قلبه ، والشك يتأكّله ، وهذا ما نلحظه واضحاً جداً في ديوانيه الأولين الملاح التائه ولياليه ، وإن الحيرة لتضاف عنده الى القلق والشك ، فتفعل فعلهـا في نفسه الثـائرة ، فيتعلق بكل خفيٍّ مستور . ولكن هـذا الخفي المستور ما يلبث أن يتمرّد على عقليته الهندسية ، وطالما أن واحداً زائداً واحداً يساوي اثنين ، والخط المستقيم هو أقرب طريق بين نقطتين في عقليته العلمية ، فلمَ لا نعرف ماهية الله ، هـذا اللغز الأبدي المستغلَق ، ولم لا نفهم كنه العـالم فهمـاً أقوى وأوضح ؟ !

ويوضح أن هذه الثورة من الشك إنما كانت لسبب ، والسبب هو حيرة الانسان منذ بدء الخليقة ، هذه الحيرة التي لم تجد ضالتها حتى الآن . ولما كان الشاعر قبساً من روح الله ، فهو واسطة الاتصال بينه وبين العالم . ولما كان الشعراء من المقربين إلى الآلهة لأن السماء أعارتهم للبشر ، فهو

هـأنذا أرفعُ آلامـه   إلى سمـاءِ المنقـذِ الأعظمِ
أنا الـذي ترسـل أنغـامه   قيثـارة القلب ، وناي الفمِ

★ ★ ★

أنا الـذي قدّست أحـزانه   ألشاعر البـاكي شقاء البشر
فجَّـرت بالرحمـةِ ألحـانه   فاملأ بها ، يارب ، قلبَ القدرْ

★ ★ ★

ما الشاعر الفنّـان في كونهِ   إلا يـد الرحمـة من ربّهِ
معـزّي العـالم في حـزنهِ   وحـامل الآلام عن قلبـهِ

★ ★ ★

بعثته طـيراً خفوق الجنـاحْ   على جنـانٍ ذات ظلٍّ وماءْ
أطلقته فيهـا قبيل الصبـاحْ   وقلت : غنِّ الأرض لحن السماءْ

ويروح من جديد يعتذر ، ولكنه لا يعتذر عن نفسه هـذه المرة ، بل عن الناس جميعاً ، ويستمطر رحمة القدرة الإلهية عليهم ، لأن الذنب ليس ذنبهـم أو ذنب أجدادهم ، بل قد يكون ذنب نوح ، يوم أنشأ سفينته ليحفظ أخيـار النسل البشري من الطوفان ، فأخطأ الانتقاء ، وأغرق الخير ونجّى الفساد

إذن ، فما للناسِ ضلّوا الهدى ؟   وأخطأوا اليومَ سبيل الرشاد ؟
لعـلَّ نوحـاً أخطأ المقصـدا   فأغرق الخيرَ ونجّى الفسـاد !

ثم يخاطب الشاعر الأرضَ ، معللاً برحمة المولى ، واعداً إياهـا بالخلاص ، لأن الله لم يخلق لنا إلا الخير والجمال ، ولأن الله خير فهو لم يخلق لنا إلا خيراً ، وليس ثمة في نهاية العالم غير فردوسٍ أبدي

أيتهـا المحـزونة البـاكيهْ   لا تيأسي من رحمةِ المنقـذِ
لعـلَّ من آلامك الطـاغيهْ   إذا دعوتِ اللهَ من منفـذِ
فابتهـلي لله ، واستغفري   وكفّـري عنك بنـار الألمْ
وقدمي التـوبة ، واستمطري   بين يديه عبراتِ النـدمْ

وهكذا كان الشاعر واسطة بين السماء والأرض ، بين الله والإنسان، ولكننا لم نعرف بعد كينونة الشاعر على حقيقتها ، فمن هو الشاعر ، يا ترى ؟

ويصف لنا علي محمود طه الشاعر ، فيقول : إنه ومضة نغم عبقرية ، صداها الحب والألم ، يقطع الدهر وحده ، مناجياً الليـل والكواكب والسحب ، يذوّب الهوى فؤاده ، ويهدُّ من جسمه المرض ، وهو يتقبّل

هذا كله كيما يكشف عن سرّ الغيب والمجهول لينقله إلى البشرية •

ومما يؤسف له أن الحياة لا تطيل في عمر الشاعر كيما يزيد الحياة من غرائب فنه بما لا يشبه بنظائر ، وكيما تظفر من غنائه بأدقّ مثال وأرخم طائر ، فهي تطوي عمره سراعاً وكأنها تغار عليه من الأرض ، فتحمله الى جنان السماء ، الى مهده الأصلي ، ليسرح مع الملائك ، جذلان نشوان ، يطرب الأبدية بالملهم من فنونه ، مخلّفاً على البسيطة فراغاً كبيراً ، حتى إن الطبيعة عندما تصحو من غفوتها باكراً تسأل عنه وعن أناشيده ، فاذا ما علمت أنه رحل عنها خرست جداولها ، وفرشت شجراتها من أوراقها له كفناً ، ثم شيّدت له قبراً يحفّه العشب ، ويزين المجد أحجاره ، وتجاوره نخلة ثاكلة وامقة تقضي العمر الى جانبه ، وتقيم عنده القماري تسجعُ له أغنياتُها العذاب ، ويحنو عليه الفجرُ ، وتجاوره النجمات •

تمجيد الخمرة :

ويتحدث الشاعر عن الخمرة ، هذه التي شغلت أذهان الشعراء جميعاً منذ الخليقة ، فغنّاها الأقدمون والمحدثون ، واستقطبت أذهان الشعراء في العالم أجمع ، فقلّ أن نرى شاعراً لم يصف الخمرة أو يتغزل بها • وقد أفرد لها شاعرنا كثيراً من قصائده ، لا بل يكاد أن يكون وجوده كلّه متمثلاً بكأس لها غنّى وامرأة جميلة تعاطيه إياها

فقالت ما حياتك ؟ قلتُ حلمٌ
من الأشواقِ أوثرُ أن أُطيلَهْ

حياتي قصةٌ بدأتْ بكأسٍ
لها غنّيتُ ، وامرأةٍ جميلَهْ

وليس غريباً على شاعرنا أن يغرّد للخمرة كثيراً من قصائده ، رغم أن الخمرة محرّمة عليه ، طالما أنه قضى شطراً من عمره متجولاً في البلاد

الأوروبية ، حيث الخمرة تقوم مقام الماء عندنا • وهو يطلب الخمرة في كل حين لأن في نكهتها شبع الروح ، وريّ الجسد ، ونفحة الوحي ، وإشراق الخيال ، وسحر الوجوه النضرات ، وذوب الشفاه الملهمات ، والعيون الشاعرات ، حتى إن جدّنا الأول ذاقها مذ كان في الغاب لعوباً ، ففيم حديث الفلسفات ، والعلم ، ومجاهل الحياة ، وفيم المناقشة في العقل واللاعقل ، في الوعي واللاوعي ، في أسرار الكون ومفاهيم الخلود ؟ ! صُبّ كأساً ، وترشفها ، فهي قبلة تنقذ من ضلال

هاتها كأساً من الخمر التي سكرت آلهة الفنّ بها
إسقنيها وتفيأ ظلّتي وترنّم بأغاني حبّها

★ ★ ★

هذه النكهة من صهبائها شبعُ الروح وريّ الجسدِ
عربد الشاعر من لألائها وهي كنزٌ في ضمير الأبدِ

★ ★ ★

هاتها جلواءَ ، يا توأم روحي فبها أُبصر للخلد الطريقا
لو خلا من كرمتيها فلك نوحٍ أخطأ الجوديَّ ، أو بات غريقا

★ ★ ★

يا حبيبي ، دع حديث الفلسفاتِ طابَ يومي فتفيأ ظلّتي
أترع الكأسَ ، وناولني، وهاتِ قبلة تنقذني من ضلّتي

والخمرة لا تطيب وحدها إذا لم ترافقها امرأة جميلة ، فكما أن الكأس لا معنى لها بدون الخمرة فيها ، فكذلك الخمرة لا تطيب بدون حواء الى جانبها •

ويروي لنا أن ربة أشعاره هي حورية كانت تسقيه الخمرة ويسقيها

ربتي ، ربة أشعاري ، وحبي ، وغنائي
هي حورية غابٍ لم تبنْ للشعراءِ
بتُّ أسقيها وتسقيني على محضِ الوفاءِ
خمرةٌ ما قبّلت غير شفاهِ الأنبياءِ
خمرةٌ في الغيب كانت قطرات من ضياءِ
ختمت بالشفق الورديِّ في أصفى إناءِ

واندفع الشاعرُ ، مثله مثل عمر الخيام ، الى نشدان المتعة في الخمرة والمرأة ، وفتن بهذا الشاعر الفارسي الذي قضى عمره بين ذراعي امرأة وكأس ، وفلسف الحياة عبر وجودهما ، فترجم له جزءاً من رباعياته ترجمة رائعة ، آخذاً بعض آرائه ، مناقشاً في بعضها الآخر .

ما أجمل أن يستيقظ الإنسان على رحيق خالد ، فما أن تبزغ الشمس وتكاد القافلة تنطلق سعياً وراء متطلبات الحياة ، حتى يسرع أفرادها ويقرعون باب الحان يسألون الخمّار رشفات من بنت العنب ، فإنّ طعمها ليسري عبر الشفاه الى الدم ويتغلغل في كل ذرة من ذرات الجسم

هاتف الفجرِ الذي راع النجومْ وأطارَ النومَ عن آفاقها
لم يزل يغري بنا بنت الكرومْ ويثير الوجد في عشّاقها

★ ★ ★

كلما لألأ في الشّرقِ السّنا دقّت البابَ الأكفُّ الناحلهْ
أيها الخمّار ! قم وافتح لنا واسقنا قبل رحيل القافلهْ

ومن أين تجيء الخمرة ؟ إنها مزيج من دموع وقلوب يتركب في

دجية الليل ، فلا يكادُ الفجر يلامسها حتى تغدو جمرة تصطخب حنيناً والتيــاعاً

كــلُّ عنقودٍ دموعٌ جمــدتْ وقلوبٌ فنيت فيهــا شعاعــا
ما احتواهــا الفجرُ إلا اتقدتْ جمرةً تذكو حنيناً والتيــاعا

★ ★ ★

أيهــا الخــالد في الدنيــا غراما أين نيسابور ، والروض الأنيقْ ؟
أين معشوقك إبريقاً وجــاما هل حطمت الكأس أم جفَّ الرحيق ؟

وهل يمكن أن يحطم إنسان عاقل كأسه ؟ وكيف يمكن أن تنضب الخمرة والكرمة سرٌّ من أسرار الله على الأرض

تسمو بهــا الأرواحْ عــن عــالم الإثــمِ
شفّــافة الأقــداحْ في رقّة الحـــلمِ

وتظل الخمرة والكأس ترفّان على شفتيه كلمــا ومضت في رأسه فكرة ، وكلما مرّت به ليلة

ليلنــا خمرٌ وأشـــواقٌ تغني حولنــا
وشراع ســابحٌ في النور يرعى ظلّنــا
كان في الليــل سكارى وأفاقوا قبلنــا
ليتهم قد عرفوا الحبَّ فباتوا مثلنــا
كلما غرّد كأس شربوا الخمرة لحنا

وهي سرٌّ ، كلما شربه الانسان ازداد به شغفاً ، وهي أبدية خالدة لا تنضب

خمــرة العشاق لا زالت ولا جفَّ من ينبوعهـا نهر الحيـاهْ
نضبت في قدحِ العمـر الطّـلا وهي في الأرواح تستهوي الشفاهْ

ولا يكتفي شاعرنا بوصف الخمرة ، إشراقها ، وطعمها ، وتقديسها ، وقدمهـا ، وكأسها ، بل ينتقل الى وصف الحـان الذي تبـاع فيه ، والسكارى ، والآنية التي تصبُّ منها

فالحان غريبة الشكل ، يزينهـا الزهر والورود ، ضوؤها القمـر الأضحيان ، ومصباح راقص اللهب ،

هي حـانة شتى عجائبها معروشة بالزهر والقصبِ
في ظـلّة باتت تداعبهـا أنفاس ليـلٍ مقمر السحبِ
وزهت بمصباحٍ جوانبهـا صافي الزجاجة راقص اللهبِ

والزُبّن بوهيميون ، نشاوى ، حمـر الثياب فكأنهم يفدون من حانوت قصّاب وقد تلطخت ثيابهم بالدماء القانية

حمر الثيابِ تخال أنهمو يفدون من حانوت قصّاب
جلسوا نشاوى مثلمـا قدموا يترقّبون منـافذ البـاب

يرسلون شعرهم حلقاً ، ويدخنون الغليون حتى ليكادون يحرقون قبة الفلك

من كل مرسـلٍ شعره حلقا وكأنهـا قطعٌ من الحلكِ
غليـونه يستشرف الأفقـا ويكاد يحرقُ قبة الفلكِ

وفي ذراع كل منهم امـرأة وقلم يخطّ من الشعر ما يغري ذوات الشكل بالضحك • ويروحون يتناقشون ، وقد فعلت الخمرة فعلها فيهم، عن الخطيئة الأولى ، وهـل بدأت بآدم أم بحوّاء • ويطول تفلسفهم

السفسطائي ، فلا يردهم عنه إلا راقصة تنضو غلالتها عنها وتهبُّ ترقص وترقص حتى يولي الليل ويشرق النهار • أما الابريق الذي تصبُّ منه خمرتهم فمزين بالجواهر الثمينة ، تحفّه الصور الجميلة ، التي يبلغ من روعتها ان الشارب يظنها حية

إبريقه حـلي" من الدُّررِ يزهى به قـدح" من المـاسِ
وكأنَّ ما حوليه من صورِ متحركات ذات أنفـاسِ
منهن عـازفة على وتـرِ متفجرٍ بأرقِ إحسـاسِ

ويذكر الأستاذ نظير جابر ، نتيجة ذلك ، أنه حـدث تطور مستمر في وصف الخمرة بين العصر الجاهلي الذي كان يصفها لمجرّد التباهي والتفاخر ، وبين العصر العباسي الذي يصفها لمجرّد الوصف ، ويفتنُ فيه حتى نحسبها إحدى المقومات الأساسية في بقاء الحياة ، ثم بين العصر الحاضر الذي يصفها ويصف أثرها في الشاربين، كما يصفها مقترنة بالمرأة•

تمجيد المرأة :

المرأة هي شغل شاعرنا الثاني • كانت الخمرة في شعره لذة روحية ، أما المرأة فهي لذة جسدية•ومن قراءة سريعة لشعره في المرأة نرى أنها كانت في معظم قصائده من راقصات الحان ، أو الفنانات ، أو بائعات اللذة • فليس ثمة امرأة مخصوصة كتب لها من شعره أروعه ، أللهم إلا امرأة واحدة كتب لها قصيدتيه الرائعتين « امرأة » و « القمر العاشق » •

وقد أخطأ الدكتور محمد منـدور إذ كتب عن الشـاعر قائلاً (وإذا كان علي محمود طه قد التمس لذات الحياة ومتعها فإنه لم يتحدث في شعره إلا عن العزيز منها غير المبتذل ، لأن حاسته بالجمال كانت تقيه مثل هذا الابتذال(١)) ، لأن علياً وصف من شهواته بالنسبة الى المرأة

(١) قضايا جديدة في الأدب الحديث لمحمد مندور .

ما قرّبه في كثير من قصائده من الشاعر اللبناني الياس أبي شبكة صاحب غلواء وأفاعي الفردوس

كم ليـلةٍ حمراءَ خلتُ ظلامها　　يدَ ماردٍ سلّت خضيبَ حسامِ
وكأنّ كلّ سحابةٍ في أفقها　　شبحُ الخطيئة فوق عرضٍ دامِ
ألفيتني جسداً تسارقُ روحَهُ　　قُبَلٌ عواصفُ ضرّجتْ بأثامِ
أجتاحها وأضجُ من لذعاتهـا　　فكأنهـا بدمي نقيع سمامِ
وعلى يَدَيْ مسمورةٍ مخمورةٍ　　ألتـذُ كالمقرورِ حـر ضرامِ
متضائل الأفكارِ مهدورَ القوى　　متزايل الأهـواءِ والأحـلامِ
هي من ترى؟ هي هنّ، هنّ جواذبي　　بأنيق ثوبٍ أو رشيق قوامِ
ألشاردات العائدات مع الضحى　　ألطـارداتُ وراءَ كلّ ظـلامِ
أخمدتُ فوقَ شفاههنّ شبيبتي　　وذبحتُ بين عيونهنّ غرامي

إنها صورة جلية للفجور، ولماهية المرأة التي يتعشّقها، وهي التي غنّاها في كتبه السبعة الأولى وأفرد لهـا القسط الأوفر من غنائياته. ولكنه أدرك هذه الحال في أخريات أيّامه، فأسرع في ديوانه الثـامن والأخير يعتذر معترفاً بذنبه

إن أكن قد شربتُ نخبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامةِ كأسي
وتولّعت بالحسانِ لأني مغرمٌ بالجمـالِ من كل جنسِ
وتبذّلتُ في غرامي فلم أحبس على لذةٍ شيـاطينَ رجسي
كم شفاهٍ بهنّ من قبلاتي وهج النار في عواصف خرسِ !
أيهذي الخدور ! أنوارك الحمراء كم أشعلت لياليَ أنسي
أحرقتهنّ ! آهِ لم يبقَ منهنّ سوى ذلك الرمادَ برأسي

وهذا اعتراف صريح آخر بمجونه وفسقه وقلّة وفائه ، لأنه مولع بالحسان من كل جنس ، يجتذبه أي ثوب أنيق أو قوام رشيق ، ويتبذّل في غرامه فلا يحبس شيــاطين شهوته ولا يتورّع أو يتقي . ويروح يحاول تبرير هذا التبذّل ، فيقول

.. فبروحي أعيش في عالم الفنّ طليقاً والطهرُ يملأ حسي
لي قلبٌ كزهرة الحقل بيضاء نمتها السماءُ من كل قبسِ
هو قيثارتي عليهــا أغني ، وعليهــا وحــدي أغني لنفسي
لي إليها في خلوتي همسات أنطقتها بكل رائع جرسِ

ولكن هذا التبرير لم يفده ، إذ دلّ على أنانية كبيرة ، لأنه يعطي الغير الشهوانية الحيوانية ، ويبقي قلبه النامي كزهرة الحقل لنفسه ، فهو قيثارته الغنّاء التي ينشد عليها في خلواته فقط أعذب الألحان .

وينفي العديد من قصائده هــذا الطهر ، ويفضح المرأة الرخيصة التي عاشرها

كشفت عن جمالهــا كلّ خافٍ وأباحت لهنّ ما لا يبـــاحُ
معبــدٌ للجمــال والسحرِ والفتـــنةِ يغــدى لقــدسه ويراحُ
دخلت بي إليــه ذات مساءٍ حيث لا ضجــة ولا أشباحُ
لم نكن قبل بالرفيقين ، لكنْ هي دنيــا تتيح ما لا يتاحُ
.. إن أسأنا إليكَ فاليومَ يجزيـــكَ بما ذقته رضىً وسماحُ
ولك الليــلة التي جمعتنــا فاغتنمها حتى يلوح الصباحُ

ولا ندري ما إذا اغتنم هذه الليلة أم لا ، وإن كان ادعى :

قلتُ حسبي من الربيع شذاهُ ولعينيَّ زهــره اللمّــاحُ

ـــ أ ف ـــ

ويتحدث عن راقصة عرفها في أوروبا والتقى بها في مصر قائلاً

دعتني فجمّعتُ قلبي لها ونادیتُ ماضي والحاضرا
أرى جنةً وأراني بها أهيمُ بأرجائها حائرا
ملأت بتفّاحها راحتيَّ وبتُّ لكرمتها عاصرا
فياليلةً لم تكن في الخيالِ أجدّت لي المرحَ الغابرا

وهذه امرأة أخرى لقيها في زوريخ

خفقت على وجهي غدائرها فجذبتها بذراع مُجترحِ
لم أدرِ ، وهي تديرُ لي قدحي ، من أين مغتبقي ومصطبحي
عرضت بفاكهةٍ محرّمةٍ وعرضتُ ، لم أنطقْ ولم أبحِ
يا ربّ ، صنعك كله فتن" أين الفرارُ وكيف مطّرحي
إني عبدتك في جنى شفةٍ ويدٍ ، ووجه مشرقِ الوضحِ
ولو استطعتُ ، جعلت مسبحتي ثمر النهودِ ، وجلّ في السُبحِ

وهذا دليل آخر نقرأه في قصيدة « سارية الفجر » ، هذه التي التقى بها مصادفةً في صباح باكر ممطر تقطع الشارع ، فشرع يدعوها الى فراشه الصامت وسكون بيته ، ليحيّيها ويختلس منها قبلة

عبرتْ بي في صباحٍ باكرٍ فتنة العين وشغل الخاطرِ
قلتُ ، والفجر سنى يا قوتةٍ لألأت خلف السحاب الماطرِ
إن نأت دارك ، يا أختُ ، فما بعدتْ دار الغريب العابرِ
شاطريني ذلك المأوى فما أتقاضاك وفاء الشاكرِ
سوف يؤويك جدار ساخر" من أباطيل الزمانِ الساخرِ

سوف يحويك فراشٌ صامت لك فيه همسات الـذاكرِ
وأحييــك وأستحيي فمــاً حقه قبــلة ربٍّ غــافرِ

ومرت به امرأة شريفة واحدة ، عرفته على حقيقته فهجرته بعد زمن قصير بعد أن تملك حبها من قلبه ، فراح يعاتبها

أقبلتِ أم أمعنت في الإعــراضِ إني بحبك ، يا جميــلة ، راضي
.. ألقاكِ ، لست أراكِ إلا فتنة علوية الاشــراقِ والإيماض
كم رحت أغمض ناظري من دونها فأراه لا يقوى على الإغمــاضِ
وذهبتُ ألتمسُ السلوَّ وأطلقت نفسي زمام جوادهــا الركّاضِ
.. ولقيت غيركِ غير أن حشاشتي لم تلقَ غــير الوقد والإرماضِ
واعتضت باللذات عنك فلم تجد روحــي كلذة حلمك المعتــاضِ
وأطعتُ ثم عصيتُ ، ثم وجدتني بيديك لا عن ذلةٍ وتغــاضي
لكن لأنك إن خطرتِ تمثلت دنيــاكِ تسعى لي بأروع ماضي

هذه المرأة آلمت الشاعر ، فحاول أن يعتاض عنهــا باللذات ، فلم يجده ذلك ، فقبــل أن يحلم بهــا . ولو كانت راقصة أو بنت هوىً لمــا اضطر الى الأحلام . وكان يغار عليها حتى في بعاده عنها ، هي ، صاحبة قصيدة « القمر العاشق » أيضاً ، ذات الغلالة الرقيقة النــائمة تحت نافذتها المفتوحة في ليالي الصيف المقمرة . إنه يغار عليها حتى من القمر ، خشية من أن يخبر القمر الناس عن هيامه بها فيظنون في مخدعها الظنــون

إذا ما طافَ بالشرفة ضوءُ القمر المضنى
ورفَّ عليكِ مثل الحلمِ أو إشراقة المعنى

وأنتِ على فراشِ الطهر كالزنبقة الوسنى
فضمي جسمكِ العاري وصوني ذلك الحسنا
على خديك خمرُ صبابةٍ أفرغها دنا
رحيقٌ من جنى الفتنة لا ينضب أو يفنى
وفي نهديك طلّسمان في حلهما افتنا
أغارُ ، أغارُ إن قبّل هــذا الثغر أو ثنى
ولفَّ النهد في لينٍ ، وضمَّ الجسد اللدنا
فردي الشرفة الحمراء دون المخدع الأسنى
مخافة أن يظنَّ الناسُ في مخدعكِ الظنّا

وشاعرنا ، لكثرة هيامه وشغفه بالفنانات ، وقضاء ليـاليه الحمراء بين أحضانهن وفي منتدياتهنّ ، يجيد وصفهن وصفاً رائعـاً خـلاّباً ، فكأنك تستشف في وصفه روح الراقصة ، وتفسيتها ، ورشـاقتهـا ، وحركة يديها ، وتأثيرها على الرجال ، بنظرة واحدة تلقيها على القصيدة :

سـرت بين أعينهم كالخيـالْ — تعـانق آلهـة في الخيـالْ
مجـرَّدة حسبت أنهـا — من الفنِّ في حرمٍ لا ينـالْ
فليست تحسُّ اشتهاء النفوسِ — وليست تحسُّ عيون الرجالْ
وفي روحهـا نشوة حلوة — كمهجورة منيت بالوصـالْ
تضمُّ الوشاح وتلقي به — وفي خطوها عـزّة و اختيالْ
تمـدُّ يديهـا وتثنيهمـا — وتـرتدُّ في عوجٍ واعتـدالْ
محيّـرة الطيف في مـائج — من النور يغمرها حيث جـالْ
تخيّـل للعين فيما ترى — فراشة روضٍ جفتها الظـلالْ
على إصبعي قدمٍ ألهمتْ — هبوب الصبا ووثوب الغزالْ

وتجـري ذراعين منســابتين		كفرعين من جدولٍ في انثيالْ
تلوى وتسهــو كلهـّــابة		تراقص قبل فنــاءِ الذبالْ
وتعلو وتهبط مثل الشراع		ترامي الجنوب به والشمــالْ

وذراعا المرأة ـ وطبيعي أنهـا المـرأة الراقصة ـ أشبه بحيتّين ، تلتفان عليه وفي نفسه نشوة ، وثغرها أشبه بشفين من نار ، وفي فمـه رغبة ، وهي جسد عار تلفحه الشهوة الجوعى ، وهو يرى النساء كلهنّ ســواء

ولفت ذراعــين كالحيتــين		عليّ ، وبي نشــوة لم تطـرْ
وقد قرّبت فمهــا من فمــي		كشقين من قبسٍ مستعــر
أشـمُّ بأنفــاسهــا رغبــة		ويهتف بي جفنهـــا المنــكسرْ
أرى •• ما أرى ؟ جسداً عــارياً		تضجُّ به الشهــوة الجائعهْ
أرى •• ما أرى ؟ شفتي غــادة		ترفّان بالقبــلةِ الخـــادعهْ
تساقطني ثمــراً ! مــا أرى ؟		أرى حيــة الجنة الضــائعهْ
بعينــك أنتِ ، فلا تنــكري		صِفــات أنوثتــكِ الشــاهدهْ
تمثلت شتى جســومٍ وكم		تجدّدت في صــورٍ بائدهْ
نعم ، أنت هنّ • نعم • ما أرى ؟		أرى الكلّ في امرأةٍ واحــدهْ

هذه المرأة الواحدة في شعره أشبه بمن أغوت الشيطان فأبكته

أقسمت لايعصِ جبّار هواهــا		أبد الــدهــر وإن كان إلهـــا
يا لهــا من فتنة قد صــورت		في قوام امرأة راع صبــاها
طلعت في هــالة من خضــرة		وعيــون يترقرقن ميــاهــا

ـ أ ش ـ

ورآهـــا فتنـــدَّت عينــه رحمة ، فاحتال يخفي من بكاها
وبكى الشيطـان ! يا لامـرأةٍ أبكت الشيطان لمـا أن رآهـا

تمجيد الطبيعة :

لجأ أكثر الشعراء المعاصرين الى تمجيد الطبيعة في شعرهم ، ولكنَّ شاعرنا بذَّهم جميعاً في هذا المضمار ، فهو يسجد بخشوع أمام عظمة الطبيعة الفتانة ، وقد أغنى هذا الخشوع لديه ولادته في بقعة خضراء من الأرض المصرية ، وجـلال الريف من حوله ، ثم كثرة سياحاته الى البلاد الأوروبية الأكثر شهرة بروعة طبيعتها ومفاتنها • ولم يكن وصفه أو ذكره للطبيعة ذكراً سطحياً ، بل فيه عمق وتفكير ، فهو رسّام رائع ، يوزع ألوانه توزيعاً متقناً ، ويبث في لوحته حركة دائمية ، بحيث يخال لك أن اللوحة تتبدل كلما تغيرت الزاوية التي تنظر إليها منهـا ، لا بل تحسب أنك أمام صورة سينمائية ملوّنة تعرض أمام عينيك •

وإذا عرفنا أن شاعرنا كان مهندساً ، يجيد حساب الأشياء والزوايا ومركز الثقل ، فلا عجب إذا أدركنا أنه استعمل فنه الهندسي في شعره ، فأضحت تجربته الشعرية متنوعة غنية ، فهو يدرس المشهد الممتدّ أمامه دراسة مستفيضة ، فيجمع خطوطه الرئيسية في عقله ثم ينقلها الى عاطفته التي تفصّل أجزاء هذه الخطوط وترسم زواياها ودوائرها وظلالهـا ومنعرجاتها ، ثم تسطرها على الورق

يطوفُ بنـا على شطٍّ من الأضواءِ مسحورِ
شراعٌ خـافقُ الظلِّ على بحرٍ من النـورِ
تنـاجيه نجوم الليـلِ نجوى الأعينِ الحورِ

وهذه لوحة فنية لطريق ضيقة

يا للطـريقِ الضيقْ الصـاعدِ بين ربوتينْ
كأنما خطَّ على قدرِ خطىً لعـاشقينْ

ألشجراتُ حولهُ كأنهـا أهـدابُ عينْ
كعهده بصاحبِ الدار ظليـل الجـانبينْ
نبأه الصدى المـرنُّ عن قدوم زائرينْ
في فجـر يومٍ ماطـرٍ شقَّ حجـابَ ديمتينْ
كأنما ينزل منه الوحي حبَّـاتٍ لجينْ
فانتبهتْ خميـلةٌ تهـزُّ عشَّ طـائرينْ
وشاعَ في الغـابة همسٌ من شفـاهِ وردتينْ
من الغريبان هنـا ؟ وما سُراهمـا ، وأينْ ؟

فالطريق ضيقة ، تصعدُ بين ربوتين ، كأنما خطها الله لعاشقين فقط من دون أن تتسع لسامرٍ آخـر أو رقيب يعطّل عليهمـا خلوتهمـا ، والشجرات مصفوفة على الجانبين هندسياً كأنها أهداب العين ، وهل أجمل من هذا التشبيه لتتابع الشجر المنتظم ؟ ! وهذه الخميلة التي تنتبه لوقع خطى العاشقين ، فيهتزُّ لاتباهها عشُّ عاشقين آخرين من الطير ، وبالتالي تتمايل زهرتان تتهامسان متسائلتين عن هـذين الغريبين ، من همـا ، والى أين تقودهما الخطى ، وفيمَ تقودهما ؟

وإذا ما غدا يصف الماء ، في النهر والبحر والبحيرات ، فهو لايكتفي بتجريده فقط ، بل يزينه بالقمر والنجوم ، والريح والدفء ، ولا ينسى أن يبعث فوقه زورقاً وأشرعة وبعض أغنيات وقليـلاً من خمرة ، فهو ملاّح ، وهل ينسى الملاّح عدّته ؟

إذا ارتقى البدرُ صفحة النهرِ
وضمّنا فيه زورقٌ يجـري
وداعبت نسمةٌ من العطـرِ
على محيّاكِ خصلةَ الشعرِ
فقربي الكأسَ ، واسكبي خمري

وإنه لا ينسى ، حتى في مجالات نقل الطبيعة الحية المتحـركة الى صفحات الورق الجامدة ، أن يذكر المرأة والخمرة • فهي أدوات مكمِّلة لكل ما يبعث في النفس الفرحة واللذة ، خـاصة إذا كان وجودهما في منحىً عن البشر

واتتحينا من جانب البحر مجرىً مطمئن الأمواهِ شـاجي الخريرِ
نزلت فيه تستحـمُ النجـوم الـزهر في جلوة المسـاءِ المنـيرِ
راقصـات به على هـزج المـوجِ عرايا ، مهدّلات الشعورِ
وعلى صدره الخفوقِ طوينا اللّـيل في زورقٍ رخي المسـيرِ
ورياح الخليجِ دافئـة تثني حواشي شـراعه المنشـورِ
ومن الساحل الطـروب أغـانٍ أخـَذتنا بكل لحنٍ مثـيرِ

ولما كان مثالاً للشاعر الذي خلقته الطبيعة ، فهو في ذاته وفي معناه نشيد من أناشيد الجمال ، ولحنٌ من ألحان الحبّ ، لأن الطبيعة من دون حبّ تبقى صورة ناقصة للحياة ، ولذلك فهو يؤطّر هذه الروائع الوصفية بسبحاتٍ من الغزل والهوى ، وحيث يكون الغـزل والهوى تكون الرقة والصفاء والوشوشات العذبة

إذا ما سقسق العصفور في أغصانه الغنّ
وشقّ الروضَ بالألحانِ من غصنٍ الى غصنِ
أتتكِ خواطـري الصدّاحة الـرفّافة اللحنِ
تغنّيكَ بأشعاري وترعى عـالم الحسنِ

ولما كان ملاّحاً ، فقـد أحبّ البحر والأنواء والموج والأشـرعة والشطآن ، وأكثر من وصفها ، لا يهمّه سواء أكان الماء في نهر أو بحر أو بحيرة أو شلال أو خضمّ مائج • يكفي أن يكون ماءً ليلفت انتباهه

إليه ، ويروح يحرّك شاعريته الخلاّقة ، وتتراكب الصور تباعاً في ذهنه ، وتنفعل عاطفته فيعجز إلا أن يسطرها على الورق ، موشاة بقصيدة غنائية

حبّذا النهرُ والشراعُ به الريح تلعبُ
بين شطّين من الزبرجد ، والماءُ مذهبُ
راح ملاّحه الشجيُّ يغني فيطربُ
وعلى الأفق والحقولِ نشيدٌ وموكبُ

وإنّ في البحر لأخطاراً حين ترغي أمواجه وتزبد ، ومع ذلك فهو محبَّبٌ لأن السابحات الفاتنات فيه سينتحين شاطئه حين يتموّج بلوني الذهب والفضة ، يمتزج به الليل والسحر ، وتهبُّ الريح فوق أمواجه ، وتسكب المطر غيومه

ما زلنَ والبحر في توثّبه	يرغي كمن راع قلبه خطرُ
قد جاوز الليل نصفه فمتى	تؤم فيه أصدافها الدررُ
فليصخب البحر ولتئنّ به	رماله ، وليثرثر الشجر
ولتعصف الريح فوق مائجه	ولينبجس من غمامه المطرُ
أقسمنَ لا ينتحين شاطئه	وإن ترامى بمائه الشررُ
حتى يُرى وهو فضةٌ ذهبٌ	تمازج الليل فيه والسحر

ويعجب كثيراً بمنظر الأشرعة المرنّحة ، الحائرة القلقة ، السابحة في النور

تهزّها بقديم الشوق أشرعةٌ	مرنّحاتٌ تغنّيهن أنواءُ
وسار عنها شراع حائر قلقٌ	له إلى الغرب بالأسفار إيماءُ

شراع سابح النور يرعى ظلّنا

وفي الشاطىء ، هـذا الشاطىء الضحوك حينـاً والمسحور حينـاً والطروب أحياناً ، الرملي أو الصخري ، ألوان كثيرة لا يمرُّ بها دون أن يفيها حقها من اهتمامه ، والضفاف حالمات زمناً ، خضر سكارى زمناً آخر ، والبحيرات وسنى ، لا تفيق من أحلامهـا إلا لماما ، وهي ومـا يحيطها من جبال توشّحن بالشجر ، وتنقّبن بالغمام .

مما قدمنا نلحظ أن الشاعر أكثر من وصف الماء ، ولكنه في كل مرة كان يرينا تقريباً الصورة عينها ، لكن من زاوية مختلفة .

ومثلما أكثر من وصف الطبيعة البحرية ، أكثر من وصف الفجـر والصباح والمساء والليل والرياض بما فيهـا من زهر وورد . وهاتان صورتان احداهما لاحدى الليالي ، والثانية لوجه بشري .

قال يصف ليـلة

في ليـلة للنفسِ فيهـا هزةٌ	ولكل قلبٍ صبوة وتشوُّقُ
ريا الأديمِ كلجـةٍ مسجـورةٍ	يسري عليهـا للمـلائك زورقُ
غنى بها الشعر الطروبُ وأقبلتْ	بالزهـر حوريّاته تتمنطـقُ
وشـدا الرعاة الملهمون كأنمـا	سيناءُ من قبس النبوّة تشرقُ

وقال يصف وجهاً :

أوفى على الوادي بضاحك ثغره	وجه تقبّـله السمـاءُ وترأمُ
مسترسل النظر البعيد كأنه	ملك يفكّر أو نبيٌّ يلهـمُ
وكأنمـا الآمال عبر طريقهِ	أنفـاسُ روضٍ بالعشية ينسمُ
يتنظّر الحقلُ المنـورُ خطوهُ	والنهرُ والجبلُ العريض الأيهمُ
فكأنَّ روحاً عائداً من « طيبة »	فيه شبابُ ملوكهـا يتبسَّمُ

انها أنغام راقصة في معزوفة موسيقية ، خفيفة على السمع واللسان ، والشاعر قد عرف كيف يلائم بين الموضوع والنغمة ، وهذا دليل ظاهر على حبّه للطبيعة وتأثره بالشعراء الرومانسيين .

أرواح شاردة :

أهدى الشاعر كتابه هذا

إلى تلك الزهرة الأفريقية الثاوية تحت ثلوج الغرب

هذه الأرواح الشاردة في تيه المرح والعذاب والحبّ

وتحدث فيه عن حياة بعض الأرواح الشاردة في الشعر الفرنسي كپول ڤرلين الذي نقل له شعراً قصيدة « في الخريف » ، وشارل بودلير ، مستعرضاً في الوقت ذاته المدارس الشعرية التي اجتاحت فرنسا في القرن الثامن عشر ، كما أنه ترجم من الأدب الانكليزي حياة كاتبين فذّين هما جورج برناردشو وهربرت جورج ويلز . وترجم في الكتاب ثلاث قصائد شعراً أولاها للشاعر الانكليزي پيرسي بيش شيلّي بعنوان « القبّره » ، والثانية لشاعر العرش البريطاني جون ماسفيلد بعنوان « عودة الملاّح » ، ولعلّ ترجمته لها كانت من قبيل تجانس الميول وتقارب الأحاسيس ، والثالثة للشاعر الفرنسي ألفريد دي ڤيني بعنوان « بيت الراعي » ، وقد كان موفقاً جداً في الترجمة ، من حيث الأمانة ودقة التعبير ، مثله في ذلك مثل ترجمته لقصيدة الشاعر لامرتين « البحيرة » المنشورة في ديوانه الأول « الملاّح التائه » .

وكأنما أبى شاعرنا ، في حياته ، إلا أن يثبت أنه ملك ناصيتي الشعر والنثر في وقت واحد ، وكأنما لم يكتف بما أبدعه في عالم الشعر من روائع خالدات ، فأراد أن يبرهن عن براعته في فن الأقصوصة أيضاً ، فكتب أربعاً منها هي « الليلة الأولى » و « في ميدان إسدرا » و « يوم في ڤرساي » و « فتاة برن » ، وجميعها وصف لبعض ما جرى له خلال

رحلاته الى أوروپا ، فهي أشبه بأدب الرحلات منها بالأقصوصة •

أرواح وأشباح :

قصة خيالية استمدّ الشاعر خيوطها من أساطير الاغريق الشعرية ، وهي عبارة عن ملحمة الرجل والمرأة ، وصراع الروح والجسد ، وأنشودة الشباب والحب•وهي قصيدة طويلة تنيف على أربعمائة بيت ، تبحث في أعمال إنسانية خالدة ، وتتدخل فيها حوادث غيبية ، وأشخاصها يونانيون لهم محلّهم في الفن اليوناني والجمال اليوناني ، ومن هؤلاء ساڤو الشاعرة الأغريقية ، بل أعظم شاعرة عرفها التاريخ ، صاحبة الملذات ، وكاهنة الرذيلة ، وتاييس ، الراقصة الأثينية الفاتنة اللعوب ، وبليتيس، الشاعرة الخرافية التيخلقها إبداع الشاعر الفرنسيپيرلويس، المتغنية بالحب الملتهب ، والغزل المكشوف ، ورغبات الجنس المكبوتة ، وهرميس ، الإله العجيب الشاذ ، إله اللصوص والمنافسات والوحي ، والأرفسي ، هذا الذي كان يحرك الجماد والنبات بقوة شعره وسحر غنائه •

وقد تخيل الشاعرُ الروحَ في عالم الأرواح ، روحاً مجنحة الخاطر، حرة ، تحمل معها الشاعر الى قمة الزمن الغابر • وتكون الحوريات يسمرن ، ينتظرن يوم بعثهن ، فيمرُّ بهنَّ إله الوحي هرميس ، وبصحبته روح جميل هو فنّان آذنته الكلمة بالبعث في عالم الأرض ، فلا يسلمان عليهنّ • وتروح الحوريات يتحدثن غاضبات عن هذين الشبحين الطائرين اللذين مرا فما سلّما • وتغضب كل من ساڤو وبليتيس لهذا الإهمال • وتعتذر تاييس عنهما ، فتخاطب ساڤو قائلة عن الفنان إنه فتى تملأ ألحانه الأرض غداً • بيد أن بليتيس يؤلمها أنه مرَّ متكبِّراً وقد أصابته لوثة أهل الفنون ، ألا فليمضِ شقياً ! ولتفض كأسه بالشجون ! ومن خلال هذا الحديث ينطلق التفلسف في الفن الرفيع بين

الرجل والمرأة ، وفي الجمال والشهوات والأهواء ، وفي الخطيئة ، وهل تبعتها على الرجل أم على المرأة ؟

ويقول الأستاذ السلحدار إن الفكرة الرئيسية في الموضوع هي أن بين الروح والجسد تفاعلاً ، وبين القيم الأخلاقية والغريزة تدافعاً ، وإن هذا التفاعل وهذا التدافع هما العاملان الخفيّان المسيّران للحياة البشرية ، وهذه الفكرة الأصلية مستحكمة في صلب الصنيع ، مرفرفة على كلامه من أوله الى آخره .

أما خلاصة المحاورة فيما يتعلق بأثر الغريزة في الفن بين الرجل والمرأة ، فهي أن المرأة تلهم الفنان بجمالها الجسدي وجمالها الروحي . فيراها رقية صوِّرت من نقاء ، ويرى فيها ما لا تحدُّ النّهى ، كأنها معنى وراء الخيال . غير أن الشهوة الجائعة فيها ، بل الغريزة العاتية فيهما ، توقعهما في الخطيئة ، فالفنان يستلهم الشرَّ سحر البيان ، وتعيِّن الفنون رمز الآثام . وتلك حال الآدمية ، يريد الفن أن يعلو بها فيقعدها الجسد بغرائزه

هو الحبُّ ؟ لا . بل نداء الحياة تلبيه أجسادنا الظامئه
كأني ببحرٍ بعيد القرار طوى أفقه وذوى شاطئه
يخفُّ دمي لصداه الحبيبْ وتدفعني القدرة الهازئه
لقد كنتِ وحي رخامٍ يصاغ فأصبحت لحناً يثير الدماءْ
وكنتُ فتى ساذجاً لا أرى سوى دمية صورت من نقاءْ
فأصبحتُ شيئاً ككلِّ الرجالِ وأصبحتِ شيئاً ككلِّ النساءْ

وإن الريح لتنقل الى الشاعر حديث الحوريات بأكمله ، فيروح يعاتب بليتيس على ظنونها به ، متسائلاً كيف يمكن أن يبغض حواء وهي التي باع آدم في سبيلها خلده ، وانه ورث هواها فأحبَّ الحياة

من أجلها ، وانه يراها على الأرض طيف النعيم ، وأنه يترع كأسه من دنها ، ويعيش على ذكرياته معها ، فتسأله ساڤو متهكمة لمَ تخشى لقانا إذن ؟ فيهم بأن يظهر لهما ولكنه يحسّ أن له جسداً وأنه لم يعد روحاً مجرداً ، فيعتذر . وإذ تبصره الحوريات جسداً عارياً ينفرن منه ، ولكن هرميس يهدىء روعهن قائلاً إن ما يهم هو الروح لا الجسد ، لأن في الروح الصبا والجمال المبين ، فتردُّ عليه ساڤو قائلة إن ذراعي الرجال تستدرجان الخصور ، وما في شفتيه غير حديث الغرام ! فيغضب هرميس لهذا الخلق النزاع الى العبث ، وهذه الظنون التي تفشو في عالم الروح ، فيجيبه صوت من السماء قائلاً في موج من الأنغام الشجية ان سبب ذلك كله هو البعث القريب . وان هذا عمل السماء فدع لها تصاريفها ، فيترك هرميس الشاعر وينطلق في السماء .

هذا هو ملخص الملحمة .

وقد أخذ الأستاذ عبد المجيد عابدين على الشاعر أنه وصف شخصيات الملحمة في مقدمة كتابه نثراً ، ولكنه عندما ترجمها شعراً اختلف مفهومها بالكلية . ومثال ذلك ساڤو التي وصفها بأنها شاعرة أغريقية تغنت بالحب واشتهرت بمذهب ينسب اليها في ملذات العشق ، فهي شاعرة ملتهبة الحس تؤثر اللذة الحسية وتتغنى بها ، ولكنه لم يستطع رسم هذه الشخصية شعراً مطابقة لما ذكره عنها نثراً . وفي هذا المعنى أيضاً يقول الدكتور محمد مندور (عندما تنظر في مقدمة القصيدة ترى الشاعر قد قدَّم إليك هذه الشخصيات نثراً كما يعرفها الناس ، وتنظر في الشعر علّك ترى فيه إيضاحاً لهنّ وتمشياً مع ما عرضه المؤلف عنهن في المقدمة ، فتحتار ويذهب لبك . فساڤو لم تعد الشاعرة الحسية التي نعرفها ، وهي في أقوالها أقرب الى الهدوء والنظر الفلسفي الذي يلتمس الأعذار ويحاول فهم النفوس منها الى الشاعرة الأغريقية المسرفة العنيفة

« التي كانت تحسُّ برغبات الحياة تسيل تحت إهابها رعشة كلما رأت من تحب[1] ») .

ويرى الأستاذ أحمد حسن الزيات غير هذا الرأي ، فيقول (ومما زاد الملحمة مشابهة للحقيقة إتقان المحاورة بين أبطالها إتقاناً جعلها حية طبيعية شائقة ، فقد أبدى كل منهم رأياً وعرض حججه ، وفي كل من آرائهم شيء مقبول ، أو على ظاهر من الحقّ ، وكان كلامهم سؤالاً يستدعي جواباً ، أو قولاً يجلب اعتراضاً أو تحذيراً .. وذلك هو شيطان الشاعر في حسّه وتجلّيه ، وتلك هي الملكة أعظم ما تكون حرية وانطلاقاً ، وأرفع ما تكون سمواً ، وهي بعينها هزة الإلهام الذي ابتدع هذا الصنيع الباهر) .

ويقول الأستاذ السلحدار عن الملحمة (إنها موضوع جديد بعيد الغور أحسن معالجته شاعر مثقف ، وبناه على أساس متين من وجدانيات وفكر جديرة بالنظر) .

ويقول الشاعر خليل مطران (جئت بالطريف من المعنى ، في الصريح الشائق من المبنى .. إن في مطالعة أرواح وأشباح لمتعة فكرية ولذة فنية) .

ويعقب الأستاذ الزيات (هي في الصياغة مشرقة البيان ، منتقاة اللفظ .. هزّت نفسي هزاً شديداً فكنت أطيل الوقوف عند كل رباعية ، وأديم النظر في كل بيت ، أتذوّق جمال صياغته ، وأستجلي سرّ بلاغته في أناة) .

ومهما يكن من أمر ، فإن الشاعر يكفيه فخراً أن تكون أرواح وأشباح أوّل ملحمة شعرية من هذا النوع في الأدب العربي .

---

(١) في الميزان الجديد لمحمد مندور ص ١٩

بين قدح ومدح :

حمل كثيرون على شاعرنا حمــلات شعواء ، واتهموه بالسطحية والفراغ ، وأنه لجأ الى مجموعة من الألفاظ الطنــانة الرنانة ، عرف كيف يستخدمها في أبيات شعرية استحوذ بها على مشاعر القرّاء .

وكان الدكتور شوقي ضيف[1] من أشدّ النقاد ثورة على الشاعر ، فاتهمه أنه يستخدم ألفاظاً معينة قلما يعدوها ، يمكن أن توصف بأنهــا شعرية ، ويروح يعيدها ويكررها ، وأن الشاعر تعوّد أن يغمر القرّاء ببخور من الألفاظ يؤثر فيهم ، ثم اتهمه أنه ليس صاحب نزعة فلسفية في شعره ، ولا هو صاحب نزعة نفسية ، إنما هو صــاحب لغة شعرية تبعث النشوة في نفس سامعه وقارئه بألفاظهــا البرّاقة وما تحمل من رنين ٍ يبدع فيه ويفتنُ ، بحيث تشعُ الحلم الشاعري ، وتنشر هــذا الضباب المليء بالأشباح الهائمة .

ويضيف الدكتور ضيف إن ثقافة الشاعر كانت محدودة وخاصة في النواحي العقلية ، فأنت قلّما تجد عنده شيئاً يمتع عقلك ، ولعلّ ذلك ما جعل شعره يخلو من التجربة النفسية بمعناها الصحيح .

ومن حيث النتيجة (ليس شعر علي محمود طه إذن شعر المعــاني العميقة ، وإنما هو شعر الألفاظ ، والألفاظ عنده لا يراد بها أن تدلّ على علاقاته بالأشياء ، وإنما يراد بهــا أن تدلّ على نفسها وأصواتها وما يمكن أن توحي به من أحلام . ومن الحقّ أن علي محمود طه لم يكن يعرف التعمُّق في معــانيه وأفكاره ، فهو لا يعيش وسط أفكار ومعانٍ ، وإنما يعيش وسط ألفاظ وكلماتٍ) .

ولكنّ الدكتور ضيفَ لم يستطع أن ينكر أثر الشاعر وقيمته ،

---

(١) في كتابه : دراسات في الشعر العربي المعاصر

فما لبث أن قال إنه مع ذلك من خيرة شعرائنا ، وإن الألفاظ الشعرية التي يستخدمها لا تشين شعره إنما ترفعه .

وقال الدكتور طه حسين[1] (أما أنَّ معرفتي لشاعرنا المهندس قد أرضتني فلأنَّ شخصيته الفنية محبَّبة إليَّ حقاً ، فيها عناصر تعجبني كل الإعجاب وتكاد تفتنني وتستهويني ، ففيهـا خفة الروح ، وعذوبة النفس .. وليس عيباً على الشاعر أن يقرأ ولا أن يكثر القراءة ، وإنما يعيب الشاعر ألا يقرأ أو ألاَّ يقرأ إلاَّ قليلاً . ولعلَّ شاعرنا المهندس إذا قرأ وأكثر القراءة ضمن شعره من بعض ما قد يعـاب به . وبعض الناس يعيب شاعرنا « بتغريب الشعر » . أما أنا فأحمد له هذا النوع وأراه تشريفاً للشعر العربي ورياضة للذوق الشرقي واللغة العربية على أن يسيغا ما لم يتعوَّدا أن يسيغاه من قبل ... وأريد أن أضيف الى ما يعجبني في شعره ، أنه حلوُ الأسلوب جزل اللفظ ، جيِّد اختيـار الكلام ، وأنَّ لألفاظه ومعـانيه رونقاً أخَّاذاً تألفه النفس وتكلف به وتستزيد منه ، وأنَّ في شعره موسيقى ، قلَّما نظفر بها في شعر كثيرٍ من شعرائنا المحدثين ، وأنه قد استطاع أن يلائم ، إلى حـدٍّ بعيدٍ ، لا بين جمال اللفظ وجمال المعنى فحسب ، بل بين التجديد والاحتفاظ باللغة في جمالها وروائها وبهجتها وجزالتها) .

وقال الاستاذ أنور المعداوي (كان شعلة متوقّدة من الإحساس بالجمال ، الجمال في شتى صوره ومعانيه جمـال الصداقة وجمـال الكرامة وجمال الحياة . أخلص للجمال الأول فاغترف الأحباب من نبع وفائه ، وآمن بالجمال الثاني فقبس الكرام من وهج إبائه ، وهام بالجمال الأخير فقصَّر الشعراء عن بلوغ مداه) .

---

(١) في كتابه : حديث الاربعاء

وقال الدكتور محمد مندور[١] (الواقع أن شعر علي محمود طه لا يدرك سر جماله بالتحليل المنطقي ، وإنما يحسُّ إذا استطعنا أن نسمو الى الجو الذي يخلقه ويحلّق فيه • وهو لا يرصف ألفاظاً ، وإنما يجيد استخدام المعجم الشعري الذي يخلق به الجوّ لنحلّق فيه ، وبفضل موسيقاه المرهفة يزيد تلك الألفاظ قوّة إيحاء وتحليق • ولا نظنّ أنه قد انزلق الى ما انزلق إليه نفر" من الرومانسيين الغربيين الذين انتهى بهم الأمر أحياناً الى افتعال بعض الأحاسيس والتجارب ومحاولة تغطية هذا الافتعال بما سمَّاه زميلنا الدكتور شوقي ضيف (ضجيج الألفاظ) • وعلي محمود طه ربما كان أقرب الشعراء المعاصرين روحاً من الشعر الغربي) •

وقال الأستاذ عباس خضر (كان أصيل الشاعرية ، لوى شعره عن التقليد والترديد ، وقصد الى مشاعره وخواطره لا يحرص على شيء قدر حرصه على أدائها وإبرازها) •

وقال الأستاذ أحمد حسن الزيات في رثائه له (كان من أصدق الأمثلة للشاعر الذي خلقته الطبيعة • والشاعر الذي تخلقه الطبيعة يكون في ذاته وفي معناه نشيداً من أناشيد الجمال ، ولحناً من ألحان الحب ، فيكون شاعراً في أخلاقه ومثله وأحلامه وهندامه وسلوكه ، وفي نمط حياته وأسلوب تفكيره وطريقة عمله وطبيعة صداقته • وأشهد لقد كان نسقاً فريداً في الصفاء والوفاء والمروءة والمودّة • كان لا يطوي صدره على ضغينة ، ولا يحرّك لسانه بنقيصة ، ولا يقبض يده عن معروف ، ولا يعقد ضميره على غدر ، فلم تدع له هذه الصفات الشاعرة النادرة عدوّا ، لا في نفسه ولا في الناس ، فعاش ما عاش وادع البال في سلام الحب وأمان الصداقة •

---

(١) في كتابه : قضايا جديدة في الادب الحديث

قضى عمره بالعرض لا بالطول ، وقدر عيشه بالكيف لا بالكم ، وجعل همّه في الحاضر لا في المستقبل ، ونظر الى الشعر نظر البلبل الى الشدو ، فكان يصدر عنه بالطبيعة إعلاناً لوجود ، وإبرازاً لنفس ، وكمالاً لصورة ، وتصويراً ناطقاً لهواه ، ونظاماً متسقاً مع خلقه وطبعه في الحرية والأصالة والوضوح والأناقة والسهولة والسلامة .

إن حياة علي كانت أشبه بالطيف خفق خفوق الملك على حواشي الروض ، ثم عبر ، أو الحلم نعم به رائيه في إغفاءة الفجر ، ثم زال ، أو حبات الندى تلألأت في وجه الصباح ثم ذهبت في متوع الضحى ، أو قطرات القطر سطعت في نفح النسيم ، ثم تبدّدت في عصف الريح) .

رأي في الشاعر :

وبعد ، هل كان علي محمود طه شاعر ألفاظ طنّانة كما قال الدكتور شوقي ضيف ، وشاعراً غير مطّلع كما قال الدكتور طه حسين ، أم أنه كان شاعراً مكتمل الشاعرية ، فيّاض الخاطر ، جزيل اللفظ ؟

ولما كنت أؤمن أن الشعر عبارة عن انعكاس لتجربة نفسية أو عاطفية أو حياتية تمرّ بالشاعر فيسجّلها للناس في قصيدة هزيلة أو خالدة ، فالشمس المشرقة أو الغاربة ، والقمر الأضحيان والنجوم المتلألئة ، والبحر الرخو أو المائج الصاخب ، هذه وغيرها تبعث في نفس كل إنسانٍ انفعالات خاصة تتفاوت شدتها وأثرها ، ويراها كل منهم على صورة خاصة ومن زاوية معينة ، فقد يرى الملاّح البحر من وجهة نظر ما اذا كان صالحاً للسفر والارتحال أم لا ، وقد يراه الصيّاد من وجهة نظر ما اذا كان صالحاً لإلقاء شبكته فيه والعودة بوفرٍ من الصيد أم لا ، وقد يراه العاشق الولهان من وجهة نظر ما اذا كان في مقدوره الهيمان فوق منبسطه في قارب شراعي مع معشوقته للتمتع بأحلى سويعات الهوى ، وهكذا ... والشاعر ، وحده ، هو من يستطيع أن يسجّل

مثل هذه الانعكاسات للمنظر في نفسه ، فتختزنها عيناه ، وتحملانها الى مصنع تجاربه ، فتعالجها عاطفته وإحساسه الشعريان ، وتخلعان عليهما القيمة التي تستحقها في نظرهما ، ثم تسطرانها على الورق .

ولما كنت أؤمن أن الشعر يجب أن ينبع من العين والقلب أولاً ، لأن القلب والعين هما مصنع القيم الجمالية في هذه الحياة .

ولما كنت أؤمن بقول پول ڤاليري في معرض حديثه عن الشعر إن الزمان يكرّ مسرعاً ولا يؤوب ، والحياة تتجدّد مشرقة ولا تتشابه ، والصور تزول ماضية من دون ما أثر . وان الله القوي الحكيم قد تفرّد وحده بالطي والنشر ، والمحو والابداع ، وأنه أودع في الحياة معنى الموت ، وفي الجذوة قوة الركود ، وفي الخلق سرّ الاعجاز ، وأن الشاعر المبين وحده لن يرضى عن اللحظة الحية التي تفنى إلاّ إذا سجّلها على القرطاس ، وأطال في حياتها ، وأثبتها على الدهر ، وكأنه يعارض انحدار الأشياء الى صندوق العدم ،

ولما كان لا بدّ في الشعر ، اضطراراً ، من وزن وقافية وموسيقى وإلا سمي نثراً ،

وكانت هذه الأشياء جميعاً قد كملت لدى شاعرنا الملاّح ، فقد اكتملت له شاعريته .

أما أن يقول الدكتور شوقي ضيف إنه لم يكن صاحب نزعة فلسفية في شعره ، فأقول إنه ليس من واجب كلّ شاعر أن يكون صاحب نزعة فلسفية ليسمى شاعراً ، لأنّ الفلسفة أبعد ما تكون عن غنائية الشعر .

ثمّ يجب ألاّ يغرب عن بالنا قط ، ونحن ندرس الشاعر ، أنه كان مهندساً ، أي من أصحاب الدراسات العلمية لا الأدبية ، فلم يتخرّج من كلية أو جامعة للآداب ، ولم يدرس تاريخ الأدب واللغة والصرف

والنحو ، بقدر ما درس تاريخ الخطوط والزوايا ومراكز الثقل لأن تعليمه النظامي وقف عند دبلوم مدرسة الفنون التطبيقية التي تخرج منها عام ١٩٢٤ وكان قد دخلها إثر تعثره في مرحلة دراسته الثانوية ، وأنه لم يتفرّغ للشعر كلية وإنما كان الشعر في حياته مادة ثانوية ، وهذا ممّا يشفع له كثيراً ، في رأيي ، في الهنات المنتشرة في شعره • وإذا كان الدكتور طه حسين قد رأى أنه لم يقرأ كثيراً ، فلنذكر أنه أعطى هذا الحكم على ديوان الشاعر الأول فقط ، ولم يعطه عن شعره كافة •

وقد أخلص شاعرنا للطبيعة إخلاصاً عميقاً ، وتفنّن في وصفها وأجاد ، ولم يلتزم فناً واحداً في هذا الوصف ، فتناوله في شعر قصصي وتمثيلي وغنائي وملحمي ، فضلاً عن أن النزعتين الكلاسيكية والرومانطيكية قد سادتا في شعره كثيراً ، وكأنما الشاعر عندما جمع في شعره هاتين النزعتين إنما كان يتمثل قول بندتو كروتشه من أنه اذا كان المنحى الكلاسيكي من حيث كمال النقل أو التعبير لازماً للعمل الفني ، فإن المنحى الرومانطيكي من حيث العاطفة ليس أقلّ منه لزوماً • وإن الشعر لا يستطيع أن يكون إما صادقاً وإما عاطفياً ، بل لا بدّ أن يكون صادقاً وعاطفياً معاً • ثم أضاف كروتشه قائلاً ان الشاعر العظيم هو من اجتمعت فيه النزعتان الكلاسيكية والرومانطيكية • لذلك ، فإننا نستطيع أن نعطي الملاّح التائه لقب « الشاعر العظيم » •

ولقد عرف الملاّح الشعر بقوله

الشعر موسيقى الحياة موقّعاً   متدفّعاً من كلّ عرقٍ فائرِ

وقد جمع بالإضافة الى نزعتيه المذكورتين شيئاً من محافظته على

النمط القديم في الشعر ، وقد عبَّر عن ذلك ، كما أعرب عن أثره في الأدب المعاصر ، بقوله

أنا من زعمتم ، غير أني شاعر أرضى البيان بما يصوغ ويرسمُ
إني بنيتُ على القديم جديدهُ فرفعتُ من بنيانه ما هدّموا

سهيل أيوب
المحامي

دمشق في ١٨ آب ١٩٦٢

الملّاح التائه

علي محمود طه

تحت الشراع

بين الشرق والغرب

« من وحي المرحلة الاولى لرحلته الى أوروبا
صيف عام ١٩٤٦ ، بين الاسكندرية وبيروت وأثينا
في الطريق الى الغرب

مسراكَ نورٌ وأنسامٌ وأنداءُ
فاخفقْ شراعي ، وطِر ، يصدحْ لكَ الماءُ

يا أيُّها القلق الحيرانُ كم أملٍ
تشدو به موجةٌ في البحر عذراءُ

يحدوكَ بالنغم السكران أرغنُها
في مَنبجٍ ماؤهُ زهرٌ وصهباءُ

أما تَرى البحر يبدو في مفاتنهِ
لكل حبٍّ جديد فيه أجواءُ ؟

وفجرهُ صائدٌ طارتْ بمهجتهِ
حوريَّةٌ في فجاج اليم شقراءُ ؟

وليلهُ مرقصٌ تغشاهُ غانيةٌ
في مُطْرَفٍ أسودٍ وشّاهُ لألاءُ ؟

شتّى مواكبَ من حورٍ وآلهةٍ
لها التفاتٌ إلى الماضي وإصغاءُ

تهزُّها بقديم الشوقِ أشرعةٌ
مرتّحاتٌ تُغنّيهن أنواءُ

يقودهنّ على الأمواج في مَرحٍ
ملاّحُ وادٍ لَهُ بالتّيهِ إغراءُ

ما بين عينيه سال البرقُ مبتسماً
واستضحكتْ قَلْبَهُ مُزْنٌ وهوجاءُ

زَوَتْهُ عنها السنون السبعُ واختلفتْ
عليه من بعدها نُعمَى وبأساءُ

مُغَرَّباً في ديارٍ من عشيرته
بها الأحبّةُ حُسّادٌ وأعداءُ

وقيلَ كفّتهُ عن دنيا شواردهِ
بيضاءُ من شَعَراتِ الرأس غرّاءُ

لا يا غـرامي ، وهـذا الفنُّ مِلءُ دمـي
بالنّـار والصّبوات الحمر مشّـاءُ

ما أفلَتَتْ من يدي غيـداءُ عاصيـةٌ
إلا وعـادتْ إليهـا وهـي سمحـاءُ

وذاك شـاطئنا المسحور تَزْحَمُـهُ
من ذكرياتكَ أطيـافٌ وأصـداءُ

على الصخور الحواني من مَشارفهِ
ربّاتُ وَحْيٍ ، وأشواقٌ ، وأهواءُ

أقمنَ منتظراتٍ ، ما شكونَ ضَنىً
وقد تَعاقَبَ إصباحٌ وإمساءُ

حتى رأتني على بُعدٍ مطوّقةٌ
مجروحةُ الصوتِ، ولَهَى اللحن، سجواءُ

همّتْ تغنّي فكانتْ نبأةً وصدىً
صَحَتْ لوقعهما دوحٌ وأفياءُ

عرائسَ الشعرِ قد عاد الحبيبُ ، وفي
عينيه سهدٌ وتعذيبٌ وإضناءُ

آب المغامر من دنيا متاعبه
أما لهُ راحةٌ منها وإغفاءُ ؟

دَعيهِ يَحلمْ بأن البحر في دَعةٍ
والريحَ ناعمةٌ ، والأرضَ قمراءُ

وأنها في ظلال السِّلم نائمةٌ
وأنها جنَّةٌ للحبِّ غنَّاءُ

وقرِّبي كأسَهُ واصغي لمزهره
يُسْمِعكِ أشجَى نشيدٍ زَفَّهُ الماءُ

★ ★ ★

وقيل « لبنانُ » سحرُ الشرق ، فاندفعتْ
سفينةٌ وهفتْ بالشوق دأماءُ

أوْحَى له الشرقُ أنَّا من أحبَّتهِ
وأننا في الهوى أهلٌ أو ِدّاءُ

فقرَّبتنا وشفَّتْ عن بشاشته
به قُرىً كربوع الخلد شجراءُ

في كل مُنْحَدرٍ منها ومرتفعٍ
مسحورةُ النَّبع ، ريَّا النَّبت ، جلواءُ

فَعُلّقَتْ بمغـــانيــه نواظــــرُنا
وقبّلتْ نسمــات « الأرز » حــوباءُ[1]

واستقبلتنـــا طيــورٌ في منــــاقرهــا
شـــدوٌ ، وزيتونةٌ للشرقِ خضراءْ

تَرقّصُ المــوجَ إنْ مَسّتهُ أجنُحهـــا
كقلـــبِ آدَمَ إذ مَسّتْهُ حــواءُ

في ســاحلٍ منْ خــرافاتٍ وأخْيلــة
بهنَّ « لبنـــانُ » روّاحٌ وغـــدّاءُ

لاحتْ علــى سفحه بيروتُ فاتنــةً
صبيّةٌ ، وهي مثــلُ الــدهــر شمطـاءُ

توسَّــدتْ صخــرةَ الآبــاد والتفتــتْ
تَرْعَى سفائِنَ من راحوا ومن جــاءُوا

أتلك بيروتُ ؟ أم من بابلٍ صُوَرٌ
معلقــاتٌ ، لهـــا بالسحر إيحــاءُ !

شُغْلُ العبــاقرةِ الشــادينَ من قِدَمٍ
مجــددين لهــمْ في المجــد أسمــاءُ

(1) الحوباء النفس

وأومأتْ بالهـوى « عـالَيُّ » فاعتنقتْ
من حولنـا ثَـمَّ أطـلالٌ وأضـواءُ

قامتْ تَنَسَّقُ من مـاءٍ ومن شجرٍ
فكلُّ ناحيـة زهـر وأجنـاءُ

كأنمـا نُبِّئَتْ من « عشتروت » لِقـاً
فازيَّنَتْ فهـي سيقـانٌ وأثـداءُ

تقـول يا ربَّةَ الحسن انظري وَصِفي
أفوقَ واديكِ مثـلي اليـوم حسنـاءُ ؟

عالَي ، رفقـاً بأبصـارٍ مُدلَّهـةٍ
لهـا إلى الحسن بالألبـاب إفْضـاءُ

عالَيُّ ، إنَّا نشاوى من هـوىً وأسىً
إنّا محبُّـون ، يا عـاليُّ ، أنضـاءُ

وحـان بَعْـدُ وداعٌ من فرادسهـا
وقد جرَتْ بِخُطَى الشمس المُلَيْسَاءُ

فاغرورَقتْ بدموعِ الوجدِ أعينُنـا
وأشفَقَتْ من وجيـبِ القلب أحنـاءُ

وسار عنها شراعٌ حائرٌ قلِقٌ
له إلى الغَرْبِ بالأسفارِ إيماءُ

★ ★ ★

يا بحرُ ما بكَ ؟ هل مَسَّتْكَ عاصفةٌ ؟
أم استخفَّكَ إزْبادٌ وإرْغاءُ ؟

أشاقك الغربُ ، أم شفَّتْكَ موجدةٌ
لما خَبَتْ من ربوع الشرق أسناءُ ؟

هذي السماءُ صفاءٌ ، والدُّجى قَمَر
للحسنِ فيه وللعشّاقِ ما شاءوا

يا بحرُ ما بكَ ما بي ! مصرُ ما بَعُدَتْ
ولي إليها بهذا الشعر إسراءُ

عَجِبْتُ والعصرُ حر كيف في يدها
هذا الحديدُ له حَزٌّ وإدماءُ !

أقسمتُ لا رجعتْ بي فيكَ جاريةٌ
إنْ لم تَجِيءْ عن جلاءِ القوم أنباءُ

وأنَّ مصــر بحــريَّاتهــا ظَفِــرتْ
فأهلهــا اليــوم أحــرار" أعـــزَّاءُ

أقسمتُ ، إلاَّ إذا نادتْ بِفتيتهــا
فهــبَّ مستقتل" عنهـــا وفَــدَّاءُ

ليلة عيد الميلاد

ديسمبر عام ١٩٤٣

إسمعي ، أيَّتُهـا الروحُ ! أفي الكَوْنِ غِنـاءُ ؟
وانظري !•• هَلْ في نواحي الأرضِ باللّيل ضِياءُ ؟
لا تُرَاعي إنْ يكنْ قَصَّـر عنـكِ البُشَـراءُ
فالنواقيسُ التـي حيَّتكِ ، أشجـاها القَضـاءُ
ألشَّجَى رَجْعُ صَـدَاها ، والأسَى ، والبُرَحاءُ
والتراتيـلُ مِنَ البِيعَةِ نَوْحٌ وَبُكاءُ
ردَّدتهنَّ الثَّـكالى ، واليتـامى الشُّهـداءُ
والمصـابيحُ التـي كانَ بهـا يَزْهَى المسـاءُ
خَنَقَتْهـا قبضةُ الشـر فمـا فيهـا ذَمـاءُ(١)
صبغوهـا بسوادٍ فهـي والليـلُ سـواءُ
مأتمٌ للنـور قامَ الويلُ فيـه ، والشقـاءُ
تَحـتَ ليـل مـا له بدءٌ ، ولا منـهُ انتهـاءُ

---

(١) الذماء بقية الروح أو النفس الاخير

أيهـا المبعوثُ ، لا ضَنتّتْ بِرُجعاكَ السمـاءُ
أنظرِ الأرضَ ... فهل في الأرضِ حبٌ وإخاءُ ؟
نَسِيَ القومُ وَصَاياكَ ، وضلّوا ، وأساءُوا
وكما باعوكَ ، يامنقـذُ ، بيعَ الأبرياءُ ! !

★ ★ ★

ليلةَ الميلادِ ، والدنيا دُموعٌ ، وَدِمَاءُ
في ربوعٍ كانَ فيها لكِ بالسّلم ازدهاءُ
باسْمِهِ يَنشدو المغنّونَ ، ويشدو الشُعراءُ
أين ولّتْ هذهِ الفرحةُ ؟ أم أينَ الصَّفاءُ ؟
لَمْ تصافحكِ مِنَ الأطفالِ أحلامٌ وِضاءُ
رقدوا ، غيرَ عيونٍ ريعَ منهنّ الفضاءُ
ترقبُ الآباءَ ، هَلْ عادوا ؟ وهلْ حانَ اللقاءُ ؟
بين أيدي أمهاتٍ ، بِتْنَ ، والليلُ جفاءُ
في طوايا النفسِ يبكينَ ، وقد عزّ الرّجاءُ !
ويحهم ، أين تُراهم ، هؤلاءُ الأشقياءُ ؟
هم وراءَ الليلِ ، أجسادٌ ، وأرواحٌ هَبَاءُ
ووجوهٌ رَسَمَ الرعبُ عليها ما يشاءُ
خندقوا في مأزقِ الموتِ ، وما منهُ نَجاءُ

بين مــوجٍ منْ سعــيرٍ يتــوقّاه الفنــاءُ
وجبــالٍ من رُكام الثلجِ يُرسيها الشّتــاءُ
وحــديدٍ طــائرٍ يَحذَرُ مســراهُ الهــواءُ
وعجيبٌ ! فيــمَ للموتِ يُســاقُ التعســاءُ ؟
في سَبيلِ الخبز ؟ والخبزُ اكتسابٌ وَرِضــاءُ !
في سبيلِ الحقّ ؟ والحقُ لــدى القــومِ طلاءُ !
في سبيلِ المجــدِ ؟ والمجدُ من البغيِ بــراءُ !
أوَ في المجــزرةِ الكبرى ، تَنَالُ المجدَ شــاءُ ؟
كــذب البــاغي ، وللسيفِ بكفّيــهِ مَضــاءُ
وخــداعٌ كلُّ مــا قالَ ، وزورٌ ، وافتــراءُ ! !

★ ★ ★

أيهــا الشرق الــذي خصّتهُ بالــرُّوح السمــاءُ
هــذه الروح التي شِيــد بكفّيها البنــاءُ
والتي من نورهــا العــالمُ يُجلَى ويُضــاءُ
يا أبا الحكمــةِ ، لا هــانَ عليــكَ الحــكماءُ !
نادِ « أوربّا » فَقَدْ يَنْفَعُهَا منــكَ النــداءُ
حــانتِ الساعةُ ، يا أختــاهُ ، أم حَقّ الجزاءُ ؟
دِنتِ بالقــوّةِ حتــى صَــرَعَتْكِ الكبرياءُ

أرقصي في النّـار ، أنتِ اليـومَ للنـارِ غـذاءُ
واشـربي في حـانةِ الشيطـانِ مـا فاضَ الإناءُ
حـانةٌ للموتِ فيهـا من دَمِ القتـلى انتشاءُ
نادِمي مَنْ شئتِ فيهـا ، فالمنـايا النُّـدماءُ
وارفعي الكأس ، وغنّي ، وعلى الدنيا العفاءُ ؟

★ ★ ★

يا قوياً لم يَهُنْ يومـاً عليـهِ الضعفـاءُ
وضعيفاً ، واسمُهُ ، يَفزَعُ منـه الأقوياءُ
وأنا المسلمُ ، لا يُجْحَدُ عنـدي الأنبيـاءُ
أنتَ في القـرآن حُبٌّ ، وجمـالٌ ، ونقـاءُ
عَجبٌ فِدْيَتُكَ المُثلَى ! وفي القولِ عَزاءُ !
ألهذا العـالَمِ الشرّيرِ ؟ قد ضاعَ الفِـداءُ ! !

يوم الملتقى

هـذي سمـاؤكِ أنغـامٌ وأضـواءُ
غنَّاكِ « داودُ » ، أمْ حيَّاكِ « سيناءُ »

أمِ النبيُّونَ قد أزجْتْ سفـائنَهمْ
موعودةٌ من ليـالي النيـلِ قمـراءُ

أم طالعتـكِ من السِّحر القـديمِ رُؤىً
يشـدو بهنَّ الثرى ، والريحُ ، والمـاءُ

أم جـاءَ « طيبـةَ » من أربابهـا نَبَأٌ
أم أذنَّ كهّانهـا بالوحـي قد جـاؤا

أم سـار « عمرو » بنور الفتح فائتلقتْ
به زَبَرْجَدَةٌ في الشطِّ خضـراءُ

مـاجتْ خمـائلُ بالبُشـرى وأوديةٌ
فهنَّ فاكهـةٌ تَنْـدَى وصهبـاءُ

يا مصر ، ذلكَ يوم الملتَقى ، وعلى
صَباحِهِ قَدِمَ الرُسُلُ الأجِلاّءُ

أسرتْ إليكِ بِهِمْ روحٌ وعاطفةٌ
وكم إليكِ بسر الروحِ إسراءُ

دعا ، فلبّوهُ ، صوتٌ من عروبتهمْ
كما يُلبِّي هتافَ الأمِّ أبناءُ

لا بَلْ أهابَ بهم يومٌ صنائعهُ
من أمرها الناسُ أمواتٌ وأحياءُ

إنْ لم تَصُنْ فيه أيديهم تراثَهمو
فقد تَبدَّدَ ، والأيامُ أنواءُ

طاحتْ بناصيةِ الضعفَى ، وسخَّرَهَا
كما يشاءُ الأشدّاءُ الألبّاءُ(1)

أحرارُ دهرهمو ، المستيقظونَ لها ،
ومن غفوا فهمو الموتى الأرِقّاءُ

★ ★ ★

---

(1) جمع لبيب وهو الرجل الذكي الفطن

بَنِي العروبةِ ، دارَ الدهرُ واختلفتْ
عليكمو غِيَرٌ شتّى وأرزاءُ

مضى بضائقتَيْها الأمسُ ، وانفسحتْ
أمامَ أعيُنِكُمْ للمجدِ أجواءُ

أليومَ شِيدوا كما شادتْ أبوّتُكم
شرقاً دعائمُهُ كالطّودِ شمّاءُ

دُستورُهُ وَحدةٌ مُثلى ، وَشِرْعَتُهُ
بالحقّ ناطقةٌ ، بالحبّ سَمْحَاءُ

لَكُمْ بحاضركُمْ مِن دهركمْ نُهَزٌ
فيها لغابركُمْ بَعْثٌ وإحياءُ

شُدُّوا على العُروةِ الوُثقى سواعدَكُمْ
لا يَصْدَعَنَّكمو بالخُلْفِ مشّاءُ

لم تنأ بغدادُ عن مصر ، ولا بَعُدَتْ
لبنانُ ، والمسجدُ الأقصى ، وشهباءُ

أيُّ التّخومِ تناءَتْ بين أرْبُعِهَا
لها من الروحِ تقريبٌ وإدناءُ

أرضٌ عليهــا جَرَى تاريخُنا ، وَجَرَى
دَمٌ به كَتَــبَ التـــاريخَ آباءُ

مبــاركٌ غرسُــهُ ، منــه بأندلسٍ
والقــادسيَّةِ ، واليَرْمُوكِ أجنـــاءُ

خوالدُ النَفْحِ لم يذهبْ بِنَضْرَتِها
حَــرٌّ ، وقَرٌّ ، وإصبــاحٌ ، وإمســاءُ

إيهٍ بني الشرقِ ! فالأبصــارُ شــاخصةٌ
لمـــا تُعِدُّونَ ، والآذانُ إصغــاءُ

يستطلعُ الشــرقُ مــا يجــري به غــدُهُ
يا شــرقُ إنَّ غـــداً هَــدْمٌ وإنشــاءُ

بِصَيْحَةِ السِّلم لا يأخــذْكَ إغــراءُ
فللمطـــامعِ إغـــراءٌ وإغــواءُ

تَفَتَّحتْ صُحُفُ الأيامِ وانبعثتْ
أقلامُهــا ، وصَغَتْ كتبٌ وأنبـــاءُ

وطَأطَأتْ أممٌ مقهــورةٌ ، ورَنــا
أنصــارُ حــقٍّ على الجلَّى أودَّاءُ

مسَّتهمو الحــربُ مسَّ المرمَضينَ بهــا
فما تشكـّوا ، ولا شكـَوا ، ولا راؤا

في عالمِ الغَــدِ مــاذَا قد أُعــدَّ لهــم
ومــا تـَرَى أممٌ في الحــربِ غلبـــاءُ

خَطَّتْ مواثيــقَ للإنســانِ واشترعتْ
بنــاءَ دنيــا لهــا الإحسانُ بنَّــاءُ

إني أخـــافُ عليهـــا أنْ تُضيّعَهـا
يــدٌ مُبَرَّأةٌ للسَّــلم ، بيضــاءُ

في ساعة من خـُمــارِ النَّصرِ سامرُهـا ،
لمـا جـرى منْ عهودِ الأمْنِ ، نسَّاءُ

فَقَــدْ شِــرَاعَكَ لا تـُسْلِمْ أزمـَّتهُ
لِغَيْرِ كفِّــكَ إنَّ الريحَ هوجــاءُ

يا شرقُ ، مجدُكَ إنْ لم ترْسِ صخرتَهُ
يداكَ أنتَ ، فقــد أخلـَتْـهُ أهــواءُ

يا شــرقُ ، حقـُكَ إنْ لم تَحْمِ حوزتَهُ
صــدورُ قومِكَ ، لم تـُنقـذْهُ آراءُ

والكونُ ملحمةٌ كبرى جوانبها
دمٌ ، ونارٌ ، وإعصارٌ ، وظلماءُ

أكانَ عندكَ هذا الموتُ يصنعُهُ
بكفّهِ آدمُ العاصي ، وحواءُ

منْ ذاتِ أجنحةٍ يَخشى مسابِحَهَا
غولٌ ، ونسر ، وتِنّين ، وعنقاءُ

شأتْ خطاها بساطَ الريحِ وانطلقت
والأرضُ من هولها سوداءُ حمراءُ

تعلو وتنقضُّ وَشْكَ اللمْحِ صاعقةً
يكاد منها يُصيبُ النجم إغماءُ

وزاحفاتٍ من الفولاذِ قد هَصِرَتْ
من ثقلهنَّ لصدرِ الأرضِ أحناءُ

إنْ صَعّدتْ ، فالجبالُ الشمُّ هاويةٌ
أو عربدتْ ، فالصخورُ الصمُّ أشلاءُ

لم يَخْلُ من شرّها ماءٌ ويابسةٌ
أو تَنْجُ من غَدْرِها غابٌ وصحراءُ

يا شرقُ ، يومُك لا تُخطىءْ سوانحَهُ
فَلَيْسَ تُغْفَرُ بعدَ اليومِ أخطاءُ

عباقرُ الشَّرقِ هم آباؤه ، وهمو
ملوكُهُ الصِّيدُ ، والشمُّ الأعزّاءُ

يا عُصبةَ « الوحدةِ الكبرى » وعضمتَها
هذي طوالعكُمْ جلواءُ غرّاءُ

ودِدْتُ لو شِدْتُ بالأسماءِ شاديةً
بها ربوعٌ حبيباتٌ وأرجاءُ

وما أُسمّي فتىً شتّى مناقبُهُ
إنَّ المنَاقبَ للفتيانِ أسماءُ

ألمصطفى وحواريُّوهُ إنْ ذُكِرُوا
فالشرقُ مَنْبهةٌ ، والغربُ أصداءُ

وكلكُمْ عن حِمَى أوطانِهِ بطلٌ
مستقتلٌ قرشيُّ الرُّوحِ فَدّاءُ

باللهِ إن جئتمو الوادي وناسكُمْ
ثَرَاهُ ، فَهْو أزاهيرٌ وأنداءُ

وطافَ بالذكـريات الأمسُ واسْتَبَقَتْ
بالـدمعِ عينٌ ، وبالأشـواقِ حوباءُ

فاقضـوا حقوقَ إخـاءٍ تستجيرُ به
أختٌ لكم في صـراع الـدهرِ عـزلاءُ

طعـامهـا من فُتـاتِ العيشِ مسغبـةٌ
وريُّهـــا منـهُ إيـلامٌ وإشـقـاءُ

أحَلَّهَا ذَهَبُ الثَّاري ، وحرَّمَهَـا
عصـر به حـُـرِّرَ القــومُ الأذلاَّءُ

حَـرْبانِ أثختتاهـا أدمعـاً ودمـاً
تـنـزو بهــا مهجـةٌ كَلْمى وأحشـاءُ

هـذي « فلسطينُ » أو هـذي روايتُها
مـاذا تقولونَ إنْ لم يُحْسَمِ الـدَّاءُ ؟

تَطَلَّعَتْ لكمو وَلْهى ، أليسَ لهـا
علـى يديكُمْ من العـلاَّتِ إبْـرَاءُ ؟

حملتمو العهـدَ فيهـا عن أبوَّتكم
إنَّ البنينَ لحمـلِ العَهْـدِ أكفـاءُ

الوردة الصفراء

قالتْ تُعاتبُني أراكَ مَنَعتَني
من قَطْفِ هذي الوردةِ الصفراءِ

وبسحرِ هذا اللونِ كم غَنَّيتَني
وهتفتَ بالشقراءِ والصهباءِ

قلتُ اغفري لي ، يا حبيبةُ ، نَظْرَتي
إنّي أُعيذُ الحسنَ من أهوائي

أخشى ظنونَ الناسِ فيكِ ، وأتّقي
سِمَةَ الضَّنَى والغيرةِ الحمقاءِ

وأذودُ عَنْ عينيكِ ذكرى ليلةٍ
شابتْ ، ونجمٍ شاحبِ الأضواءِ

في لونِ خَدَّيكِ اقطفي ما شِئْتِهِ
من زهرةٍ أو كوكبٍ وضّاءِ

قالتْ أتمنعني الذي أحببتُهُ
في نظرةٍ لكَ وادِّكارِ وفاءِ ؟

في عَرْضِكَ الماضي ونَبْشِكَ ما ذَوَى
من ذكرياتِ شبيبةٍ هوجاءِ

وبسخرياتكَ بي ، وبسمتِكَ التي
تَلْقَى بها المفضوحَ من إغوائي

وشحوبِ وجهكَ إن أرِقْتَ صبابةً
حيرانَ بين قطيعةٍ ولقاءِ !

* *

من قارة الى قارة

طارق بن زياد في طريقه إلى الأندلس

أشباحُ جنٍّ فَوْقَ صَدْرِ الماءِ
تَهْفُو بأجنحةٍ منَ الظلماءِ ؟

أم تلكَ عُقْبانُ السماءِ وَثَبْنَ من
قُنَنِ الجبالِ على الخِضَمِ النائي ؟

لا ، بل سفينٌ لُحْنَ تحتَ لواءِ
لِمَنِ السفينُ تُرى ، وأيُّ لواءِ

ومَنِ الفَتى الجبَّارُ تحتَ شِرَاعها
متربِّصاً بالموجِ والأنواءِ

يُعْلي بقبضتِهِ حمائلَ سيفهِ
ويَضُمُّ ، تحتَ الليْلِ ، فضلَ رداءِ

ويُنيلُ ضوءَ النَجْمِ عالي جبهة
من وَسْمِ « إفريقية » السمراءِ

ذَهَبٌ ببوتقـةِ السَّنَى من ذَوْبِه
مَسَحَتْ مُحَيَّـاهُ يَدُ الصَّحراءِ

لونٌ جَلَتْ فيهِ الصحـارَى سحرَها
تحتَ النُّجـومِ الغُـر ، والأنداءِ

وسمـاءِ بَحْرٍ مـا تطامَنَ موجُـهُ
من قَبْـلُ لابنِ الواحـةِ العـذْراء

بحر ، أسـاطيرُ الخيـالِ شطـوطُهُ
ومسـابحُ الإلهـامِ ، والإيحَـاءِ

ومـدائنٌ سحْرِيَّةٌ شَـارفْنَهُ
بنَخيلهـا ، وضفافِهـا الخضْـراءِ

ومعـابدٌ شـمٌّ ، وآلهـةٌ علـى
سُفُنٍ ذواهـبَ بينهنَّ جـوائي

أبطـالُ « يونانَ » علـى أمْـواجِـهِ
يطـوونَ كـلَّ مفـازةٍ وفَضـاءِ

يَتجـاذبونَ الغـار تحتَ سَمَائِـهِ
يتنـاشـدونَ مـلاحمَ الشُّعَراءِ

ما زالَ يرمي « الرُّومَ » وهو سليلهمْ
وَيُديلُ من « قرطاجــةَ » الغلبــاءِ

حتــى طَلَعْتَ به فكنتَ حــديثَهُ
عَجباً ! وأيُّ عجــائبِ الأنبــاءِ !

ويســائلونَ بِكَ البــروقَ لَوامعاً
والمــوجَ في الإزبادِ والإرْغــــاءِ

من عَلَّم البــدويَّ نَشْر شراعِهــا !
وَهَــدَاهُ للإبحــارِ والإرســاءِ !

أينَ القفــارُ من البحــارِ ، وأينَ منْ
جِنِّ الجبــالِ عــرائسُ الــدأْمــاءِ

يا ابنَ القبابِ الحُمْرِ ويحكَ! مَنْ رَمَى
بِكَ فوقَ هــذي اللجَّةِ الــزرْقاءِ ؟

تغــزو بعينيــكَ الفضــاءَ وَخَلْفَهُ
أُفُقٌ من الأحــــلامِ والأضْــواءِ

جُــزُرٌ مُنَــوَّرَةُ الثغورِ كأنَّهــا
قَطَــرَاتُ ضَــوءٍ في حفــافِ إناءِ

والشـرقُ ، من بُعْدٍ ، حقيقةُ عـالَمٍ
والغربُ ، من قُرْبٍ ، خيـالةُ رائي

ضَحِكَتْ بصفحتهِ المُنَى وتَراقصتْ
أطيـافُ هـذي الجنّـةِ الخضـراءِ

وَوَثبْتَ فوقَ صخورِها وتلمَّسَتْ
كفَّـاكَ قلبـاً ثائـر الأهـواءِ

فكأنمـا لَكَ في ذُرَاهـا مَوْعِـدٌ
ضَـرَبَتْهُ أندلسيَّةٌ للقـاءِ !

ووقفتَ والفتيانُ حولَكَ ، وانبرَتْ
لكَ صيحـةٌ مـرهوبةُ الأصـداءِ

هذي الجزيرةُ ، إنْ جَهِلْتُمْ أمرَها ،
أنتُـمْ بهـا رهطٌ منَ الغـرباءِ

ألبحـر خلفـي ، والعـدُوُّ إزائي
ضـاعَ الطريقُ إلى السفين ورائي ! !

. . . وتلفَّتُوا فإذا الخضمُّ سحـابةٌ
حمـراءُ مُطبِقَةٌ علـى الأرجـاءِ

قد أحرقَ الربَّانُ كلَّ سفينة
من خلفهِ إلاَّ شراعَ رجاءِ

ألقَى عليهِ الفجرُ خيطَ أشعَّة
بيضاءَ فوقَ الصَّخرةِ الشمَّاءِ

وأتى النهارُ وسارَ فيه « طارقٌ »
يبني لِمُلْكِ الشرقِ أيَّ بناءِ

حتى إذا عَبَرَتْ ليالٍ طَوَّفَتْ
أحلامُه بالبحرِ ذاتَ مَساءِ

ترعى على الأُفُقِ المُرصَّعِ قريةً
أعظِمْ بها للغزوِ من ميناءِ

مَدَّ المساءُ لها خلجانها
ظِلاًّ ، فنامتْ فوقَ صدرِ الماءِ !

عودة الملّاح

عن الشاعر البريطاني « جون ماسفيلد »

كان الشاعر في حداثته ملاحاً صغيراً قبل أن يصبح شاعراً ، فلا بدع اذا هزه الحنين الى البحر واشتاق العودة الى حياته الأولى ، في هذه القصيدة التي يصور فيها سحر البحار ومفاتنها

يا فرحتي ! للبحرِ أرجعُ ثانياً
متفرّداً بعبابِهِ وسمائهِ

أقصى مُنَايَ سفينةٌ ممشوقةٌ
وبزوغُ نجم أهتدي بضيائهِ

وصريرُ دفّتها ، وعَزْفُ رياحهِ ،
وخفوقُ قِلْعٍ أبيضٍ في مائهِ

وأرى الضبابَ يرفُّ فوقَ جبينِهِ
في شاحبٍ من لونِهِ وروائهِ

يجلوه أَلاَّقٌ رماديُّ السّنى
متطلعٌ بالفجرِ خَلْفَ فضائه

يا فرحتي ! للبحرِ أرجعُ ثانياً
كيما أُلبّي المدَّ في طَفراتهِ

هذا المزمجرُ ، لست أُنكرُ صوتَهُ ،
إنَّ الوضوحَ يشيعُ في نبراتهِ

أقصَى مُنَايَ لديه يوم" عاصف"
يهفو رقيقُ الغيمِ في سُبُحاته

ورشاشُ موجٍ مستطار" تَحتَهُ
زَبَد" يفورُ الرَّغوُ مِلءَ كراتهِ

وضجيجُ زُمَّجِ مائِهِ متخبطاً
بالموجِ وهو يُثيرُ من صرخاتهِ

يا فرحتي ! للبحرِ أرجع ثانياً
جَوّابَ آفاقٍ ، غريبَ مسالكِ

أطوي مسارحَ طيرهِ ومسابحاً
للحوتِ عَبْرَ طريقي المتشابكِ

حيثُ الرياحُ كأنما وَخَزَاتها
حَدُّ المُدَى ، وشبا الحُسامِ الفاتكِ

أقصى مُنَاي روايةٌ محبوكةٌ

من نَسْجِ قرصانٍ طروبٍ ضاحكِ

ولذيذُ أحلامٍ وقد طابَ السكرى

وتزايلتْ صُوَرٌ هناكَ تواركي ! !

خمرة الشاعر

ربّتـــي ، ربّةُ أشعــاري ، وحبّـــي ، وغنـــائي
هي حــوريّةُ غــابٍ لم تَبِنْ للشعــراءِ
وعــروسٌ من بنـــاتِ الجنِّ لم تبـــدُ لــرائي
مثلَهــــا لم يرَ صيّـــادٌ علـــى صفحةِ مـاءِ
فتنـــةُ الشـــاعرِ في وحــدتهِ كــلَّ مســاءِ
غنّتِ الأحــلامُ في غرفتـــهِ لحنَ اللّقـــاءِ
وسَرتْ ترقصُ حوْلَيهِ على خفْقِ الهواءِ
ورفيفِ السّحبِ والأنجم والشّهبِ الوضـاءِ
ولغـــيري لم تكُنْ تخطـــر في هــذا الــرواءِ
لا ، ولم ترْوِ كهــذا اللحنِ في هــذا الصّفــاءِ
وليـــالي الصّيفِ منهـــا كأماسي الشتـــاءِ
بتُّ أسقيهـــا وتسقيني على محْضِ الوفاءِ
خمـــرةً مـــا قبّلتْ غـــيرَ شفـــاهِ الأنبيـــاءِ

خمـرةً في الغيـبِ كانتْ قطـراتٍ من ضيـــاءِ
خُتِمَتْ بالشَّفَقِ الـورديِّ في أصفى إناءِ
جُبِلَتْ فَخَّـارَتاهُ من صفـــاء وتقـاءِ
حـدَّثوا عنهـا ، ومـا أحلى حديثَ النـدماءِ !
قالَ منهُمْ واحـدٌ في غَيْرِ زَهْوٍ وادِّعـاءِ
هـــذهِ الخمـرةُ كانتْ للمـلوكِ أتقيـــاءِ
عَصَروها من جَنَى الـربَّاتِ في فجـرِ شتـاءِ
ثم آلـتْ لغـــلامٍ رائـعٍ جـم الـذكاءِ
شَرِهِ النَّظْرَةِ ، عـربيدٍ ، شديدِ الغُلَواءِ
عَشِقَ البحـرَ وعافَ القصرَ مـرفوعَ البنـاءِ
ومضى يضـربُ في الـكَوْنِ على غيرِ اهتـداءِ
عاشَ كالقُرصـانِ يطـوي كلَّ بحـرٍ وفضـاءِ
بشراعٍ صُنْعُهُ إحـدى أعـاجيبِ الخفـاءِ
غَـزِلاً يملكُ بالشِّعرِ مقـاليـدَ النسـاءِ
كلمـا هـامَ بأُنثى أو صَبَـا بعـدَ اشتهـــاءِ
وشـكا الكأسَ إليـهِ طولَ هَجْـرٍ وجفـــاءِ
هـمَّ أن يشـربَ فارتدَّ ، فأغْضَى في حيـــاءِ
ضَنَّ بالقَطْرَةِ منهـا ، وكـذا شـرعُ الـولاءِ
ومضى جيـلٌ وجيـلٌ ، وهو مشبوبُ الـدماءِ

صارباً في العاصفِ الثائرِ والرّيحِ الرّخاءِ
وأتاهُ القَدَرُ الساخرُ أو حكمُ القضاءِ
فدعا الرّباتِ واستصرخَ ، من فَرْطِ عياءِ
فأتتهُ ربّةُ الشّعرِ على رَغمِ التنائي
قال إنْ متُّ فما أجدرُ مثلي بالرّثاءِ
ورثاءٌ منكِ يُحييني على رغمِ الفناءِ
وحباها سِرّهُ الخالدَ أو سِرَّ البقاءِ
هامساً ، والنّورُ في ناظرِهِ وَشْكَ انطفاءِ
لكِ ما استودعتُ أو ما ضننتُ في هذا الإناءِ
لا تذودي عنه معشوقَكِ ، يا بنتَ السماءِ
إنه مَلاّحُ بحرٍ ما لهُ من نُظَراءِ
فيهِ أحيا ، وبه أنشرُ في البحرِ لوائي

★ ★ ★

هذه خمرة أشعاري ، وحُبّي ، وغنائي
في قصيدٍ مُحْدَثٍ ، أو في حديثِ القدماءِ

دُعابة

كان الشاعر يجتمع الى بعض أصدقائه الادباء والفنانين في « ندوة جريدة الدستور » وحالت ظروف سفره الى مدينة الاقصر شتاء دون لقائهم حينا من الزمن ولم يكن لديهم علم بسفره هذا ، فظنوا به الظنون وارسلوا اليه كتابا يعتبون فيه عليه ويقولون فتش عن المرأة وقد رد عليهم الشاعر بقصيدته هذه على الفور

حلَفتُ بالخمرِ ، والنساءِ ... ومجلسِ الشعرِ ، والغِناء
وحلةِ الصيفِ في أوربا ... وسحرِ أيامِها الوِضاءِ
رفعتُ فيها لواءَ مصر ... ورأسَ مصر إلى السماءِ
لم أنسَكُمْ قطُّ أصدقائي ... ولم يَحُلْ عنكُم إخائي
أحبكُم فوقَ كلِّ حبٍّ ... وهانَ في حبكُمْ فنائي
فما تظنّونَ في وفيٍّ ... أربى هواهُ على الوفاءِ
إذا احتواهُ الصعيدُ ليلاً ... أو هينمتْ نَسمةُ المساءِ
وتاهتِ « الأقصرُ » اختيالاً ... بالغيدِ في موسمِ الشتاءِ
صدَفتُ عنها إلى وجوه ... عرفتُ فيهنَّ أصدقائي
أنتم ، وهل لي سوى خيالٍ ... يجمعكُمْ بي على التنائي
فانتظروني ، ولا تظنوا الظنونَ ، واستمطروا ثنائي !

مأساة رجل

نظم الشاعر هذه القصيدة عقب وفاة توفيق نسيم باشا ، وكان في نيته ان يطويها عن النشر لما تضمنته من الالتفاتات الخاصة بحياة الفقيد

ماذا تركتَ بعالمِ الأحياءِ
وأخذْتَ من حبٍّ ومن بغضاءِ

لكَ بعد موتكَ ذكرياتٌ حَيَّةٌ
جوّابةُ الأشباحِ والأصداءِ

هتكتْ حجابَ الصمتِ عنكَ وربما
هتكتْ غشاءَ المقلةِ العمياءِ

فرأتْ مخايلَ وادعٍ متواضعٍ
في صورةٍ من رقّةٍ وحياءِ

متطامنِ النظراتِ إلا أنّها
نفّاذةٌ لمكامنِ الأهواءِ

متفـرِّسـاتٍ في سكينةِ قانصٍ
لم يَخْلُ من حـذرٍ وفـرطِ دهـاءِ

شيـخٌ أطـلَّ على الشتـاءِ وقلبـهُ
متـوقّدٌ كالجمـرةِ الحمـراءِ

مـرَّ الرفاقُ بهِ ، فشَيَّع ركبَهُمْ
وأقـام فرداً في المكانِ النـائي

وطوى الحيـاةَ كدوحةٍ شـرقيةٍ
أمستْ غـريبـةَ تـربةٍ وسمـاءِ

لبستْ جـلالَ وحـادِهـا وترفّعتْ
بالصَّمْتِ عن لغـوٍ وعن ضـوضاءِ

لم تنزلِ الأطيـارُ فيءَ ظـلالهـا ،
أو تَبْنِ عُشـاً ، أو تَحُمْ بغنـاءِ

حتـى إذا عرَّى الخـريفُ غصونَهـا
من وشْـي تلكَ الحـلّةِ الخضـراءِ

عَبَرَتْ بهـا صـدّاحةٌ في سجعهـا
لُغَـةُ الهـوى ورطـانةُ الغـرباءِ

وارحمتـا للنسـرِ يخفـُق قلبـهُ
بصبـابة القـُمـريّةِ البيضـاءِ

هي لـمعةُ القـَبَـسِ الأخيرِ وقد خـَبـَا
نجـمُ المسـاءِ ورعشـةُ الأضـواءِ

وتوثـُبُ الرُّوحِ الحبيسِ وقد شـدا
ثـَمِـلاً بسحـرِ الليـلةِ القمـراءِ

وجنـايةُ الحسنِ الغـريرِ إذا رمـى
فشـريقُ دمعٍ ، أو غـريقُ دمـاءِ

★ ★ ★

ومهـاجـرٍ ضـاقتْ به أوطـانه
وتأثـّرَتـهُ مخـاوفُ الطـرداءِ

لم تـَثـْنـهِ شيخـوخةٌ مكدودةٌ
دونَ السِّفـارِ ولا صقيـعُ شتـاءِ

متطلبٍ حـقَّ الحيـاةِ لخـافقٍ
أمسى مهيضَ كـرامةٍ وإبـاءِ

منْ كانَ في أمسٍ يسوسُ أمورَهـم
ضَنـّوا عليـهِ بفـرحةِ الطـّلَقـاءِ

يقضونَ باسمِ المالِ فيهِ كأنّما
ضَمِنُوا لمصر مصادرَ الإثراءِ

هلاّ قَضَوا لمقاصفٍ ومصارفٍ
مغفورةٍ ، منهومةِ الأحشاءِ

أكلتْ دمَ الفلاحِ ثُمّ تكفّلَتْ
بحصادِ حنطتهِ وجلدِ الشاءِ

حبٌّ بلوتَ بهِ العذابَ ومثلهُ
مِقَةُ السياسةِ وهي شرٌّ بَلاءِ

عَصَفَتْ بأحلامِ الرّجالِ وسفَّهَتْ
رأيَ اللبيبِ ، ومنطقَ الحكماءِ

كم فوقَ ساحِلِها خُطىً مطموسةٌ
كانتْ سبيلَ هدايةٍ ورجاءِ

وسفينةٌ مهجورةٌ ، محطومَةٌ ،
حَمَلتْ لها البشرى طيورُ الماءِ

أين اللواءُ ؟ وربّهُ ؟ وجماعةٌ
كانوا طليعةَ موكبِ الشهداءِ ؟

وأخو يراعٍ في الصفوفِ مـدافع"
بيَدَيْ حواريٌّ ، وصدرِ فـدائي ؟

لم يُنْصِفُوا حتـى ببعضِ حجـارةٍ
خرسـاءَ مـاثلةٍ لعينِ الـرائي !

ومضوا ، فما وجـدوا كفاءَ صَنيعهِمْ
تمثـالَ حـبٍّ ، أو مثـالَ وفاءِ

تأبى السياسةُ غـيرَ لونِ طبـاعِهـا
وتريدُ غـير طبـائعِ الأشيـاءِ ! !

قالـوا أحـبَّ الإنكليزَ وزادهُـمْ
وُدَّ الحميـمِ وَمَوثِقَ القـُرَناءِ

هـا قد أتى اليـومُ الذي صـاروا به
أوفى الـدعـاةِ وأكـرمَ الحلفـاءِ

بِتْنـا نغـاضِبُ من يغـاضبُهمْ ولا
نأبى رعـايتَهـم علـى الضـرَّاءِ

رأي" أُخِـذْتَ به وليسَ بعـائبٍ
ذمَمَ الـرجـالِ مآخـذُ الآراءِ

لكنْ سكتُّ ، فقيلَ إنّكَ عاجزٌ
عن ردِّ عاديةٍ ودَفْعِ بلاءِ

صَمْتٌ تحيَّرَ فيه كلُّ مُحَدِّث
والصمتُ بعضُ خلائقِ الكُرماءِ

في عالمٍ يُنْسي الحليم وقارَهُ
ويُري البنينَ عداوةَ الآباءِ

وتَرى التوائمَ فيه بينَ عَشيَّة
متنافراتِ طبيعةٍ ورواءِ

جهدُ الكرامِ به افترارُ مباسم
وتَكَلُّفٌ في القولِ والإصغاءِ

صُوَرٌ عرفتَ لُبَابها ولحاءَها
فكأنما خُلِقَتْ بغيرِ لحاءِ

قد كنتَ تُخلِصُ لي الودادَ فهاكَهُ
شعراً يصونُ مَوَدَّةَ الخلصاءِ

يجدُ الرجالُ به على حسناتِهِمْ
مِدَحِي ، وعن هنواتِهِمْ إغضائي

فاصعدْ لربِّكَ فهو أعدلُ حاكم
وهو الكفيلُ برحمةٍ وجزاءِ
وتلَقَّ من حكمِ الزمانِ وعدلهِ
ما شاءَ من نَقْدٍ ومن إطراءِ

بيت الرّاعي

عن الشاعر الفرد ده فيني

إن يَكُنْ قلبُكِ الشجيُّ المعنَّى
أرهقتهُ حياتُنا أعباءَ

مثلَ نسرٍ دامي الجناحينِ مُضْنَى
مستميتاً يصارعُ الإعياءَ

★ ★ ★

حاملاً فوقَ مُشْتَرَقٍ جناحِ
مثل قلبي من بؤسِ هذي الحياةِ

عالماً قاتلاً سَحيقَ النواحي
باردَ الجو ، حالكَ الظلماتِ

★ ★ ★

رازحاً في عذابِهِ يتلوّى
مُثقَلاً من فوادحِ الأعباءِ

كلّمـــا ضـجَّ تحتهنَّ تنــزّى
جــرحُه الخــالدُ السخينُ الــدمــاءِ

★ ★ ★

أو يَكُن باتَ لا يرى الحبَّ ، هذا الـ
ـكوكَبَ الهادي ، الصدوقَ ، الوفيّا

من له وحــدهُ يُضيء ، ويجــلو الـ
ـكونَ في ناظـريهِ أُفقاً وضيّــا

★ ★ ★

أو تَكُن روحــكِ السجينةُ عــافتْ
ذلكَ الخبزَ في الحيــاةِ طِــلابا

هــو زادُ الأسـيرِ في القَيْــدِ باتتْ
نفسُه من مــواردِ الحتفِ قــابا

★ ★ ★

يَتَلَقّــاهُ مُكْرَهــاً بِيَــدَيْهِ
ملقيـــاً من يمينــهِ المجـــدافا

وهــو يحني للبحرِ شــاحبَ وجــهِ
بينمــا ينــدبُ الحيــاةَ اعتسافا

★ ★ ★

وهو بينا يقتافُ في الهدّارِ
مَنْفَذاً بين موجهِ للفرارِ

إذ يَرَى فوقَ مَنكِبٍ منهُ عاري
وصمةَ الذلِّ صُوِّرَتْ بالنارِ

★ ★ ★

أو يَكُن جِسمُك الحيُّ عَرَتهُ
هِزّةٌ من عواطفٍ كامناتِ

بعدَ ما ملَّ عالماً أرهقتْهُ
في حماهُ جوارحُ النظراتِ

★ ★ ★

باحثاً في قصيٍّ تلك الحزونِ
ليُداري جمالَه الفتّانا

عن مكانٍ من العيونِ مصونِ
فيه يَحمي جلالَه أن يُهانا

★ ★ ★

أو تَكُنْ منكِ عافتِ الشفتانِ
كاذبَ القولِ تستقيهِ سُماما

أو يَكُنْ قد تورَّدَ الخدّانِ

خَجَلاً من رُؤىً ملْئْنَ أثاما

★ ★ ★

فاهجري المُدْنَ وارحلي لا يَسِمْكِ

ذلُّ عيش فيهنَّ غيرُ طليقِ

إرحلي الآن ! لا يَنَلْ قدميكِ

دَنَس" من غُبَارِ هذا الطريقِ

★ ★ ★

أشرقي من سماء فكركِ حينا

وانظريها في ذلَّة وإسارِ

نُصِبَتْ للخلائقِ المُرهقينا

كصخورٍ قُدَّتْ من الأقدارِ

★ ★ ★

وانظري للحقولِ والغاباتِ

حُرَّةً طَلْقَةً كهذا البحرِ

حولَ تلكَ الجزائرِ المعتماتِ

ولْتَكُنْ في يَدَيكِ طاقةُ زهرِ

★ ★ ★

تجدينَ الطبيعـةَ الآنَ منـكِ
في انتظـارٍ رهيبـةِ الإصغـاءِ

والثرى مُرسـلاً علـى قدميـكِ
من تعـاشيبهِ سحـابَ المـاءِ

★ ★ ★

وإذا الأرضُ من غروبِ الشمسِ
رنَّحتنهـا تَنَهُّـدَاتُ الوداعِ

وإذا هـذهِ الـزنابقُ تمسي
وهي تهتـزُّ بالأريجِ المُضـاعِ

★ ★ ★

واختفَى في فضـائهِ الجَبَلُ النـا
ئي ، ومُـدَّتْ معـابدُ الصفصافِ

ناصـلاتِ الألوانِ في صَفْحَةِ المـا
ءِ غصـوناً نَقيَّـةَ الأفـوافِ

★ ★ ★

وتهـادى هنـالكَ الشَّفَقُ العـا
ني ليَلْقَى وِسـادَهُ في الوادي

فوقَ عشبٍ من الـزمرُّدِ فتّـا
نٍ ، وعُشْبٍ مُـذَهَّبِ الأبرادِ

★ ★ ★

تحت هـذي الجزوعِ مستحييات
حيثُ هـذا النبعُ الفـريدُ النـائي
بينَ هـذي الخمائلِ الحـالمـاتِ
وهي تهتزُّ رِعـدَةً في الفضـاءِ

★ ★ ★

حيثُ يسري مُسْتخفياً في حجبِهْ
لائذاً بالـكرومِ مِثْلَ الظـلِّ
ملقيـاً في الغـديرِ شـاهبَ ثوبِهْ
فاتحاً في المسـاءِ سِجنَ الليـلِ

★ ★ ★

فوقَ طودي نَبْت" كثيف" تحـامى
خطواتِ الصيّادِ عنـدَ الـدبيبِ
عاليـاً عن جبـاهنـا يتسـامى
وهو مثوى الـراعي ، ومأوى الغريبِ

★ ★ ★

فتعالَي هنـــا نجـددْ ذماما
ونخبِّــيءْ خطيئــةً وغــراما

قدَّسَتْ من خطيئــةٍ ، لا أثامــا ،
قد دُفعنــا لفعلهــا إلهــاما

★ ★ ★

وإذا كانَ ذلكَ العشبُ خفضَــا
وهـو يهتزُّ هِــزَّةَ المرتاعِ

فَتعــالَيْ ! إني أُدحرجُ أرضَــا
لكِ تحتَ الظــلامِ بيتَ الـراعي !

★ ★ ★

هو بيتٌ يسـري على عجـلاتِ
سَمْتَ عينيـكِ سَقْفُهُ المـزدانُ

عاطرُ البــابِ ، مُعتِمُ الرحباتِ
مثل خَـدَّيْكِ لونُهُ المــرجانُ

★ ★ ★

فيــه ظِلٌ وفيه زهـرٌ نضـيرُ
بينهــا خلـوةٌ لنـــا وتـداني

مَخْدعٌ صــامتُ الفراشِ وثيرُ
يلتقي فيه شَعرُنا في حنــانِ !

النشيد

★ عنـدما ظلـلّـتني الوادي مسـاءَ
كانَ طيفٌ ، في الدجى ، يجلسُ قُربي
في يديهِ زهـرةٌ تقطـُر مـاءَ
عرفتْ عيني بهـا أدمعَ قلبـي !

★ قلتُ مَنْ أنتَ ؟ فلبّـاني مُجيبا
نحنُ ، يا صـاحِ غريبـانِ هنـا
قد نزلنـا السهـلَ والليـلَ الرهيبـا
حيـث ترعـانِي وأرعـاكَ أنا !

★ قلتُ ياطيفُ أثرتَ النفسَ شَـكا
كيفَ أقبلتَ ؟ وقُلْ لي مَنْ دعاكا !
قالَ أشفقتُ مِنَ الليـلِ عليـكا
فتتبَّعتُ إلى الوادي خُطـاكا

★ ودنا مني وغنّاني النشيدا
فعرفتُ اللحنَ والصوتَ الوديعا
هو حُبّي هامَ في الليلِ شريدا
مثلما هِمتُ لنلقاكَ جميعا !

★ وتعانقنا وأجهشنا بكاءً
وانطلقنا في حديثٍ وشجونْ
ودنا الموعدُ فاهتجنا غناءً
وتنظّرناكَ والليلُ عيونْ

★ أقبلَ الليلُ فأقبِلْ مَوْهِنا
والتمسْ مَجلِسَنا تحت الظّلالِ
وافِني نصدحْ بألحانِ المُنى
ونعبَّ الكأسَ من خَمْرِ الخيالِ

★ أقبِلِ الليلةَ وانظرْ واسمعِ
كلُّ ما في الكونِ يشدو بمزارِكْ
جئتُ بالأحلامِ والذكرى معي
وجلسنا ، في الدجى، رهنَ انتظارِكْ

★ سترى ، يا حسنُ ، ما أعددتهُ
لكَ من ذخرٍ ، وحسنٍ ، ومتاعِ
هو قلبــي ، في الهــوى ، ذوَّبته
لكَ في رفّافِ لحنٍ وشعــاعِ

★ وهو شعرٌ صَــورتْ ألوانُه
بهجةَ الفجرِ وأحــزانَ الشَـفَقْ
ونشيــدٌ مثّلتْ ألحــانُه
همساتِ النجمِ في أُذْن الغَسَقْ

★ ذاكَ قلبــي عــارياً بين يديكْ
أخذتهُ منــكَ روْعــاتُ الإلهْ
فتــأمله دمــاً في راحتيــكْ
وذَماءً منــكَ يستوحي الحيــاهْ

★ باكي الأحلامِ ، محزونَ المنى
ضاحكَ الآلامِ ، بسّامَ الجراحْ
لم يَـكُنْ إلاّ تقيــاً مؤمنــا
بالذي أغرى بحبّيك الطّماحْ (١)

---

(١) الطماح الكبر والفخر

★ يتمنَّى فيكَ لو يَفنَى كما
يتفانى الغيمُ في البحرِ العُبابْ
أو يتلاشى فيكَ حيّاً مثلما
يتلاشى، في الضحى، لمحُ الشهابْ

★ زهرةٌ أطلعها فردوسُ حبِّكْ
إستشفَّتْ فجرَها من ناظريكْ
خفقَتْ أوراقُها في ظلِّ قربِكْ
وسرَتْ أنفاسُها مِنْ شفتيكْ

★ هيَ من حسنكَ تحيا وتمونْ
فاحمِها، ياحسنُ، إعصارَ المنونْ
أولِها الدفءَ من الصدرِ الحنونْ
أو فهَبْها النورَ من هذي العيونْ

★ دمعُها الأنداءُ والعطرُ الشجا
وصدى أنّاتِها همسُ النسيمْ
فاحبُها منكَ الربيعَ المرتجى
تصدحِ الأيامُ باللحنِ الرخيمْ

الشواطئ المصريّة

« صيف عام ١٩٣٤ »
« على صخور المكس »

حيّاكِ أرضاً ، وازدهاكِ سماءَ
بحرٌ شدا صخراً ، وصفّقَ ماءَ

يحبو شعابَكِ في الضّحى قُبلاتهُ
ويرفُّ أنفاساً بهنَّ مساءَ

متجدِّد الصّبَواتِ أودعَ حبّهُ
شتّى الأشعةِ فيكِ والأنداءَ

ولِعٌ بتخطيطِ الرمالِ كأنّهُ
عرّافةٌ ، تستطلعُ الأنباءَ

ومصوّرٌ لبَقُ الخيالِ ، يصوغُ من
فنِّ الجمالِ السّحر والإغراءَ

نَسَقَ الشواطيءَ زينـةً وأدقَّهـا
صُـوراً بريًّا صفحتيهِ تَراءَى

يَجلو بريشتهِ السمـاءَ ، وإنّما
زادتْ بريشتهِ السمـاءُ جَـلاءَ

لا الصبحُ أوضحُ من مطالعهِ بهـا
شمساً ، ولا أزهـى سنى وضيـاءَ

كلاَّ ، ولا الليلُ المكوكبُ أُفقُهُ
بأغـرَّ بدراً ، أو أرقَّ سمـاءَ

يا رُبَّ زاهيةِ الأصيـلِ أحـالهـا
أُفُقاً أحـمَّ ولجَّةً حمـراءَ

وكأنمـا طوتِ السمـاءَ ونشَّرَتْ
لَهَباً ، وفجَّرتِ الصخورَ دِمـاءَ

ولربَّ عاطرةِ النسيمِ ، عليلة ،
طالعتُ فيهـا الليـلةَ القمـراءَ

رقصتْ بها الأمواجُ تَحتَ شُعاعِها
وسَرَتْ تُجاذبُ للنسيمِ رِدَاءَ

حتـى إذا رانَ الكـرَى بجفونِهـا
ألقتْ إليـكِ بسمعِهَا إصغاءَ

تتسمَّعُ النـوتِيَّ تحتَ شـراعهِ
يشدو ، فَيُبْدِعُ في النشيدِ غِناءَ

هزّت ليـالي الصيفِ ساحرَ صوتهِ
فشجى الشواطيءَ واستخَفَّ المـاءَ

وأثارَ أجنحةَ الطيورِ فحوّمتْ
في الأُفقِ حيرى تتبعُ الأصـداءَ

صُوَرٌ فواتنُ ، ياشواطيءُ، صاغَها
لَكِ ذلكَ البحرُ الصَّنـاعُ رواءَ

فتنظّريهِ على شِعَابِكِ مثلمـا
رَجَعَ الغـريبُ إلى حِمـاهُ وفاءَ

كمظلّ يضرِبُ فيصخورِكِ موجُهُ
ممـا أجَنَّ محبَّـةً ووفـاءَ

عُـذراً ، إذا عَيَّتْ بمنطقِـهِ اللُّغى
فهـوَ العييُّ المفحِمُ الفُصحـاءَ

فخـُذي الحديثَ عليهِ واستمعي لهُ
كم من جمـادٍ حـدَّثَ الأحيـاءَ

وسليهِ ، كيفَ طوى الليالي ساهداً
وبَلا الأحبَّـةَ فيـكِ والأعـداءَ

كم ليلة لَكِ ، يا شواطيءُ ، خاضَها
والهولُ يملأُ حولَكِ الأرجـاءَ

والسفْنُ مرهفـةُ القـلاعِ كأنمـا
تَطأُ السحـابَ ، وتهبطُ الـدأماءَ

حملتْ لمصر الفـاتحينَ وطوَّحَتْ
بالنيـلِ منهمْ جَحْفَلاً ولِـواءَ

ولو استطاعَ لردَّ عنـكِ بلاءَهُمْ
وأطـار كـلَّ سفينة أشـلاءَ

أو كانَ يملكُ قدرةً حشَدَ الدُّجى
ونضا الرجومَ ، وَجنَّدَ الأنواءَ

ودعا غواربَهُ الخفافَ فأقبلتْ
فرَمَى بهـا قدراً ، وردَّ قضـاءَ

فاستعرضي سِيَرَ الحيــاةِ وردّدي
ما ســرّ من أنبــائهنّ ، وســاءَ

وخُذي ليومِكِ من قديمِكِ أُهبةً
ومن الجــديدِ تَعِلّةً ورجــاءَ

إيهٍ ، شواطىءَ مصرَ ، والدنيا مُنى
تهفو إليــكِ بنــا صباحَ مساءَ

ناجيتِ أحــلامَ الربيعِ ، فأقبلتْ
وأشــرتِ للصيفِ الوسيمِ ، فجاءَ

يَحبوكِ من صَفوِ الزمانِ وأُنسِهِ
ما شئتِ من مَرحِ الحياةِ ، وشاءَ

وغــداً تضيءُ على جَبينكِ لمحــةٌ
طبعَ الخــلودُ سماتِهــا الغــرّاءَ

وترفّ منــهُ على ثغورِكِ قبــلةٌ
أصغى النسيمُ لها ، وغضّ حيــاءَ

فاستقبلي الصيفَ الجميلَ ، وهيّئي
للشعرِ فيــكِ خميــلةً غنّــاءَ

وتسمَّعي لحنَ الخيالِ ، وأفردي

لِي فوقَ مائِكِ صَخرةً بيضاءَ

واستعرضي حورَ الجِنانِ ، وأطلقي

لغَةَ السماءِ ، وألهمي الشعراءَ

مصرع سياسي

نظمت على اثر مصرع أمين عثمان

كم شهيدٍ فيكِ مهدور الدّماءْ لا تُراعِي ! أنتِ أمُّ الشُّهَداءْ
كلُّ غالٍ من متاع ودم لكِ يا مصرُ ، وما عزَّ الفداءْ
إيهِ يامصرُ ، خُذِي ما شِئْتِهِ ولداعي المجدِ منا ما يشاءْ
قيل أودى « بأمينٍ » قاتلٌ كيفَ يُودَى ببنيكِ الأُمَناءْ
كيفَ يُودَى بفتىً من خُلْقِهِ كلُّ معنىً من سماحٍ ووفاءْ
كمنَ الغدرُ لهُ ، ثم رَمَى عن يد عسراءَ شعواءَ الرّماءْ
صاعداً يرقى على سُلّمهِ دَرَجَ المجدِ ومرموقَ العلاءْ
دمُهُ المسفوكُ حبٌّ وندىً ومزاجٌ من حياء وإباءْ
ورحيقٌ عَطِرٍ من نفحهِ يَثْمَلُ الأعداءُ قبل الأصدقاءْ
وهوىً للوطنِ الحُرِّ الّذي خرَّ في حومتهِ بعضَ دماءْ
لو أتاهُ نبأٌ عن قتلهِ قالَ وهمٌ وأحاديثُ افتراءْ
فتنةٌ حمراءُ شَبَّتْ نارَها شهواتٌ يَنتحِينَ الأبرياءْ

عربدتْ هوجاءَ واستشرتْ قُوى واستبدَّتْ بعقولِ الضعفاءْ
باطلٌ ، إن مرَّتِ الرِّيحُ به طارَ عن صاحبهِ وهو هباءْ
وإذا ما لَمَحَ النّورَ جرَى وتخفَّى تحت جنحٍ من مساءْ
لا تقولوا طائشٌ في رأيهِ إنما الرأيُ من الغدرِ براءْ
إنما الناسُ لهمْ آراؤهم وهمو الأحرارُ فيها الطُّلقاءْ
وعلى ودٍّ وبرٍّ وهدى لهمو فيها فراقٌ ولقاءْ
غير ما مسَّ دماً فاجهر به وَتَحَدَّ الحاكمين الأقوياءْ
واذكرِ الأوطانَ لا تأخذْ بما يكتبُ الحقدُ ويُمليهِ العداءْ
ليس منْ مصر ولا من أهلها مُزْهِقُ الأرواح أو مجري الدماءْ

★ ★ ★

يا زعيمَ الشعبِ هذي محنةٌ فوقَ ما يحملُ طوقُ الزعماءْ
ليست الأولى وقد كُنْتَ لها غَرَضاً ، منه لكَ الرُّوحُ وقاءْ
قَدَّرَ اللهُ ، وما قَدَّرهُ ليس يُعْفَى منهُ سكانُ السماءْ
من يكُنْ مثلَكَ في إيمانه كيفَ أدعوهُ لصبر أو عزاءْ ؟
إنني أرثي لمصر رجلاً مصرُ منا فيهِ أحرى بالرثاءْ !

زهـــراتي

للزهرات حديث شجيّ يذكره الشاعر ، فكلما واعدته فاتنة بزيارة ، أعد لها هذه الزهرات الناضرة ، وطفق يجمل بها مسكنه تحية للقادمة الجميلة ، ولكن زهراته كانت سيئة الحظ معـه ، فما أعدها مـرة الا واخلفت الزائرة ميعادها أو تناست موعده ، ويمر الوقت وهو ينتظر ويستحيل أمله في اللقاء الى يأس منه ، وكان الشاعر يؤمن بسوء طالع هذه الزهرات ، غير أنه عول على البقاء معها منتظراً مترقباً ، وقد فعل ، وظلّ كذلك وحده حتى مطلع الفجر ، واخيراً حملها الشاعر وآثر بهـا مخدعه ، أو آثر هذه الزهرات الحبيبة الوفية بحبه وقربه ، وقد شاطرته ألم السهد وعذاب الانتظار كمـا شاطرته في ليلته الاخيرة أحلامه وآلامه وفي هـذه القصيدة يناجي الشاعر زهراته ويذكرها بهواجس هـذه الليـلة

طالَ انتظاري وَمَضى مَوْعدي ... وأنتِ مثلي تَرْقبينَ المساءْ

كم لكِ عندي في الهوى من يدِ ... يا زَهَراتي ، أنت رمزُ الوفاءْ

يا زهراتي ، ويكِ لا تسأمي ... ولا يَرُعْكِ الزّمنُ الدائرُ

لاتَحْزَني ، وابتهجي ، وابسِمي ... عمّا قليل يُقبِلُ الزائرُ

عمّـا قليل سـوفَ تلقينَهُ   أجملَ ما تصبو إليهِ العيونْ
يَطرقُ بابي مُعْلنـاً أنّهُ   كلُّ اصطبار في هـواهُ يهونْ

أقولُ هـلْ أبطأ في خطوهِ ؟   أمْ هـل ترَى أخطأ ميعادَهُ ؟
أمْ ضلّلتهُ ، وهـو في لهوهِ ،   أرجاءُ حيٍّ قَبْلُ ما ارتادَهُ؟

تَعلّلي مثلي ، وقولي لَعَلْ !   أم أنتِ لا تدرينَ سـرَّ الغرامْ
ما أنتِ إلاّ بَسَمـاتُ الأمَلْ   إنْ خيّم الصمتَ وسادَ الظلامْ

كم أخَوَاتٍ لكِ شـاطرْنَني   فجر لقـاءٍ رائعِ المطلعِ !
وكم مسـاءٍ فيـهِ سامرْنَني   وبِتْنَ فيـهِ ساهراتٍ معي !

يا حسنَهـا فيهنّ من زهـرة   ظنّتْ جُفوني بالكرى مثقلاتْ
مَسّتْ جبيني ، وهي في حيرة   كأنمـا تُوقظني من سُبَاتْ

سـاهرةً تخفقُ أوراقُهـا   على فمي آناً ، وآناً يدي
كأنّ أشـواقي أشواقُها   أو أنّهـا صـاحبةُ الموعِدِ !

خلا بنـا ، يا زَهَراتي ، المكانْ   وزايلَ الشُرفةَ ضـوءُ القمر
أليـلةٌ ما مـرَّ ؟ أم ليلتـانْ ؟   إبقَيْ معي حتى يلوحَ السَحَر

سألتـكِ الحبَّ وعهدَ الوفاءْ   يا زهـراتي لا تملّي البقـاءْ
ما زالَ عندي أمَلٌ في اللقـاءْ   وإنْ مضى اليومُ ، وحلَّ المساءْ

خَلفَ زُجاجِ البابِ طيفٌ سَرى ... يدنو إلى بابي من السُّلَّمِ
خفقَ لهُ قلبي وما صوَّرا ... غيرَ ذِراعَيْ شَبحٍ مُبْهَمِ

أظلُّ أرنو نحوهُ مُرهِفا ... سمعي ، وما يَكذبني ناظري
يا حسرتا ، ما لاحَ حتى اختفى ... وزالَ مثلَ الحُلُمِ العابرِ

وكم خُطىً أحسَستُها في دمي ... أقولُ قد جاءَ وهذي خُطاهْ
أصغي وأحصي دَرَجَ السلَّمِ ... لكنَّهُ يمضي ، وينأى صَداهْ

يا زهراتي ! كم حديثٍ لنا ... عن موعدٍ في ليلةٍ أو نهارْ
يَعجَبُ منا كلُّ ما حولنا ... أما سئِمنا بعد طولِ انتظارْ ؟

ناشدتُكِ الحبَّ فإنْ تؤثري ... جدَّدتِ أسمارَكِ في مخدعي
فانسَي مواعيدَ الهوى، واذكري ... أيَّ فتىً، في الحب، لم يُخدَعِ !

*** ***

مصر

من وحي الأسى والألم ، بمناسبة حديث
الاتحاد واستئثار الأقليات بالحكم والدعوة
الى احترام الدستور

هَوىً لكِ فيهِ كلُّ ردىً يُحَبُّ
فديتُكِ ! هل وراءَ الموتِ حُبُّ ؟

فديتُكِ مصر ، كلُّ فتى مشوقٌ
إليكِ ، وكلُّ شيخ فيكِ صَبُّ

ويحلُم بالفِدَى طفلٌ فطيمٌ
وكلُّ رضيعةٍ في المَهْدِ تحبُو

أراكِ وأينما ولّيتُ وجهي
أرى مهَجاً لوجهكِ تَشْرئبُّ

وأرواحاً عليكِ محوّمات
لها فوقَ الضِّفافِ خُطى ووثْبُ

عليهـا من دَمِ الفـادين عـار
له بيـديكِ تضفيرٌ وعَصْبُ

حَمَتْكِ صدورُها يومَ التّنـادي
ووقّتْكِ الليـاليَ وهيَ حَـرْبُ

إذا رامتـكِ عاديةٌ وشقّتْ
فضـاءَكِ غيـلةً ورماكِ خَطْبُ

دَعَتْ بالنّهرِ فَهْوَ لَظىً ووقْدٌ
وبالنّسماتِ فهي حَصىً وحَصْبُ

وبالشجرِ المنـوّرِ فهو غيـلٌ
وكلُّ غصونِهِ ظُفـرٌ وخِلْبُ

حقـائقُ عن يدِ الإيمـانِ ترمي
صواعقَ ومنْضُها رُجْمٌ وشُهْبُ

لهـا في مهجةِ الجبّـارِ فتكٌ
وفي عينيهِ إيمـاضٌ وسكْبُ

صَنـائعُ كالغنـائيّاتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويُلْقِي السمعَ غَرْبُ

ويَنْبَعِثُ في الحيــاةِ على صــداها
فراعِنُ أو حواريُّون عُــرْبُ

أهلّوا بالصبــاحِ فثــمَّ ركبٌ
تموجُ بهِ الصِّفـافُ وثَمَّ رَكْبُ

بأرْوَاحٍ مجنحــةٍ نَشَــاوى
إليــكِ بكلٍّ جــارحة تدبُّ

لقــد بُعِثَتْ من الأحقــابِ مِصر
أجَلْ بُعِثَتْ، وهبَّ اليومَ شَعبُ

تَوحَّــدَ في الزعــامةِ فهــو فرد
وأفرِدَ بالأمــانةِ فهــو صُلبُ

★ ★ ★

فيــالكِ مِصرُ ! مــا لجلالِ أمسٍ
علَتْهُ غَبَرَةٌ وطَوَتْهُ حُجْبُ

وأبْهِمَ فهو رَجعُ صَدىً وطيف
بعيــدٌ ليسَ يستجليهِ قُرْبُ

ذَوت ريًّا مــلامحهِ وحــالتْ
منــاقبهُ فهنَّ أذىً وثَلْبُ

أكانَ دَمُ الفدائيِّينَ صِدْقاً
وأصْبَحَ وهو بعدَ الأمسِ كِذْبُ؟

فيُهدمُ ما بنَى ويقالُ شادوا
وتُصدعُ وَحدَةٌ ويُقالُ رأبُ؟

علامَ إذنْ أُريقَ بكلِّ واد
فأوْرَقَ مُجدِبٌ وأنارَ خِصْبُ؟

وجادَ به شبابٌ عبقريٌّ
وولدانٌ كفرخِ الطَّيْرِ زُغْبُ؟

أحقّاً ما يُقالُ شيوخُ جيلٍ
على أحقادهمْ فيه أكبُّوا؟

وكانوا الأمسِ أرسخَ من جبالٍ
إذا ما زُلْزِلَتْ قِممٌ وهَضْبُ

فمالهمو وَهَتْ منهم حُلومٌ
لها بيدِ الهوى دَفْعٌ وجَذْبُ؟

أأرحامٌ مقطَّعَةٌ وأرضٌ
تَعادى فوقَها أهلٌ وصَحْبُ؟

وأسواقٌ تُباعُ بها وتُشرَى
ضمائرُ هُنَّ للأهواءِ نَهبُ ؟

يطوفُ بها النِّفاقُ وفي يديهِ
صحائفُ أفعمتْ زوراً وكِذْبُ

يكادُ الليلُ أنْ يَنسَى دُجاهُ
إذا نُشِرَتْ ويأخذَ منهُ رُعبُ

تعالوا ، يا بني قومي ، تعالوا
إلى حقٍّ وحَسْبُ الشعبِ حَسْبُ

هو الدستورُ منهُ جَنىً قطفْنا
ونهرُ حياتِنَا ملآنُ عَذْبُ

فما للشَّرْبِ والجانينَ ثاروا
عليهِ بعدَ ما طَعموا وعَبُّوا

فأُهْدِرَ مَرَّةً وأُبيحَ أُخْرى
وعِيبَ ، وما لهُ عيبٌ وذنبُ

إذا ما الأكثريةُ فيهِ فازتْ
تحرَّكتِ الدسائسُ وهي إلْبُ

وإن هي حـوربَتْ عنـه وذيدَتْ
تحدَّثَ باسمهِ فَرْدٌ وحِزْبُ

عجـائبُ لم تَقَعْ إلاَّ بمصر
وأحـداثٌ لهـنَّ يَطيشُ لُبُّ

تَعالـوا ، يا بَني قَوْمي ، إلَيْـهِ
فمـا في حُكْمهِ قَسْرٌ وغَصْبُ

وما هو أسْطُرٌ كُتِبَتْ ولكنْ
معـانٍ في القـلوب لهنَّ عَلْبُ

تحـررتِ الشعوبُ فكلُّ شعبٍ
طليقٌ والمجـالُ اليـومَ رَحْبُ

وهَبَّتْ في نواحـي الأرضِ دُنيـا
لحقٍّ يُجْتَبَى ومُنىً تُلَبُّ

أنلعبُ والزمانُ يقولُ جـدُّوا
ونرقُدُ والحيـاةُ تصيحُ هُبُّـوا ؟

فلا تقفـوا بحـريَّاتِ شَعْب
وآمـالٍ لهُ للمجـدِ تصْبـو

فمـا تثنِي خـُطَى شعــبٍ طمــوحٍ
زعازعُ في ظلامِ الليــلِ نـُكـْبُ

إذا عصفتْ تلقـَّــاهــا بصــدرٍ
وراءَ ضـُـــلوعهِ نارٌ تـُشـَبُّ

سألتـُكمو اليمينَ وحبَّ مصرٍ
ألم يخفِـقْ لكـُمْ بالحــبِّ قلبُ ؟ !

فقبـَّلهــا وظلـَّلهــا هــواهُ
وندَّى قلبـَهــا والعيشُ جَــدْبُ ؟

هزيمة الشيطان

من وحي الهجرة

أَلاَ ما لهذا الليلِ تَدْجَى جوانبُهْ
على شَفَقٍ دامٍ تَلظَّى ذوائبُهْ ! ؟

وما ذلكَ الظِّلُّ المَخوفُ بأُفْقِهِ
يُطِلُّ فترتَدُّ ارتياعاً كواكبُهْ ! ؟

أأيتها الأرضُ انظري، وَيْكِ ! واسمعي !
توثَّبَ فيكِ الشرُّ حُمْراً مخالبُهْ

أرَى فِتْنَةً حَمْراءَ يَلْفِظُها الثَّرَى
دُخَاناً تُغَشِّي الكائناتِ سحائبُهْ

وأشتمُّ من أنفاسها حَرَّ هَبْوَةٍ
كأنَّ هجيرَ الصَّيْفِ يلفحُ حاصبُهْ

أرى قبضةَ الشيطانِ تستلُّ خنجراً
توَهَّجَ شَوْقاً للدماءِ مَضَارِبُهْ

تسلَّلَ يبغي مَقْتَلاً من « محمــد »
لَقَدْ خُيِّبَ البَاغي وَخابَتْ مآرِبُهْ

تقدَّمْ سليلَ النَّارِ ! ما البابُ موصَدٌ!
فَمــاذَا توَقّاهُ ، ومَاذَا تُجانِبُهْ

تأمَّلْ ! فَهَلْ إلاّ فتىً في فراشِهِ
إلى النورِ تَهفُو في الظّلامِ ترائبُهْ ! ؟

يُسائلُكَ الأشياعُ زَاغَتْ عيونُهُمْ
وأنتَ حَسيرٌ ضائعُ اللبِّ ذاهبُهْ

ترَانا غَفَوْنا أم ترَى عَبَرَتْ بنــا
نُفاثةُ سِحْرٍ خدَّرَتْنــا غرائبُهْ ! ؟

وما زال منــا كلُّ أشوَسَ(١) قابضـاً
على سيفهِ لم تَخلُ منــه رواجبُهْ(٢)

ترَى كيفَ لم تُبْصِر غريمَكَ سارياً
وأين ترى يَمْضي ؟ وتَمْضي ركائبُهْ ؟

---

(١) الاشـوس الشديد الجريء في القتال

(٢) الرواجب مفاصل اصول الاصـابع

تقدَّم ، وجُس في الدار وَهناً ؟ فما ترى ؟

لقــد هَجَرَ الدارَ النبيُّ وصاحبُهُ ! !

يحثَّــانِ في البَيْــداءِ راحلَتَيْهمــا

إلى جَبَــلٍ يُؤْوي الحقيقةَ جــانبُهْ

فقِفْ ، وتنظَّر حائراً نَصْبَ غــارهِ

تَحدَّاكَ فيه وُرْقُهُ وعنــاكبُهْ

لتعــلمَ أنَّ الحــقَّ رُوحٌ وفكــرةٌ

يذلُّ لها الطاغي وتَعْنُو قواضبُهْ

فَطِرِ ، أيها الشيطانُ ، ناراً أوِ انطلقْ

دُخَاناً ، فأخسِرْ بالذي أنت كاسبُهْ !

خَسِئتَ ! ولو لم يَعْصِمِ الحقَّ ربُّه

طوى الأرضَ ليــلٌ ما تزولُ غياهبُه

موكب الأبطال

القصيدة التي حيا الشاعر فيها أبطال
الفلوجة ، بعد أن استلهم موكبهم الظافر
بعض المعاني والخواطر

أقدِمْ ، فداكَ حديدُها ولهيبُها
واغنمْ مجادتها فأنتَ ربيبُها

مجدُ الفتوحِ الغرِّ أنتَ وريثُهُ
والحربُ أنتَ على المدى موهوبُها

ما الحربُ إلا ما شرعتَ ، وما رأتْ
أممٌ تذودُ عن الحقوقِ شعوبُها

نادتْ ، فهبَّ على الدماءِ ضريجُها
يمشي ، ويقتحمُ السعيرَ خضيبُها

شَرَفُ المحاربِ أن يعفَّ سلاحُهُ
إن جارتِ الهيجاءُ وهو حريبُها

ليجير شعباً ، أو يحرِّرَ أمَّةً
لا تستباحُ ولا يضامُ نجيبُها

ألنصر أن تلقى الطُّغاةَ بضربةٍ
شعواءَ لم يَصْبِ الطغاةَ ضريبُها

فَخُذِ العدوَّ المستخفَّ بطعنةٍ
إنْ لم تُمِتْهُ ، غداً تُمته ندوبُها

والمجدُ أن تحمي وراءَكَ قريةً
ضاعتْ مسالكُها وضاقَ رحيبُها

جُنَّ الحديدُ بأرضها وسمائها
فجرى وطارَ ، تصيبُهُ ويُصيبُها

شدَّتْ يَدُ الفولاذِ حولَ نطاقِها
حلقاً تصيحُ النارُ كيفَ أذيبُها ؟

بالروحِ والإيمانِ أنتَ قهرتَهَا
بأساً ، فلانَ على يديكَ صليبُها

حتى إذا أعيا العدوَّ جلادُها
ووهتْ جحافِلُهُ وطاشَ وثوبُها

عضّتْ على كفّيهِ ، والتفّت على
ساقيهِ ، وانسدّت عليه دروبُها

ومشت لهُ منها ضراغمُ غابةٍ
كلٌّ الردى أخلابُها ونيوبُها

قذفتْ بهِ عنها ، وغودِرَ جيشُهُ
بَدَداً تَعَقّبُهُ الحتوفُ وحوبُها

جثثاً تعافُ البيدُ شربَ دمائها
ويعفُ كاسرُها ، ويأنفُ ذيبُها

شرفاً كماةَ النيلِ أيُّ بطولةٍ
راعَ الكماةَ فنونُها وضروبُها

ومواقف لكمو تشيدُ بذكرها
دولٌ وراءَ النارِ قامَ رقيبُها

وملاحمُ الأبطالِ في « فلّوجة »
قصصَ الكفاحِ غريبُها وعجيبُها

« هوميرُ » ما غنّى بها « طروادة »
وكمثلها ما ألهمتهُ حروبُها !

ضربوا الحصار على الكماةِ فجاءهم
فَطِنُ الشجاعةِ في الحروبِ أريبُها

متمرِّسٌ بطباعها ، متفرِّسٌ
في روعها ، يقظُ الخطى ، مرهوبُها

فادٍ أحمُ كأنما احترقتْ به
حربٌ من الميلادِ كانَ نشوبُها

فنما وشبَّ ، عليهِ من يحمومها
أدَمٌ زهاهُ من السِّماتِ مهيبُها

طلعتْ به إفريقيا وتطلّعتْ
آجامُها ، وجبالُها ، وسهوبُها

يزْرى بما نَصَبَ الدهاةُ لصيدهِ
ويضلُ أشراكَ الردى ويخيبُها

ما زالَ مصطرعاً يصولُ ودونَهُ
بيداءَ يغشاها اللظى ويجوبُها

ساقَ الطغاةُ لها فرائسَ فتنةٍ
حمراءَ ينفخُ في الجحيمِ ربوبُها

عرضتْ مآتمَها بهمْ وتقدَّمتْ
أمَمٌ تمورُ على الرمالِ ذنوبُها

حتى رأته كوى السماءِ ففتَّحتْ
وتلألأتْ بسنى السلامِ ثقوبُها

ومشى الكميُّ أشمَّ بينَ رجالهِ
أبطالِ حربٍ لا يقرُّ سليبُها

لن يُستذلَّ ثرىً عليهِ دماؤهمْ
سالتْ • لقد روّى الحياةَ صبيبُها

★ ★ ★

يا أيها الأبطالُ مصر إليكمو
بالغارِ يستبقُ الشبيبةَ شيبُها

وعقائلٌ خلفَ الخدورِ هواتفٌ
كالطيرِ أذَّنَ بالصباحِ هبوبُها

ينثرنَ بالريحانِ فوقَ رؤوسكمْ
طاقاتِ وردٍ ليس يذهبُ طيبُها

وهفتْ غمائمُ في السماءِ تُظلِّكُمْ
ويرفُ مُصعِدُها لكم ومُصيبُها

وعلى طـريقِ المجدِ من « فلّوجـة »
مُهَجٌ حـوائمُ ، في الترابِ وجيبُها

شهـداؤكم وَدّوا هنـاكَ لو انهـمْ
قدمـوا بألويةٍ يروعُ خضيبُهـا

طلعوا بنـورِ الفجرِ فوقَ مآذنٍ
تدعو ، ورحمنُ السمـاءِ يُجيبُهـا

هاتوا حـديثَ الحربِ كيفَ تطامنتْ
لكمو مفـازعُها ، وهـانَ عصيبُها

في قـريةٍ محصـورةٍ كسفينـةٍ
في لجَّةٍ هـاجتْ وماجَ غضوبُهـا

لم تَدْرِ فيهـا الـريحُ أينَ قرارُهـا
والشمسُ أينَ شـروقُهـا وغروبُهـا

كم حـدّثوا عنهـا وقالوا في غـدٍ
للقـاعِ تهوي أو يَحينُ رسوبُهـا

وبمصر والدنيـا عيـونٌ أحبَّـةٍ
ألسُّهدُ والألَمُ الممضُّ حبيبُهـا

ترعى النهــارَ ، وتتقي غَسَقَ الدُّجى
هــذا يُطمئنهــا وذاكَ يُريبُهـــا

إيهٍ حمــاةَ الشرقِ كم بجهادِكُمْ
تشدو العصورُ بعيــدُها وقريبُهــا ؟

هــذي الضفــافُ وهــذهِ داراتكُمْ
داراتُ شمسٍ لا يحولُ شبوبُهــا

تــرنو لكم وتكادُ من أشــواقهــا
تمشي ، وكيفَ حــراكُها ودبيبُهــا ؟

لــم لا أغنيــكم قوافِيَّ التــي
غنّــى بملحمةِ الحيــاةِ طروبُهــا

هي من روائعكُمْ ووحيُ جــديدِها
منكم ، ومني في البيــانِ وجيبُهــا

باللهِ إن طفتمْ بســاحةِ عــاهل
ترعاهُ مصرُ عيــونهــا وقلوبُهــا

فتقــدموا تحتَ اللواءِ وقــرّبوا
هــذي السيوفَ الداميــاتُ عزوبُها

أحيتْ له ولمصر أيَّ مجادةٍ
هيَ ذُخْرُهُ المأثورُ وهو وهوبُها

هيهاتَ تنبتُ تربةٌ غير العُلى
ما دامَ يُسقى بالدماءِ خصيبُها

رثاء الفنّان

ألقيت في حفلة التأبين التي اقامتها نقابة الصحفيين للمرحوم الاستاذ نجيب الريحاني

أسألكم ويحَ من يُجيبُ ماخطبكمْ ؟ لم يَمُتْ نجيبُ
ما ماتَ من أضحكَ المآسي من قَدَرٍ صُنْعُهُ عجيبُ
وصيرَّ الدمعَ في المآقي على ابتساماتهِ يذوبُ
وجمَّل العيشَ للحزانى فكلُّ حالٍ به تطيبُ
وأنصفَ الدهر من حظوظٍ تُخطىءُ في الناسِ أو تصيبُ
ومثَّل الزَّيف من حياةٍ مُرَقّع ثوبها القشيبُ
كادتْ لتمثيله الليالي تبكي ، وتستعبرُ الخطوبُ
وكادَ منه الزمانُ يُغضي خِزياً ، وتستغفرُ الذنوبُ
معلّمٌ ما لَهُ ضريبُ معهدُهُ المسرحُ الحبيبُ
فتىً كطيرِ الربيعِ روحاً موهوبةٌ نفسهُ وهوبُ
ألبارعُ اللفظِ في بيانٍ يحارُ في صوغه الأديبُ

كأنّــه مــاثل" لعينــي وعهدُه بالنــوى قريبُ
حلنو الاشاراتِ في سمــاتٍ له بتصويرهــا ضـروبُ
وصــوتُه ملءُ كـل سمعٍ تهفو لإيقاعه القـلوبُ
أستاذ جيل إلى نداهُ عواطِفُ الجيــل تستجيبُ
يعلِّمُ الشعبَ أو يسلّي من شفّهُ الهــمُّ واللغــوبُ
في قصــةٍ مُــرَّةٍ حوتهــا ملهــاته الحــلوةُ الطروبُ
أو مُلْحَةٍ عــذبةٍ جــلاها أسلوبُه الساحرُ اللعوبُ
يُلقي بهــا ضــاحكاً ويمشي وقلبهُ ســاهم" كئيبُ
حيــاتنــا مثلمــا رآهــا صــوَّرهــا ناقد" لبيبُ
مصريةُ الذوقِ لم يَشُبْها تصنُّع" لفظُهُ مشوبُ
ولم تلفــقْ ولم تنمــقْ بهــا الأباطيــلُ والعيــوبُ
حقائق" لم يوار منهــا مجامل" هــازل" هيوبُ
مدرســة" ما بهــا كتــاب" ومنــبر" مــا له خطيبُ
لا سِنَّ للدارسينَ فيهــا طلاَّبهــا فتية" وشيبُ
ويستوي جاهل" لديهــا وعــالم" فاهــم" أريبُ
ألكلّ فيها لهم متــاع" وَفر ومن علمه نصيبُ
يا لهفةَ الفنّ حين أودى ومــا اعترى نجمَه شحوبُ
ولا زوى أفقَهُ ظــلام" له على موجــه وثوبُ

في لحظـةٍ لم يَجُلْ بذهنٍ قضاؤها الفـاجع الرهيبُ
حيث ينـادي وحيث يُرجى مشيبه الـرائعُ الخصيبُ

★ ★ ★

قمْ يا نجيبُ انفضِ المنـايا واسمعْ تَجِدْ أمَّةً تجيبُ
صَحَتْ على موكبٍ هلوعٍ يخنقـهُ الحـزنُ والنحيبُ
مصر التي قدّرتك حيـاً يا أيهـا النـابغ الغـريبُ
بمثـل مـا شيّعتك يوم الـــوداعِ لم تسمعِ الشعوبُ
وأنتَ بالعهـد من هواهـا ربيبُها وابنهـا النجيبُ

إلى البحر

قِف من الليلِ مصغياً والعبابِ وتأملْ في المزبداتِ الغضابِ
صاعداتٍ تلوكُ في شِدقها الصخرَ وترمي به صُدُورَ الشعابِ
هابطات تئنُ في قبضةِ الرّيحِ وترغي على الصخور الصِّلابِ
ذلكَ البحر هل تشاهدُ فيهِ غير ليلٍ من وحشةٍ واكتئابِ ؟
ظلمات" من فوقها ظلمات" تترامى بالمائجِ الصخَّابِ

لا ترى تحتهنَّ غيرَ وجود من عبابٍ ، وعالمٍ من ضبابِ
أيها البحرُ ، كيفَ تنجو من الليلِ ؟ وأينَ المنجى بتلك الرحابِ ؟
هو بحر" أطمُ لجاً ، وأطغى منكَ موجاً ، في جيئة وذهابِ
أو ما تبصر الكواكبَ غرقى في دياجيهِ كاسفاتٍ خوابي ؟
وترى الأرضَ في نواحيهِ حيرى تسألُ السحبَ عن وميضِ شهابِ ؟

ويكَ ، يا بحرُ ، ما أنينُكَ في الليلِ أنينَ المروَّع الهيَّابِ ؟
إمضِ حتى ترى المدائنَ غرقى وترى الكونَ زخرةً من عُبابِ

إمضِ عبرَ السماءِ، واطغَ على الأفلاكِ، واغمرْ في الجوِّ مسرى العقابِ
ذاكَ، أو يهتكَ الظلامُ دياجيه، وينضو ذاكَ السوادَ الكابي
وترى الشمسَ في مياهكَ تُلقي خالصَ التبرِ واللجينِ المذابِ

★ ★ ★

أقبلَ الفجرُ في شفوفٍ رقاقٍ يتهادى في منظرٍ خلّابِ
حُلَلٌ من وشائعِ النورِ زُهْر يتماوجن في حواشي السحابِ
وإذا الشّاطيءُ الضحوكُ تغني حولَهُ الطيرُ بالأغاني العذابِ
ونسيمُ الصباحِ يعبثُ بالغابِ ويَثني ذوائبَ الأعشابِ
ومن الشمسِ جمرةٌ، في ثنايا الموجِ، يذكو ضرامُها غيرَ خابي

ومن البحرِ جانبٌ مطمئنٌّ قُزَحيُّ الأديمِ غضُّ الإهابِ
نزلتْ فيه تستحمُّ عذارى الضّوءِ من كل بَضَّة وَكِعَابِ
عارياتٍ يسبحنَ في اليمِّ لكنْ لفّها الرغوُ في رقيقِ الثيابِ
خفِراتٍ من الأشعةِ خودٍ نسّقتها أناملُ الأربابِ
فإذا البحرُ يرقصُ الموجُ فيه وإذا الطيرُ صُدَّحٌ في الروابي

راقصاتِ الأمواج، علّمْنَ قلبي رقَصاتِ المغرِّدِ المطرابِ
وأفيضي عليهِ من سلسلِ الوَحْي نميراً كالجدولِ المنسابِ
واستثيري عواطفي، ودعيني أُسمعِ البحرَ أُغنياتِ الشبابِ

لي وراءَ الأمواجِ ، يابحرُ ، قلبٌ   نازحُ الـدارِ ما لَهُ من مآبِ
نزعتهُ مِنّي الليـالي فأمسى   وهو مُلقىً في وحشةٍ واغترابِ

ذكرياتٌ تشدني القصيَّ ولكنْ   أين منـي منـازلُ الأحبـابِ
أنا وحدي ، هيمانُ في لُجَجِكَ الطا   مي ، غريقٌ في حيرتي وارتيـابي
أرْمُقُ الشـاطيء البعيدَ بعينٍ   عكفتْ في الدجى على التسكابِ
فسواءٌ ، في مسْمعي ، منذُ رُ اهُ   صدحةُ الطيرِ أو نعيقُ الغرابِ
وسواءٌ ، في العينِ ، شارقةُ الفجـرِ أو الليـلُ أسودُ الجلبابِ

بيـد أني أُحسُّ فيـكَ شفاءً   من سقامي ، ورحمةً من عـذابي
أنتَ مهدُ الميلادِ والموْتِ ،يابحرُ ،   ومثوى الهمومِ والأوصـابِ
فأنا فيـكَ أطـرحُ الآن آلا   مي وعبءَ الحياةِ والأحقـابِ

في الشتاء

ذكّريني فقد نسيتُ، ويا رُبَّ ذكرى تُعيدُ لي طربي
وارفعي وجهكِ الجميلَ أرى كيفَ هذا الحياءُ لم يَذُبِ
واسندي رأسكِ الصغير إلى ثائرٍ في الضلوعِ مُضطربِ
ذلكَ الطفلُ، هدهديهِ فما ثابَ من ثورةٍ ومن صخبِ
وامنحي عينيَ النعاسَ على خُصُلاتٍ من شعركِ الذهبي
ظمأي قاتلي، فما حذَري موردي منكِ موردَ العطبِ
ثرثري، واصنعي الدموعَ ولا تحفلي إن همَمتِ بالكذبِ
بي نزوعٌ إلى الخيالِ وبي للتمنّي حنينُ مُغتربِ
وا عجبي منكِ، إن نسيتِ، وما أسفي نافعٌ ولا عجبي
لم أزلْ أرقبُ السماءَ إلى أن أطلَّ الشتاءُ بالسُّحُبِ
موعدُنا كانَ في أصائلهِ ضِفّةٌ سندسيّةُ العُشُبِ

نَرْقُبُ النِّيلَ تحتَ زَوْرَقِنا　　وخفوقَ الشِّـراعِ عن كَثَبِ
وظِـلالَ النَّخيـلِ في شَفَقٍ　　سـالَ فوقَ الرِّمالِ كاللَّهَبِ
كأسُنا متـرَعٌ" وليلتُنـا　　غادةٌ" من مَضَاربِ العَـرَبِ
ويكِ ! لا تنظري إلى قَدَحِي　　نظـراتِ الغريبِ ، واقتربي !
شفتـاكِ النـديّتـانِ بهِ　　فيهمـا رُوحُ ذلكَ الحَبَبِ
شَهِدَ المنتَشِي بخمرهما　　أنَّ هذا الرحيقَ من عِنبي ! !

حانة الشعراء

هيَ حَانَةٌ شَتّى عَجَائِبُهَا
مَعرُوشةٌ بالزَّهرِ والقَصبِ

في ظُلّةٍ باتَتْ تُدَاعِبُهـا
أنفاسُ لَيلٍ مُقمِرِ السُّحُبِ

وَزَهَتْ بمِصبَاحٍ جوَانِبُهَا
صافي الزُّجاجَةِ راقصِ اللّهَبِ

«باخوسُ» فيها، وهو صاحبُها ،
لم يَخلُ حينَ أطَلَّ من عَجَبِ

قد ظنّها ، والسِّحرُ قالبُهـا ،
شِيدَتْ منَ الياقوتِ والذَّهبِ

* * *

إبريقُهُ حَلْيٌ منَ الـدُّرَرِ   يزْهى به قَدَحٌ منَ الماسِ
وكأنَّ ما حوْليـه من صُوَرِ   متحـركاتٌ ذاتُ أنفـاسِ
تَرَكَتْ مواضعَها من الأُطُرِ   ومَشَتْ له في شِبْهِ أعراسِ
منهنَّ عـازفةٌ على وَتَرِ   مُتَفَجِّرٍ بأرَقِّ إحساسِ
وغريرةٌ حوراءُ كالقَمَرِ   تَحْنـو على شَفَتَيهِ بالكاسِ

* * *

أوَ تلكَ حانَتُهُ ؟ فواعَجَبَا !   أم صُنْعُ أحـلامٍ وأهـواءِ
ومَنِ الخيالُ أهـلٌ واقتَرَبَا   « ڤينـوس » خارجةٌ من الماءِ !
في مـوكبٍ يتمثّلُ الطَّـرَبَا   ويَميـلُ من سِحْرٍ وإغـراءِ
وبكلِّ ناحيـةٍ فَتىً وَثَبَـا   متعلقـاً بذراعِ حسنـاءِ
يتَوهَّجونَ صبابةً وَصِبَـا   يتمثّـلونَ غـريبَ أزياءِ

* * *

حُمْرُ الثيـابِ تَخالُ أنَّهُمو   يَفِدونَ من حانوتِ قصّابِ !
جلسوا نَشَاوى مِثلَما قَدِموا   يترقّبونَ منـافذَ البـابِ
يتَهامسونَ ، وهَمْسُهُمْ نَغَمُ   يَسْري على رنّاتِ أكـوابِ
إنْ تسألِ الخمّارَ، قال: هُمُو   عُشّاقُ فَنٍّ ، أهـلُ آدابِ
لولا دُخـانُ التّبغِ خِلْتُهمو   أنصـافَ آلهـةٍ وأربابِ

* * *

مِن كلِّ مُرْسِلٍ شَعرِهِ حِلَقا   وكأنها قِطَعٌ منَ الحَلَكِ
غلَيُونه يَسْتَشْرِفُ الأفُقا   ويكادُ يَحرُقُ قبَّةَ الفَلَكِ
أمسى يُبَعثِرُ حَوْلَهُ وَرَقا   فكأنَّهُ في وسطِ مُعتَرَكِ
فإذا أتاهُ وَحيُهُ انطلَقا   يُجري اليَراعَ بكَفِّ مُرتَبِكِ
ويقولُ شعراً كيفما اتفَقا   يُغري ذواتَ الشَّكلِ بالضَّحِكِ

* * *

« باخوسُ » يروي عنْ غرائبهمْ   شَتَّى أحَاديث وأنبَاءِ
قِصصٌ تَداوَلُ عن صَواحبهمْ   وعَنِ الصَّبَايا فِتنَةِ الرَّائي
وعَنِ الخطيئةِ في مذاهبهم   بَدَأتْ بآدمَ أمْ بحَوَّاءِ
والمُلهِماتُ إلى جوانبهمْ   يُكثِرْنَ من غَمزٍ وإيماءِ
يَعجبْنَ من فِعلِ الشَّرابِ بهمْ   ويَلُذْنَ من سَأمٍ بإغفَاءِ

* * *

وتَلَفَّتُوا لما بدا شَبَحُ !   فَتَّانةٌ دَلَفَتْ من البابِ
سمراءُ بالأزهارِ تتَّشِحُ   ألقَتْ غُلالَتَها بإعجابِ
ومَشَتْ تُرقِّصُهمْ فما لمحُوا   إلاّ خُطَى رُوحٍ وأعصابِ
وسَرَى بِسِرِّ رحيقهِ القَدَحُ   في صوتِ شاجي اللَّحنِ مِطرابِ
وشدا بجو الحانةِ الفَرَحُ   لإلهةٍ فَرَّتْ منَ الغابِ

* * *

هي رَقصَةٌ وكأنها حُلُمٌ وإذا « بقينوسٍ » تمدُّ يدا

ألكأسُ فيها وهي تضطرِمُ قلبٌ يهزُّ نداؤه الأبَدَا

زِنجيَّةٌ في الفنِّ تحتكمُ ؟ قد ضاع فنُّ الخالدينَ سُدى !

فأجابتِ السمراءُ تبتسمُ ألفنُّ روحاً كان ؟ أم جَسَدا ؟

يا أيها الشعراءُ ، وَيحَكُمُ أليلُ ولّى ، والنهارُ بدا !



العشّاق الثّلاثة

« الى أدعيـاء الحكمة والمعرفة »

سَرَى القمر الوضّاحُ بين الكواكبِ
يُفكّرُ فيما تحتَهُ من غَياهبِ

فناداهُ من وادي الخلّيينَ هاتف"
بصوتٍ محبٍّ في الحياةِ مُقاربِ

يقولُ له يا روعةَ الحسنِ والصّبا
وأجملَ أحلامِ الليالي الكواعِبِ

أنا العاشقُ الوافي إذا جنّني الدُّجى
وراعيكَ بين النيِّراتِ الثواقبِ

ألا ليتني حُرٌّ كضوئِكَ أرتقي
عوالمَكَ الملأى بشتّى العجائبِ

ويا ليتَ لي كنزَ ابتساماتِكَ التي
تُبعثرها في الكونِ من غيرِ حاسِبِ !

★ ★ ★

فأصغى إليهِ الضوءُ في صفوِ جذلانِ
وأضفى على الوادي شعاعَ حنانِ

وجاسَ خلالَ السُّحبِ والماءِ والثرى
فلم يرَ في أنحائها وَجْهَ إنسانِ

فصاحَ بهِ يا صاحبي ضلَّ ناظري
فأين ترَى ألقاكَ أمْ كيفَ تلقاني ؟

فأوما لهُ إني هنا تحتَ شُرفتي
وراءَ زجاجيها أخذتُ مكاني

أبى البردُ أنْ أستقبلَ الليلَ قائماً
وأن أنزلَ الوادي بحيثُ تراني

وحسبُ الهوى من عاشقٍ لك وامقٍ
تَزَوُّدُ عيني من سَنَا ضوئِكَ الحاني !

★ ★ ★

فألقى عليـــهِ الضـــوءُ نظــرةَ حــائرٍ
وأعرضَ عنــهُ بابتسامةِ ســاخرِ

وقالَ لَهُ يا صــاحبــي قد جهلتَني
ويا رُبَّ شعرٍ ســاقهُ غيرُ شــاعرِ

أنا المــوثَقُ المكدودُ طالتْ طــريقُه
طــريقُ أســيرٍ في رعــايةِ آســرِ

تجاذبُني طاحونةُ الشمسِ كلمــا
وقفتُ ، وتمضي بي سِياطُ المقــادِرِ

وما بسمتي إلاّ دموعٌ من اللظى
قد التمعتْ في وجــهِ سهمانَ حــاسِرِ

فدعْ عنــكَ يا أعجوبةَ الحبِّ عــالمي
فقبلكَ لم يَلْقَ الأعاجيبَ ناظــري !

★ ★ ★

وأمعنَ في تفــكيرهِ القمــرُ الــزاهي
فمــرَّ بأرضٍ ذاتِ عُشْبٍ وأمواهِ

ينــاجيهِ منهــا عاشقٌ ذو ضــراعةٍ
منــاجاةَ صُــوفيٍّ لِطَيْفِ إله

يقولُ لَهُ يا مُشْهدِي كلَّ ليـلةٍ
جمـالَ مُحيًّا رائعِ الحسنِ تَيَّـاهِ

شبيهٌ بهـذا الضوءِ نورُ جبينهِ
على أنَّهُ في النـاسِ من غيرِ أشبـاهِ

وترسُمُ لي الأشبـاحُ طيفَ خيـالهِ
فأدنو لضـمٍّ أو للثـمِ شفـاهِ

تمَنَّيْتُ لو وَسَّدْتَ خـدَّكَ راحتي
وصدرُكَ خفَّـاقٌ ، وجفنُك سـاهي

★ ★ ★

فرفَّ على الوادي الشعاعُ طروبا
وناداهُ من بينِ الظـلالِ مُجيبـا

أزِحْ هـذه الأغصانَ عنكَ لعلَّني
أصـافحُ وجهاً ، من هواكَ حبيبا

فجـاوبَهُ يا قُرَّةَ العـينِ إنني
قد اخترتُ من شطِّ الغديرِ كثيبـا

إذا أتعَبتْ عيني السمـاءُ تَطلُّعاً
وخالستُ لحظـاً للنجومِ مُريبـا

ففي صفَحات المـاء نهـزةُ عاشقٍ
يَراكَ علـى بُعْـدِ المـزارِ قريبـا

خلوتُ بهِ ، أرعـاكَ أوْفَى قسامةً
وأوفرَ من سحـرِ الجمـالِ نصيبـا !

★ ★ ★

فغاضَ ابتسامُ الضوءِ من فرطِ حـيرةٍ
وصـاحَ نجيٍّ أنتَ حقَّرتَ سيرتي

هو الكونُ مـرآتي ، ومجلَى مفـاتني
ومـا لغـديرٍ أن يمثّـلَ صـورتي

وما نَظَـرَ العشّاقُ إلاّ لعـالَمٍ
يُعَظّمُ في المعشوقِ كلَّ صغـيرةِ

أعيـذُ الـذي شبَّهتني بجمـاله
أديمَ مُحيّـا مثـل صمّـاءِ صخرَتي

أنا الفحمةُ البيضاءُ إن جنّني الـدُّجى
أنا الجمّةُ السّوداءُ رأدَ الظهـيرةِ

فَدَعْ عالَمَ الأفلاكِ واقنعْ بلجّةٍ
وغـازلْ من الأسمـاكِ كلَّ غـريرةِ !

★ ★ ★

وَبَيْنا يهيمُ الضوءُ في سُبُحاتهِ
وقد غطّ هذا الكونُ في سُخرياتهِ

رأى شبحاً في قربِ نارٍ كأنما
يودِّعُ طيفاً غابَ عن نظراتهِ

يمدُّ ذراعيهِ ، ويُرسلُ صوتَه
بلوعةِ قلبٍ ذابَ في نبراتهِ

إلى القَمَرِ الساري مُحيّاهُ شاخص"
كصاحبِ نُسْكٍ غارقٍ في صَلاتهِ

فحامَ عليهِ الضوءُ واستمهلَ الخُطى
وأجرى سناهُ الطلقَ في قَسَماتهِ

وصاحَ به يا شَيخُ ، ما أنتَ قائل"
تكلّمْ ! فإنّ الليلَ في أخرياتهِ

★ ★ ★

فقالَ له يا باعثَ الحبِّ والمنى
سلِمتَ وحيّتْك العوالمُ والدُّنى

شفيتَ جَوَى شيخٍ أحبَّك يافعاً
وعاشَ بهذا الحبِّ جذلانَ مُؤمنا

وأفنيتُ عمــري أرتقي عــاليَ الذُرى
إلى أنْ بلغتُ اليــومَ مثــوايَ ههنــا

وأوقــدُ ناري كي تَراني وأنثني
لأُطلقَ ألحاني ، وأدعوكَ مَوْهِنــا

وقِيــلَ ضنين" لا يجودُ بوصــلِهِ
فهــأنذا ألقــاكَ ، يا ضــوءُ ، مُحسنا

تساوتْ كلاب" تنبحُ البــدرَ ســارياً
ونُوّامُ ليــلٍ أنكروا آيةَ السنا !

★ ★ ★

فحدّقَ فيــه الضوءُ وارتدّ مُغضَبــا
وقالَ لَهُ أفنيتَ في سُخفِكِ الصِّبا

ولمّــا تُرِحْ جفنــاً من السهدِ مُتْعبا
وسُخرية" بالنــارِ ، أن تتقــرّبا

كأنّ شعاعي في جفونِك قد خبــا
ومن عَبَثٍ مثواكَ في هــذهِ الــرُّبى

على حينِ لم تبلغْ من النــورِ مَرْقبــا
وما كنتَ إلاّ الواهــمَ المترقّبــا

وثالثَ عشّاقٍ بهمْ ضِقتُ مذهبا
وكانوا لأمثالِ الخليّينَ مَضْربا

فوا أسفا ، ما كنتُ في الدَّهْرِ مذنِبا
فأُجزَى بنجوى من تعشّق أو صبَا

وساقَ على حبي الدليلَ المكذّبا
سَلِ العاصيَ الهاوي من الخلدِ هل نبا

بهِ الليلُ لمّا آثرَ الأرضَ واجتبى ؟
أ أبصر قبلي في الدُّجنَّة كوكبا

أضاءَ له الدربَ السحيقَ المشَعَّبا
وهلْ في سنا غيري تملّى وشبّبا

بحوّاءَ واهتاجَ اليراعَ المثقّبا
حويتُهما روحاً طريداً مُعذَّبا

فذابَ حيائي منهما ، وتَصبّبا
وأورثني هذا الشحوبَ ، وأعقبا

رأيتُ فماً يدنو ، ووجهاً تخضّبا
وصدراً خفوقاً فوق صدرٍ تَوثّبا

غـرائزُ فيهـا الغَيُّ والنقصُ رُكِّبـا
تَلمَّسُ في ضـوئي الأثامَ المحَبَّبا

فيا شيخُ ، دَعْ هـذا الوشاحَ المذهَّبا
تَرَ الحمـأ المسنونَ في الكأسِ ذُوِّبا

طفـا الراحُ فيهِ ، والترابُ ترسَّبا
وإنَّ كلابَ الأرضِ أشرفُ مأربا

ينيرُ لهـا ضـوئي الظلامَ لتجنبا
خُطَى اللصِّ يستارُ الطـريقَ المحجَّبا

فإنْ نَبَحتْ ضوئي ، تسمَّعتُ معجبـا
بأرخمِ لحنٍ ، رنَّ في الليـلِ مطـرِبا

تحيَّةَ مُثنٍ بي أهَـلَّ مُرحِّبـا
بني آدمٍ ، إنْ لم يكُنْ آدمُ الأبا

رجوتُ لَكُمْ من عالمِ الرِّجْسِ مهربا
وآثرتُكمْ بالكلبِ جَـدًّا مهـذَّبا

وأجمـلُ بالإنسـانِ أنْ يتكلبـا
ومالَ عن الأرضِ الشعاعُ وغرَّبا
ووسوسَ في صـدرِ الدُّجى فتألَّبـا

خمـــرة الآلهـــة

★ هاتِهَــا كأســاً منَ الخمرِ التي
سَكِرَتْ آلهــةُ الفنِّ بهــا
إسقِنيهَــا وتفيَّأ ظُلَّتــي
وتَرَنَّــمْ بأغــاني حبِّهــا

★ هــذهِ النكهةُ من صَهبَــائها
شَبَعُ الــرُّوحِ وريُ الجَسَدِ
عربَدَ الشَّــاعرُ منْ لألائهــا
وهــيَ كَنــزٌ في ضَميرِ الأبَدِ

★ هاتِهَــا في كــلِّ يومٍ حَسَنِ
نفحةَ الوحْيِ وإشرَاقَ الخَيــالِ
وأدِرْهــا نَغَمــاً في أذنــي
فاضَ من بيْنِ سَحَابٍ وجبَــالِ

★ هاتِها سِحْرَ الوجوهِ النَّضِراتِ
هاتِهـا خَمْرَ الشِّفاهِ الملهمَـاتِ
والعيـُونِ الشّاعريَّاتِ اللّواتي
شَعْشَعَتْ بالنّورِ آفاقَ حيـاتي

★ ذقْتُهَا كالحُلْمِ في ريِّقِ عُمْري
قُبْلةً عـذراءَ من ثغْرٍ حيِّي
وتَسَمَّعْتُ لهـا في كلّ فجـرِ
وهي تَنْهَلُ بإلْهامي الوَضّي

★ هاتِهَا جَلْواءَ ، يا توْأمَ روحي
فبهـا أبْصِرُ للخُلْدِ الطّـريقـا
لو خَلاَ من كرْمَتَيْهَا فُلْكُ نُوحِ
أخطـأ الجوديَّ ، أو باتَ غـريقـا

★ مـا أراهَا أخْطـأتْ في وهْمِنَا
عالَم الغـابةِ أو مَهْـدَ الجدودِ
وأراهَـا خِلْقَةً في دَمِنَـا
يومَ كُنّا بعضَ أحْـلامِ القـرودِ

★ جَـدُّنَا الأعلى علـى كِبَرِهِ
لم تَشِنْهُ نظـرةُ المنتقِصِ
هوَ مـا زالَ عَلى فِطْـرَتِهِ
ضَاحكاً خَلْفَ حـديدِ القَفَصِ

★ ذاقَها مُذْ كانَ في الغـابِ لعوبا
يتغـذّى مـن ثمـارِ الشَّجَرِ
فَمَضَى يَحْلُمُ نشوانَ طـروبا
بحَفيـدٍ في مَـرَاقي البَشَرِ

★ يا لهـا من قطـرةٍ فوقَ شَفَهْ
غيَّرتْ مَجْرَى حيـاةِ العَـالَمِ
في خَيـالٍ مَـرِحٍ أو فَلْسَفَهْ
أبصـر الـدُّنيـا بعينيْ آدَمِ

★ فلسفَتْهُ حـينَ مَسَّتْ قلبَـهْ
فاشتهى الفنَّ وعِلْمَ المنطِـقِ
وأرَتْـهُ وأنـارتْ دَرْبَـهُ
وَهوَ في سُلَّمِهِ لم يَرْتَقِ

★ أيّها الحالمُ ، غرَّرتَ بنا
وكفى شكركَ ما جرَّ علينا
عُدْ بنا للغابِ أو هاتِ لنا
عهدَها ، أحبِبْ به اليومَ إلينا

★ أوَ ترضى بالذي ماكُنتَ ترْضَى
أيُّ دنيا من عذابٍ وشقاءْ
ورُقيٌّ أهلَكَ العالَمَ بُغْضا
بينَ نارٍ ، وحديدٍ ، ودماءْ

★ شوَّه العِلمُ رُؤَى الكونِ القديمِ
ومحا كلَّ مسرّاتِ الدهورْ
أوَ أرضٌ جوفها نارُ جحيمِ ؟
وفضاءٌ كلُّ ما فيهِ أسيرْ ؟

★ أسرةُ الشمسِ اشتكتْ من أيْدها
كيفَ لا يشكو الأسارى المرهَقونْ
لو أطاقوا أفلتوا من قَيْدِها
فإذا هم حيثُ شاؤوا يُشرقونْ

★ إنْ يكنْ قد أصبحَ البدرُ الوضيءُ
حجـراً ، والنجمُ غــازاً وحــديدْ
فسلاماً ، أيتُهـا الجهـلُ البريءُ
وعــزاءً ، أيهـا الكونُ الجديدْ

★ يا حبيبي ، دَعْ حديثَ الفلسفاتِ
طـابَ يومي فتفيَّـأ ظُلَّتي
أترعِ الكأسَ ، وناولني ، وهاتِ
قبْلَةً تنْقـذني من ضَلَّتي

★ أوْ فَقُمْ للغـابِ من غرِّيدهـا
نَسْمعِ الـرُّوحَ الطليقَ المـرِحَا
وَنَعُبَّ الخمر من عُنقودهـا
واتركِ الدنَّ ، وخـلِّ القـدَحَا

حافظ ابراهيم

أنشأ الشاعر هذه القصيدة في الأيام
الأولى لوفاة شاعر مصر العظيم

إملأي الأرضَ من حِدادٍ وغيهبْ
مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبْ

وَخَبَا من مصابحِ الفكرِ نورٌ
كانَ أمضى منَ الشّهابِ وأثقبْ

وطوى الموتُ هالةً كانَ يُنْمَى
كلُّ أفقٍ إلى سَنَاها ويُنْسَبْ

يا سماءَ الخيالِ ما كلُّ يومٍ
من بني الشعرِ تظفرينَ بكوكبْ

ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَّدَ الشَر
قُ صَدَى شعرِهِ الجميلِ المحبَّبْ

ومضى النــاثرُ الذي صوَّرَ النــ
فسَ،وجلّى سرَّ الضميرِ المحجَّبْ

ألأديبُ العــريقُ في لغةِ الضّــا
دِ ، وقاموسُها الصحيحُ المرتَّبْ

لم يَكُنْ شاعرَ القديمِ ، ولا كا
نَ لآدابِ عصــرِهِ يتعصَّبْ

كانَ يُعْنَى بكلِّ فذٍّ من القــو
لِ،ويَزْهَى بكلِّ حسنٍ ويُعجب

شاعرُ الحبِّ والجمالِ ، وربُّ الــ
ــمنطقِ الحقِّ والبراعِ المؤدَّبْ

شعرُه مِنْ ينابعِ السّحرِ ينســ
ــابُ ، وفي عالم الحقيقةِ ينصبْ

عــاطفيُّ القصيدِ ، يعبثُ بالألــ
ــبابِ أسلوبُه الرشيقُ ، ويلعبْ

وخيــالٌ يسمو إلى ما وراء الــ
ــكونِ من عالِمِ اليقينِ ويذهبْ

يُنْفِذُ الفكر في مجاهلِ دنيا
هُ فيبدو لَهُ الخفيُّ المغيَّب

ومعانٍ أرقُّ من نسمةِ الفَجْرِ
ولفظٌ من سلسلِ الخمرِ أعذبْ

وبيانٌ يسيلُ في كلِّ نفس
فعلُه من غرائبِ السحْرِ أغربْ

وقوافٍ كأنها نغماتٌ
هاجها الشجوُ في يراعٍ مُثقَّبْ

وكأنَّ الأوزانَ شتَّى مثانٍ
ترقصُ النفسُ و َفقَهُنَّ فتطربْ

★ ★ ★

بؤساءَ الحياةِ من لَكُمُو اليو
مَ على الحادثاتِ ، والعيشُ أخطبْ

ضاقتِ الأرضُ بالحنانِ ، وفاضتْ
بالأذى أبحراً ، تضجُّ وتصخبْ

فابحثوا في شعابها عن مقيلٍ
وانشدوا من منافِذ النَّجمِ مهربْ

قد فَقدتم نصيرَكُمْ وسُلبتمْ
عَضُداً شَدَّ أن يُغالَ ويُسلبْ

عَقَلَ الموتُ مِقولاً منه عَضْباً
وطوى مهجةً وأطبَقَ هَيْدَبْ

وخلا اليومَ مِنْ شجاكُمْ فؤادٌ
ذابَ من رحمةٍ لكمْ وتصبَّبْ

وَغَفَتْ أعينٌ بكتكُمْ بدمعٍ
لم تَدَعْ منهُ ما يُراقُ ويُسكبْ

ألرفيقُ الحاني على كلِّ قلبٍ
أنشبَ البؤسُ فيه ناباً ومخلبْ

والخفيفُ الخطى إلى كلِّ نفسٍ
مالَ عنها نصيرُها وتنكَّبْ

فاذكروهُ على الليالي إذا ما
زحمَ الدهرُ ركنَكمْ وتألَّبْ

★ ★ ★

مَنْ لصَرْعى الهمومِ بعدَكَ يا حا
فظُ، من للحزينِ؟ من للمعذَّبْ؟

كنتَ براً بهـم ، وأحنى عليهم
من فؤادِ الأب الشفيقِ ، وأحدبْ

عَجَبٌ صبرُهمْ على خطبِكَ الدَّا
وي، وصبرُ البأساءِ من ذاك أعجبْ!

قمْ وشاهدْ مآتمَ الشرقِ وانظر
كيف يُبكى البيانُ فيكَ ويُندبْ

قسَماً لو يُرَدُّ «هيجو» إلى العيـ
ـشِ لألقى لكَ الزمامَ وقرَّبْ

ومشى في يمينـهِ غـارُ « باريـ
س » إلى رأسِكَ الكريمِ وعصَّبْ

وتمنَّى الـذي كتبـتَ عن البـؤ
سِ وردَّ الأصيلَ دون المعرَّبْ !

★ ★ ★

فُجِعَتْ نهضةُ البـلادِ بيـانٍ
شدَّ من رُكنِها ، وشادَ ، وطنَّبْ

وَحَبَـاها من شعرِهِ وحجـاهُ
ما أفادَ الجهـادَ فخـراً وأكسبْ

هــزَّ أشبــالَهــا الكماةَ وأحيــا
أمــلاً في صدورهم يتوثّبْ

لو شهِدْتم ، غداةَ ثورتِها الكـــ
برى، لَجَاجَ[1] النفوسِ وهي تلهَّبْ

لرأيتمْ في ثورةِ النَفْسِ منهُ
مُحنقاً من قساورِ الغِيْلِ مُغْضبْ

لم يَزَلْ منه في المسامعِ صــوتٌ
تتوقّى الظبّي صداهُ وترهبْ

نافذٌ في الصميمِ من باطلِ القــو
مِ كمــا ينفذُ السّنانُ المذرَّبْ

★ ★ ★

حــافظَ الودِّ والذمامِ سَــلاَماً
لم يَعُدْ بَعْدُ من يُوَدُّ ويُصحبْ

كنتَ نعــمَ الصديقِ في كلِّ آنٍ
حينَ يُرجى الصديقُ أو حينَ يُطلبْ

---

(1) لجاج النفوس اضطرابها

لم تغيّرْكَ من زمانِكَ دنيا
وحياةٌ بأهلها تتقلّبْ

خُلُقٌ رضتَه على شرعةِ الصدْ
قِ ، وإنْ خانكَ الرجاءُ وكذّبْ

وإباءٌ حميتَهُ مِنْ صغارٍ
وبريقٍ من المواعد خُلّبْ

وفؤادٌ لغيرِ عاطفةِ الوجـ
ـدانِ لا يُدَنّى ولا يتقرّبْ

وضميرٌ لا يبلغُ المالُ منهُ
وبلوغُ النجومِ من ذاكَ أقربْ

ولسانٌ حفظتَهُ من سؤالٍ
لا يَمينُ الكلامَ أو يتذبذبْ

يلفظُ الروحَ صادياً وإذا لم
يَصنفْ للماءِ موردٌ ليسَ يشربْ

صفحاتٌ نقيةٌ بمدادِ الحـ
ـقِّ في مُجتلى العظائمِ تُكتبْ

★ ★ ★

خانني فيكَ منطقي ، وعصاني

قَلَمٌ طالمـا أفاضَ وأسهبْ

آبَ بالشعرِ من مصـابكَ يبكي

رزءَه فيـكَ والرجـاءَ المخيَّبْ

أنتَ من أمـةٍ بهـم بَعَثَ اللـ

ـهُ هُداهُ إلى الشعوبِ فثوَّبْ

لم يَزلْ منكمو على الأرضِ ظِلٌّ ،

وشعاعٌ هادٍ ، وغيثٌ مُصوَّبْ

ويجوبُ الحيـاةَ في كلِّ آنٍ

هـاتفٌ منكمو وطيفٌ تأوَّبْ

حُضَّرٌ في القلوب أنتمْ وإن كنـ

ـتمْ ، على ملتقى النواظرِ ، غيَّبْ

قبلة

● قبلةٌ من ثغركِ الباسمِ دنيا وحياةْ
تلتقي الروحانِ فيها والمُنَى والصَّبَواتْ
لغةٌ وُحِّدَتِ الألسنُ فيها واللغاتْ
نبعُها القلبُ ومجراها الشفاهُ النَّضِراتْ

● لغةٌ قرَّ الشتيتُ الشَّمْلِ فيها وتواءَمْ
وبها الأعينُ في غيرِ حديثٍ تتفاهمْ
مَنْ ترى علَّمها بالأمسِ حواءَ وآدمْ ؟
لمْ تَزَلْ جِدَّتُها وهي حديثٌ يتقادمْ

● قبلةٌ من ثغركِ الباسمِ رفَّتْ شفتاهُ
من رحيقٍ لم يُحرِّمْه على الناسِ الإلهُ
كلما أترعَ منه القلبُ ضجَّتْ رئتاهُ
مستزيداً وهوَ إن علَّ بهِ زادَ صَدَاهُ(١)

---

(١) الصَّدَى : العطش الشديد

● قبلةٌ من ثغركِ البـاسمِ تمحو كلَّ ما بي
وتواريني عَنِ الناسِ وَعَنْ دنيـا العذابِ
وَتُنَسِّي القلبَ ماجُرِّعَ من سمٍّ وصابِ [1]
قبلةٌ تمـزجُ أنفـاسَكِ بالقلبِ المُـذابِ

● رُبَّ ليـلٍ مرَّ أفنيناهُ ضماً وَعِنَـاقا
وأدرنا من حـديثِ الحبِّ خمـراً تتساقى
في طريقٍ ضَرَبَ الزَّهر حواليـهِ نِطـاقا
وتجلَّى البـدرُ فيه ، وصفـا الجوُّ وَرَاقا

● وَلَزِمْنـا الصمتَ إلاَّ نظـراتٍ تتكلمْ
وشفـاهاً عن جـراحِ القلبِ راحتْ تتبسمْ
صِحْتِ بي رُعباً وما راعَكِ قلبٌ يتحطَّمْ
نبأتني النفسُ بالبَيْنِ [2] غداً ، والنفسُ تُلهمْ

● ثُمَّ كانَ الغـدُ ما نُبِّئْتِ هجراً وفِرَاقا
ونسينا قبلةً لَذَّتْ على الأمسِ مَذَاقا
غـيرَ أناتٍ صَحَـا القلبُ عليهـا وأفاقا
فالتقينا وافترقنـا ، وكأنْ لَمْ نتـلاقا ! !

---

(١) الصاب شجر مرّ
(٢) البَيْن الفـراق

أندلسيّة

من ذكريات بحيرة لوجانو
السويسرية صيف عام ١٩٤٦

حسنُكِ النشوانُ والكأسُ الرويَّهْ
جدَّدا عهدَ شبابي فسَكِرْتُ

حُلُمُ أيامٍ ولَيْلاتٍ وضيَّهْ
عَبَرَتْ بي في حياتي وعبرتُ

أنا سكرانُ وفي الكأسِ بقيَّهْ
أيُّ خمرٍ مِنْ جَنَى الخلد عصرتُ ؟

آهِ ، هاتي قرّبي الكأس إليَّهْ
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّهْ

* * *

لا تقــولي أيُّ صــوتٍ مُلْهِــمِ
قـَادَ روحينا ، فجئنا ، والتقينا

دَمُــكِ المشبوبُ فيه من دمي
روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينــا

أختَ روحي ! قرّبيهــا من فمــي
إنْ شَربنــا أو طربنــا ما علينــا

آهِ هــاتيهــا من الحسنِ جَنِيَّهْ
واسقنيهــا أنتِ ، يا أندلسيَّهْ

★ ★ ★

كانتِ النظــرةُ أولى نظــرتينْ
ثُمَّ صــارَتْ لفظةً مــا بَينَنَــا

والهوى يَعْجبُ مِنْ مغتربَيْنْ
لم يَقُــلْ أنتِ ، ولا قالتْ أنا

وَسَبحْنــا فوقَ وادٍ من لُجينْ
تَحْتَ أفقٍ من غمــامٍ وسَنَى

أتمــلاَّها سِماتٍ عربيهْ
وأنادي أنتِ ، يا أندلسيهْ

★ ★ ★

صِحتُ يا للشّمسِ في ظلٍّ المغيبِ
تلثمُ الزّهرَ وأوراقَ الشّجَرْ

خِلتُها بين محبٍّ وحبيبِ
قُبلَةً عندَ وداعٍ وسَفَرْ

فانثنتْ تنظرُ للوادي العجيبِ
صُوَراً يَذهَبْنَ في إثرِ صُوَر

وبسمعي همسةٌ منها شَجِيه
وبروحي أنتِ ، يا أندلسيه

★ ★ ★

ونزلنا عِندَ شطٍّ من نُضارِ
وانتحينا خلوةً بعد زحامِ

قلتُ والليلُ بأعقابِ النهارِ
ألَكِ الليلةَ في لحنٍ وجامِ ؟

ما على مغتربيْ أهلٍ ودارِ
إنْ أدارا هاهنا كأس مدامِ ؟

آهِ هاتيها كخدّيكِ نقيّه
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيّه

★ ★ ★

واحتوتنا بَيْنَ لَحنٍ مطـربِ
حـانةٌ مِثلُ أسـاطيرِ الزَّمـانِ

صَوَّرتْ جـدرانُهـا بِالذَّهبِ
فتَنَ العشق وأهـواءَ الحسانِ

قالتِ اشربْ قُلتُ لبَّيكِ اشربي
مِـلءَ كأسين فإنّا ظـامئـانِ

خمـرةٌ روميةٌ أو بابليَّهْ
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّهْ

★ ★ ★

هتفتْ بي ويداهـا في يـدي
تدفعُ الكأسَ باغـراءٍ وعُجْبِ

أيُّ قيثـارٍ شجيٍّ غَـرِدِ
خِلتُهُ ينطقُ عَنْ أسـرار قلبي !

قلتُ طِفلٌ من قديمِ الأبدِ
يمزُجُ الألحانَ مِن خَمرٍ وحُبِّ

ملء كأسٍ في يديهِ ذهبيَّهْ
فاسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّهْ

★ ★ ★

ومضى الليلُ ونادى بالرواحِ
كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صَبٍّ

وخبا المصباحُ إلاّ كأسَ راحِ
نورُهُ ما بين إيماضٍ ووثبِ

قد تحدّى وهَجُهُ ضوءَ الصباحِ
فَبَقَيْنا حولهُ جَنْباً لِجَنْبِ

تتساقاها على الفجرِ نديّه
وأغنّي أنتِ ، يا أندلسيّه

★ ★ ★

يا عروسَ الغربِ ، يا أندلسيّه
بَعُدَتْ داركِ والصيفُ دنا

أينَ أحلامُ الليّالي القَمَرِيّه
والبحيراتُ مُطيفاتٌ بِنا ؟

أذكري بينَ الكؤوسِ الذّهبيّه
حانةً ، يا ليتها دامَتْ لَنَا

حين أدعوكِ صباحاً وعشيّه
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيّه

الأمسية الحزينة

هنـالك بين الامواج الزرقاء يمتد برزخ من الرمال بين شـاطىء البحر الأبيض وبحـيرة المنزلة حيث تشرف أكواخ (اشتوم الجميل) من بوغازها الصامت على آثار قلعة متهدمة جلس عليهـا الشاعر أيام صباه يمرح في أمسية هانئة بين رمل وصخور وأمواج

زار هذه البقعة ذات مساء قريب في جوّ عاصف فهاجت به ما هاجت من أحلام وآلام اطردت في سياق هذه القصيدة تحية الروح الى امسيتها المحزونة

جدَّدتِ ذاهبَ أحـلامي وليلاتي
فَهَلْ لديكِ حديثٌ عن صباباتي ؟

يا كعبةٌ لخيـالاتي ، وصومعةً
رتّلتُ في ظلّهـا للحسنِ آياتي

للحبِّ أولُ أشعارٍ هتفتُ بهـا ،
وللجمـالِ بهـا أولى رسـالاتي

عليكَ واديَ أحلامي وقفتُ أرى
طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مأساةِ

آوي إلى جَنَبَاتِ الصخرِ منفرداً
أبكي لأمسيةٍ مـرَّت وليـلاتِ

قد غـيَّرتنا الليالي بَعْدَهَا سِيَرا
وخلّفتنـا العوادي بعضَ أشتاتِ

تلفَّتَ القلبُ في ليـلاءَ باردةٍ
يبكي ليـاليَكَ الغُرَّ المضيئاتِ

وذكرياتٍ من المـاضي يُطالعُهـا
بينَ الحقولِ وشُطآنِ البحيراتِ

★ ★ ★

يا طولَ ما نَغَمْتُ للصَّخرِ أناتي
وشدٌّ ما رجَّعتْ للموجِ آهـاتي

ياقلبُ، وادي الصِّبا حالتْ مسارِحُهُ
وأقفرتْ من صبـاياهُ الجميلاتِ

فلا الجداولُ تحدوهـا مسلسلةٌ
ولا الخمائلُ تهفو بالنضيراتِ

صَوَّحنَ من مشرقِ الوادي لمغربِهِ
فما بهنَّ مُطيفٌ من خيالاتِ

مافي حياتِكَ من سلوى تلوذُ بها
لكنهُ الحبُّ ذاكَ القاهرُ العاتي

قد فاجأتكَ غواشِيهِ التي سكنتْ
إنَّ الليالي ملأى بالمفاجآتِ

★ ★ ★

يا لَلبُحيرةِ من يرتادُ شاطئَها
ومن يُسِرُّ إلى الوادي مناجاتي ؟

ومن يعيدُ لنا أطيافَ ليلتها
وما غَنِمْنَا عليها من أويقاتِ

وخلوةٍ في حَفَافيها وقد عَبَثَتْ
يَدُ الصَّبا بحواشيها الموشَّاةِ

يضمُّنا باسقٌ ، في الشطِّ ، منفردٌ
ضَمَّ الشتيتَيْنِ في علياءِ جناتِ

وللقلوبِ أحاديثٌ يجاوبُهَا
تناوحُ الطيرِ في ظلِّ الخميلاتِ

★ ★ ★

يا ليـــلةً قد ذهلنـــا عن كواكبهـــا
في زورقٍ بين ضفَّاتٍ ولجَّـــاتِ

يسري بنا مَوْهِـناً،والريحُ تدفعهُ ،
كالنجمِ يسبحُ في علوي هالاتِ

وفي الشواطيءِ للمجدافِ أغنيةٌ
يَصُبُّها الموجُ فيسحريٍّ موجاتِ

ما كانَ أهنأهـــا دنيـــا ، وأهنـــأنا
فيليلِها الصَّحْو،أو فيفجرها الشاتي

مَرَّتْخيالاتُ ماضيها،وما تَرَكَتْ
ســـوى وجومِ لياليهـــا الحزيناتِ

ومن تَلَهُّفِ أحنـــائي وثارتِـهَـــا
يا لَلْنجَوَانحِ منوَجْديوثاراتي

ياصرخةَالقلبِ،هلأسمعتِمنكصَدىً
مَنْ ذا يردُّ الصَّدى في جوفِ موماةِ ؟

جوبي مفاوزَ أيامي فقد صَفِرَتْ
من نبعِ ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ

قضى ، على ظمأ ، قلبي بهـا وفمي
وضلَّتِ العينُ فيهـا إثرَ غـاياتي

حتى العواصفُ صمَّتْ عن نداءاتي
فمـا تردُّ على الأيامِ صيحـاتي

★ ★ ★

يا من قتلتَ شبـابي في يفاعَتِهِ
ورحتَ تسخرُ مِنْ دمعي وأناتي

حرمتَ أياميَ الأولى مفـارحَهـا
فمـا نعمتُ بأوطـاري ولـذّاتي

فدَعْ فؤاديَ محزوناً يرفُّ على
ماضيلياليَّ ، وانعمْ ، أنتَ ، بالآتي

دَعني على صخرةِ الماضي لعلَّ بها
مِنَ الصبابةِ والتحنانِ منجاتي !

صخرة الملتقى

صخرةٌ لا تُجَلُّ في الـكائنات
غَشِيَتها جـلالةُ الآبدات

جاوَرَتنها الصحراءُ تستشرفُ اليـ
ـمَّ وقر المحيطُ جنبَ الفـلاةِ

أبديّان قــد أفاءا إليهــا
لم تُجمِّعْهما يدُ الحـادثاتِ

وجـدا الملتَقى عليهـا فقـرّا
بعــدَ آبادِ فُرْقَةٍ وَشِتَـاتِ

ليلةً غوّرتْ بها الأنجُم الزُّهْـ
ـرُ وأضفتْ ســوادفَ الظلماتِ

لـو تلفّت في دُجـاهـا لراعتـ
ـكَ خوالي الأبراجِ والهـالاتِ

وكأنَّ الزَّمانَ خالَجَهُ الرَّوْ
عُ ولجَّ الوجودُ في الشبهاتِ

وكأنَّ الوجودَ لم يحوِ إلا
ذلكَ الصخرِ رائعَ الجنباتِ

عقدةُ الاتصالِ بين جلالَيـ
ـنِ أجدّا به وثيقَ الصلاتِ

بَرْزَخٌ تعبر الليالي عليهِ
بينَ عِبْرَيْنِ من بِلى وحياةِ

ركَّزتها الآبادُ بينهما رمـ
ـزاً على صَوْلةِ الدهورِ العواتي

فأقامتْ تُسِرُّ للقفرِ والليـ
ـلِ أحاديثَ أعصرٍ خالياتِ

واحتوتْ سرَّ كائنينِ كأنْ لم
يَبْعَثا سيرةً مَعَ الكائناتِ

★ ★ ★

كشفتْ ليَ الصحراءُ مندونِها الوا
سعِ ما لا تحدُّهُ نظراتي

وبساطاً منَ الرِّمـالِ تراءى
كَكتابٍ ممـوَّهِ الصفحاتِ

هو مهدُ السحرِ الخفي ، ومثوى
ما تُجِنُّ الصحراءُ من معجزاتِ

ربَّ ليـلٍ مكوكبٍ خطرتْ فيـ
ـهِ الدَّراري وضيئةَ القسماتِ

ورمى البـدرُ بالأشعـةِ تبـدو
فوقَ وَجهِ الرمـالِ منعكساتِ

وسَرَتْ نسمةٌ من اللَّيْلِ حيرى
وغنـاءُ الصوادحِ الطـائراتِ

فإذا الليـلُ روعةٌ وجـلالٌ
وإذا القفـرُ غـارقٌ في سُباتِ

غيرُ ذاكَ الغريبِ في تيهِهِ النَّـا
ئي كئيبِ الفـؤادِ والنظـراتِ

أرَّقتهُ صبـابةٌ حَمَلَتْهـا
نَفَسُهُ من ربوعهِ النـائيـاتِ

قد شجاهُ هوى اقتحامِ الصَّحارى

والصَّحارَى مثــارةُ الصَّبواتِ

ربَّ ناءٍ مــدَّتْ إليــهِ هواهــا

فهوى في شِرَاكها القــاتلاتِ

يقطعُ الدَوَّ باردات اللیــالي

ويجوبُ الحــزونَ ملتهبــاتِ

قَتَلَتْهُ سمومُهَــا وبراهُ

ظمــأٌ من عيُونهــا المُجدباتِ

حرَمَتْهُ الصحراءُ ظلاًّ وريفــاً

في حواشي واحاتهــا النَّضِراتِ

فسَلِ القَفْرَ هل لهُ فيهِ قبرٌ

ضَمَّ من جسمهِ نحيلَ رُفاتِ ؟

أترى غــير أعظُمٍ نخــراتٍ

في ثنــايا الرمــالِ منتثراتِ ؟

★ ★ ★

صحراءُ الحيــاةِ كم هِمتُ فيهــا

شــاردَ الفكرِ ، تائهَ الخطواتِ

سِرتُ فيها وحدي،وقد حَطم َالمـ
ـقدارُ في جنحِ ليلهـا مشكاتي

و َلـَكَمْ أرمدَ الهجيرُ جفوني
ورمتني الحـرورُ باللفحـاتِ

لم أجدْ لي في واحة العيش ظِلاً
أو غـديراً يَبُلُّ حَـرَّ لهـاتي

أسفاً للحيـاةِ أضلَّى لظاهـا
وأراهـا وريفةَ العَـذَباتِ

بَعُدَتْ عنّي الحقيقةُ فيهـا
وأضلَّتْ مسعايَ للغـاياتِ

كلمـا هاجتِ الرياحُ صـراخي
هـدَّجَتْ في هزيمهـا صرخاتي

غيرُ ذاكَ الصخرِ العتيدِ الذي ضـ
ـجَّ عليـه العُبـابُ من أتَّاتي

ظللتنـي ذراهُ منفـردَ النفـ
ـسِ أبثُّ المحيطَ حـرَّ شكاتي

★ ★ ★

أنا فوقَ المحيطِ كالطائرِ التـا
ئهِ يعلو موائجَ اللجَّاتِ

ناشراً فوقَ عرْضِه من جنا
حيَّ ظِلالَ الهمومِ والحسراتِ

مُمعِناً في سمائِهِ أتغنَّى
بنشيدِ الخلودِ في صَدَحاتي

للإلهِ العظيمِ من لُجّه السا
كنِ أتلو الجميلَ من صلواتي

وأناجيه طائراً رَفَّ في اللّيْـ
ـلِ يُغَنّي خمائلَ الجنّاتِ

★ ★ ★

صخرةَ الملتقى ، أتيتُكِ بعدَ الأ
ينِ أشكو مِنَ الحياةِ أذاتي

أنا ذاكَ الشادي الذي نَسَلَتْ ريـ
ـشَ جناحيهِ هَبَّةُ العاصفاتِ

أنا ذاكَ الشريدُ في صحراءِ الـ
ـعيشِ ضَلَّ السبيلَ في الفلواتِ

في ثراهـا الغبيّ وسّدتُ أحـلا
مي وماضيْ الهني من أوقاتي

أنا قيثارةٌ جَفَتْها الليـالي
في زوايا النسيـانِ والغفـلاتِ

وأرثّتْ أوتارَهـا فهي تبكي
من شجاهـا حبيسةَ النغمـاتِ

أنا طيفُ المـاضي على صخرة الآ
بادِ ، أستشرفُ الزمانَ الآتي

وورائي الصحراءُ ، وادي المنايا ،
وأمامي المحيطُ لُجُّ الحيـاةِ

بَيْنَ عبريهِمَا ثَوَتْ غُـرُّ أيا
مي وحالَ(١) الوَضِيءُ من ليلاتي

لا أسَمِّيكِ صخـرةَ الملتقى لـ
ـكنْ أسَمِّيكِ صخرةَ المأساةِ ! !

(١) حال الشيء تحول من حال الى حال

الوحي الخالد

لوجهكَ هذا الكونُ ، ياحُسْنُ ، كلّهُ
وجوهٌ يفيضُ البِشرُ من قَسَماتِها

وتستعرضُ الدنيا غَريبَ فنونِهَا
وتُعرِبُ عن نجواكَ شتّى لُغَاتِها

ولولاكَ ما جاشَ الدُّجَى بِهُمومِهَا
ولا افترَّ ثغرُ الصُّبْحِ عن بَسَماتِها

ولا سَعِدَتْ بالوهمِ في عالمِ المُنَى
ولا شَقِيَتْ بالحبِّ بين لِدَاتِها[1]

ولا حَبَتِ الفنّانَ آياتِ فنّهِ
ولا رُزِقَ الإبداعَ مِنْ نَفَحَاتِها

---

(١) اللدة جمع لدات ولِدُون : التِرْبُ ، وهو الذي ولد او تربى معك

بكَرْتَ إلىالروْضِ النَّضِيرِ فزاحمتْ
إليكَ ورودُ الأرضِ نَوْرَ(١) نَبَاتِها

وألقتْ بأنداءِ الصَّبــاحِ شفاهُها
على قَدَمَيْكَ العَذْبَ من قُبُلاتِها

تَشهَّى خُطىً فيهــا الرَّدَى ، وكأنهــا
تصيبُ حياةَ الخُلْدِ بَعْدَ مَمَاتِها

ومِلْتَ إلى الأدواحِ فانطلقتْ بهــــا
صــــوادحُ طارَ الصمتُ عن وُكُنَاتِها

ومَــدَّ شُعاعُ الفَجْرِ رَيِّقَ نُورِهِ
يحيّيك، يا ابن الفجرِ، منشَعَفَاتِها(٢)

فَوَا أسَفَا ، يا حُسْنُ ، لِلحظةِ التي
تطيشُ لهــا الأحــلامُ من وَثَبَاتِهــا

ووا أسَفَا ، يا حسنُ ، للفــرقةِ التي
يعزُّ على الأوهــامِ جَمْعُ شِتَاتِهــا

---

(١) النَوْرُ الزهر ، والابيض منه

(٢) الشَعَفَة جمع شعفات رأس الجبل

وما هي إلاّ الصمتُ والبردُ والدُّجى
ودنيا يَشيعُ الموتُ في جَنَباتِها

فضاءٌ يَرُوعُ الريحَ فيهِ نشيجُهَا
وَتَفزَعُ فيهِ البومُ من صَرَخاتِها

وَتَنتَثِرِ الأزهارُ من عذَباتِها
وتَعرَى الغصونُ النُّضرُ من وَرقاتِها

ويغشى السماءَ الجَهْم من كلِّ دَيْمَةٍ
تخدِّدُ وجهَ الأرضِ من عبراتِها

هنالِكَ لا الوادِي ، ولا العالمُ الذي
عرَفْتَ ، ولا الأيامُ في ضحكاتِها

ولكنْ رَدَى النفسِ التي كنتَ حبَّها
ونافثَ هذا السِّحْرِ في كلماتِها

مَضَتْ غير شعرٍ خلَّدتْ فيه وحيها
إليكَ ، فخذْ ، ياحسنُ ، وحيَ حياتِها !

بين الحب والحرب

راجت شائعات في شهر سبتمبر من عام ١٩٤٤ عن الهدنة بين المتحاربين ، خفق لها قلب الشاعر وخفت اليه أحلامه وذكرياته ، وتمثلت له أيامه عندما كان نزيل « برلين» في مثل هذه الفترة من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، وخلص منها الى أرض الوطن على الباخرة « النيل » بين وبلات هذه الحرب واهوالها فكتب هذه القصيدة يصف شعوره باليوم المرتقب ، وقد وجه هذه القصيدة الى صديقة بافاريه أديبة رافقته في تلك الرحلة

بَعْدَ خَمسٍ جِئْتِني ، يا ذكرياتي
والأماني بَيْنَ موتٍ وحياةِ

بعدَ خَمْسٍ ، يا لَها في السنواتِ
حَمَلَتْ كلَّ ذنوبِ الكائناتِ

صَاحَ فيها زُحَلٌ بالظلماتِ
فَطَوَتْ نجمي وسدَّتْ طُرقاتِي

وَرَمَتْ شملي ببَيْنٍ وشتاتِ
والصِّبا نشوانُ والحبُّ مؤاتي

فاحفظيها في المآسي الخالداتِ
أو دعيها واذكري لي خطَراتي

أرجعي لي بعضَ أحلامي ، وهاتي
صَفو أنغامي ، وردّي صدحَاتي

★ ★ ★

حدّثي ليلةَ خُضنا « الابيضا »
في سكونٍ خِفتُه أن ينبضا

ودُجىً كالسُّخطِ من بَعدِ الرِّضى
قد دَعَوْنا نجمَهُ أن يُغمضا

جَثَمَ الرعبُ عليهِ فنضَا
لُجَجاً سوداً وظلاًّ مُقبِضا

كلما عودُ ثقابٍ أومضا
دفَعَ « النيلَ » ، وأرغى ، ومضى

يُنذِرُ الركبَ فساجوا رُكّضَا
وادّعى منهمْ خبيثٌ عرَضَا

أنّ نجمـاً هتلرياً مُغـرِضـا
شـعّ ناراً وتوارى في الفضـا

★ ★ ★

ذكـرياتي كيفَ أقبلتِ إليّـا ؟
كيفَ جُزْتِ البرَّ والبحرَ القصيّا ؟

كيفَ خُضْتِ الكَوْنَ لجاً دمويّا
وشواظاً طاغي النـارِ عتيّـا ؟

ذكـرياتي جـدّدي هـذا الـرويّا
وابْعثيـهِ نَغَماً عَـذْباً شجيّا

مـا عجيبٌ أن تردّيهِ عليّـا
بل عجيبٌ أنني لا زلتُ حيّـا

أتلقّـاكِ ، وكأسـي في يديّا
ونشيـدي ضـارعٌ في شفتيّا

طافَ بي شـاديكِ يدعوني مَليّا
أيهـا الملاّحُ ، حانَ الوقتُ ، هيّا ؟

★ ★ ★

حـانَ أنْ ننشُر خفّاقَ الشـراعِ
يا سفيني ، ويكِ ! هيّا ! لا تُراعِي

قد تدانى البحرُ من بَعْدِ امتنــاعِ
وغَدَتْ « ڤينيسيا » قيــدَ ذراعِ

هــذهِ الجنَّةُ ، يا ويحَ الأفاعــي !
نفثتْ في زهرهَــا سُمَّ الخداعِ ! !

آهِ ، دعني من أحــاديثِ الصــراعِ
ضاعَ عمري ! ويحَ للعمرِ المُضاعِ

فالتمس نُهزَةَ حُبٍّ وَمَتَــاعِ
تحتَ أفقٍ صادحٍ صــافي الشعاعِ

يا شراعي ، طُفْ بهاتيكَ البقــاعِ
وتهيَّــأ للقــاءٍ ووداعِ !

★ ★ ★

أيهُــا البَحْرُ ! سفيني ما عرَاها ؟
رنَّحتهــا نبــأةٌ رقَّ صَــدَاهــا

أوَ حقاً قرُبَتْ من مُنتَهَــاهــا
هــذهِ المحنةُ وانجابَ دُجَاهــا ؟

أغــداً تستقبلُ الدنيــا مُنَاهــا
حرَّةً تشدو بمكنونِ هَوَاها ؟

وأرى حُـــرِّيةً عَـــزَّ حِمَـاهــا

لم يُضِعْ عُقباهُ من ماتَ فِـدَاها ؟

أيُّهــا الشرقُ ! تأمَّلْ ! ! أتـَراها ؟

أنتَ مِنْ داراتِهَا أينَ سَنـَاهــا ؟

ذُدْتَ عنهــا وتقــدمتَ خُطَاهــا

يومَ قالوا خَسِرَ الحربَ فَتَاها !

★ ★ ★

أيُّ بشـــرى زفَّهــا أرخــمُ لحنٍ ؟

من تُراه ذلكَ الطيفُ المغنِّي ؟

مسَّ قلبــي صــوتُهُ إذْ مسَّ أذني

ألِحُبٍّ ، أم لِسَلمٍ ، أم تمنِّــي ؟

يا بشيرَ السَّلمِ ، لا يكذِبْكَ ظنِّي

أنا ظمــآنٌ إلى الشـــدو ، فـزِدني

عبرتْ بي الخمسُ في صمتٍ وحُزْنٍ

أيُّ خمسٍ بعــدَهَا تمتدُّ سِنِّي ؟

صاحَ قلبي إنْ تَدعْني لستَ منِّي

إفتحِ البــابَ ونَحِّ القَيْدَ عنِّــي

آهِ ، دعنــي أبصرُ العــالَم دعنــي
قد سئمتُ اليومَ في أرضيَ سجني !

★ ★ ★

مــا ثوَائي في مكانٍ ، مــا ثوائي !
هوَ ذا الفجــرُ فهبُّوا أصــدقائي !

إفتحــوا نافذتي عَبْرَ الفضــاء
إفتحُوهــا لأرَى لونَ السمــاءِ

في ظــلالِ السَّلم أو نورِ الصفــاء
حنَّ قيثَاري لشِعري وغنــائي

فانشدوني بينَ أمواجِ الضيــاء
وانشدوا فوقَ « البحيراتِ » لقــائي

لا تقــولوا كيفَ يشكو من بقــاء
شــاعرٌ في موطنٍ حــالي الرواءِ

قد ظلمتمْ دعوتي ، يا أصــدقائي
وجهلتمْ مــا حيــاةُ الشعراءِ ! !

★ ★ ★

يا ابنةَ « الإيزارِ » حُيِّيتِ ، سَلاما
وغــراماً ، لا عتــابا ، لا مَلاما

هـذه الحـرب التي راعت ضـراما
شـبَّهـا طـاغٍ بِـوَاديك أقاما

ذُقْتِ في الغـربةِ وجـداً وَسقاما
أتراهـا لم تَطِبْ مصـر مُقاما ؟

مصـر كانتْ لمحبِّيهـا دوامـا
لم تُضِعْ عهداً ولم تَخْفُرْ ذِمَاما

فاذكـري في الغدِ أحبـاباً كـراما
إنْ ألمَّتْ بكِ ذكـرَاهـا لِمَامـا

واذكري بعضَ ليـاليهـا القُدَامَى
في ضفاف حَمَلَتْ عنكِ الهيَـاما

★ ★ ★

في ضفـافٍ كلُّ مـا فيهـا جميـلْ
تُنبِتُ الحبَّ ، وتُنمي ، وتُنيل

يخطـُـر الفَجْرُ عليهـا والأصيـلْ
بينَ صَفْصاف ، وحورٍ ، ونخيـل

يَدُ « هـاتورٍ » على كلِّ جميـلْ
تنثرُ النُّوَّارَ في كلِّ سبيـلْ

و « أزوريسُ » على الشطِّ الظليلْ

يَعْصُرُ الخمرَ ويَسقِي السلسبيلْ

هـــذه مصــرُ دياراً وقبيـــلْ !

ألهـا في هــذهِ الــدُّنيـا مثيــلْ ؟

عَـجَبَاً لي ، وعجيبٌ مـا أقولْ !

كيف يدعوني غداً عنهـا الرحيلْ ؟ !

من رمال المصيف

رسالة في قصيدة

الى التي خطرت كالشعاع ثم عبرت بغير سلام او وداع

إذا أقبلَ اللّيلُ ، يا حيرتي		تفقّدتُ في الشطِّ حوريّتي
وعدتُ كئيباً إلى غرفتي		أراعي الكواكبَ من شرفتي
وأشعلُ بالوجدِ سيجارتي		فلا البدرُ حبّبَ لي سهرتي
ولا البحرُ هدّأ من ثورتي		وحيداً تسامرني فكرتي

★ ★ ★

أأجلسُ ، يابحرُ ، وحدي هنا ؟		فأينَ من العَيْنِ ذاكَ السّنى ؟
وأينَ من القلبِ تلكَ المُنى ؟		وأينَ مواعيدُ نادتْ بنا ؟
وأينَ المساءُ الذي ضمّنا		لَدَيْكِ ، وألّفَ ما بيننا ؟
فيا وَيْحَ قلبيَ ماذا جَنَى ؟		ليحملَ هذا الأسى والضّنى !

★ ★ ★

خلا من مُحيَّاكِ هذا المصيفُ   وأقفَرَ ذاكَ النديُّ اللطيفُ

كأني به قد دهــاهُ الخــريفُ   فليسَ عليــه خيــالٌ مطيفُ

ذوى بِشْرُهُ ، فهو أفقٌ كسيفُ   وبرٌّ حــزينٌ ، وبحــرٌ لهيفُ

وَمَوْجٌ لَهُ أنّةٌ أو وجيفُ   وريحٌ تنوحُ ، وليلٌ شفيفُ

★ ★ ★

غــداً ، يا حبيبةُ ، عنــد المساءِ   ستسألُ عنــا نجومُ السمــاءِ

ألم يَضْربا مَوْعِــداً لِلِقــاءِ   على صخرةٍ بينَ رملٍ ومــاءِ ؟

أجــلْ ، يا حبيبةَ هــذا الضياءِ   ذهبنا وَعُــدْنا بحكمِ القضاءِ

غريبينِ نضــربُ عبر الفضاءِ   كأنّا علــى جَفْوةٍ أو تنــائي

★ ★ ★

مَدَدْتُ إليــكِ يَدَ الواثقِ   فعادتْ بلذعِ جوىً حــارقِ

وأبعدتِ ، يا رحمةَ الخالقِ ،   فَمَ الحبِّ عن نبعكِ الدافقِ

تعاليْ إلى روحي الوامقِ   تعــالي إلى قلبــي الخــافقِ

تعــالي على عهــدِكِ السابقِ   تعــالي إلى إلفِكِ العــاشقِ

بين كاتب وشاعر وخطيب

نشرت مجلة الرسالة في عدد نوفمبر سنة ١٩٤٠ هـذه القصيدة تحت عنوان (في مجالس الأدب) وقدمتها بالكلمة الآتيـة

نثبت هذه الدعابة المستطرفة من أسمار ندوة الأهرام في بعض الامسيـات بمكتب الاديب الـكبير الاستاذ أنطـون الجميل بك حيث تجـري الاحـاديث بروح الجـد تارة ، والتسلية تارة اخـرى ، وقد تسـاءل الأستاذ الكبير توفيق دياب عن وحي الشـاعر علي محمود طه وكيف طال اختفاؤه وسكوته في هـذه الايام ، وبدأ ينظم قصيدة على لسـان الشـاعر في هذا المعنى استهلها بالشطر الأول من مطلعها ، وأتمّ الجميل بك شطره الثاني ، وأملى الشـاعر البيت الثاني ثم ترسل ثلاثتهم في النظم حتى اتمها صاحب الوحي المفتقد.

يا وحـيَ شعـري ، أينَ أنـت

في أيِّ زاويـةٍ ركَنـْـتْ ؟

هـل رُحـتَ في إغمــاءةٍ ،

أم بالمخـدِّرِ قـد حـُقِنْتْ ؟

أم نِمتَ ، أم نامَ الزما
نُ ، أم اعتُقِلتَ أم انسجنتْ ؟

أم خِفتَ من قَلَمِ الرقيـ
ـبِ ، فما أشرتَ وما أبنتْ ؟

أم هل سُقِيتَ (كزوزةً) ،
أم هل حَسَوتَ (البرمننتْ)[1]

أم قد شربتَ زجاجةً
من صنعِ بارِ (الكونتننتْ) ؟[2]

أم في خزانة (صالحٍ)[3]
تركوكَ سهواً فاختُزِنتْ ؟

أم في البنوكِ لأزمةٍ
حَلّتْ بأهلِكَ قد رُهِنتْ ؟

---

(١) شراب اسمه البيرمنت ذكر هكذا للتخفيف

(٢) فندق الكونتننتال

(٣) الأستاذ صالح البهنساوي من سفراء صاحبة الجلالة ، له خزانة مشهورة داخلها مفقود وخارجها مولود

أم ذاكَ جنـدولُ الحبيـ
ـبِ ، إلى ليـاليهِ حَنَنْتْ ؟

وإلى عـروسِ البحـرِ همـ
ـتَ ، وفي شواطئهـا كمنتْ

أم زُغْـتَ يـومَ الانتخـا
بِ ولستَ عضوَ « البرلمنتْ »[1]

لـم تَـدْرِ مـا نالَ الـرئيـ
ـسُ ، أزادَ صوتاً أم (كرَنْت)[2]

أنكـرتَ ضَجـةَ معشـرٍ
لم يُنصفـوكَ وقد غُبِنْتْ

أم طِـرْتَ في جـو الحليفـ
ـفةِ مُنْجداً أبطال (كِنْتْ)[3]

يا وحـيُ ! كَـمْ من غـارةٍ
شعـواءَ فيهـا قد شَنَنْتْ

---

(١) البرلمـان

(٢) رقم ٤٠ بالفرنسية وفي هذا اشارة لانتخاب سعادة رئيس مجلس النواب

(٣) مقاطعة انجليزية ورد ذكرها كثيراً في أثناء الغارات الجوية على انجلترا

أم ثُـرْتَ للحقِّ الطـريـ
ـدِ ، وبالبطولةِ قـد فُتِنْتْ

فسللـتَ سيفَ مُـدافـعٍ
عن (كالمَاس) أو (كُرِنت ْ)[1] ؟

يا وحـي شعري ! مـا سكو
تُكَ في الخطوبِ ؟ ألا حزِنْتْ !

أفَقَـدتَ رُشْدكَ ، أم شعـ
ـورُكَ بالحياةِ ؟ إذَنْ جُنِنْتْ !

عشرونَ يومـاً جـاوزَ التقـ
ـديرُ فيهـا مـا ظَنَنْتْ

يا وحـيَ شعري ! مُـذْ نأ
يتَ وَهى بيـاني أو وهنـتْ

بعضُ القصـائدِ كالقـلا
عِ مشيَّـداتٍ بالسمنـت

(١) كالماس نهر في شمال اليونان اندحر عنـده الايطاليون ، وكورنت شبه الجـزيرة اليونانية وقد حاول الايطاليون تخريبها بالطائرات

من كـلِّ بيـتٍ مشـرِقٍ
يـُـزري بقصـر (اللابرنْتْ)[1]

أمسيتُ بعـدكَ ، كلَّ قا
فيـةٍ نطقتُ بهـا ، لحنتْ

يا وحـيَ شعري ! هل أسِرْتَ
وأنتَ تهجـمُ ، أم طُعِنْتْ ؟

أم غـُصْـتَ في لُجَجِ البحـا
رِ ، وفي مجـاهلهـا دُفِنتْ ؟

أبكي عليـكَ بكاءَ (لامـرتـ
ـين) قبـراً في (شـرَنتْ)[2]

يا وحـيَ شعـري ! أين أنت ؟
في أيِّ زاويـةٍ ركَنْـتْ ؟

(١) من قصور الفراعنة لا تزال آثاره بالفيوم

(٢) خليج سورنتي شمال نابلي وفيه قبر جرازيلا التي بكاها الشاعر الفرنسي لامارتين في قصيدته « الأسى الأول » وقد زار الشاعر هذا المكان خلال اقامته في جزيرة كابري

مخدع مغنية

شَاعَ في جوِّهِ الخيالُ ورفَّ الـ
ـحُسْنُ والسِّحرُ والهَوَى والمراحُ

ونسيمٌ معَطَّـر خفقتْ فيـ
ـهِ قلوبٌ ، ورفـرفتْ أرواحُ

وَمُنىً كُلُّهُنَّ أجنحةٌ تهفـ
ـو ، ودنيا بهـا يَدِفُّ جَنَـاحُ

وَمِنَ الزَّهـرِ حولهـا حلقـاتٌ
طابَ منهـا الشَّذَا ورقَّ النُّفـاحُ

حَمَلَتْ كلُّ باقةٍ دمعَ مفتـ
ـونٍ كما تحملُ النَّـدى الأدواحُ

وَهْيَ في ميعةِ الصِّبـا يزدهيهـا
ضَحِـكٌ لا تَمَـلُّه ومـزاحُ

وغنــاءٌ كأنَّ قـُمــريةً سَــكْــرَ
ى بألحــانِهَــا تشيعُ الــرَّاحُ

أخلصتْ ودَّهــا المــرايا فراحتْ
تتمــلَّى فتشــرقُ الأوضــاحُ

كَشَفَتْ عن جمــالِها كلَّ خــافٍ
وأباحتْ لهنَّ مــا لا يُبــاحُ

مَعبدٌ للجمالِ ، والسحرِ ، والفتـ
ـنةِ ، يُغدَى لِقدْسِهِ ويُراحُ

نامَ في بابهِ العــزيزُ (كيــوبيـ
ـد) ، ولكنْ في كفِّهِ المفتــاحُ

إنْ ينَمْ فالحيــاةُ شــدوٌ ولهــوٌ
أو يُنَبَّهْ فأدمعٌ وجــراحُ ! !

★ ★ ★

دخَلَتْ بي إليــهِ ذاتَ مساءٍ
حيــثُ لا ضجَّــةٌ ولا أشبــاحُ

لم نَكُنْ قبــلُ بالرفيقينِ ، لكنْ
هي دُنيــا تُتيحُ مــا لا يُتــاحُ

وَجَلَسْنا يهفو السكونُ علينا
ويرينا وجوهَنا المصباحُ

هتفتْ بي ترَاكَ من أنتَ ، يا صا
حِ ؟ فقلتُ المعذَّبُ الملتاحُ

شاعرُ الحبِّ والجمالِ ، فقالت
ما عليهِ إذا أحبَّ جُناحُ

واحتوى رأسي الحزينَ ذراعا
ها ، ومرَّتْ على جبيني راحُ

ورأتْ صُفرةَ الأسَى في شفاهٍ
أحرقتْها الأنفاسُ والأقداحُ

فمضت في عتابها كيفَ لمْ نَدْ
رِ بما برَّحتْ بكَ الأتراحُ ؟

إنْ أسأنا إليكَ فاليومُ يجزيـ
ـكَ بما ذُقتَه رِضىً وسماحُ

ولكَ الليلةُ التي جمَعَتنا
فاغتَنِمْها حتى يلوحَ الصباحُ ! !

* * *

قلتُ حسبي من الربيعِ شذاهُ
ولعَيْنيَّ زهرهُ اللمَّاحُ

نحنُ طيرُ الخيالِ، والحسنُ روضٌ،
كلُّنا فيه بلبلٌ صدَّاحُ

فَنِيَتْ في هواهُ منا قلوبٌ
وأصابت خلودَها الأرواحُ ! !



القبَّــرة

عن الشاعر الانكليزي بيرسي بيش شيليّ

يا أيهـا الرُّوحُ يهفو حَوْلَهُ الفَرَحُ
تحيَّةً ، أيُّهــذا الصادحُ المَــرِحُ

من أمَّةِ الطَّيْرِ هذا اللحنُ ما سمِعتْ
بمثله الأرضُ ، لا روضٌ ولا صَدَحُ

أنت الـذي من سمـاءِ الرُّوحِ منهلُهُ
خمـرٌ إلهيـةٌ لم تَحنوِهَا قَـدَحُ

يفيضُ قلبُـك ألحـاناً يُسلسِلُها
فنٌّ طليقٌ من الوجـدانِ منسرِحُ

★ ★ ★

وعاليـاً ، عاليـاً ، لا زلتَ منطلقاً
عن الثرى ، تصِلُ الآفاق آمادا

مثلَ السحابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةً ،
والبرقِ مؤتلقـاً ، والنَّجـمِ وقّادا

يهفو جَنَاحاكَ في أعمـاقِ زُرْقَتِها
وأنتَ تَضْرِبُ في الآفاقِ مُـرتادا

تشدو فَتَمْعِنُ في أجوازِهَا صُعُداً
فإنْ عَلَوْتَ بهـا أمعنتَ إنشادا

★ ★ ★

ومـائجٍ ذَهبي النّـورِ قد غـرقتْ
في ذَوْبِهِ الشمسُ عَبْرَ العالمِ الثاني

تُوَهّجُ السُّحبَ البيضاءَ حُمـرتُه
فَتَسْتَحيلُ عليهـا ذاتَ ألوانِ

أشعـةٌ ذاتُ أمواجٍ غَـدَوْتَ بهـا
تطفو وترسبُ في لُجيّهـا القـاني

كأنمـا أنت ــ جـذلاناً تراوحنـا ــ
روحٌ من الطـرَب العـلويِّ نوراني

★ ★ ★

تذوبُ حـولكَ إمّا طِـرْتَ في أفُقٍ
غلالةُ الأرجوانِ الشـاحبِ السـاجي

كنجمـةٍ في سمـاءِ اللّيـلِ خـافقـةٍ
تذوبُ في فَلَقٍ للصبحِ وهّـاجِ

يا من تُطـرِّبني ألحـانُ غِبْطَتِـهِ
ومـا رَأيتُ لَهُ طيفـاً بسعـراجِ

ألاّ أراكَ فإني سـامـعٌ نغمـاً
يهفـو إليَّ بإطـرابٍ وإبهـاجِ

★ ★ ★

وصـاعداً في مضـاءِ السهمِ أرسـلَهُ
قوسٌ من الكَوْكبِ الفضي منـزعهُ

ينـأى فيخبو رويـداً وهَجُ شُعلَتهِ
حتى يُلاشَى كأنَّ الفجـر يتبعهُ

ونرسـلُ العينَ نرعـاهُ هنـا وهنـا
وما يبينُ لنـا من أينَ مطلعهْ

حتـى إذا عـزَّنا المـرأى وأجهـدنا
دلَّ الشعورُ على أنْ ذاكَ موضعهُ ! !

★ ★ ★

هــذي السمــاءُ بموسيقاكَ مــائجةٌ
والأرضُ يغمرُها من صوتكَ الطرَبُ

وصفحةُ الليــلِ أصفى ما يكونُ سوى
غمــامةٍ خلّفَتها وَحْــدَها السُحُبُ

وقد بدا القمَرُ الوضّــاحُ يُمطرهــا
إرسالَ ضوءٍ على الآفاقِ يَنْسَكِبُ

يرمي السمواتِ سيــلٌ من أشعّتِهــا
تكادُ تسبحُ في طوفانِهِ الشُهُبُ

★ ★ ★

من أنتَ ، يا من يجوبُ اللّيلَ منفرداً
ولم تقــعْ لي عليــهِ بَعْدُ عينــانِ ؟

أيَّ الخليقةِ قل لي أنتَ تشبهُه
وأيهـــا منـــكَ في أوصــافِهِ داني ؟

وهــذه السُحْبُ أصباغاً مُشَكّلَةً
في رائعٍ من فَريدِ اللّونِ فتّــانِ

لا ينزلُ الغيثُ منهــا مثلمــا نزلتْ
شتّى أغانيــكَ في سحريٍّ ألحــانِ !

★ ★ ★

كشــاعرٍ في سمــاءِ الفكرِ مُختبيءٍ
دلَّ الوجودَ عليــه لحنُه العـــالي

ألحــانُ أغنيةٍ أمسى يُرتِّلهــا
كمرســلٍ من نشيدِ الخُلْدِ سيَّالِ

أسَلْنَ بالعــالمِ الســالي خوالجَهُ
حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخــالي

بعَثْنَ من ألمٍ فيــهِ ومن أمَلٍ
مــا لم يكنْ منهُ في يومٍ علــى بالِ

★ ★ ★

كأنَّ حــوريةً في ظــلٍّ شــاهقــةٍ
من البروجِ تقضِّي العيشَ فيخَلَسِ

لم يُغمضِ النومُ عينيها ولا خمدَتْ
نيرانُ قلبٍ لها في فَحْمَةِ الغَلَسِ

باتتْ تلطِّف آلامــاً تســاوِرُهــا
في عــزلة بنشيدٍ ســاحرِ الجرسِ

تطوفُ ألحــانُ موسيقاهُ مُخدعهــا
كأنهُ الحبُّ في إيقاعهِ السَّلِسِ

★ ★ ★

كأنَّ بين الـرُّبا التفّتْ خمـائلُهـا
فراشةٌ من سبيكِ التِّبرِ جَـلواءُ

يا حسنَ أجنحـةٍ منهـا مـذهبـةٍ
قد رقّشتها مِنَ الأسحارِ أنداءُ

تـُرِي السماءَ صفاءً فهي إنْ خطرتْ
فللسماءِ بهـذا اللَّـونِ إغـراءُ

تجلو الأزاهر والأعشابَ طلعتُهـا
إذا بدتْ ولهـا فيهنَّ إخفـاءُ

★ ★ ★

كزهـرةِ الحقلِ في غَيْناءِ سُرْحتِها
لم يملأِ النورُ منْ أجفانِهـا حدَقا

حتى إذا لَفَحَتْها الريحُ هـاجـرةً
زكتْ وأربتْ على أملودِهَـا ورَقا

وأرّجَ الحقـلَ من أنفاسِهـا عبقٌ
يشوقُ كلَّ جنـاحٍ نحوهـا خَفَقَا

تهفو إليهـا من الأنسـامِ أجنحـةٌ
منْ كلِّ مُنطلقٍ من عطرِهَـا سَرقا

★ ★ ★

ووقعُ لحنكَ في الأسحارِ أرخمُ من
وقعِ النَّدَى فوقَ أعشابِ البساتينِ

قد نقَّط الـزَّهَـرَ المنضورَ سلسلُه
وجـادَ بالطـلِّ أفوافَ الـرياحينِ

يا منْ على صوتهِ في الأفْقِ منسجماً
تصحو الأزاهـر في أفنانِهـا الغينِ

كلُّ البدائِعِ مهمـا افتنَّ مبدعُهـا
لم تَعْدُ لحنَكَ في صَوْغٍ وتلحينِ

★ ★ ★

قل لي: أمن مَلَكُوتِ الرُّوحِ منطلقٌ
أم طائرٌ أنتَ في الآفاقِ هيمـانُ ؟

أيُّ الخواطِرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجٍ
يُشيعها منكَ في الأرواحِ وجدانُ ؟

لم تشـرئبَّ قلوبٌ من أضـالعهـا
لغـيرِ صَوْتِكَ أو تنصبَّ آذانُ

حـديثُ حبٍّ وخمرٍ باتَ يسكبُهُ
من جـانبِ اللهِ أنغامٌ وألحـانُ !

★ ★ ★

من أينَ تلك الأغاني أنتَ ترسلُهَا ؟
من أيٍّ مطَّرِدِ الينبوعِ مُنسَجِمِ
من أيٍّ ثائرةِ الأمْوَاجِ زاخــرةٍ ؟
أيٍّ السهولةِ والأغــوارِ والقِمَمِ ؟
من أيٍّ ضــاحِية الآفاقِ صــاحيةٍ ؟
أيٍّ السهولةِ والأغــوارِ والقِمَمِ ؟
وأيٍّ حبٍّ أليفٍ مِنــكَ أو وطنٍ ؟
وأيٍّ جهــلٍ لمــا نلقــاهُ من ألمِ ؟

★ ★ ★

وفي منــامِكَ والآفاقُ حــالمة
وفي انتبــاهكَ والظلمــاءُ إصغــاءُ
لا بــدَّ من نبــإٍ للمــوتِ تعــرفهُ
وفي فؤادكَ عنــهُ اليــومَ أشيــاءُ
لأنتَ أعمــقُ فكراً في حقــائقــهِ
ممــا نراهُ ونحنُ اليــومَ أحيــاءُ
أو لا ! فكيفَ انسجامُ اللَّحنِ مطَّرداً
يُجريهِ من رائقِ البلّورِ لألاءُ ! ؟

★ ★ ★

إنا نفكّرُ في مــاضٍ بلا أثَرٍ
ومقبــلٍ من حيــاةٍ كلهــا غيــبُ

ومستحيلٍ نرجِّي برقَ ديمَتِـهِ
وكــلُّ مــا نرتجيهِ منــهُ مختلبُ

وكم لنــا ضحكاتٌ غــيرُ صــادقةٍ
مالم يشبْ صفوَها التبريحُ والوصَبُ

وإنَّ أشهى الأغــاني في مســامِعِنَا
ماسالَ وهو حزينُ اللحنِ، مكتئبُ !

★ ★ ★

هَبْنَا على رُغْمِ هذا ليسَ يَجمعُنَا
بالحقدِ أو كبرياءِ النَفسِ أوهــاقُ

فلا القلوبُ لدى البأســاءِ جــازعةٌ
ولا بهنَّ إذا رُوِّعنَ إشفــاقُ

وإننــا قد دَرَجنــا في خَليقتِنَـــا
بلا دمــوعٍ تــذرِّيهنَّ آمــاقُ

فكيفَ كنــا إذاً نلقــاكَ في فرحٍ !
أو يغمر الروحَ لحنٌ منهُ رَقْراقُ ! ؟

★ ★ ★

يا أعـذبَ الطيرِ موسيقى وأروعَهَا
من كـلٍّ رائقٍ أنغـامٍ وألحـانِ

ويا أعـزَّ لنـا من كلِّ مـا جمعتْ
نفائسُ الكُتْبِ من دُرِّيِّ تبيـانِ

يا مـا أحقَّ اقتداراً منـكَ قدرتهُ
بشـاعرٍ لَبِقٍ التصـويرِ فنّـانِ

أنتَ المبرَّأ في حبٍّ وعـاطفةٍ
يا من تعـاليتَ عن أرضٍ وإنسـانِ

★ ★ ★

أمـا تُعلِّمني ممـا يفيضُ بهِ
غنـاؤكَ العَذْبُ تطراباً وتحنـانا !

ذاكَ الحنونُ الـذي يُهدي توافقهُ
إليَّ من صَدَحَاتِ الخلدِ ألحانا !

ألستَ تُلهمني وحيـاً يفيضُ به
فمي ، فأملأُ قلبَ الكونِ إيمـانا !

أشـدو فيُلقي إليَ الكونُ مِسمعهُ
يُصغي إليَّ كمـا أصغي لَكَ الآنا !

موت الشاعر

في رثاء صديقه الشاعر النابغة
محمد عبد المعطي الهمشري

شعراءَ الشبابِ ، خرَّ عن الأيكـ
ـةِ شادٍ مخضَّباً بجراحِهْ
مات في ثغرِه النشيدُ وجفَّتْ
خمرةُ الملهَمينَ في أقداحِهْ
ضِفةُ النيلِ ، وهي بعضُ مغانيـ
ـهِ ،صَحتْ تسألُ الرُّبى عن صَداحِهْ
أين منها صداهُ في ذُروةِ الفَجـ
ـرِ ، وهمسُ الأنداءِ حولَ جناحِهْ
بُوغِتتْ بالصباحِ أخرسَ إلاَّ
جهشةَ الشعرِ أو شجيَّ نواحِهْ

نبأٌ جاءَني ، فأسلَمَ عقلي
لضَلالٍ هدَّتْهُ بافتضاحِهْ

لو رماهُ فَمُ القضاءِ بسمعي
خِلتُهُ بعضَ لَهْوِهِ ومزاحِهْ

فلسفتكَ الحياةُ ، يا حاملَ المصبا
حِ ، والأفقُ مائجٌ بصَباحِهْ

صِفْ لنا صرعةَ الذُّبالِ وماذا
قد أصابَ الحكيمَ في مصباحِهْ

شاطيءٌ فوقَ صدرِهِ يفهقُ المو
جُ ،وتهوي الصخورُ تحتَ رِياحِهْ

ضلَّ في جُنْحِ ليلهِ زورقي الطا
في ، وضاعَ المجدافُ من مَلاَّحِهْ

جُزْتَهُ أنتَ ،في خُطى العاشقِ الباسِ
ـمِ ، يهفو الحنينُ ملءَ وشاحِهْ

قُمْ ، فقد أقبلَ الشتاءُ وأومتْ
سنبلاتُ الوادي إلى أشباحِهْ

أَلَهُ من هُتافِكَ العَذْبِ داعٍ
يُنْطِقُ الواجماتِ من أدْواحِهْ ؟

عَبرَ النهرَ والنخيلَ إلى أنْ
جاءَ مثوىً رَقَدْتَ في صُفَّاحِهْ

حملَ العهدَ عن قلوبِ الحزانى
فدعا المعوِلاتِ من أرواحِهْ

ألثلاثونَ لم تَكُنْ عمرَكَ السَّا
دِرَ في فتنةِ الصِّبا ومراحِهْ

إنها خفقةُ الفؤادِ ، وسهدُ العـ
ـينِ ، في حَوْمَةِ العُلا وكفاحِهْ

إنَّها قِصةُ الصديقِ ، ومأسا
ةُ شهيدٍ مكلَّلٍ بنجاحِهْ !

راكبة الدّراجة

رآها مرحة شائقة ذات صباح في الطريق
الصاعد من هرميتاج الى فيتنا

تمهّلي فراشةَ الصَّباحِ
أسرفتِ في الغُدوِّ والرَّواحِ

ماذا ارتيادُ الطُّرُقِ الفِساحِ
والوثبُ فوقَ العُشبِ والصُفَّاحِ

بين الرَّوابي الخُضرِ والبطاحِ
بالشَّعَرِ المهدَّلِ السبَّاحِ

كالموجِ تحتَ العاصفِ المجتاحِ
والنهدِ وهو مُطلَقُ السراحِ

يخفقُ بين الصدرِ والوشاحِ
والساقُ خلفَ الساقِ في كفاحِ

في حَلْقَةٍ طاغيةِ الجماحِ
تدورُ مثلُ البارقِ اللمَّاحِ

تودُّ لو طارتْ مع الرياحِ
وحلَّقَتْ في كبدِ الصُّراحِ

بلطفِ هذا الجسدِ الممراحِ
وخِفَّةٍ في روحكِ الصداحِ

تكادُ تُغنِي الطيرَ عن جَنَاحِ !
يا لهَواءٍ عابثٍ مفراحِ

سكرانَ ، لا من خمرةِ الأقداحِ
بَلْ من صِباكِ ، والصِّبا كالرَّاحِ

يرفعُ طرفَ الثوبَ في مزاحِ
لا يَنتَحي من لائمٍ ولاحي

قد آذَنَ الفخذينَ بافتضاحِ
ونَمَّ عن خميلةِ التُّفَّاحِ

فوقَ كثيبِ الوردِ والأقاحي !
أخشى على حُسْنهما الوضَّاحِ

عَيْنَ اشتهـاءٍ وَيَدَ اجتراحِ

بل صـرتُ أخشى ثورةَ الأرواحِ

في مثلِ هـذا الحَرَمِ المُبَـاحِ

وَدِدْتُ لو بالـروحِ أو بالرّاحِ

صُنْتُهُما حتّى عن الصبـاحِ !

في الخريف

عن الشاعر پول ڤرلين

تنهداتُ الرياحِ
رتيبةُ النواحِ
تجرحُ قلبي بها قيثارةُ الخريفِ
وثمَّ صوتٌ عابر
مِنَ السنينِ الغوابر
يهتف بي فأصعي للهاتِفِ المُطيفِ
ويستفيضُ خيالي
بالذكرياتِ الخوالي
أنشدها فأبكي بالمدمعِ الذَّريفِ
وعندَ ذا تحملني
وُرَيقةٌ من فَنَنِ
قد ذبلتْ وانطلقتْ في العاصفِ الشفيفِ

شهيد ميسلون

في فجر يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ سار الى ساحة ميسلون القائد السوري العظيم « يوسف العظمة بك » مدافعا عن دمشق بما أمكن حشده من جنود سورية البواسل، مواجها هجوما مفاجئا لجيش فرنسي يفوقه اضعافا في العدد والعتاد ، فكان ذلك البطل الصنديد اول مستشهد في المعركة وكان استشهاده رمز الوفاء ومثل الفداء ، واول جذوة نفخت نارها في الثورة الوطنية السورية التي انتهت أخيراً بتحرير الوطن من ربقة الاستعباد . ان ذكرى شهيد ميسلون اجمل تحية يقدمها الشعر اليوم لدمشق المحررة المستقلة

هبَّ الكميُّ على النفير الصَّادحِ
مهلاً ! فديتكَ ، ما الصباحُ بواضحِ

أيُّ الملاحمِ بينَ أبطالِ الوغى
فَجِئتَكَ بالشوقِ الملحِّ البارحِ ؟

فقضيتَ ليلَكَ لا هدوءَ ولا كرىً
ووثبتَ في غَسَقِ الظلامِ الجانحِ

والشرقُ من خلفِ الجبالِ غمــامةٌ
حَمْراءُ تَرْعَشُ في وميضٍ لامحِ

سَلتَّتْ حــرابَ البرقِ فوقَ سمائه
هوجــاءُ تُنذرُ بالقضــاءِ الجــائحِ

هي صيحةُ الوَطَنِ الجــريحِ وأمةٍ
هانتْ على سيفِ المغــيرِ الطــامحِ

قَرَنَتْ بحظكَ حظَّهــا فتماسكتْ
تَرْعَى خُطــاكَ على رُبىً وأباطحِ

في مَوْكب الفادينَ مجدُ « أمَيَّةٍ »
بجوانحٍ مشبــوبةٍ وَجَوَارحِ

لو قِسْتَهم بعــدوِّهم وســلاحهِ
أيقنتَ أنهمو فريســةُ جــارحِ

ألخائضونَ الفَجر بحــر مصارعٍ
ألسابحونَ علــى السَّعــيرِ اللافحِ

ألنــاهضونَ على السيوفِ وتَحتها
شتَّى جَمــاجم في الترابِ طــرائحِ

ألرابضونَ على الحصونِ خرائباً
مُهَجاً تَضَرَّمُ في حُطام صفائحِ

صرعى ولو فَتَّشتَ عن أجسادهم
ألفيتَ ، ما ألفيتَ غير جرائحِ

يا « ميسلونُ » شهدتِ أي روايةٍ
دمويةٍ ، ورأيتِ أيَّ مذابحِ

ووقفتِ مُثْخَنَةَ الجراحِ بحومةٍ
ماجتْ بباغٍ في دمائكِ سابحِ

تتأملينَ « دمشقَ » يا لهوانها !
ذاتُ الجلالةِ تحتَ سيفِ الفاتحِ !

جرَّت حَديدَ قيودها وتقدَّمتْ
شمَّاءَ من جلاَّدها المتصايحِ

نَسيَتْ أليم عذابها وتذكرتْ
في « ميسلونَ » دَم الشهيدِ النازحِ

من هبَّ في غَسَقِ الظلام يحوطها
بذراعِ مقتتلٍ وصدرِ مُكافحِ

وتَسمَّعتْ صـوتاً فكان هتـافُهُ
يا للحبيبِ من المحبِّ البـائحِ !

أمَّاهُ ! خـانتني المقـادرُ فاغفـري
قَدَري ، وإن قلَّ الفداءُ فسامحي !

★ ★ ★

« فيحاءُ » إن نَصَّتْ حواليكِ القرى
أعلامَهـا ، وازَّينت بِمصـابحِ

وتواكبَ الفُـرسانُ فيـكِ وأقبلوا
بالغَـارِ بين عَصـائبٍ ووشـائحِ

وشـدا الرعـاةُ الملهمونَ وأغـرقوا
أبهـاءَ ليلكِ في خِضَمٍّ مفـارحِ

أقبلتُ بين صفوفهمْ مُتَقَـرِّباً
بأزاهـري ، مترنمـاً بمـدائحي

حيثُ الشهيدُ رنا لمطلعِ فَجرِهِ
ورأى الغمـائمَ في الفضاءِ الفـاسحِ

وتَلفَّتتْ لكِ روحُهُ فتمثَّلتْ
وَجهَ البطولةِ في أرقِّ ملامحِ

حيث الربى في « ميسلونَ » كأنما
تهفو إليهِ بزهرها المتفاوحِ

وكأنما غسلَتْهُ « بغـدادية »
بدموعِ مَلْكٍ في ثراكِ مراوحِ

أسعى إليهِ بكلِّ ما جمعتْ يدي
وبكلِّ ما ضمَّتْ عليه جوانحي

وهو الجديرُ بأن أحَيِّيَ باسمهِ
في الشرقِ كلَّ مناضلٍ ومنافحِ

من كلِّ حُرٍّ ، نافضٍ مما اقتنى
يَدَهُ ، ووهَّابِ الحشاشةِ مانحِ

أو كُلِّ فادٍ بالحياةِ عشيرَهُ
لا القولِ في خُدَعِ الخيالِ السانحِ

★ ★ ★

قُلْ للدعاةِ المحسنينَ ظنونَهم
بالغربِ ماذا في السَّرابِ لماتحِ ؟

لا تغرينَّكمو وعودُ محالفٍ
يطأ الممالكَ بادِّعاءِ مصالحِ

تمضي السنونُ وأنتمو من وَعدِهِ
تَتَقَلَّبونَ على ظهورِ أراجحِ

واللهِ لو حَسَرَ القناعَ لراعكمْ
قبرٌ أعدَّ لكم وخَنْجَرُ ذابحِ

من كلِّ مصّاصِ الدماءِ مُنَوَّمٍ
يُدْعَى بمنقذِ أمةٍ وَمُصالحِ !

يا «يوسفُ» العظماتِ غرسُكَ لم يَضعْ
وجَنَاهُ أخلدُ من نتاجِ قرائحِ

قُمْ لحظةً وانظرْ «دمشقَ» وقلْ لها
عادَ الكميُّ مع النفيرِ الصّادحِ

ودعاكِ ، يا بنتَ العروبةِ ، فانهضي
واستقبلي الفجرَ الجديدَ وصافحي !

تاييس الجديدة

ليلة اول اغسطس سنة ١٩٣٩ ، بمدينة زيوريخ ، على شاطىء بحيرتها اذ احتفل بعيد سويسرا الوطني الاكبر ، بين المواكب الصاخبة المرحة ، وانوار المشاعل والاسهم النارية ، وأضواء معرضها العظيم

روحي المقيمُ لديكِ ؟ أم شَبَحِي ؟
لعبتْ برأسي نَشْوَةُ الفَرَحِ !

يا حانةَ الأرواحِ ، ما صَنَعَتْ
بالرُّوحِ فيكِ صُبابةُ القَدَحِ

ما للسماءِ أديمُهَا لَهَبٌ ؟
ألفجرُ ؟ إنَّ الفَجْرَ لم يَلُحِ !

ولِمَ البحيرةُ مثلما سُجِرتْ
أو فُجِّرَتْ من عِرْقِ مذَبِحِ !

نارٌ تَطيرُ ، وَمَوْكبٌ صَخِبٌ
من كـلّ ساهي اللحظِ منسرِحِ

لولا ابتسامةُ جـارتي ، وفمٌ
يـدنو إليّ بِصَـدْرِ منشَرِحِ

لحسبتُها « رومـا » تمورُ لظى
في قَهْقَهَاتِ السـاخرِ الوَقحِ

زهـوٌ تملـّكَني ، فأذهلني ،
ومنَ الذهولِ طـرائفُ المُلَحِ

أأنا الغـريبُ هنـا وملءُ يدي
أعطافُ هـذا الأغيَدِ المَرِحِ ؟

خَفقتْ علـى وجهي غـدائرُهـا
فَجَذَبتُهـا بذراعِ مجتَرِحِ

لم أدرِ ، وهيَ تُديرُ لي قدحي ،
من أين مُغتبَقي ومُصطبَحي

وشدا المغنّي ، فاحتشدتُ لهـا
كم للغنـاءِ لديّ من مِنحِ ؟

عَرَضَتْ بفاكهةٍ محرَّمةٍ
وعرضتُ،لَمْ أنطِقْ وَلَمْ أبُحِ !

يا ربِّ ، صُنْعُكَ كلُّه فتنٌ
أين الفرارُ ، وكيفَ مُطَّرحي !

هذي الروائعُ ، أنتَ خالقُها
ما بينَ مُنجرِدٍ ومتَّشِحِ

« تاييسُ » لم تعبَثْ براهبها
لكنَّهُ أشفى على البَرَحِ

ما بينَ أسرارٍ مُغلَّقةٍ
وطروقِ بابٍ غيرِ منفتحِ

عَرَضَ الجمالُ له فأكبَرَهُ
ورآكَ فيهِ فجُنَّ من فَرَحِ

أتَرى مُعاقبتي على قَدَرٍ
لولاكَ لم يُكتَبْ ولم يُتَحِ ! ؟

إنّي عبدتُكَ في جَنَى شفةٍ ،
ويدٍ ، ووجهٍ مُشرقِ الوَضَحِ

ولو استطعتُ ، جعلتُ مسبحتي
ثَمَرَ النهودِ، وَجُلَّ فيالسُّبَحِ

إلى الطبيعة المصرية
خواطر حزينة

لِمَ أنتِ ، أيتُها الطبيعةُ ، كالحزينةِ في بلادي ؟
لولا أغاريدٌ ترسّلُ بينَ شاديةٍ وشادي
وخيالُ ثوْرٍ حولَ ساقيةٍ يُراوحُ أو يُغادي
وقطيعُ ضأنٍ في المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهوادي
لحسبتُ أنكِ جنّةٌ مهجورةٌ من عهدِ عادِ
هجروكِ ،لا كنتِ العقيمَ ولستِ مُنجبةَ القتادِ
عجباً ومـاؤكِ دافقٌ ونجومُ أرضكِ في اتقادِ
حُسنٌ يروعُ طِرازُه ويُملُّ في نسقٍ مُعادِ
أرنو إليهِ ولا أحِسُّ بفرحة لكِ في فؤادي
حسناءَ ، ساذجةَ الملامح ، في إطارٍ من سوادِ

دِمَنٌ يُقالُ لهـا قُرىً غرقى أباطحَ أو وهـادِ
ألطينُ فيهـا واليراعُ أسـاسُ رُكْنٍ أو عمـادِ
يأوِي لهـا قومٌ يقـالُ لهـم جبـابرةُ الجـلادِ
وهمـو ضعـافٌ أوثروا بشقـائهـم بينَ العبـادِ
ألمـكثرون الـزادَ لم يتمتعوا بوفـيرِ زادِ
لهمو الغراسُ ورَعْيُهُ ، ولغيرهمْ ثمرُ الحَصَادِ
لو كنتِ في الغربِ الصَّناعِ لكنتِ قِبلةَ كلِّ هادي
وافتنَّ فيـكِ الفنُّ بالروحِ المُحـرِّكِ للجمـادِ
وتفجَّرَ المَـرحُ الحبيسُ بكلِّ ناحيـةٍ ووادي
ولقلتُ أبتدرُ الشُداةَ غـداةَ فجـرٍ أو تنـادي
هذي الروائعُ فيكِ لم تُخلَق لغيركِ ، يا بلادي !

صاحب الأهرام

رثى الشاعر بهذه القصيدة « جبرائيل باشا تقلا ». وفيها يشير الى ندوة « الأهرام » واسمارها وسمارها

هَلْ كُنْتَ بينَ الموتِ والميلادِ
إلاّ حياةَ مآثرٍ وأيادي ؟

وهل استطبْتَ على الرّفاهةِ والصّبا
إلاّ نهارَ ضنى ، وليل سُهادِ ؟

وكفاحَ أيامٍ ، وعَرْكَ شَدَائدٍ ،
بجميلِ صبرٍ ، أو طَويلِ جِهَادِ ؟

مُتواضعاً ، مترفّعاً ، تَرْقَى الذُّرَى
في مِثْلِ صَمْتِ الكَوْكَبِ الوقّادِ

يُلْقي أشِعّتَهُ هُنَاكَ وههُنَا
ويُضيء في الأغوارِ والأنجادِ

أهرامُكَ المُثلى تتاجُ قرائحٍ
خلاّقةٍ مَوْصولةِ الإمدادِ

دُنيا من الفِكرِ الطليقِ ، وعالمٌ
رَحبُ الجوانبِ ، شاسعُ الآمادِ

تَهدي الحَيارى المُدلجينَ كأنّها
في شاطيءِ الوادي مَنارةُ هادي

قُمْ ، يافتى « الأهرامِ » ، وانظُرْ رِفقةً
ينتظرونَ خُطاكَ في الميعادِ

ويُسائلونَ بِكَ العشيَّ كدأبهم
هذا النديُّ ! فأينَ صَدْرُ النّادي ؟

يا لَهفَ ، ما علموا بأنّكَ مُزْمِعٌ
سَفرَ الحياةِ ورِحلةَ الآبادِ

يا لَهفَ ، ما ظَفِروا كما عَوَّدْتهمْ
عِندَ الوَداعِ بنَظْرةٍ وتَنادي

حينَ الوفاءُ الجمُّ شيمتُكَ التي
أسَرَتْ قلوبَ أحبّةٍ وأعادي

دَخلوا عَليكَ البيتَ جسماً ضَارِعاً
مُتَفَرِّداً ، والموتُ بالمِرْصَادِ

والفكرُ صحوٌ ، والجبينُ شَعَاعَةٌ
ألاَّقةٌ ، والروحُ في إيقادِ

والشمسُ بين سَحَابَتَيْنِ تَدَجَّتَا
رَمَقٌ يُصارعُ حَيْنَهُ ويُرادِي

في شَاطِيءٍ قاني المياهِ كأنها
مَصْبُوغَةٌ بدَمِ النهارِ الفَادي

هِيَ صورةٌ لَكَ ، والمساءُ مقاربٌ ،
والرُّوحُ رَكبٌ ، والمنيَّةُ حادي

والقلبُ في كفِّ القَضَاءِ فَراشَةٌ
رفَّافَةٌ ، والعُمرُ وَشْكَ نَفَادِ

عجباً أيشكو قَلبَهُ مَنْ قَلبُهُ
كنزُ الرِّضَى ، والخيرِ ، والإسعادِ !

وتخونه الأنفاسُ وَهْوَ رَحَابَةٌ
كم نَفَّسَتْ عن أمَّةٍ وبلادِ ؟

وإذا أتى الأجَلُ النفوسَ فلا تَسَلْ
عَنْ صِحَّةِ الأرْوَاحِ والأجْسَادِ

أأبا بشارةَ لا يَرُعْكَ بُعادُهُ
مصرُ اجْتَنَبَتْهُ فلا تَرُعْ ببعادِ

آثرْتَهَا بهوَاكَ ، يا لغرَامِهَا !
هِيَ مِصْرُ مَهْدُ الموتِ والميلادِ

حَفِظَتْ لِوَالدكَ الصنيعَ المجتبَى
وَرَعَتْ فتاهُ البرَّ في الأولادِ

ورأتْ نجيبكَ فاستفاضَ حَنَانُهَا
لسميِّهِ المرجو في الأحفَادِ

ذَكَرتْ بِيُتْمِكَ يُتمَهُ فتفجَّرتْ
حبّاً ، وقبَّلَتِ الرجاءَ البادي

لُبنانُ نازعها هواكَ وما أرَى
لبنانَ إلاّ من ضِفَافِ « الوادي »

«الأرْزُ» فيهِ « والنخيلُ» كلاهُمَا
أعشاشُ حبٍ أو خمَائلُ شادي

أرضُ العروبةِ لاتخومَ ولا صُوىً
ما مصرُ غيرُ الشّامِ أو بغدادِ

وَأخوّةٍ بالمَسجِدَينِ وجيرةٍ
من آلِ « طارقَ » أو « بني عبّادِ »

قَسَماً بأمساءِ النديّ ، ومجلسٍ
متألّقٍ بالرفقةِ الأمجادِ

وجَمَالِ أسحَارٍ ، وطيبِ أصائلٍ
بالذّكرَياتِ رَوَائحٍ وغوَادي

ومحبّةٍ للخيرِ صَفْوُ مِزاجِهَا
مرضاةُ نفسٍ أو عَزاءُ فؤادِ

ألاّ استمعتَ إلى رفاقكَ ليلةً
والنارُ في مُهَجٍ وفي أكبادِ

جَمَدَ المدادُ على شَبَا أقلامهمْ
فصريرُها نَوْحٌ ولحنُ حدادِ

واحسرتا ! أيُّ الرثاءِ أصوغُه
لوفاءِ حقٍّ محبتي ووِدادي ؟

أرثيكَ للأمَمِ التي شاطرْتَهَا
كُرَبَ الخطوبِ وَفَرْحَةَ الأعيادِ

وأذعتَ دَعوَتَهاوجُزْتَ بِصَوتِها
في المَغْرِبينِ شَوَامِخَ الأطْوَادِ

وَوَصَلْتَ بَيْنَ قَرِيبِهَا وبعيدِهَا
رَحِمَ العروبَةِ أو عُهُودَ الضَّادِ

قم حَدِّثِ القُرّاءَ عما شِعْتَهُ
في العَالَمِ المُتَنَافِرِ المُتَعادي

وصفِ الممالكَ والشعوبَ كما ترى
بِبَرَاعَةِ الوَصَّافةِ النقّادِ

تَطْوي الغَمائمَ والخَضارِمَ والثّرى
وتَجُولُ بين حَوَاضرٍ وبَوَادي

بفَطَانَةِ الصحفيِّ وهي بَصِيرَةٌ
تَغْزُو وتفتَح مُغْلَقَ الأسدادِ

يا رُبَّما نَبَأ أثَار بوقْعِهِ
ما لا تُثيرُ مَلاحِمُ الأجنادِ

وهَـــدَى قبيلاً أو أضـــلَّ جمـــاعةً

لسبيلِ غيٍّ أو سبيلِ رَشَــادِ

وَالَهْفَ نفسي كم تَمَنَّيْتَ المُنَى

يومَ السيوفِ تَقَرُّ في الأغمادِ

هل كنتَ تُبصِرُ من حَضارةِ عصْرِها

إلا نثير حجـارةٍ ورَمَـــادِ

إنَّ السَّـــلامَ الحقَّ مـــا آثرتَهُ

والأرضُ غـرقى في دَمٍ وسَـــوَادِ

والنـــاسُ ما زالوا كمـــا خَلَّفتَهُمْ

صَرْعَى الهوى وفرائسَ الأحقـــادِ

صدى الوحي

القاها الشاعر في حفل لتكريم الدكتور
محمد حسين هيكل بمناسبة صدور كتابه
« حياة محمد »

بيانُكَ من نَبْعِ الجمالِ المخلَّدِ
صَدى الوحيِ في أسلوبهِ المتجدِّدِ

سَرَى لحنُهُ في كلِّ قلبٍ كأنما
شدا الحبُّ في نايِ الربيعِ المغرِّدِ

غريباً على الأسماعِ وهوَ كعهدِهِ
قديمٌ على ثَغرِ الزمانِ المردِّدِ

إلى جبلِ النورِ انتهى سرُّ وحيِهِ
وما هُوَ إلا ملهِمُ اليومِ والغدِ

فغنِّ بِهِ الأجيالَ ، واهتف بآيِهِ ،
تراتيمَ شادٍ ، أو تراتيلَ مُنشدِ

وأرسلَه سمحاً من قريحةِ شاعرٍ
يعيشُ بروحِ الصَّيدحي المجدِّدِ

★ ★ ★

عوالمُ شتّى من جلالٍ وروعةٍ
حواها فؤادُ الكاتبِ المُتَعَبِّدِ

ذكرتُ ، وللذكرى حديثٌ مُحبَّبُ ،
وقد زُرْتُهُ ليلاً على غيرِ موعِدِ

ولليلِ إصغاءٌ ، وللريحِ حولَهُ
رفيفٌ ، كهمسِ الرُّوحِ في ظلِّ معبد

وقد هَدَأَ المصباحُ ، إلاَّ مجاجةً
من النورِ ، في عينَيْ أديبٍ مُسهَّدِ

تَرَامى وراءَ الأفقِ حيناً ، وتنثني
ببارقةٍ من ذهنهِ المتوقِّدِ

فحيَّيْتُه همساً ، فحيَّا ، وصافحتْ
يداهُ يدي في رقَّةٍ وتودُّدِ

وشاعَ جلالُ الصَّمتِ بيني وبينَهُ
فأمعنَ إمعانَ الخيالِ المشرَّد

وأمسيتُ أرعــاهُ ، فلاحتْ لخاطري
مــلائكُ بالنجوى تَروحُ وتغتَدي

تُسِرُّ إليــه القولَ في غــيرِ منطقٍ
بأجنحةٍ تهفو علــى غَيْرِ مَشهَدِ

على صُحُفٍ غُرِّ الحواشي كــريمةٍ
جرَى قَلَمٌ عفُّ السريرةِ واليــدِ

نبيلُ مــرامي القَوْلِ في كفِّ كاتبٍ
دعاهُ فلبَّــاهُ لأنبــلِ مَقصدِ

يخطُّ لروحــانيَّةِ الشــرقِ ســيرةً
هي الحقُّ في دنيــا الجمالِ المجــرَّدِ

تمثّلهــا في صــورةٍ قرشيَّــةٍ
يشيعُ الرضــا في طيفِهــا المتجسِّدِ

يبثُّ سناهــا الأرضَ حبّاً ورحمــةً
ويطوي هُداهــا سطوةَ المتمرِّدِ

حيــاةٌ نمَتْ مجدَ الحياةِ وغيَّرتْ
وجوهَ الليــالي من وضيءٍ وأربَدِ

تنادى بها الراؤونَ ، فأعجبْ لما رأوا
جـلالُ نبيٍّ ، في تواضـعِ مُرشدِ

تَسـامى عنِ الدنيـا وفيهـا لواؤه
يطـوفُ بسلطانِ العـزيزِ المؤيّدِ

فما ضفرَّ الإكليـلَ يومـاً بمَفرِقٍ
ولا حـلَّ منه التـاجُ يوماً بمعقـدِ

أحبُّ إليـهِ حـينَ يفترشُ الثرَى
ويأوي لجـذعِ النَّخلةِ المتـأوِّدِ

ويخصِفُ نعليهِ ، وطوعُ يمينهِ
مصايرُ هـذا العـالمِ المترغّدِ

ويمضي إلى الهيجاءِ غـرثانَ صـادياً
فللّهِ دنيـا ذلكَ الساغبِ الصّـدِي

ولكنّهُ دينٌ أفـاءَ ظِـلالَهُ
على ملأٍ من شيعةِ اللهِ سُجّدِ

عفاةٍ ، كأنْ لم يملكوا قوتَ يومهمْ
وهم جبهةُ الملكِ العـريضِ الموطّدِ

مَحَوْا لفظةَ الأربابِ من كلماتِهمْ
فمـا عرَفوا معنـى مَسودٍ وسيِّدِ

هو المثـلُ الأعلـى ومبعوثُ أمـةٍ
بنـاها بنـاءَ المعجزِ المتفـرّدِ

★ ★ ★

مُحمَّدُ ، ما شعري إليكَ وما يدي ؟
ومـا الشعرُ من إبداعِكَ المتعدّدِ ؟

ولكنّهُ حـوضُ الشفـاعةِ ضمّنا
على خـيرِ ميعادٍ وأعـذبِ مورِدِ

نَمانِيَ إقليمٌ نَمـاكَ ، وأطلعتْ
سماءَكَ شمسٌ أطلعتْ فجرَ مولِدي

فإن أشدُ بالمجدِ الذي شِدْتَ ركنَهُ
فمـا هو إلاّ ركنُ قومي وسؤدَدي

محمدُ ، ما أرضيكَ بالشعرِ مِدْحَةً
فحسبُكَ مرضـاةُ النبيِّ محمّـدِ

على النّيل

من ابن الشمَال إلى ابن الجنوب

الى ابن الوادي ، أخي في الله ، أخي في الدين ، أخي في النيل

أخي ! إنْ وردتَ النّيلَ قبلَ ورودي
فحيِ ذِمامي عِنْدَهُ وعُهُودي

وَقَبِّلْ ثرىً فيه امتزجنا أبوّةً
وَنُسْلِمُهُ لابنٍ لنا وحفيدِ

أخي ! إنْ أذانَ الفجرِ لَبّيتَ صوتَهُ
سَمِعْتَ لتكبيري ووقعِ سجودي

وما صُغتَ قولاً أو هتفتَ بآيةٍ
خلا مَنطقي من لَفظِها وقصيدي

أخي ! إنْ حواكَ الصبحُ ريَّانَ مشرقاً
أفَقْتُ علـى يومٍ أغـرَّ سعيدِ

أخي ! إنْ طواكَ الليلُ سهمانَ سادراً
نَبـا فيه جنبي واستحـالَ رقودي

أخي ! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتْ
خمـائلُ جنَّـاتي وطـابَ حصيـدي

أخي ! إنْ جفـاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُهُ
مشى الموتُ في زهـري وقصَّفَ عودي

فكيفَ تُلاحيني وألحـاكَ ؟ إننـي
شهيدكَ في هـذا .. وأنتَ شهيدي !

حيـاتُكَ في الوادي حيـاتي ، فإنما
وجودُكَ في هـذي الحيـاةِ وجودي

★ ★ ★

أخي ! إنْ نزلْتَ الشاطِئَيْن فَسَلْهما
متـى فَصَلا مـا بيننـا بحـدودِ ؟

رَمـاني نَذيرُ السُّوءِ فيـكَ بنَبْأةٍ
فَجَلَّلَ بالأحـزانِ ليـلةَ عيـدي

وغامتْ سمائي بعدَ صَفْوٍ وأخرسَتْ
مَزاهرُ أحلامي وماتَ نشيدي

غداةَ تمنَّى المستبدُّ فِراقنا
على أرضِ آباءٍ لنا وجدودِ

وزفَّ لنا زَيْفَ الأماني عُلالةً
لعلَّ بنا حبَّ السيادةِ يُودي

أخُوَّتنا فوقَ الذي مانَ وادَّعى
وما بيننا من سيِّدٍ ومسودِ

إذا قالَ « الاستقلالُ » فاحذَرْهُ ناصباً
فِخاخَ « احتلالٍ » كالدهورِ أبيدِ

وكم قبْلُ منَّاني ، على وَفْرِ ما جَنَى
بحربينِ ، من زرعي وضَرْعٍ وليدي

فلما أتاهُ النصر هاجَتْهُ شِرَّةٌ
فهمَّ بنكراني ورامَ جُحُودي

ألاَ سَلْهُ ، ماذا بَعْدُ سبعينَ حجَّةً
أأنجزَ من وَعْدٍ ؟ أفكَّ قيودي ؟

يُبَدِّلُني قيداً بقيدٍ كأنَّه
مدى الدَّهْرِ فيها مُبْدِئِي ومُعيدي

أخي ! وكلانا في الأسارِ مكبَّلٌ
نَجُرُّ على الأشواكِ ثِقْلَ حديدِ

إذا لم تُحرِّرْنا من الضَّيمِ وَحدَةٌ
ذَهَبْنا بشملٍ في الحياةِ بديدِ

وما مصر والسودانُ إلاَّ قضيَّةٌ
مُوَحَّدَةٌ في غايةٍ وجهودِ

سَئِمنا هُتافَ الخادعينَ بِعَالَمٍ
جديدٍ ، ولمَّا يأتِنَا بجديدِ

وجَفَّتْ حشاشاتٌ وعِدْنَ بمائهِ
فلما دَنَا ألْفَتْ سرابَ وعودِ

وطالَ ارتقابُ الساغبينَ لنارهِ
على عاصفٍ يرمي الدُّجى بجليدِ

إذا يَدُنا لم تُذْكِ نارَ حياتِنَا
فلا تَرْجُ دِفْئاً من وميضِ رعودِ

إذا يَدُنا لم تَحْمِ نَبْعَ حياتنا
سَرَى رِيِّهُ سمّاً بكلِّ وريدِ

سيُجْرِيهِ ما شاءَتْ مطامعُ قَوْمِهِ
ويحبسُهُ ما شاءَ خَلْفَ سدودِ

وكيفَ ينامُ المضعفونَ وحَوْلهم
ظِماءُ نسورٍ أو جِياعُ أسودِ ؟

★ ★ ★

أخي ! هل شَهِدْتَ النيلَ غضبانَ ثائراً
يَرُجُّ من الشطآنِ كلَّ مشيدِ !

جرى من مَصَبَّيْهِ شُواظاً لنبعهِ
عَلى نَفَثَاتٍ من دمٍ وصديدِ

وجنَّاتِ نَخْلٍ واجماتٍ كواسفٍ
وأسرابِ طيرٍ في الفلاةِ شريدِ

لَدَى نبأ قد رِيعَ من حملهِ الصَّدى
وضجَّ لَهُ الموْتى وراءَ لُحُودِ

جنوبُكَ فيهِ والشمالُ تفزَّعا
لتشتيتِ أهلٍ وانقسامِ صعيدِ

أحالَ ضياءَ الصُّبحِ حوليَ ظُلْمةً
بها الحزنُ إلْفي والهناءُ فقيدي

وسَعَّرَ أنفاسي فأطلقتُ نارَها
على الظالمِ الجبَّارِ صَوْتَ وعيدِ

أرادكَ مفصومَ العُرَى وأرادني
بهدْمِ إخاءٍ كالجبالِ مشيدِ

ليأكلَنا من بَعْدُ شِلواً ممزَّقاً
كَطَيرٍ جريحٍ في الشِّباكِ جهيدِ

تَحايَلُ شيطانِ الأساليبِ لم يَدَعْ
مجالاً لشيطانٍ بهنَّ مَريدِ

★ ★ ★

عَلى النيلِ يا ابنَ النيلِ أطلِقْ شرَاعَنا
وقُلْ لِلياليهِ الهنيَّةِ عودي

وأرسلْ على الوادي حمائم أيكِهِ
برنَّةِ وَلْهَى أو شكاةِ عميدِ

وقلْ يا عروسَ النبعِ هاتي من الجنَى
ودُوري علَينا بالرحيقِ وجودي

وَهُبِّي عذارى النَّخلِ فرعاءَ وارقصي
بخُضْرِ أكاليـلٍ وحُمْرِ عقـودِ

ألا يا أخـي وامـلأ كؤوسَ محبَّـةٍ
مُقَـدَّسَـةٍ موعـودةٍ بخـلودِ

إذا هي هـانتْ فانعَ للشمسِ نورَهـا
وللقمـرِ السـاري بروجَ سعـودِ

وَقلْ يا سماءَ النيـلِ ويحكِ أقلعي
ويا أرضُ بالشُّـمِّ الرواسخِ مِيـدي

وغيضي عيـونَ المـاءِ ! أو فتفجَّري
لَظىً ، وإنِ اسطعتِ المزيدَ فزيدي !

باريس

وعلى غير المتوقع اهتز قلب الأثير بالنبأ الخطير أن الألمان داخل أبواب باريس ! وقد سلمت باريس نفسها الى الغزاة ، وانهارت الجمهورية الثالثة ، ومضى القدر في سخريته فحل عيد الحرية بعد أيام من هذا الحادث فاذا مدينة النور ترسف في الظلام ، وقد صور الشاعر احساسه بذلك الحادث التاريخي ، ذاكراً باريس في محنتها التي ساقها اليها الزعماء المفسدون ، مطوفاً بمعالمها الحبيبة الى نفسه ، وكيف لايذكر الشعر الكونكورد ، ونافورتيه العظيمتين والمسلة المصرية السامقة ؟ وكيف لا يهيب بنابليون في مرقده بالانفليد ؟ وكيف لا يهتف بالثوار في ساحة الباستيل ؟ بل كيف لايذكر أجمل الليالي وأمجد أعياد الحرية في حدائق فرساي ! وأخيراً كيف لا يذكر الشعر فرنسا بمبادىء ثورتها التي كفرت بها حتى استعبدت الأحرار وأذلت الشرق يوم سول الجنرال سراي لنفسه أن يقذف عاصمة الأمويين بقنابل مدافعه منذ ستة عشر عاماً

سألوني عن بياني وقصيدي

أسَفاً ، باريس ! قد ماتَ نشيدي !

لكِ ذكراكِ ، ولي عهدٌ بها

كيفَ أنسى ذكرياتي وعهودي

أنا لا أنسَى ليـــاليَّ علــى
روضكِ الرفّاف بالزهــرِ النضيدِ

ثمَــرُ الفــكرِ ومَجْنَى نَوْزِه
ومــراحُ العينِ والقلبِ العميــدِ

خطــرةٌ عــابرةٌ عــدتُ بهـــا
عودةَ الغوّاصِ بالدُّر الفــريدِ

فاعــذري المِزْهَــرَ في كفّي إذا
أخرستهُ ضجةُ الرزءِ الشديدِ

يومَ قالوا جلّلَ القيــدُ يــداً
حطمَتْ بالأمسِ أصفــادَ العبيدِ

حملتْ مشعــلَ حــرِّياتهــم
في شُراةٍ من شبابِ المجدِ صيدِ

كيفَ ، يا پاريس ، باللهِ هـَوى
ذلكَ النَّجْمُ من الأفقِ البعيدِ ؟

إن ينــلْ منكِ المُغــيرونَ فمـا
فَتَحوا غيرَ تُخومٍ وحــدودِ !

لستِ بنياناً ، ولا أرضاً ، ولا
غابَ آسادٍ ، ولا جنَّةَ غيدِ

أنتِ معنى عالمُ الفكرِ به
يتحدَّى قبضةَ الباغي المَريدِ

كعبةَ الأحرارِ ! هذي محنة"
راعتِ الأحرارَ في أكرمِ عيدِ

صَرِعَ النورُ به ، وانحسرتْ
جبهةُ الشمسِ عن النورِ الشهيدِ

وأتى الليلُ ، ومن أهوالِهِ
أن تَرَيْ بين ظلامٍ وقيودِ

أين من (ڤرساي) أفق" ضاحك"
مشرق" عن أملِ الشعبِ السعيدِ ؟

وعلى كل طريقٍ موكب"
صادحُ الأبواقِ خفَّاقُ البنودِ

لكأني اليومَ ألقى مأتماً
وأرى(الكنكردَ) كالقبرِ الحريدِ

حـالَ شدوُ المـاءِ في أحواضِـهِ
نفثةَ الغـرقى ببحرٍ من صـديدِ

وقفتْ (مصـرُ) به سـاخـرةً
من نحوسٍ تتـوالى وسعودِ

غَلَبَ الصمتُ عليهـا وهـي في
صمتها الخالدِ طِلّسْمُ الوجودِ

(ساحةَ الباستيلِ !) حانَ الملتقى
وتعـالتْ صرخةُ الفجرِ الوليـدِ

أين أبطالُكِ ؟ مـاذا ! أتُرى
ضربَ الليـلُ عليهمْ بالوصيدِ ؟

أغمـدوا أسيافهم ؟ وينحَ ، ومـا
عوّدوا أسيافَهُمْ حبسَ الغمـودِ

ويحهم ! قـد شيّعوا أعيـادَهُمْ
بينعصفِ النارِ أو قصفِ الحديدِ

فوقَ أرضٍ صُبِغتْ من دمهـمْ
وتحدّت كلَّ جبـارٍ عنيـدِ

فوق أحجـارِكِ صـرعى أمسهمْ
فلذاتٌ كَتَبَتْ سِفْرَ الخلودِ

فاذكـريهم بالـذي مـرَّ بهم
واقرئي تاريخهـمْ ، ثم أعيـدي !

أيهـا العـائدُ من غـارَاته
راقداً تحتَ قبـابِ (الأنفليدِ)

تلكَ راياتُكَ ، فانظرْ ! أترى
من سيوفٍ تحتهـا أو من جنودِ ؟

أين من (موسكو) ومن آفاقِهـَا
جيشكَ الظافر بالجيشِ البـديدِ

تطـأ الأرضَ إلى مشـرقهـا
مُوغـلاً في أثرِ الدُّبِّ الشريدِ

لفـرنسا هِمـةٌ لا تنثنـي
أمشتْ في النـارِ أم تحتَ الجليدِ

بالقليـلِ الجمـعِ من أبنـائهـا
تنزعُ النَّصرَ من الجمعِ العـديدِ

أممٌ ترسفُ في أحقــادهــا
دِنتَها بالصَّفحِ والصنعِ الحميدِ

لم تسيِّر فوقهـــا دبَّـــابة
أو تبــاغتهـــا بطــيرٍ من حـــديدِ

شَرَفُ الحــربِ كمـــا لقّنْتَهُ
ملتقى سيفينِ في ظــلٍّ البنـــودِ

فاعــذرِ اليـــومَ (فرنسا) إنهـــا
وثقتْ بالعهــدِ في دنيـــا الجحودِ

قَرَعَتْ للنصرِ كأســاً ! ويحهـــا
صَرَعَتْها خمرةُ النصرِ التليدِ !

رَقَدَتْ عن غــدِهـــا وانتبهتْ
حيثُ لا ينفعُ صحــوٌ من رقودِ

أسفرتْ (سيدانُ) عن مأساتهـــا
وتهـــاوى حَجَرُ الحصنِ المشيدِ

ثغــرةٌ أنفـذَ منهـــا خنجــرٌ
قد تلقَّتْــهُ علــى حــزٍّ الوريدِ

شَهِدَ المجدُ لها باسلةً
خُضِّبت بالدَّمِ من نحرٍ وجيدِ

فابعثِ العزَّةَ من تاريخها
وتألَّقْ بسناهُ من جديدِ

واطلعِ اليومَ عليها سيرةً
وكُنِ الشاعرَ واهتف بالقصيدِ

أيها الفاتحُ لا يَغرُرْكَ ما
أنتَ فيهِ من حصونٍ وسدودِ

لكَ فيَّ العبرةُ المثلى فلا
تأمَنِ الزلةَ في أوْجِ الصعودِ !

رَبَّةَ النورِ سلاماً كلَّما
هَتَفَ الشعرُ بماضيكِ المجيدِ

لكِ في كلِّ خيالٍ صورةٌ
برئت من وصمةِ العصرِ الجديدِ

غير ذِكرى يرجعُ الفكرُ بها
لليَالٍ من عصورِ الظلمِ سودِ

لهفَ نفسي (لدمَشق ٍ) ولمن
خرَّ فيها من جريحٍ وشهيدِ

من شواظٍ يقذفُ الموتَ على
رُكّعٍ في ساحةِ اللهِ سجودِ

فأنا الشرقيُّ لا أنسى الذي
حاقَ من حُكمكِ بالشرقِ العتيدِ

ألمساواةُ التي أعلنتِها
أعلنَتَهُ بنذيرٍ ووعيدِ

والإخاءُ الحرُّ ما كانَ سِوى
مدفعٍ يرمي بِمَرْدٍ ومبيدِ

وطني الروحيُّ ، إن أغضبْ له
فلآباءٍ كرامٍ وجدودِ

وتراثٍ خالدٍ من أدب
أنا فاديهِ بروحي ووجودي

كفرتْ ثورتكِ الكبرى بـه
وهو المحسنُ يُجزَى بالكنودِ

سـار بالإسلامِ نوراً وهـُـدىً

بسنى عيسى خـُطى الحقِ الطريدِ

ألنبيئـون َ همـو ثـوارُهُ

حاملو الشعلةِ ، أعداءُ القيودِ

فخذي بالحقِ والـرُوحِ الـذي

هـَـزَّ بالثورةِ أركانَ الوجـودِ

وابعثيهـا ثورةً أخـرى فمـا

يعرفُ الأحـرارُ معنى للجمودِ !

بطــل الريف

البطل العربي عبد الكريم الخطابي » أمـير الريف ، وزعيم ورياغل » أكرم وأقوى القبائل العـربية بمراكش ، دفعته حميته واباؤه الى الثورة على الاسـتعمار الاسباني في بلاده ، في حرب أشبه ما تكون بأساطير الابطال الاولين ، فمـزّق الجيش الاسباني واسـر قائده ، والقى به الى البحر ، فلمـا أوشك أن يقضي عليه القضاء الأخير ، تنبهت فرنسا المستعمرة الى ما يصيبها بدورها من استفحال خطـر هؤلاء العرب البواسل ، أسياد البـلاد الذين يعملون تحت قيادة الأمير الخطير عبد الكريم ، فعملت من جانبها على اشعال الحرب بينهـا وبينه ، وكانت الحرب بينه وبين الاسبان مـا تزال قائمة ، فدفع بالجيش الفرنسي وهزمه شـر هزيمة واقضّ مضجع مارشال فرنسا « بيتان » غير أن الطبيعة الجائرة الصماء أصابت الريف بقحط شديد ، فامتنع نزول المطر زهاء الاربعة أعوام ، فضعفت موارد الأمير الباسل بعد حرب دامت خمس سنوات ، وانتهزت فرنسا هذه الفرصة السانحة التي تكفيها شر القتل والقتال ، فعرضت عليـه الصلح والامان « كتابة » ولكنها لم تلبث أن نقضت عهدها وغدرت بميثاق الامان ، واخذت الأمير المجاهد اسيراً ، ونفته عن وطنه الى جزيرة « رينيون النائية في أقاصي الباسفيك مدة عشرين عاماً ، حتـى أتاح الله له فرصة النزول ببـور سعيد من السـفينة وهي في طريقها به الى منفى جديد بفرنـسا

وعمت الفرحة ارجاء الشرق لنجاة هـذا البطل العظيم وعودته الى حيـاة الحرية والطلاقة في صفوف اخوانه المجاهدين عن كـرامة العرب ومجد المسـلمين

وابت مصر شعباً وحكومة ، أن تعيده الى أسر فرنسا وقهرها رغم التهديد والوعيد ، ووقف العالم العربي أجمع وراء مصر الأبية ، وبذلك أنقذت النخوة العربية أحد أبطالها الذين كافحوا الاستعمار ، وصاولوا الاستعباد بقوة الايمان وحد السيف

وهذه تحيتي الى البطل الكريم العظيم آسر الجنرال سلفستري في موقعة انوال ، وقاهر الجنرال دي ريفيرا ومدوخ المارشال بيتان

لا السيفُ قَرَّ ولا المحاربُ عادَا
وَيْحَ البشيرِ ! بأيِّ سلمٍ نادَى ؟

ألأرضُ من أجسادِ من قُتِلوا بها
تَجني العذابَ وتُنبِتُ الأحقادَا

فاضَ السحابُ لها دَماً ـ مُذْ شَيَّعتْ
شمسَ النهارِ ـ فخالطتْهُ سَوادَا

رأتِ الحِدادَ به على أحيائها
أتُرَاهمو صَبَغوا السماءَ حِدادَا ؟

وَدَّ الطُغاةُ بكلِّ مَطْلَعِ كوكبٍ
لو أطفأوهُ وأسقطوهُ رَمَادَا

وتخوَّفوا وَمْضَ الشِّهابِ إذا هَوَى
وَبُروقَ كلِّ غمامةٍ تتهادَى

ولو انّهم وَصَلوا السماءَ بعِلمِهم
ضَرَبوا على آفاقها الأسدادا

لولا لوامعُ من نُهىً وبصائرٍ
تَغزُو كُهوفاً أو تَؤمُّ وهادا

لم يَرقَ عَقلٌ أو تَرِقَّ سريرةٌ
وقضى الوجودُ ضلالةً وفسادا

راعَ الطُغاةَ شُعاعُهُ فتساءَلوا
مَنْ نَصَّ هذا الكوكبَ الوَقّادا ؟

إنْ تَجهَلوا فسَلُوا به آباءَكم
أيّامَ شَعَّ عدالةً ورِغادا

هل أبصروا حُرّيَّةً إلاّ به
أو شيَّدوا لحضارةٍ أوتادا ؟

حَمَلَتْ سَناهُ لهم يَدٌ عربيّةٌ
تبني الشعوبَ وتنسجُ الآبادا

هي أمّةٌ بالأمسِ شادتْ دَولةً
لا تعرفُ العِبدانَ والأسيادا

جُرْتُمْ عليها ظالمينَ بعدِّكم
وعديدِكم تتخايلونَ عتادا

ومَنَعْتُموها من مواهبِ أرْضِها
ماءً بهِ تَجِدُ الحياةَ وَزادا

في المغربِ الأقصى فتىً من نورِها
قَدَحَتْ به كفُّ السماءِ زِنادا

سَلَّتْهُ سيفاً كي يحرِّرَ قَوْمَهُ
وَيُزِيلَ عن أوطانِهِ استعبادا

ما بالُكمْ ضِقْتُم به وحَشَدْتُمُوا
من دونِهِ الأسيافَ والأجنادا ؟

أشعَلْتُموها ثورةً دَمَويَّةً
لا تعرفونَ لنارِها إخمادا

حتى إذا أوْهَى القتالُ جِلادَكم
ومضى أشَدَّ بسالةً وجِلادا

جئتُمْ إليهِ تُهادِنونَ سُيوفَهُ
وسيوفُهُ لم تسكُنِ الأغمادا

وكتبتموا عهداً ـ بحَدِّ سيوفكم ـ
مزّقتموهُ ولم يجِفّ مِداداَ

* * *

ألأهلُ أهلُكَ ، يا أميرُ ، كما ترَى
والدّارُ دارُكَ قبّةً وعِماداَ

أنّى نزَلتَ بمصر أو جاراتِها
جئتَ العروبةَ أمّةً وبِلاداَ

مَدّت يدَيْها ، واحتوَتكَ بصدرها
أمْ يَضمُّ حنانُها الأولاداَ

ولو استطاعتْ رَدَّ ما استوْدَعَتْهَا
رَدّتْ عليكَ المَهدَ والميلاداَ

وَأتتكَ بالذِّكرِ الخوالدِ طاقةً
كأجَلِّ ما جمعَ المحبُّ وهادَى

ماذا لقيتَ من الزّمانِ بصخرةٍ
قاسَيتَ فيها غربةً ووِحاداَ ؟

وَبَلوتَ من صَلَفِ الطّغاةِ وعَسفِهم
فيها الليالي والسنينَ شِداداَ ؟

جعلوا البحـار ، ومثلهن جبالها ،
سَداً عليك وأوسعوك بِعاداً

دَعْهم ! فأنتَ سَخِرتَ منْ أحلامهم
وأطَرْتَهنَّ مع الرياحِ بداداً

عشرينَ عاماً ، قد حرَمْتَ عيونَهم
غمْضَ الجفونِ ، فما عرَفنَ رُقاداً

يتلفتون وراءَ كلِّ جزيرةٍ
ويسائلونَ الموجَ والأطوادا

من أيِّ وادٍ موجةٌ هتفَتْ به
ومضى ، فحمَّلَها السلامَ ، وعادا

لو أنصفوا قدَرُوا بطولةَ فارسٍ
لبلادِهِ بدَمِ الحشاشةِ جادا

نادَى بأحرارِ الرجالِ فقرَّبوا
مُهَجاً تموتُ وراءَه استشهادا

يدعو لحقٍّ أو لإنسانيَّةٍ
تأبى السجونَ وتلعَنُ الأصفادا

شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِكَ أن ترى
هــذي الفتــوحَ وهــذهِ الأمجــادَا

« ألرِّيفُ » هَبَّ منــازلاً وقبــائلاً
يدعو فتــاهُ البــاســلَ الذَّوَّادَا

حَنَّ الحُسامُ لقَبْضَتَيْكَ، وحَمْحمتْ
خيــلٌ تقَــرِّبُ من يديكَ قِيــادَا

وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلاحِمٌ
تُشْجِي النُّسورَ وتُطْرِبُ الآسادَا

أوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُداةِ، وألهمتْ
فُرسانهمْ تحــتَ الوغى الإنشــادَا

عبدَ الكريمِ انظُرْ حِيالكَ هل ترى
إلاَّ صــراعاً قائمــاً وجهـــادَا

ألشــرقُ أجْمَعُــهُ لــواءٌ واحــدٌ
نَظَمَ الصفوفَ وهيَّــأ القُــوَّادَا

لم يتــركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ
أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ ميعــادَا

سالتْ حلوقُ الهاتفينَ دماً ، وما
هزّوا لطاغيةِ الشعوبِ وِسادَا

فصُغِ البيانَ بهِ ، وأنطِقْ حَدَّهُ
يَسْمَعْ إليكَ ، مكرَّراً ومُعادَا

كَذَبَتْ مودّاتُ الشِّفاه ولم أجدْ
رغمَ العداوةِ كالسيوفِ وِدادَا

* * *

لهَجَتْ قلوبٌ بالذي صَنَعَتْ يدٌ
شَدّتْ لِجُرْحِ المسلمينَ ضِمادَا

حَمَلَتْ نَدَى مَلِكٍ ، ونَخْوَةَ أمّةٍ
صانت بها شرفاً أشمَّ تِلادَا

وحَمَتْ عزيزاً لا يقِرُّ ، وأمّنَتْ
حُرّاً يقاسي الجورَ والإبعادَا

فادٍ من الغُرِّ الكُماةِ مجاهدٌ
تتنازعُ الآلامُ منه فؤادَا

جارتْ عليهِ الحربُ ثم تعقّبَتْ
في السِّلْمِ تحتَ جَناحِهِ أكبادَا

زُغْبٌ صِغارٌ مثلُ أفراخِ القَطَا
وحرائرٌ بِتْنَ السنينَ سُهَادَا

هو من رواسي المجدِ إلاَّ أنه
عَصَفَ الزمانُ بجانبَيْهِ فمادَا

رَجُلٌ رأى شراً ، ففادَى قَوْمَهُ
وأحَسَّ عاديَةً ، فهَبَّ ، ورادَى

ظلموا هواهُ إذْ أحبَّ بلادَهُ
ما كان ذنباً أنْ أحبَّ ففادَى !

نداء الفداء

او أنشودة الجهاد في حومة فلسطين

أخي ، جاوزَ الظّالمونَ المدَى　　فحقَّ الجهادُ ، وحَقَّ الفِدا
أتتركهُمْ يَغْصبونَ العُروبةَ　　مجدَ الأبوّةِ والسؤددا ؟
وليسوا بِغَيْرِ صليلِ السيوفِ　　يُجيبونَ صوتاً لنا أو صدى
فجرِّدْ حسامَكَ من غمدِهِ　　فليسَ لهُ ، بَعْدُ ، أن يُغمدا

* * *

أخي ، أيُّها العربيُّ الأبيُّ　　أرى اليومَ موعدَنا لا الغَدَا
أخي ، أقبلَ الشرقُ في أمّةٍ　　تردُّ الضَّلالَ وتُحيي الهُدى
أخي ، إنَّ في القدسِ أختاً لنا　　أعَدَّ لها الذابحونَ المُدى
صبرنا على غَدْرِهِمْ قادرينَ　　وكنا لَهُمْ قَدَراً مُرصدا
طَلَعْنا عليهمْ طلوعَ المنونِ　　فطاروا هَباءً ، وصاروا سُدَى
أخي ، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ　　لنحمي الكنيسةَ والمسجدا
يسوعُ الشهيدُ على أرضها　　يعانقُ ، في جيشهِ ، أحمدا

أخي ، قمْ إليها نشقُّ الغمارَ دماً قانياً ولظى مرعدا
أخي ، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ فأوردْ شَبَاها الدمَ المُصْعدا
أخي ، إن جرَى في ثراها دمي وأطبقتُ فَوْقَ حصاها اليدا
ونادى الحمامُ وجنَّ الحسامُ وشبَّ الضرامُ بها موقدا
ففتِّش على مهجةٍ حرَّةٍ أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العِدا
وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ جلاها الوَغَى ، ونماها النّدى
وَقَبِّلْ شهيداً على أرضها دعا باسمِها اللهَ واستشهدا
فلسطينُ يَفدي حِماكِ الشبابُ وجلَّ الفدائي والمُفتدى
فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ فإمَّا الحياةُ وإمَّا الرَّدى

عاصفة في جمجمة

* ضَجَّتِ الأنجمُ في آفاقها
ذاتَ ليلٍ تشتكي طولَ الأبدْ
فمضتْ تصرخُ من أعماقها
أيّهذا الليلُ ، نَبّهْ مَنْ رَقَدْ !

* أطلقِ الجنَّ يرفرفْ لائذا
بالرُّبى يصرخُ من خلفِ الرؤوس
أيها الأحياءُ ، ما الكون إذا
تنثرُ الشُّهبُ وتندكُّ الشموس ؟

* أحياةٌ سَمتُها صخرٌ ونارْ
حَفَّتِ الأشواكُ من يسلكه ؟
تنقضي الآجالُ فيه والسّفارْ
أبديٌّ ، ويحَ مَنْ تُهلكه !

* إحملوا أمسِ إلى حفرتهِ
و َتَخطوا هوّةَ الوادي السحيقْ
واحفزوا النجمَ إلى ثورتهِ
واحطموا أنوالَ ليلٍ لا يفيقْ

* أيقظوا في الليلِ ثاراتِ الرعودْ
إنَّها ثاراتُ جبَّارِ السماءْ
إن يشَأْ أرسلَها فوقَ الوجودْ
فإذا الكونُ هشيمٌ وهباءْ

* لو تَمشّتْ بمناياها الرجومْ
لاستحالَ الخلقُ والكونُ سُدى
ورأيتَ الأرضَ حيْرَى والنجومْ
تذرعُ الجوَّ على غيرِ هدَى

* أيها الأحياءُ ، يا أسرى القضاءْ
كيفَ أمسيتُمْ بدنيا الحدَدِ ؟
وعليكُمْ في غياباتِ الشقاءْ
ضَرَبَتْ آفاقَها بالسدَدِ ! ؟

* صرخةٌ في الكونِ دوَّت ! يا لها
خلَعَتْ أصداؤها قلبَ الزَمَنْ
قفَّ منهـا الشوكُ وارتجَّ لهـا
مَعبَدُ الليـلِ على شُمِّ القُنَنْ

* صرخةٌ منها السمواتُ انثنتْ
وقدِ استعصَتْ على طارِقهـا
صاحَ منها الوحشُ ذعراً والتفتْ
يسـألُ الوديانَ عن خـالقِهـا

* وإذا الموتى يَشقّونَ الوهَادْ
كالضواري كلُّهم عاري البـدَنْ
رحمـةَ اللهِ ! ! أذا يومُ المَعَادْ
فَنَسَوا من هولِهِ حتى الكفَنْ ؟

* أينَ منكَ الشمسُ ، يامشرقَها
أتُراهـا خلفَ أسـوارِ الأبـدْ
حَجَبَتْها فهيَ لنْ تطلقَهـا
يومَ لا يبقى على الأرضِ أحـدْ !

* هبَّتْ الجنُّ تنادي بالثُّبورْ
في كهوفِ الأرضِ، يا أهلَ الكهوفْ
أحشدوا الريحَ على ظهرِ الصخورْ
وابعثوها ذاتَ نَقْسٍ وزفيفْ[1]

* إنزعوا الصخرَ من الطودِ المنيعْ
واجعلوهُ زادَكمْ عندَ الكفاحْ
واصعقوا قُنَّةَ واديهِ الرفيعْ
تتهدَّمْ تحتَ أقدامِ الرياحْ !

* لا تصيخوا، دقَّ ناقوسُ القضاءْ
فاحملوا أشلاءَ هذا العالمِ
إحملوها، واعبروا جسرَ الفناءْ
واسبحوا فوقَ العماءِ الحالمِ

---

(1) النَّقْس ضرب من النواقيس، والزفيف السريع الخفيف

على حاجز السفينة

الى الغريبة الشائقة ، ذات الرداء الابيض ، التي تظهر كل ليلة وحدها ، متكئة على حاجز السفينة ، ساهمة حالمة !

● حَنَتْ على حاجزِ السفينهْ   ترنو إلى الرَّغْوِ والزَّبدْ
كأنها الفتنةُ السجينهْ   تمضي بها لُجَّةُ الأبدْ

● نَبَتْ بها ضَجَّةُ المكانِ   يزَينها الصَّمتُ والجلالُ
والبحرُ من حولها أغاني   والسُّحْبُ والريحُ والجبالُ

● ساهرةٌ وحدها تُطِلُّ   بِملتَقَى النورِ والظلامِ
لا تسأمُ الصَّمْتَ أو تَمَلُّ   تَهامَسَ الشُهْبِ والغمامِ

● تُصْغِي إلى الموجِ والرياحِ   في مَعْزِلٍ شاقَ كلَّ عَيْنْ
كأنها نجمةُ الصباحِ   مُطِلّةٌ من سحابتيْنْ

● هفهافةُ الثوبِ في بياضِ   يكادُ عن روحها يشفُّ
لأيِّ ذكرى وأيِّ ماضٍ   يَسْري بها خاطرٌ ويَهفو ؟

● وما وراءَ العُباب تَبْغِي   وأيُّ سرٍّ لها تَبدَّى
وأيُّ لحن إليه تُصغي   بروحها الحالمِ استبدّا ؟

● عجبتُ للبحرِ ما عَرَاهُ   يودُّ لو مسَّ ناظريها
يتاخمُ النَّجمَ في علاهُ   ويَنثني جاثياً لديها
● وهائمٍ في الفضاءِ صَبٌّ   مُجنَّحٍ لا يَبينُ طيفا
كم ودَّ لو ــ من ضَنى وحبٌّ   هَوَى على صَدرها وأغفى
● كم بثَّ من أنَّةٍ وألقَى   بهمسةٍ ضائعٌ صداها
يا وَيحهُ لا يَحيرُ نُطقا   فكيفَ تُلقِي له انتباها ؟
● أنفاسُهُ عن جَواهُ تُغنِي   عليلةٌ خفقُها اضطرابُ
كآهةٍ في فَمِ المُغنِّي   جريحةٍ لَحنُها العذابُ
● يدنو ، ويرتدُّ في حياءِ   يُجاذبُ الثوبَ والشَّعَر
وكلما كلَّ من عياءِ   أثارهُ الوجدُ فاستعَر
● يضمُّها راعشاً ، ويمضي   مُباعداً ، وهو ما ابتعدْ
كأنَّهُ بالحنينِ يقضي   لُبانةَ الرُّوحِ والجسَدْ
● والقمرُ الطالعُ الصغيرُ   أزاحَ عن وجههِ السَّحابا
وقد جرى ضوءه الغرير   يستشرفُ الأفقَ والعُبابا
● ألمرحُ العابثُ الطروبُ   لما دعا باسمهِ الشروقُ
نادتْ به موجةٌ لعوبُ   إليَّ . . يا أيّها المشوقُ
● طالَ على المنتأى طُروقي   وطالَ مسراكَ في السَّماءِ
فَنَمْ على صدريَ الخفوقِ   واحلُمْ بما شِئتَ من هناءِ

● وأنسِني وحشةَ الليالي بقُبلةٍ منكَ ، يا حبيبي
لكنَّهُ مرَّ لا يبالي ولجَّ في صمتهِ العجيبِ
● مذ أبصرَتهُ انثنى ومرّا قالتْ ، ومن دمعها مَسِيلْ
لأنتَ مثلُ الرجالِ طرّا يا أيُّها الخائنُ الجميلْ
● وهبتُكَ الغضَّ من شبابي سكرانَ من خمرِ أمسياتي
فأينَ تمضي على العُبابِ من صَوتِ حبّي وذكرياتي ؟
● ومن هي الغادةُ التي تنسلُ من مخدعي إليها
أعندها مثلُ فتنتي أم أنني أفترِي عليها ؟
● إذهبْ إليها ودعْ ذمامي فديتُكَ ، اسلَمْ على التنائي
إذبَحْ على صدرها غرامي واملأ لها الكأسَ من شقائي
● والهُ مع الغيد والعذارى وغنِّ بالكأسِ والوتر
واقطعْ من الغُلّةِ الأوارا واقطف من اللّذةِ الثَّمر
● أبوكَ ، والطبعُ لا يحولُ ، وَرِثتَهُ خِلقةً وخَلقا
يا أيها القُلَّبُ الملولُ من قبضتي لن تنالَ عِتقا
● مُطاردٌ أنتَ باشتياقي ما جُبتَ أرضاً وجُزتَ بحرا
مُقيَّدٌ أنتَ في وثاقي وإنْ رأتكَ العيونُ حُرّا
● لأنتَ مهما كَبُرتَ طِفلي يا ابنَ الهوى البكرِ والألمْ
خُطاكَ مسبوقةٌ بظلّي وإنْ تعلّقتَ بالقِمَمْ

• سأحفظُ العَهدَ مِنكَ دَوْما وأقطَعُ العمرَ في انتظارِكْ
وسوف تأوِي إليَّ يوما تبكي ، وأبكي إلى جوارِكْ
• ضراعةٌ من عذابٍ أنثى مَشَتْ على المائجِ الغضوبِ
صغا لها الليلُ واستحثّا سواكنَ الريحِ للهُبوبِ
• وحدّقتْ في الدُّجَى نجومُ غَيْرَى ، تغامزنَ بالخبر
وغمغمتْ نجمةٌ رؤومُ أما يرى ضوءَهُ القمر ! ؟
• أما يرى ذلكَ الصَّبِيّا يُؤلّبُ البحرَ والظلاما ؟
فيا لَهُ فاتناً خَلِيّا يُزوِّرُ العشقَ والغراما !
• كم ليلةٍ بعدَ ألفِ ليلهْ لم تَرْوِها عنه شهرزادُ
وكم عناقٍ لهُ وقُبلهْ في كِذْبةٍ لفظُها مُعادُ
• فاستوعبَ الضوءُ ملءَ حسِّهْ مفاتنَ الناسِ والطبيعهْ
مُردّداً في قرارِ نفسِهْ ما أبشعَ الغيرةَ الوضيعهْ ؟
• وارتعشَ الضوءُ ثم أضنَى من حولِهِ الصفوَ والسكينَهْ
وابتسمتْ نفسُهُ فألفَى خطاهُ في جانبِ السفينَهْ
• فراعَهُ ذلكَ الجمالُ جمالُها الصَّامتُ الحزينُ
فشاقَهُ الشّعر والخيالُ وهزَّهُ الوجدُ والحنينُ
• فقالَ يا روعةَ المساءِ وفِتنةَ اللبِّ والبصر
قد آذنَ الليلُ بانقضاءِ وأنتِ موصولةُ السهر

• أيتُها المَلِكَةُ الكسيرهْ — أيتُها الربّةُ الخجولَه
أيتُها الطفلةُ الكبيرهْ — لن تَبرَحي عالَمَ الطفولَهْ !

• أعلمُ ما تكتمينَ عنّي — وإنْ تَلَثّمتِ بالخفاءِ
خمسُ ليالٍ وأنتِ منّي — متبوعةُ الظلِّ باشتهائي

• قد كنتُ أزهَى بما عرفتُ — من فِتَنِ الحسنِ والدلالِ
لكنَّني الليلةَ اكتشفتُ — أروعَ ما شِمتُ من جمالِ

• عشقتُ فيكِ الهوى وذُلَّهْ — في زَهْوَةِ الحسنِ والشبابِ
وذلكَ الصَّمتَ ، ما أجلَّهْ — في عالمِ اللَّغوِ والكذابِ

• هاربةٌ أنتِ ، يا فتاتي — من ثورةِ الشكِّ والرِّيَبْ
هَرَبْتِ من ضجَّةِ الحياةِ — فكيفَ من نفسكِ الهَرَبْ ؟ !

• بها ابدئي أولاً فسَلّي — وردكِ من شوكهِ الأثيمِ
لا البُعدُ يجدي ولا التسلّي — كطعنكِ الغدرِ في الصميمِ

• هنيهةٌ لم يَطُلْ مَداها — تروعُ بالصَّمتِ والشحوبِ
لم يبلغِ الليلُ مُنتهاها — إلاّ على رَوعةِ المغيبِ

• والتفتَ الضوءُ للوداعِ — يهمسُ في رِقَّةٍ ووجدِ
يا ربّةَ الحسنِ لا تُراعي — فَلْتَنتَزِعْكِ الكائناتُ بعدي

• يا ليلُ ، يا موجُ ، يا رياحُ — أيتُها السُّحْبُ والظلالُ
أيتها الغَورُ والبِطاحُ — أيتها الشهبُ والجبالُ

● في الجوِّ ، في الماءِ ، في الثرى   صـونـي لهـا العهدَ والودادا
رُدِّي على عينهـا الكرى   وأبْعِـدِي الفِـكْرَ والسهـادا
● وأنقذيهـا مِنَ الجـوى   يا عاشقـاتي على الزَّمـانِ
بكلِّ مـا فيكِ من قـُوَى   وكلِّ مـا فيَّ من حنـانِ ! !

المدينة الباسلة

الدفاع عن الارض الام اسمى ما يتغنى به الشعر واروع ما يخلده الفن ، واذا ذكرنا قصة حصار (ستالينجراد) والدفاع عنها ، فقد عرضنا لبطولة عجيبة فريدة ، وبسالة نادرة فذة ، لم تبلغ معركة في هذه الحرب ، مبلغها من المجد والخطر ، فقد ظل جيشان عظيمان جباران يتصارعان داخل أسوارها في كل طريق وكل منزل ، وكل طابق دار ، وظلت المدينة الباسلة بين الدمار والخراب أكثر من ستة اشهر حتى فني جيش بأسره ، بعد صراع دموي لم يرو له التاريخ مثيلا

فلا بدع اذا قرن الشاعر حصار هذه المدينة الباسلة ودفاع حماتها بحصار طروادة » وما سجله التاريخ من بطولة الذين خاضوا ملاحمها الدامية التي تغنّى بها الشاعر اليوناني العظيم « هومير» في الياذته الخالدة

طَلَعُوا جبابرةً عليكِ ، وثاروا
وَوَقَفْتِ أنتِ ، وَرُوحُكِ الجبّارُ

عَصفوا ببابِكِ ، فاستُبيحَ ، فَلم يكُنْ
إلاّ جَهَنَّمَ هَاجَها الإعصارُ

حَرْبٌ إذا ذُكِرَتْ وَقائعُ يومِها
شابَ الحديدُ ، لِهَولِها ، والنّارُ

لو قِيلَ أبطالُ العصورِ فمنهُمو
لحُماتِكِ الإعظامُ والإكبارُ

أو عادَ « هومير » وسِحْرُ غنائِهِ
ورأى ملاحِمَهم وكيفَ تُثارُ

وهمُو حُماةُ مدينةٍ مَحصورةٍ
دُكّتْ على حُرّاسِها الأسوارُ

نَسِي الذي غنّاهُ في « طُرْوادةٍ »
وشَدا بهمْ ، وترنّمَ القيثارُ

كم منْ « أخيلٍ » فيهمو ، لكنّهُ
رُدّ المُغيرُ بِهِ ، وفُكّ حِصارُ

لم تَجرِ مَلحَمَةٌ بوَصْفِ كِفاحِهِ
لكنْ جَرَتْ بدمائهِ الأنهارُ

نادَتهُ من خَلْفِ الشواطيءِ أمّةٌ
هوَ عن حِماها الذائدُ المِغوارُ

إنْ يَسألوا عنه ، فَفارسُ حَلْبَةٍ
لم يَخلُ من وَثَباتهِ مِضمارُ

أو يَقرأوا تاريخَهُ ، فَصحيفَةٌ
إمضاؤهُ فيها علىً وَفخَارُ

أو يبحثوا عن قَبْرِهِ ، فَمكانُه
فيما يُظِلُّ العُشبُ والأزهارُ

فيما يُغَطّي الثّلجُ تحتَ رُكامهِ
فيما تُعرّي الرّيحُ والأمطارُ

هُو مُهجَةٌ فَنِيَتْ بأرضِ مَعادِها
ليَتمَّ غَرْسٌ أو يَطيبَ ثِمَارُ

هو مَوْجَةٌ ذابت بِبَحْرِ وُجُودِها
كَيمَا يَثُور برُوحِها التيّارُ

في شاطيءٍ وَقَفَ العَدُوُّ إزاءَهُ
يَبْغي العُبُورَ وَدُونَه أشبارُ

ما زالَ يَدْفَعُ عنهُ كلَّ كتيبةٍ
حتى تَلاشَى الجَحْفَلُ الجَرّارُ

وَهَوَى وفي شَفَتَيْهِ بَسْمَةُ ظافِرٍ
أوْدَى ، وَتَمَّ على يَدَيهِ الثّارُ

يَزْهَى به تحتَ الحديدِ وبأسِهِ
رأسٌ يكلِّلُ مَفْرِقَيْهِ الغارُ

يا رَبَّةَ الأبطالِ لا هانَ الحِمَى
وسَلِمْتِ أنتِ ، وَقَوْمُكِ الأحرارُ

أأقولُ أبناءُ الوَغَى أمْ جِنَّةٌ ؟
وأقولُ آلِهَةٌ ، أمِ الأقدارُ ! ؟

يستَنْقِذُونَكِ من بَراثِنِ كاسِرٍ
ماجَتْ بهِ الآجامُ والأغوارُ

مُتَربِّصِ السَّطَواتِ تَختَبِىءُ الرُّبى
وتَفِرُّ من طُرُقاتِهِ الأشجارُ

قَهَرَ الطبيعةَ صَيفَهَا وشِتاءَهَا
حتى أتاهُ شِتاؤكِ القَهَّارُ

مَجْدَ المَدائنِ والقُرَى ! إنَّ الذي
أبدَعْتِهِ ، فيهِ العقولُ تَحَارُ

عَجَباً ! أأنتِ مَدينةٌ مسحورَةٌ
أمْ عالَمٌ حاطَتْ به الأسرارُ ! ؟

طُـرُقٌ مُحَيِّرَةٌ يَضِــلُّ ويَهْتَدي
فيهــا الكُمَاةُ ، وليسَ ثَمَّ قَــرارُ

عَزَّتْ على قَدَمِ العـدُو كأنمــا
من زِئْبَقٍ صِيغَتْ بهــا الأحجــارُ

ومَنـــازِلٌ مشْبُــوبةٌ ، وكأنهــا
للجِـنِّ في وادي اللَّظَــى أوكارُ

وتَرى زَبَانِيَـــةَ الجحيـمِ ببـابِهـا
ضَــاقتْ بهمْ غُرَفٌ ، وناءَ جِــدارُ

يتصــارعــونَ بأذْرُعٍ مَخْضُــوبة
والسَّقْفُ فوقَ رُؤوسهمْ يَنهــارُ

يَتنازعونَ بهــا الطِّبَــاقَ خَرائبــاً
دَمِيَتْ على أنقــاضِهــا الأظفــارُ

مــا زِلتِ صــامِدةً لهـمْ حتَّــى إذا
سَهِتِ العقولُ ، وزاغتِ الأبصــارُ

وتَقَبَّضَ المُستَقتِلونَ ، وعَرْبَدَتْ
أيدِي الــرُّماةِ ، وَعَرَّدَ البَتَّــارُ

وتَقوَّضَ الحِصْنُ المنيعُ ، ولم يكنْ
إلاّ جِدارٌ يَحتويهِ دَمَارُ

وقَسا عليكِ المُرْجِفونَ وحَدَّثوا
أنْ ليسَ تمضي لَيْلَةٌ ونَهارُ

أطبَقْتِ كالنَّسرِ المُحلِّقِ ، ما لهمْ
منهُ ، ولا مِنْ مِخْلَبَيْهِ فِرارُ

وتَفرَّسَتْكِ قلوبهمْ فَتَرنَّحوا
رُعْباً ، وأنتِ الخمر والخمَّارُ

وخَبَتْ مَدافِعُهمْ وذابَ حديدُهُمْ
والثَّلْجُ يَعجَبُ واللَّظَى المَوَّارُ

* * *

يا فِتْيَةَ « الڤُولجا » تَحيَّةَ شاعرٍ
رَقَّتْ لَهُ في شَدْوِهِ الأشعارُ

مَلاّحُ وادي النِّيلِ إلاّ أنهُ
أغْرَتْهُ بالتِّيهِ السَّحيقِ بحارُ

أبداً يُطَوِّفُ حائراً بِشراعهِ
يَرْمي به أفْقٌ ، وتَقْذِفُ دار

إنّي رَفَعتُ بكمْ مِثـالاً رائعـاً
يُومَـا إليـهِ ، في العُلَى ، ويُشارُ

لشبـابِ مِصْرَ وَهُم بُنـاةُ حَيـاتِها
وحُمـاتُهـا إنْ حـاقَتِ الأخطـارُ

وبِمثْلِ مـا قَدَّمتُمو وَبَذلتُمـو
تَغْلُو الدِّيارُ وتَرْخُصُ الأعمـارُ

هـذِي مَدِينَتُكُمْ ، وذاكَ صِراعُهـا ،
رَمْـزٌ لكلِّ بُطُـولةٍ وشعـارْ

جِئتُمْ بكلِّ عَجيبةٍ لم تَحتَفِلْ
يَومـاً بمِثْـلِ حَديثهـا الأمصـارُ

تَتحدَّثُ الدُّنيـا بهـا وبصُنْعِكُمْ
وَتَحَدّثُ الأجيـالُ والأدهـارُ

أحقيقـةٌ في الكَوْنِ أم أسطُورَةٌ
هـذا الصِّـراعُ الخـالِدُ الجبّـارُ ؟!

مصرع الربّان

الكابتن ماكيج جونس ، ربان حاملة الطائرات كارجيس
التي أغرقتها غواصة ألمانية

يا قاهرَ الموتِ كم للنفسِ أسرارُ ؟
ذَلَّ الحديدُ لها ، واستخذتِ النّارُ

وأشفقَ البحرُ منها ، وهو طاغيةٌ
عاتٍ على ضَرَبَاتِ الصَّخرِ ، جبّارُ

حوالكَ أحدوثةٌ مُثلَى ، وتضحيةٌ ،
لم تَحوِها سِيَرٌ ، أو تَرْوِ أخبارُ

رماكَ في جَنَبَاتِ اليمِّ مُحتربٌ
خافي المقاتلِ ، عند الرَّوعِ فرّارُ

ترصَّدتكَ مَرَاميهِ ولو وقعَتْ
عليهِ عيناكَ لم تُنقذْهُ أقدارُ

يَــدِبُّ في مَسْبحِ الحيتــانِ مُنْسَــرِباً
والغَــوْرُ داجٍ ، وصدرُ البحرِ مــوّارُ

كــدودةِ الأرضِ نورُ الشمسِ يقتلُهَــا
وكم بهــا قُتِلَتْ في الرَّوْضِ أزهــارُ

هــوى بكَ الفُلْكُ إلاّ هــامةً رُفِعَتْ
لهــا من المجــدِ إعظــام" وإكبــار

واستقبلَ البحــرُ صــدراً حينَ لامَسَهُ
كادتْ عليــهِ جبــالُ الموجِ تنهــارُ

وغــابَ كــلُّ مَشيدٍ ، غَــيرَ قُبَّعةٍ
ذكــرى من الشَّرفِ العــالي وتَذكارُ

ألقيتَهــا ، فتلقَّى المــوجُ مَعْقدَهــا
كمــا تَلَقَّى جبينَ الفــاتحِ الغَــارُ

ولو يُرَدُّ زمــانُ المعجــزاتِ بهــا
لانشقَّ بحــر" لهــا ، وارتدَّ تَيَّــارُ

كأنَّهــا خطبــة" راعَتْ مقاطعُهــا ،
لهــا العــوالمُ سُمَّــاع" ونُظَّــارُ

تقــولُ لا كانَ لي ربٌّ ولا هتَفَتْ
بذكرهِ الحربُ ، إنْ لم يُؤخذِ الثّارُ

يا ابنَ البحــارِ وليــداً في مسابحِهـا
ويافعــاً يُؤثرُ الجُــلّى ويختــارُ

ما عالَمُ المــاءِ ؟ يا رُبّان ، صِفهُ لنــا ،
فمــا تحيطُ بهِ في الوَهْمِ أفكارُ !

ومــا حيــاةُ الفتى فيــهِ ؟ أتسليةٌ
وراحــةٌ ؟ أم فُجــاءاتٌ وأخطــارُ ؟

إذا السفينةُ في أمواجــهِ رَقَصَتْ
علــى أهــازيجَ غَنّــاهنّ إعصــارُ

وأشجَتِ السُّحْبَ موسيقاهُ ، فاعتنقتْ
وأسدِلَتْ من خــدورِ الشُّهبِ أستــارُ

وأنتَ تــرنو وراءَ الأُفقِ مبتسمــاً
كمــا رَنَا نازحٌ لاحتْ لهُ الــدارُ

غــرقانَ في حُــلُمٍ عَـــذْبٍ تُسلسلهُ
من ذُروةِ اللّيــلِ أنواءٌ وأمطــارُ

يا عاشقَ البحرِ ، حَــدِّثْ عن مفاتنهِ
كم في ليــاليـهِ للعشّاقِ أسمــارُ

ما ليــلةُ الصّيْفِ فيه ؟ ما رواتُها ؟
فالصيفُ خمرٌ ، وألحانٌ ، وأشعارُ

إذا النســائمُ من آفاقِـهِ انحــدرتْ
وَضَــوّأتْ من كُــوَى الظلمــاءِ أنوارُ

وأقبلــتْ عــارياتٍ من غَلائِلِهَـــا
عــرائسٌ من بنــاتِ الجــنِّ أبكارُ

شُغلُ الرّبابِنَةِ السّــارينَ من قِــدَمٍ
تُجلَى بهــنّ عَشِيّــاتٌ وأسحــارُ

يَترِعنَ كأسَــكَ من خمــرٍ مُعَتّقَةٍ
ألبحرُ كهفٌ لهـــا ، والدهــرُ خمّــارُ

وأنت عنهــنّ مشغــولٌ بجــاريةٍ
كأنّ أجـراسَهـــا في الأذن قِيثـــارُ

صــوتُ الحبيبةِ قــد فاضتْ خوالجُهــا
وَرَتّحَتْهـــا من الأشــواقِ أسفارُ

والهَفَ قلبكَ لما اندكّ شامخُها
والنوءُ مصطرعٌ والموجُ هدّارُ

بُوغِتَ بالقَدَرِ المكتوبِ فانسرَحَتْ
عيناكَ تقرأ ، والأمواجُ أسطارُ

نزلتما البحرَ قبراً ، حين ضمّكما
رفّتْ عليهِ من المرجانِ أشجارُ

نامَ الحبيبانِ في مثواهُ واتّسَدَا
جنباً لجنبٍ ، فلا ذلّ ولا عارُ ! !

* * *

مصارعٌ للفدائيينِ يعشقُها
مستقتلونَ وراءَ البحرِ أحرارُ

مَنيّةٌ كحياةٍ ، كلما ذُكِرَتْ
تجدّدَتْ لكَ في الأجيالِ أعمارُ

هيَ الفخارُ لِشَعبٍ من خلائِقِهِ
خَلْقُ الرّجالِ إذا هاجَتْهُ أخطارْ

لَهُ البحارُ بما احتازتْ شواطؤها
وما أجنّتْهُ خُلجانٌ وأغوارُ

رواقُ مَجْدٍ على جُدرانهِ رُفِعَتْ
للخالدينَ أماثيلٌ وآثارُ

دخلتَ من بابهِ ، واجتزتَ ساحتَه ،
وسِرتَ فيهِ على آثارِ مَنْ ساروا

يتيهُ باسمِكَ في أقداسهِ نُصُبٌ
رخامُهُ الدَّهرُ ، والتّاريخُ حَفّارُ

البحر والقمر

من ذكريات مدينة « كان » بالريفيرا الفرنسية صيف عام ١٩٤٦ وقد أقيمت في خليجها الفاتن حفلة شائقة للسباحين والسباحات ذات ليلة قمراء

تَساءَلَ الماءُ فيكِ والشَّجر
من أين يا « كانُ » هذهِ الصُّوَرُ ؟

ألبحرُ والحورُ فيهِ سابحةٌ
رُؤىً بها باتَ يَحْلُمُ القَمَرُ !

أطلَّ والضوءُ راقصٌ غَزِلٌ
دعاهُ قلبٌ ، وشاقَهُ بَصَر

يهمسُ فيما يراهُ من فِتَنٍ
آلهةٌ هؤلاءِ أم بَشَر ؟

يقفزُ من لجةٍ إلى حجَرٍ
كأنما مَسَّ روحَهُ الضَّجَر

معربداً لا يريمُ سابحةً
إلاَّ ومنهُ بثغرها أثَرُ

من كلِّ حوَّاءَ مثلما خُلِقَتْ
يعجبُ منها الحرير والوَبَرُ

ألقَتْهُ عنها رقائقاً ونَضَتْ
جسماً تَحَامَى نداءَهُ القَدَرُ

في حانةٍ ما عَلَتْ بها عُمُدٌ
ولا استوى في بنائها حَجَرُ

جُدرانها الماءُ ، والسماءُ لها
سقيفةٌ ، والنسائمُ السُتُرُ

خمَّارُها مُنْشِدٌ ، وسامرُها
حورٌ تلوَّى ، وفتيةٌ سكروا

لم تَبْقَ في الشطِّ منهمو قَدَمٌ
قو خوَّضوا في العباب وانتشروا

وشَيَّعوا العقلَ حينما شربوا
وَوَدَّعوا القلبَ حيثما نظروا

والسابحاتُ الحسانُ حولهمو
كأنهنَّ النجومُ والزَّهَر

يزيدُ سيقانَهنَّ من بَهَجٍ
لونٌ عجيبُ الرُّواءِ مبتَكَرُ

يضيءُ ورداً وخمرةً وسنىً
ذوبٌ من المغريات مُعتَصَر

تغاير الموجُ إذ طلعنَ به
وثارَ من حولهنَّ يشتَجِر

بهنَّ يلتفُّ مُرتَقىً ويَرَى
ينشقُّ عنهنَّ فيه مُنحَدَرُ

منفتلات قدودُهُنَّ كما
ينفتل الغصنُ آده الثمرُ

ملوِّحات بأذرُعٍ عَجَبٍ
تحذرهنَّ النهودُ والشَّعر

والضوءُ فوق الخُصور منهمرٌ
والماءُ تحت الصدور مستعر

مـــا زِلـْنَ والبحر في تَوَثـُّبـِهِ
يُرْغِي كمـا راع قـَلـْبَهُ خطرُ

قد جـاوز الليـلُ نِصْفَهُ فمتى
تؤمُّ فيـه أصدافـَهـا الـدُّرَرُ

فليصخبِ البحـر ولتئـنَّ بـه
رمـالـُه ، وليثـرثرِ الشجَـر

ولتعصفِ الـريحُ فـوق مـائجـه
ولينبجس من غمـامه المطـَـر

أقسمنَ لا ينتحـين شـاطئـَهُ
وإنْ تـَرامَى بمـائه الشـررُ

حتى يُرَى وهو فضّةٌ ذَهَبٌ
تمـازجَ الليـلُ فيه والسَّحَرُ !

في صفوف المجاهدين

بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة الزعيم الخالد سعد زغلول

قيلت في عودته من منفاه بصخرة طارق وجزيرة سيشل ، وكان الوصوليون يحاولون ستر هزيمتهم بالدعوة الى السلام والوئام بعد أن أعرضوا قبل نفيه عن دعوته الى تناسي الاحقاد والالتفاف حول راية الجهاد

رُدّوا على الوادي ربيعَ نهارِهِ
آبَ الزعيمُ اليومَ من أسفارِهِ

جابَ البحارَ إليكمو حتى إذا
نَصَلَ الدُّجى ألقى عصا تسيارِهِ

هذا الذي قَدَرَ الإلهُ حياتَه
ليُنَقِّلَ التاريخَ في أدوارِهِ

ألأعزلُ المنفيُّ فارقَ قيدَهُ
ورمى بآسرِهِ وذلِّ إسارِهِ

عجباً يُخافُ مطارَدٌ بجزيرةٍ
ضَرَبَ الوجودُ بها وراءَ بحارِهِ

فَيُجشَّمُ المنفى البعيدَ بصخرةٍ
في مائجٍ مُتَلَثّمٍ بخطارِهِ

تخشى أساطيلُ الغزاةِ عبورَهُ
ويروعُ وحشَ البحرِ صَمتُ قرارِهِ

سِيَرٌ من الأمجادِ لم يُسْمَعْ بها
حتى أُتِحْنَ فكنَّ من أخبارِهِ

تلكَ البطولةُ لم تَكُنْ يوماً ولم
يطلعْ بها زمنٌ على حُضَّارِهِ

قم حدِّثِ التاريخَ غيرَ مُكَذَّبٍ
يا منْ غدا التاريخُ مِن آثارِهِ

أنتَ المصاولُ عن حماكَ فصِفْ لنا
حربَ الفدائيينَ من أنصارِهِ

والأرضُ كيفَ تَصُدُّ عن رحمائها
والكونُ كيفَ يضيقُ عن أحرارِهِ

والغاصبُ السّفاحُ من أنيابه
يجري الدمُ القاني ومن أظفارِهِ

يا من شَدَوْتُمْ بالسلامِ رويدكم
« داوودُ » لمّا يَشْدُ في مزمارِهِ

تحتَ الرّمادِ وميضُ نارٍ ، فالدجى
والبرقُ ، بعضُ دخانِهِ وشرارِهِ

رُدُّوا السلامَ إلى الحوادث تشهدوا
أنّ المآمنَ هنّ من أخطارِهِ

حَمَلَ البشيرُ قميصَهُ بيمينه
ودمُ الجنايةِ صارخٌ بيسارِهِ

هذا ضياءُ العدلِ بدّدَ ظلمهم
كالليلِ بدّدهُ الضّحَى بمنارِهِ

سعدٌ أهلٌ به وسعدٌ جاءكم
بالحقِّ أبلَجَ في سماءِ ديارِهِ

فاستقبلوهُ كعهدكم وتَخَيّروا
لجبينهِ العالي مُضَفّرَ غارِهِ

قالوا نُفيتَ ! فهل نفى عنك الهوى
ظُلمٌ سُقيتَ الأمسَ كأسَ عقارِهِ

لا تَلْحَ من كفروا بدعوتكَ التي
وضَحَتْ وخلِّ أذى المسيءِ ودارِهِ

آثامُهم فَزِعَتْ بخالقهم فَدَعْ
للهِ حكم اللهِ في كفّارِهِ

واللهِ لو لَمسوا فؤادكَ لانثنوا
جَزِعينَ مما لامسوا من نارِهِ

ومحا سناهُ ظلامَ أنفسهم وما
حُمِّلْنَ من ذُلِّ النكوصِ وعارِهِ

ألشعبُ مثلُ البحرِ إنْ يغضبْ فما
تقف السدودُ الشمُّ في تيّارِهِ

ورجالُهُ الأبطالُ ، ويحَ رجالِهِ
لم يهدأوا والظلمُ في تهدارِهِ

خاضوا الحتوفَ فما انثنتْ عزماتُهم
عن قاهرِ الوادي وعن جبّارِهِ

طلعوا على حِصْنِ الظلامِ فزحزحوا

أحجارَهُ ومَشوا إلى أغـوارِهِ

قذفوا به غَضبَ السـرائرِ فانظـروا

للحصنِ يسقط في يـديْ ثـوّارِهِ

أمسى وراياتُ الجهـادِ خوافقٌ

حُمْـرٌ مُنَشَّرةٌ على أسـوارِهِ

قبر شاعر

كان الشاعر يستمع لصديقه الأستاذ فؤاد صروف ذات مساء وهو يقرأ في ديوان (على بساط الريح) للشاعر اللبناني النابغ فوزي المعلوف الذي توفي في المهجر الأمريكي وهو في الثلاثين من عمره ، وعند الصباح دفع الشاعر بهذه القصيدة الى صديقه الأستاذ صروف

رفَّت عليه مورقاتُ الغصونْ وحفَّهُ العشبُ بنوّاره
ذلكَ قبرٌ لم تَشِده المنونْ بلْ شادهُ الشعر بآثاره
أقامَهُ من لبِناتِ الفنونْ وزانهُ المجدُ بأحجاره
ألقى به الشاعرُ عِبءَ الشجونْ وأودعَ القلبَ بأسراره

* * *

وجاورتهُ نخلةٌ باسقَهْ تجثم في الوادي إلى جنبه
كأنها الشاكلةُ الوامقَهْ تقضي مدى العُمْرِ إلى قربه
تئنُّ فيها النسمةُ الخافقَهْ كأنما تخفقُ عن قلبه
وترسلُ الأغنيةَ الشائقَهْ قِمْرِيةٌ ظلَّتْ على حبِّه

* * *

ويُقبلُ الفجرُ الرقيقُ الإهابْ يحنو على القبرِ بأضوائهِ
كأنما ينشُدُ تحتَ الترابْ لؤلؤةً تُزري بلألائهِ
إستلَّ منها الموتُ ذاكَ الشهابْ غيرَ شُعاعٍ ، في الدُّجى ، تائهِ
يَظَلُّ يهفو فوقَ تلكَ الشعابْ يطوفُ باليَنبوعِ من مائهِ

* * *

ويذهبُ النُّورُ ويأتي الظلامْ وتبزغُ الأنجمُ في نسقهِ
حيرى ، تحوم الليلَ كالمستهامْ أسهرهُ الثائرُ منْ شوقهِ
تبحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجامْ هوتْ به الأقدارُ عن أفقه
أخٌ لها في الأرضِ ودَّ المقامْ وآثر الغربَ على شرقهِ

* * *

ويُطلقُ الطيرُ نشيدَ الصباحْ بنغمةٍ تصدُرُ عن حُزنهِ
يَمُدُّ فوقَ القبرِ منهُ الجناحْ ويرسلُ المنقار في ركنهِ
أفضى إلى الراقدِ فيهِ وَباحْ بأنّهُ الملهمُ من فنّهِ
فَمِنْ قوافيهِ استمدَّ النُّواحْ ومن أغانيهِ صدى لحنهِ

* * *

وحين تمضي نَسَمَاتُ الخريف وتملأُ الأرضَ رياحُ الشتاءْ
ويقبلُ الليلُ الدجيُّ المخيف فلا ترى نجماً ينيرُ السماء
هناكَ لا غصنٌ عليهِ وَريف يهفو ، ولا طيرٌ يثيرُ الغناء
يظللُ الأرضَ الظلامُ الكثيف كأنما تُمسي بوادي الفناءْ

* * *

يا شـاعراً ما جمعتني بهِ كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارْ
لكنَّه الشرقُ وفي حبِّهِ ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارْ
سكبتَ من شجوكَ في قلبهِ ومن مآقيكَ الدموع الغِزار
فودَّ أنْ لو نمتَ في تربهِ ليشفيَ النفسَ بهذا الجوارْ

*   *   *

صَوَّرَ لي القبرَ الذي تنزلُ تَخَيُّلُ الشعرِ ووحيُ الشعورْ
فجئتُ للقبرِ بما يَجمُلُ من صُور الدنيا الفَتونِ الغَرورْ
قُلْ لي، بحقِّ الموتِ، مايفعلُ بالشاعرِ الموتُ وهذي القبورْ؟
وهل وراءَ الموتِ ما نجهلُ منعالمِ الرُّجعىويومِ النشور

*   *   *

قد راعني موتُكَ، يا شاعري في ميعةِ العمرِ وفجرِ الشبَابْ
وهزَّني ما فاضَ من خاطرِ كانَ ينابيعَ البيانِ العذَابْ
ونفثاتُ القَلَمِ الساحرِ فيجوبِكَ الأُفقَ وطيَّ السحابْ
ووقفةٌ بالكوكبِ الحائرِ رأى بساطَ الريحِ يدنو فَهَابْ

*   *   *

لكنَّهُ شعركَ لمَّا يَزَلْ يُرَدِّدُ الكونُ أناشيدَهُ
شِعرٌ كَصوبِ الغيثِ أتىنزلْ أرقصَ في الرَوْضِ أماليدَهُ
وعلَّم الطيرَ الهوى والغَزَلْ فأسمعَ الزهر أغاريدَهُ
وَغَنَّتِ الريحُ به في الجَبَلْ فحركتْ منهُ جلاميدَهُ

*   *   *

يا قبرُ لم تـبْـصرك َ عينـي ولا		رأتك إلاّ في ثنـايا الخيـال ْ

ملأتَ بالرَّوْعِ فؤاداً خـلا		إلاّ من الحبِّ ونورِ الجمال ْ

أوحيتَ لي سـرَّ الردى فانجلى		عن عينيَ الشكُّ وليلُ الضلال ْ

غداً ستطوي القلبَ أيدي البلى		ويقنصُ النجم عقابُ الليـال ْ

* * *

وهكذا تمضي ليـالي الحيـاه ْ		والقبر مـا زالَ على حـالهِ

دنيـا من الوَهْمِ ودهرٌ تراه		يغـرِّرُ القلبَ بآمـالهِ

يسخرُ من مبتسماتِ الشفاه ْ		وجامدِ الـدمعِ وسَيَّاله

دهرٌ على العـالمِ دارتْ رحاه ْ		فلم تـدَعْ رسمـاً لأطلالهِ

شاعر مصر

في رثاء حافظ ابراهيم

دَعَوْتَ خَيَالي فاستجابتْ خواطري
وحدَّثني قلبي بأنكَ زائري

عَشِيَّةَ أغرى بِي الدُّجى كلَّ صائحٍ
وكلَّ صدىً في هَدْأةِ الليلِ عابرِ

أقولُ مَنِ السَّاري ؟ وأنتَ مُقَارِبي
وأهتفُ بالنَّجْوَى ، وأنتَ مُجاوِري

أُحِسُّكَ مِلءَ الكونِ رُوحاً وخاطراً
كأنَّك مبعوثُ الليالِي الغوابرِ

ومثَّلَ لي سمْعي خُطاكَ ، فخِلْتُهَا
صَدَى نبأٍ من عالمِ الغَيْبِ صادرِ

سِــوى خطراتٍ من بَنــانٍ رفيقةٍ
طَــرَقْتَ بهــا بابي فَهَبَّتْ ســرائري

عرفتُكَ ، لم أسمعْ لصــوتِكَ نَبْأَةً
وشِمتُكَ ، لم يَلْمَحْ مُحَيَّاكَ ناظري

أرى طَيْفَ معشوقٍ ، أرى روحَ عاشقٍ
أرى حُلْمَ أجيالٍ ، أرى وجهَ شاعرِ

* * *

إلَيْكَ ضِفافَ النيل ، يا روحَ حافظٍ ،
فَجدِّدْ بهــا عهــدَ الأنيسِ المُســامرِ

وساقِطْ جَنَــاها من قوافيكَ سَلْسَلاً
رَخِيماً كأزْهامِ النَّــدى المُتنــاثِرِ

سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدامَى ، وصَفَّقَتْ
كؤوسٌ على ذِكْــرِ الغــريبِ المســافرِ

نَجيَّ الليــالي القاهريَّاتِ طُفْ بهــا
خَيَــالَةَ ذكــرى ، أو عُلالَةَ ذاكــرِ

وجُزْ عالَمَ الأشباحِ ، فالليلُ شاخصٌ
إليــكَ ، وأضواءُ النجومِ الــزَّواهرِ

وطالِعْ سماءً في مَعَارجِ قُدْسِها
مَرِحتَ بوُجدانٍ من الشِّعرِ طاهرِ

وسَلْسَلَتَ من أندائِها وشُعاعِها
جَنَى كَرْمَةٍ لم تَحْوِها كفُّ عاصرِ

تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهيِّ كأسُها
فعَرَّدَ بالإلهامِ كلُّ مُعاقرِ

عَلَى النِّيلِ رُوحانيةٌ من صَفائِها
ولألاءُ فجرٍ عن سَنَا الخُلْدِ سافرِ

فصافِحْ بعينيكَ الدِّيار فطالما
مَدَدْتَ على آفاقِها عينَ طائرِ

وخُذ في ضِفافِ النهر مَسْراكَ ، واتَّبعْ
خُطَى الوحْيِ في تلكَ الحقولِ النَّواضرِ

حدائقُ فرعَوْنٍ بدفَّاقِ نَهرِها
وجَنَّتُهُ ذاتُ الجَنَى والأزَاهرِ

وفي شُعَبِ الوادي ، وفوقَ رمالهِ
عِصيُّ نبيٍّ ، أو تَهاويلُ ساحرِ

صوامعُ رُهبانٍ ، مَحاريبُ سُجَّدٍ ،
هياكِلُ أربابٍ ، عروشُ قياصرِ

سَرَى الشعرُ في باحاتها روحَ ناسكٍ
وترديدَ أنفاسٍ ، ونَجوَى ضمائرِ

وهمسَ شِفاهٍ تَثمَلُ الروحُ عندَهُ
وتَسبَحُ في تِيهٍ من السِّحرِ غامرِ

هو الشعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدْوُها
وحُلمُ صِباها في الرَّبيعِ المُباكِرِ

وصوتٌ بأسرارِ الطبيعةِ ناطقٌ
ولكنَّه روحٌ ، وإبداعُ خاطرِ

ووثبَةُ ذِهنٍ ، يَقنصُ البرقَ طائراً
ويغزو بروجَ النَّجمِ غيرَ مُحاذِرِ

فيا دُرَّةً لم يحوِها تاجُ قيصرٍ
ولا انتظمتْ إلاّ مفارقَ شاعِرِ

تَألّه فيكِ القلبُ واستكبر الحِجَى
على دَعَةٍ ، من تَحتنها روحُ ثائرِ

إذا اعترضَ الجبَّـارُ ضَوْءَكِ شـامخاً
تَلقَّيْتِهِ كِبْراً بِبَسْمَةِ سـاخـرِ

لمَستِ حـديدَ القَيْدِ فانحـلَّ نظمُه
وأطلقتِ أسـرَى من براثِنِ آسِرِ

ومـا زِدْتِ في الأحـداثِ إلاَّ صـلابةً
إذا النَّـارُ نالتْ من كِـرامِ الجـوَاهِرِ

يزينُ بكِ الـرَّاعي سقيفةَ كُوخِهِ
فتخشَعُ حَيْرَى نيِّراتُ المقـاصِرِ

أضاعوكِ في أرضِ الكنوزِ ، وما دَرَوْا
بأنكِ كَنْزٌ ضَمَّ أغلَى الذَّخائرِ

وهُنتِ على مهـدِ الفنـونِ ، وطالمـا
سموتِ بسلطـانٍ من الفنِّ قاهِـرِ

إذا افتقـدَ التـاريخُ آثارَ أمَّـةٍ
أشَـرْتِ بمـا خلَّدتِهِ من مآثِرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ لم يزَلْ
خيـالُكَ يَغْشَى كلَّ نادٍ وسـامِرِ

وشعرُكَ في الأفواهِ إنشادُ أمةٍ
تغنَّتْ بماضٍ واستعزَّتْ بحاضِرِ

هتفتَ بها حياً ، فلا تَأْلُ خالداً
هُتافَكَ ، وانفض عنكَ صَمتَ المقابرِ

صَدَاكَ، وإن لم تُرسلِ الصوتَ، مالىءٌ
سَماعَ البَوَادي ، والقُرى، والحَواضِرِ

وذِكْرَاكَ نَجْوى البائسينَ ، إذا هَفَتْ
قلوبٌ ، وحارتْ أدْمُعٌ في المَحاجِرِ

يَدُلُّ عليكَ القلبَ أَنَّاتُ بائسٍ
ونظرةُ محزونٍ ، وإطراقُ سادِرِ

وما أنتَ إلاَّ رائدٌ من جماعةٍ
تَوالَوْا تِباعاً بالنُّفوسِ الحرائرِ

صَحَتْ بادياتُ الشَّرْقِ تحتَ غُبارِهمْ
على شَدْوِ أقلامٍ ولمعِ بواتِرِ

وفي القِمَمِ الشَّماءِ ، مِنْ صَرَخاتِهم ،
صَدَى الرعدِ في عَصْفِ الرياحِ الثَّوائرِ

يضيئونَ في أفقِ الحياةِ كأنَّهمْ
على شَطِّها النَّائي منارةُ حائرِ

فيا شاعراً غنَّى فرَقَّ لشَجْوِهِ
جَفاءُ اللَّيالي ، واعتِسافُ المقادِرِ

لَكَ الدهرُ ، لا ، بل عالَمُ الحِسِّ والنُّهَى
خميلةُ شادٍ آخذٍ بالمشَاعِرِ

فَنَمْ في ظلالِ الشَّرْقِ ، واهنَأْ بمضْجَعٍ
نَدِيٍّ بأنفاسِ النَّبيِّينَ عاطِرِ

ووَسِّدْ ثراهُ الطُّهْرَ جَنْبَكَ واتَّخِذْ
لِذاتِكَ فيه ، فهْوَ مَهْدُ العَباقِرِ

الله والشّاعر

سموت مستقبلا وجهك الكريم فقالت لي الطبيعة
سر في طريقك ، ما أنبه شأنك ، انه رآك
لامرتين

● لاتفزعي ، يا أرضُ ، لاتَفرَقي
من شَبَحٍ تحتَ الدُّجى عابرِ
مـا هـو إلاّ آدمي شقِي
سمَّوهُ بين النـاسِ بالشـاعرِ

● حنانَكِ الآن ، فلا تُنكري
سبيلَهُ في ليلكِ العـابسِ
ولا تُضلّيـهِ ، ولا تنفـري
مِنْ ذلكَ المستصرخِ البـائسِ

● مُدّي لعينيهِ الرحابَ الفِساحْ
ورقرقي الأضـواءَ في جفنهِ
وأمسكي، يا أرضُ، عصفَ الرياحْ
والرّاعـدَ المُنصبَّ في أذنهِ

● أتسمعينَ الآنَ في صوتِهِ
تَهَدُّجَ الأنّاتِ من قلبِهِ ؟
وتقرأينَ الآنَ في صمتِهِ
تَمَرُّدَ الرُّوحِ على ربِّهِ ؟

● في وقفةِ الذّاهلِ ألقى عصاهْ
مُولّي الجبهةِ شطرَ الفضاءْ
كأنما يَرْقَى الدُّجى ناظراهْ
ليستَشِفَّا ما وراءَ السماءْ

● يَسقُطُ ضوءُ البَرْقِ في لمحِهِ
على جبينٍ باردٍ شاحِبِ
ويستثيرُ البردُ في لفحِهِ
ناراً تَلظّى من فمٍ ناضبِ

● أنتِ لهُ ، يا أرضُ ، أمٌّ رؤومْ
فأشهدِي الكونَ على شِقوَتهْ
وردِّدي شكواهُ بينَ النجومْ
فهوَ ابنُكِ الإنسانُ في حَيْرتهْ

● ما هوَ إلاّ صوتُكِ المُرْسَلُ
وروحُكِ المستعبَدُ المُرْهَقُ
قد آدَهُ الدهرُ بما يَحمِلُ
فجاءَ عنْ آلامهِ يَنْطِقُ ؟

● طغَى الأسى الدّاوي على صوتِهِ
يا للصَدَى من قلبِه النّاطقِ
مضى يبثُّ الدهر في خفتِهِ
شكايةَ الخَلْقِ إلى الخالقِ

● لا تَعذُني ، يا ربِّ ، في محنتي
ما أنا إلاّ آدميٌّ شقِي
طَرَدْتَني بالأمسِ من جنتي
فاغفر لهذا الغاضبِ المحنَقِ

● حنانكَ اللهمَّ ، لا تغضبِ
أنتَ الجميلُ الصفحِ ، جمُّ الحنانْ
ما كنتُ في شكوايَ بالمذنبِ
ومنكَ ، يا ربِّ ، أخذتُ الأمانْ

● مـا أنا بالزاري ولا الحـاقدِ
لكنني الشّـاكي شقـاءَ البشَر
أفنيتُ عمـري في الأسى الخالدِ
فجئتُ أستوحيكَ لُطْفَ القدَرْ

● تمـرَّدتْ روحي على هيكلي
وهيكلُ الجسمِ كمـا تعـلمُ
ذاكَ الضعيفُ الرأيِ لم يفعـلِ
إلاّ بمـا يوحي إليـه الـدمُ !

● يَعرُقُ حدُّ السَّيفِ من لحمهِ
ويحطـمُ الصَّفوانُ بنيـانَهُ
وينخـرُ الجـرثومُ في عظمـهِ
ومنـهُ يُنْمي القبـر ديدانَهُ !

● مـا هوَ إلاّ كومةٌ من هبـاءْ
تمحقهُ اللمسةُ من غَضبتِكْ
فكيفَ يثني الروحَ عما تَشاءْ ؟
وكيف يقوى ؟ وَهْيَ من قدرتِكْ ؟

● روحُكَ في روحي تبثُّ الحياهْ
نـزلتْ دنيـايَ على فجرِها
فإنْ جفـاهـا ذاتَ يومٍ سنـاهْ
لاذتْ بليـلِ المـوتِ في قبرِهـا

● وَمِثلما قدَّرْتَ صوَّرتَهـا
فروحُكَ الصوتُ وروحي الصَّدَى
طبيعةٌ في الخلق ركّبتهـا
ومـا أرى لي في بِناهـا يَدَا !

● لكنّما روحُـكَ من جوهـرٍ
صافٍ ، وروحي ما صَفتْ جوهرا
أوْ لاَ ؟ فمـا للخيرِ لمْ يُثمرِ
فيهـا ؟ ومـا للشرّ قد أثمـرا ؟ !

● تقولُ روحي إنّها مُلهَمهْ
فهيَ لمـا قَدَّرْتَهُ مُتبِعَهْ
مقودةٌ ، في سيرها ، مُرْغمَهْ
وإنْ تراءَتْ حـُرَّةً طيّعَهْ

● قيّدتَهـا بالجسمِ في عالمٍ
تَضجُ بالشهوةِ فيهِ الجسومْ
كلاهمـا في حبّـهِ الآثـمِ
لَم يصْحُ منْ سُكراهُ وهو الملومْ

● تُبْدي بهِ الأجسامُ سحرَ الحياهْ
في مَعْرِضٍ يجلو غريبَ الفنونْ
نواعسَ الأجفانِ حُوّ[1] الشفاهْ
شديدةَ الإغـراءِ شتّى الفتونْ !

● ولم أكُنْ أولَ مُغرىً بما
أغْرَتْ بـهِ حـواءَ أو آدمـا
إرثٌ تمشّى في دمي منهمـا
مـيراثهُ ينتظمُ العـالمـا ! ! !

● فأنتَ قدّرتَ عليَّ الشقاءْ
من حيثُ قدّرتَ عليَّ النعيمْ
ومـا أرى ! ! هل في غدٍ لي ثواءْ
بالخُلدِ ؟ أمْ مثوايَ نارُ الجحيمْ ؟

---

(١) الحوّة سواد الى الخضرة او حمرة الى السواد

● ما أثِمَتْ روحي، ولا أجرَمَتْ
ولا طغى جسمي ، ولا استهترا
عناصر الروحِ بما ألهِمَتْ
أوحتْ إلى الجسمِ ، فما قصَّرا

● كلاهما لم يَعْدُ تصويرَهُ
ما كانَ إلاَّ مِثلما كَوَّنا
كم حاولا بالأمسِ تغييرَهُ
فاستكبر الطبعُ ، وما أذعنا

● أمنذِري أنت بيومِ الحساب ؟
ولائمي أنتَ على ما جرى ؟
رُحماك ! ما يرضيكَ هذا العذابْ
لطبْعٍ لم يَعْصِ ما قدِّرا ! !

● ما كنتُ إلاَّ مثلما رُكِّبَتْ
غرائزي ؛ ما شئتَ لا ما أشاءْ
فلتجزِها اليومَ بما قدَّمتْ
وإنْ تكنْ مما جنَتْهُ بَراءْ !

● وفيمَ تُجزَى، وهيَ لمْ تأثَمِ ؟
ألستَ أنتَ الصائغَ الطابعا ؟
ألمْ تَسِمْها قبلُ بالمِيْسَمِ ؟
ألمْ تصُغْ قالبَهَا الرائعا ؟ ؟

● ألم تصُغْها عنصراً عنصرا ؟
مِنْ أينَ ؟ ماعلمي ؟ وأنتَ العليمْ !
جَبَلتها يومَ جبلتَ الثرى
مِنْ عالمِ الذَرِّ(1) ودنيا السَّديمْ

● ألخيرُ والشر بها توأمانْ
والحبُّ والشهوةُ في طبعِها
حوَّاءُ والشيطانُ لا يبرحانْ
يُساقِطان السِّحرَ في سمعِها !

● تَشككَّتْ نفسي بما تنتهي
إليهِ دنياها وماذا يكونْ !
مضتْ فما آبتْ بما تشتهي
من حَيْرةِ الفكرِ وهجسِ الظنونْ!

(1) الذر الهباء المنتشر في الهواء

● رأتْ أسارى في قيودٍ ثقــالْ
بين يدَيْ ذي مِــرَّةٍ يبسمــونْ
يسوقُهُمْ في فَلَوَاتِ الليـــالْ
في بطشِ جَبَّارينَ لا يرحمــونْ

● إنْ ضجَّ في الأغلالِ منهمْ طليحْ
أخرسهُ السوطُ الـذي يُرهَفُ
وإنْ هوى للأرضِ منهــم جريحْ
أنهضهُ في قيــدهِ يَرْسُفُ !

● يا ويحهم ! مــا عرفوا مَوئِلا
من قسوةِ الدهرِ وَجَوْرِ القضاءْ
يا أرضُ ، مــا كنتِ لنــا منزلا
ما أنتِ إلا مَوْبِقُ[1] الأبرياءْ ! !

● أفي سبيلِ العَيْشِ هذا الصراعْ ؟
أمْ في سبيل الخُـلدِ والآخرَهْ ؟
وهؤلاءِ البـائسونَ الجيــاعْ
تطحنُهُمْ تلكَ الرَّحى الدائرَهْ ؟ ؟

(١) الموبق المهلك

● ما ذنبُ هذا العالَمِ الثّائرِ ؟
إنْ حــاولَ الإفلاتَ من آسرِهْ ؟
مـا كانَ في ميـلادهِ الغـــابرِ
أسعدَ حالاً منهُ في حــاضرِهْ ! !

● مـا كانَ لوْ لمْ تَنـزْ آلامُهُ
بالمـاجِنِ الـرّوحِ ولا الهـائمِ
ولو جَـرَتْ بالصفـوِ أيامُهُ
مـا كانَ بالـزّاري ولا النـاقمِ

● رأى بعينيهِ المصـير الرهيبْ
وكيفَ غـالَ النـاسَ من قبْلهِ
وكـلَّ يومٍ للمنـايا عصيبْ
يسوقُهمْ للموتِ من حولهِ !

● فحقَّـرَ الدُّنيـا وأزرى بهـا
وقالَ مـالي أنكرُ الواقِعَـا ؟
فَلْتَسْعَدِ النفسُ بأنخابهـا
من قَبْلِ أن تلقى الغدَ الرائِعَا !

● أيصبحُ الإنسانُ هذا الرميمْ ؟
والجيفةَ الملقـاةَ نهبَ الترابْ ؟
أيستحيلُ الكونُ هـذا الهشيمْ
والظلمةَ الجاثمَ فيهـا الخرابْ ؟

● لمنْ، إذن،تبدعُ تلكَ العقولْ ؟
أفي الرَّدى تُدْرِكُ ما فاتَهـا ؟ ؟
أم في غدٍ تَثْوىَ بتلكَ الطلولْ
ويسحقُ الدهر يَوَاقيتَهـا ؟ ؟

● وا أسَفًا للعَـالمِ البـائدِ
ليسَ له ممـا يَرَى مهـربُ
علـى رنينِ المنجَـلِ الحـاصدِ
مضىيُغنِّي ... وهوَ لايطربُ ! !

● فَدَعهُ ينسى بعضَ ما حُمّلا
من نَكَدِ الدُّنيا وضَنْكِ الحياهْ
وأوْلِهِ العطفَ الـذي أمَّـلا
فإنـهُ أوْلى بعطفِ الإلهْ !

● مـا هيَ إلاَّ لحظاتٌ قِصَارْ
تَمُرُّ مِثْلَ الوَمْضِ في عينهِ
فإن مضى الليـلُ وجاءَ النهـارْ
عـاودَهُ الخـالدُ من حـزنهِ !

● وما أتى الغَيَّ ليعصى الإلهْ
يوماً ، ولا كانَ بهِ مُغـرَما
لكنْ لينسى شقواتِ الحيـاهْ
وسرَّها المستغلقَ المبهمَـا !

● يا للشقيِّ القلبِ كمْ سامَهُ
توهُـم النعمـةِ مـا لا يُطيقْ
يُريدُ أنْ يُقنـعَ أوهـامَهُ
بأنَّـهُ ذاكَ الخـليُّ الطليقْ

● هـأنذا أرفـعُ آلامَـهُ
إلى سمـاءِ المنقـذِ الأعظمِ
أنا الـذي تُرسلُ أنغـامَهُ
قيثـارةُ القلبِ ، ونايُ الفمِ

● من عبراتي صُغتُ هذا المقالْ
ومن لهيبِ الروحِ هـذا القَلَمْ
ملأتُ منـهُ صفحاتِ الليـالْ
فَضُمِّنَتْ كـلَّ معـاني الألمْ

● أنا الذي قدَّستَ أحـزانَهُ
ألشَّاعرُ البـاكي شقاءَ البشَر
فَجِّرْتَ بالرحمـةِ ألحـانَهُ
فاملأْ بها ، يا ربِّ ، قلبَ القدَرْ !

● مـا الشاعرُ الفنَّانُ في كونهِ
إلاَّ يدَ الرحمـةِ من ربِّهِ
مُعَـزِّيَ العـالمِ في حـزنهِ
وحـاملَ الآلامِ عنْ قلبـهِ

● عـزاؤهُ شعـرٌ بهِ أهزَجُ
في نَغَمٍ مستعذَبٍ سـاحرِ
مـا يَحزَنُ العـالَمُ أو يَبهجُ
إلاَّ علـى قيثارةِ الشـاعرِ

● يارب ، ما أشقيتني في الوجودْ
إلاّ بقلبي ليتهُ لم يَكُنْ
في المثل الأعلى وحبّ الخلودْ
حمّلته العبءَ الذي لم يَهُنْ

● خلقته قلباً رقيقَ الشّغاف
يهيمُ بالنورِ ويَهْوى الجمالْ
حلَتْ لهُ النجوى ولذّ الطواف
بعالمِ الحسنِ ودنيا الخيالْ

● بَعَثْتَهُ طيراً خفوقَ الجناحْ
على جِنانٍ ذاتِ ظلٍّ وماءْ
أطلقتهُ فيها قُبَيْلَ الصباحْ
وقلتَ غنِّ الأرضَ لحنَ السماءْ

● فهامَ في آفاقها الواسِعَهْ
ألنّورُ يهفو حولهُ والنّدَى
مُصفّقاً للضّحْوَةِ الساطعَهْ
ومُنشِداً ما شاءَ أنْ يُنشدا

● إنْ جاءَ صيفٌ أو تجلّى ربيعْ
حيّـاهُ منـهُ عبقريُّ الغِنـاءْ
وكم خريفٍ في نشيدٍ بديعْ
تظلُّ تَرويهِ ليـالي الشتـاءْ

● قيثـارةٌ تصـدرُ في فنّهـا
عن عالمِ السِّحرِ ودنيـا الخفـاءْ
على الصَّدَى الحـائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجـرُ ويغفو المسـاءْ

● مَشتْ على الأمواجِ أنغـامُها
والأرضُ قَيْدُ النشوةِ المسكِرهْ
كأنّمـا ترقُصُ أحـلامُهـا
في ليـلةٍ شرقيـةٍ مُقمـرهْ !

● من قلبهِ أسلَسَتْ أوتارَهـا
فقلبُـهُ يخفـقُ في كفِّـهِ
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَهـا
عليـهِ ، فهي اللحنُ من عزفِـهِ

● ذاتَ صباحٍ طارَ لا يَمْهِلُ
والأرضُ سَكرى منْعبيرِ الزهورْ
على حصاها رتَّمَ الجدولُ
وفي روابيها تُغنّي الطيورْ

● ما كانَ يدري قبلَ أن ينظُرَا
ما خَبَّأتهُ النظرةُ العاجلهْ
ما أبدعَ الحلمَ الذي صوَّرَا
لوْ لَمْ تَشُبْهُ اليقْظةُ القاتلهْ !

● مرَّ بنهرٍ دافقٍ سلسبيلْ
تهفو القَمَارى[1] حولَهُ شادِيَهْ
في ضفتيهِ باسقاتُ النخيلْ
ترعى الشياهُ تحتَها ثاغِيَهْ

● فهاجتِ النظرةُ مما رأى
في قلبهِ السحر وفي عينهِ
ألكونُ يبدو وادعاً هانئا
كأنهُ الفردوسُ في أمنهِ

(١) القُمْريُ : ضرب من الحمام حسن الصوت

● فظلَّ في التفكير مستغرقًا
من فتنةِ الدنيـا وَمِنْ سحرِهـا
مـا كانَ إلاَّ ريثمـا حـدَّقا
حتى جَلَتْ دنيـاهُ عن سرِّهـا

● رأى بعينيهِ الذي لم يرَهْ
ألذئبَ ، والشاةَ ، وحربَ البقاءْ
مـا عرَفَ القتـلَ ولا أبصرهْ
ولا رأى من قَبْلُ لونَ الدماءْ !

● ما هي إلاَّ صَرَخَاتُ الفزَعْ
وصيحةُ المقتـولِ والقـاتلِ
قدِ انقضى الأمـرُ كأنْ لمْ يَقَعْ
وضاعَ صوتُ الحقِّ في البـاطلِ

● وبعدَ ساعاتٍ يُوَلّي النهـارْ
ويقبلُ الليـلُ ، وما يعلمُ ! !
سيلبثُ السـرُّ وراءَ الستـارْ
ويختفي الشلْوُ ويُمحى الدمُ ! !

● فرُوِّعَ الشاعر مما رآهْ
وهامَ في الأرضِ على وجههِ
أين ترُى، يا أرضُ ، يلُقيعصاهْ ؟
وأيُّ وادٍ ضلَّ في تيههِ ؟

● حتى إذا شارفَ ظلَّ الشَجَر
في روضةٍ غناءَ ريَّا الأديمْ
قد ضَحِكتْ للنورِ فيها الزَّهَر
وصفَّقَت أوراقُها للنسيمْ

● إختارَ في الظلِّ له مقعدا
في ربوةٍ فاتنةٍ ساحرَهْ
أذاب فيها الشفقُ العسجدا
وناسمتها النفحةُ العاطرَهْ

● بينا يُملِّي العينَ من سحرِها
إذ أبصر الصِّلَّ[1] بها مُطْرِقا
قدِ انتحى الأطيارَ في وكرِها
فسامَها من نابهِ مَوْبِقا

---

(١) الصِلّ الحية الخبيثة جداً

● هل سمعتْ أذْناكَ قصفَ الرعودْ
في صخَبِ البحرِ وعصفِ الرياحْ ؟
هل أبصرتْ عيناكَ ركضَ الجنودْ
في فزعِ الموتِ وَهَوْلِ الكفاحْ ؟

● إن كنتَ لم تبصر ولم تسمعِ
فَقِفْ إلى ميدانها الأعظمِ
ما بينَ ميلادكَ والمصرعِ
ما بَيْنَ نابَيْ ذلك الأرقمِ ! !

● جريمةُ الغدرِ وسفكِ الدمِ
جريمةٌ لم يخلُ منها مكانْ
يا لُجةً كلٌ إليها ظمي
قد جازَ طوفانُكِ شُمَّ القنانْ !

● مَنْ علّمَ الوحشَ الأذى والقتالْ؟
من بثَّ فيهِ الشرَّ أو ألهمَهْ ؟
من علّم الثعبانَ هذا الختالْ ؟
والحيوانَ الغَدْرَ مَنْ علّمهْ ؟

● ياأرضُ،هذا الوحيُ منعالمِكْ
ألمــاءُ والطـينُ به يشهدانْ
جَنَيْتِ ، يا أرضُ ، على آدمِكْ
إذ سُمتِهِ بالأمسِ هجرَ الجنانْ!

● يا ضلّةَ الشاعرِ ، أينَ النجاهْ
وأينَ ، أينَ المنــزلُ الآمنُ ؟
أكــلّ وادٍ طرَقتْهُ خُطاهْ
طالعَهُ منــهُ الــرّدى الكامنُ ؟

● حتى إذا ضاقتْ عليهِ السُبُلْ
وعــزّ في الأرض عليــهِ المُقــامْ
أوَى إلى كَهْفٍ بسَفْحِ الجبلْ
عســاهُ يقضي ليْلَهُ في سَلامْ

● مــا كانَ إلا حـُلـُمــاً كاذبا
أفاقَ منــهُ مستطـيرِ الجَنــانْ
ألبحــرُ يرْغي تحتــهُ صاخبــا
والشهبُ نارٌ ، والدياجي دُخانْ

● ألأرضُ من أقطارهــا راجفَهْ
كأنَّما طافَ عليهــا المنــونْ
تضجُ في أرجائهــا العاصفَهْ
كأنما النــاسُ بهــا يُحشرونْ !

● ثُمَّ استقرَّ العــالمُ الثــائرُ
وأقبــلَ النــورُ وولّى الظــلامْ
وَاعجبا ممــا يَرَى الشــاعر
كأنما أمسى بِوَادي الحِمــامْ !

● بَدَتْ لهُ الأرضُ كقبرٍ عفَا
إلاَّ بقــايا رِمَّةٍ أو حَجَرْ
قد أصبحَ القــاعُ بهــا صفصفَا
فمــا عليهــا مِنْ حيـــاةٍ أثَرْ

● مَرَرتُ بالبُــلدانِ مُستعبرا
أبكي الحضاراتِ وأرثي الفنــونْ
أنقــاضُها تمــلأُ وجــهَ الثرى
وَكُنَّ بالأمسِ مَثــارَ الفتونْ !

● أتى على اليابسِ والأخضرِ
ألموجُ ، والنوءُ ، وسيلُ الحَمَمْ
يا رحمةَ اللهِ اهبطي وانظري
ماحَصَدَ الموتُ ودكَّ العَدَمْ ! !

● أيستحقُّ الناسُ هذا العقابْ ؟
أم حانتْ الساعةُ من نقمتِكْ ؟
ما احتملوا ، يا ربِّ ، هذا العذابْ
إلاّ رجاءَ الغَوْثِ من رحمتِكْ ؟

● أما ترى منفرجاتِ الشفاهْ
عن آخرِ الصيحاتِ من رعبها ؟
ما زالَ فيها منْ معاني الحياهْ
إيماءَةُ الشكوى إلى ربها !

● وهذهِ الأعينُ نهبَ العفاءْ
في رقدةِ المَوْتِ كأنْ لم تَنَمْ
مُحدِّقاتٍ في نواحي السماءْ
تُشهِدها هذا الأسَى والألَمْ !

● وهذه الأيدي تحوطُ الصدورْ
كأنهـا في مَوقفٍ للصَّـلاهْ
لم تَنْسَ في نَزْعِ الحياةِ الغَرورْ
ضـراعةً ترسُمهـا للإلهْ !

● ما عَرفوا في صَعقاتِ الرَّدَى
إلاّكَ من غـوثٍ ومن مُنجِـدِ
ولا سَرَى في الأرضِ منهمْ صَدَى
إلا وَدَوَّى باسمِكَ الأمجـدِ !

● أعبرةٌ تذكرها كـلَّ حينْ
للعـالم الذّاكـرِ إمّـا نَسِي ؟
أمْ ضـرباتٍ قاسياتٍ تُلينْ
بهنَّ قلبَ الفظِّ والأشـرسِ ؟

● أم موجةُ الطُّهرِ التي تَغسلُ
مآثمَ الكونِ وتمحـو أذاهْ
يا ربِّ ، ضِقنا بالـذي نحمـلُ
فحسبُنا آلامُنا في الحيـاهْ ! !

● ألمْ تُطهِّرْ ذلكَ العــالمــا
من كلِّ عاصٍ أو غويٍّ جموحْ ؟
مــا غــادرَ المــوجُ بهِ قائمــا
يومَ اجتوى الأعلامَ طوفانُ نوحْ !

● إذن فما للناسِ ضلّوا الهدى ؟
وأخطأوا اليومَ سبيلَ الرّشَادْ ؟
لعــلَّ نوحــاً أخطــأ المقصــدا
فأغرقَ الخيرَ ونجّى الفَسَادْ ! !

● يا ليتَهُ لمَّــا دعــا بابنــهِ
وحــالتِ الأمــواجُ أنْ يَسْمعا
لجَّ عليــهِ القلبُ في حــزنهِ
فلم يَرَ الجوديَّ لمَّــا دعــا ! !

● يا أرضُ، ولّى عهدُ نوحٍ وزالْ
فمَنْ لكِ اليــومَ بطوفانهِ ؟
مسكينةٌ تطوينَ بحــرَ الليــالْ
قد عــزَّكِ المــرسى بشُطئانهِ !

● إلامَ تطوينَ عُبابَ السنينْ
شوقاً إلى فردوسكِ الضائعِ ؟
غُرِّرتِ ، يا أرضُ بما تحلمينْ
فاستيقظي من حلمكِ الخادعِ ! !

● وابقي كما أنتِ على موجِهِ
تُمَزِّقُ الأنواءُ منكِ الشراعْ
يقذُفكِ التيار في لجِّهِ
عشواءَ لا يهديكِ فيهِ شُعاعْ

● سلي القداساتِ وأربابَها
ضراعةً تُصغي إليها السماءْ
أو فاطرقي بالبثِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنكِ الشقاءْ !

● يا أيها الغادونَ والرائحونْ
في شُعَبِ الأرضِ وليلِ الهمومْ
تُمسون أشتاتاً كما تصبحونْ
والشمسُ حيرى فوقَكمْ والنجومْ !

● مُدّوا لها الأيدي وولّوا الجباهْ
وأرسلوهـا صيحةً واحـدهْ
قولوا لها يا من شهدتِ الحيـاهْ
من أينَ تلكَ النظـرةُ الجامدهْ ؟

● من أينَ تلك النظرةُ الهادئهْ ؟
والقسماتُ المشرقاتُ الجبينْ ؟
هـل أنتِ من آلامنـا هـازئهْ ؟
أم أنتِ ، يا أعينُ، لا تُبصرينْ ؟ !

● أم هكذا أوحى إليـكِ القضاءْ
فما عرَفتِ الحزنَ والأدمعـا ؟
يا أيُّهـا النـاسُ اضرعوا للسماءْ
قد آنَ أنْ تُصغي وأن تشفعا !

● هاتوا الأزاهيرَ وهاتوا الغصونْ
وكلَّ مـا يحلو ومـا يَجملُ
قد آنَ أنْ تَفضوا بما تشعرونْ
فأشعلوا النـارَ بهـا أشعِلوا ! !

● أو فاملأوا من زهرِها اليــانعِ
مجــامرَ النــارِ وألقوا البخورْ
وصعِّــدوا في ذِلَّــةِ الضــارعِ
أنفــاسكم نشـوى بتلكَ العطورْ

● أحْبِبْ بهــا من أنَّةٍ عاطرَهْ
في مسمعِ الأفلاكِ إذ تصعدُ
أصداؤُهــا الــرَّفافةُ الحــائرَهْ
في وجههــا الآفاقُ لا توصــدُ ! !

● يا أرضُ ناديتُ فلَمْ تسمعي
أنكَرْتِ صوتي وهو مِنْ قلبكِ
لا تَفرقي منــي ، ولا تَفــزعي
من شــاعرٍ شــاكٍ إلى ربِّكِ

● أيَّتُهــا المحــزونةُ البــاكيهْ
لا تيأسي من رحمــةِ المُنقِــذِ
لعــلَّ من آلامِـكِ الطــاغيهْ
إذا دعوتِ اللهَ من منفَذِ !

● فابتهلي للهِ ، واستغفري
وكفِّري عنكِ بنارِ الألَمْ
وقدِّمي التوبةَ ، واستمطري
بين يَديه عبراتِ النَّدَمْ ! !

انتظار

طالَ انتظارُكَ في الظلامِ ولم تزَلْ
عينايَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عابرِ

ويطيرُ سمعي صوبَ كلِّ مُرِنَّةٍ
في الأُفقِ تخفقُ عن جَناحيْ طائرِ

وترفُّ روحي فوقَ أنفاسِ الرُّبا
فلعلّها نَفَسُ الحبيبِ الزائرِ

ويَخِفُّ قلبي إثرَ كلِّ شُعاعةٍ
في الليلِ تومضُ عن شهابٍ غائرِ

فلعلَّ من لَمَحَاتِ ثغرِكَ بارقٌ
ولعلّه وَضَحُ الجبينِ الناضرِ

ليلٌ من الأوهامِ طالَ سُهادُه
بين الجَوَى المضني وهجسِ الخاطرِ

حتى إذا هَتَفَتْ بمقدمِكَ المُنى
وأصختُ أسترعي انتباهةَ حائرِ

وسَرى النسيمُ من الخمائلِ والرُبى
نشوانَ يعبقُ من شذاكَ العاطرِ

وترنَّم الوادي بسلسلِ مائِهِ
وتلَتْ حمائمُهُ نشيدَ الصافرِ

وأطلَّتِ الأزهارُ من ورَقاتها
حيرى تَعجَبُ للربيعِ الباكرِ

وجَرَى شعاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصاً
طَرِباً على المرحِ النضيرِ الزاهرِ

وتجلتِ الدنيا كأبهجِ ما رأتْ
عينٌ وصوَّرها خيالُ الشاعرِ

ومضتْ تُكذِّبني الظنونُ فأنثني
مُتسمِّعاً دقاتِ قلبي الثائرِ

أقبلْتَ بالبسماتِ تملأُ خاطري
سحراً وأملأُ من جمالكَ ناظري

وأظلّنـا الصمتُ الـرهيبُ ونحنُ في
شكٍ من الدنيـا وحلمٍ سـاحرِ

حتـى إذا حـانَ الرحيـلُ هتفتَ بي
فوقفتُ واستَبَقَتْ خـُطاكَ نواظـري

وصـرختُ بالليـلِ المـودّعِ باكيـاً
ويداكَ تمسكُ بي وأنتَ مغـادري

يا ليتنـا لم نَصْحُ منـكَ وليتَهـا
مـا أعجلتكَ رَحَى الزمـانِ الـدائرِ

* * *

ولقـد أتتْ بعـدُ الليـالي وانقضتْ
وكأنـا في الـدهـرِ لم تتزاورِ

بـُدِّلتُ من عَطْفٍ لديكَ ورقةٍ
بحنينِ مهجـورٍ وقسوةِ هـاجرِ

وكأنني مـا كنتُ إلفَـكَ في الصِّبَـا
يومـاً ولا كنتَ الحيـاةَ مشـاطري

ونسيتَ أنتَ ، ومـا نسيتُ ، وإنني
لأعيشُ بالذكرى .. لعلَّكَ ذاكري ! !

سارية الفجر

عَبَرَتْ بي في صباحٍ باكرِ
فتنةَ العينِ وشُغلَ الخاطرِ

شَعرُها الأشقر فيهِ وردةٌ
لونُها من شهواتِ الشاعرِ

ورشيقاتُ الخُطَى في وَقعِها
مُنبِئاتي بشبابٍ ساحرِ

وبعينيها رُؤًى حائرةٌ
بينَ أسرارِ مساءٍ غابرِ

صَوَّرَتْ من حاضرِ العَيْشِ ، ومن
أمسِها ، قِصَّةَ حُبٍّ عاثرِ

قلتُ ، والفجرُ سَنَى ياقوتةٍ
لألأَتْ خلفَ السحابِ الماطرِ

هـذهِ السـاعةَ تسعى امـرأة"
حينَ لم يَخفِقْ جنـاحُ الطـائرِ !

مَنْ تُراهـا ؟ وإلى أين ؟ ومِنْ
أيِّ خـدرٍ طلعتْ أو سـامرِ ؟

تقطـعُ الإفـريزَ من ناحيتـي
كأسـيرٍ هـاربٍ من آسـرِ

تَتَّقِي الأعـينَ أنْ تُبْصِرَها
وهي لا تألو التفـاتَ الحـائرِ

لا تُبـالي بَلَلَ الثَّـوْبِ ، ولا
لفحـةَ البردِ الشَّفيفِ الثـائرِ

أو تبـالي قدميهـا خـاضتـا
مسربَ المـاءِ الـدَّفوقِ الهـامـرِ

أنتِ ، يا ساريةَ الفَجْرِ ، اسمعي
دعـوةَ الـروحِ البريءِ الطـاهرِ

مـرَّ بي مثلُكِ لم يُشْعِرنَني
غيرَ إشفـاقِ الحفيِّ النـاصرِ

وأنا ، الشاعرُ ، قلبي رحمةٌ
لفريساتِ القضاءِ الجائرِ

إنْ نأتْ دارُكِ ، يا أختُ ، فما
بَعُدَتْ دارُ الغريبِ العابرِ

شاطريني ذلك المأوى ، فما
أتقاضاكِ وفاءَ الشاكرِ

غرفةٌ ، آلهةُ الفنِّ بها
تتلقَّاكِ لقاءَ الظافرِ

وتغنّيكِ نشيداً مثلَهُ
ما تغنَّتْ لحبيبٍ زائرِ

هاتِ كفَّيكِ ولا تضطربي !
لا تخالَيْ ريبةً في ناظري !

سوفَ يؤويكِ جدارٌ ساخرٌ
من أباطيلِ الزمانِ الساخرِ

سوفَ يحويكِ فراشٌ صامتٌ
لكِ فيهِ همَسَاتُ الذّاكرِ

سـوفَ يطويكِ سكونٌ لم يَشُبْ

صَفْـوَهُ لغْـوُ مُحِـبٍّ غـادرِ

وأناديكِ ، وأسْتَـدْني يـداً

لمستْ روحي ، وهزّتْ خـاطرِي

وأحيِّيـك ، وأستحيِ فمـاً

حَقَّـهُ قُبْـلَةُ رَبٍّ غـافرِ ! !

حلم ليلة الهجرة

يا شرقُ ، مِلءُ خاطري سِحرٌ وملءُ ناظري
أوَحْيُ ليلِكَ القديمِ أم رُؤَى الزواهرِ ؟
يا شرقُ ، أيُّ ليلةٍ رائعةِ الدَّياجرِ
نجومُها خلفَ الغمامِ أعينُ المقادرِ
ترنو على جوانبِ السماءِ للمُهاجرِ
تَمُدُّ من شعاعها مِثلَ جَناح طائرِ ؟
رُعيا المحبِّ للحبيبِ حُفَّ بالمخَاطرِ
تقولُ ههنا السُّرَى ، ومنْ هنا فَحَاذرِ
يا شرقُ ، أيُّ ليلةٍ بَعَثْتَهَا من غابرِ
حقيقةٌ تلوحُ لي ، أمْ ذاكَ حُلمُ شاعرِ ؟
أرَى على صحيفةِ الزمانِ حدُّ باترِ

تكمنُ في فِرِنْدِهِ جريمةٌ لغادرِ

ومن بريقهِ تُطلُّ ألفُ عينِ فاجرِ

مُلقىً وراءَ صخرةٍ كانتْ ملاذَ عابرِ

أوى إليها مُفرداً غير أخٍ مناصرِ

والباديات حوله رَوْعٌ وهمسٌ حائرِ

كأنما أنسامهنَّ تمتماتُ ساحرِ

هُوَ انتقالةُ الحياةِ، وَثْبَةُ الأداهرِ

شدا الرعاةُ باسمِهِ في الأعصرِ الغوابرِ

وأودعوه فرْحَةً صوادحَ المزاهرِ

زَفّوا به إلى الحياةِ أجملَ البشائرِ

لحنٌ وفيه قسوةُ العواصفِ الثوائرِ

وفيهِ ثورةٌ عَلى العقائدِ الدواثرِ

يقتحمُ الذُّرَى المنيعةَ اقتحامَ ساخرِ

يهزأ بالجيوشِ في ألويةِ القياصرِ

يهدمُ كلَّ فاسدٍ، يهزمُ كلَّ جائرِ

ومن عجيبٍ أمرِهِ يبني بناءَ قادرِ !

يا شرقُ ، سحرُكَ القديمُ مالكٌ مشاعري

هذي الطوالعُ الحسانُ في الحُلَى النواضرِ

ألمطلقاتُ بالنشيدِ أرْخَمَ الحناجرِ

كأنهنَّ جَوْقَةُ الهواتفِ الطوائرِ

حيَّيْنَ مَوْلِدَ الربيعِ ، والسَّنَى المباكرِ

عرائسُ الخيالِ ، هُنَّ ، أو بناتُ خاطري

ينثرنَ من أكفهنَّ أنضرَ الأزاهرِ

على طريقٍ مُلْهَمٍ مُخَلَّدِ المآثرِ

يا شرقُ ، أيُّ روعةٍ جَلَوْتَها لناظري

حقيقةٌ تلوحُ لي ، أمْ ذاكَ حُلْمُ شاعرِ ؟

نداء القلب

من المجموعة الأولى لأغاني الحب عند قدماء المصريين

حَبيبةُ قلبي نَأَتْ دَارُهَا
وَلَمْ تَنأَ عَنّي وَعَنْ نَاظِرِي

أرَى وَجهَهَا مُشرِقاً بالجَمَالِ
يُطلُّ من الشّاطِئِ الآخرِ

هُو النّهرُ يَفصِلُ ما بَيْنَنَا
مُدِلاًّ بتمسَاحِه الغَادِرِ

تَوَسّدَ رَملَتَهُ شَاخِصاً
إليَّ وَمَا كُنتُ بالخَائرِ

إليهَا علَى رَغمِهِ فَلأخُضْ
غَوَاربَ تيّارِهِ الثّائرِ

إذَا مَـا تَقَاذَفَنِـي مَوْجُـهُ
وسَــالَ علـى بَدَني الضَّـامِرِ

مَضَيْتُ كَأنِّي عَلَـى مـائِهِ
أنيـلُ الثَّرى قَدَمِيْ عَـابِرِ

لَقَـدْ حَـالَ يَابِسَةً ماؤُهُ
بسلطَانِ هَـذَا الهَوَى السَّاحِرِ

وصَيَّرني سِحْرُ هَـذَا النهـوَى
وبي قوةُ القَــادِرِ الظَّـافِرِ

ألا إنَّ سُلْطَـانَ هَـذِي الميـاهُ
ليَعْنُـو لسُلْطانِهـا القـاهِرِ

على الصخرة البيضاء

يصف الشاعر في هذه القصيدة مشهداً من مشاهد الصراع بين الطبيعة والانسان وهي مأساة وقعت في غروب شتاء على الشاطىء الممتد بين بحيرة المنزلة وبحر الروم

على الصَّخرةِ البيضاءِ ظللني الدُّجى
أسِرُّ إلى الوادي نجيَّةَ شاعرِ

سمعتُ هديرَ البحرِ حولي فهاجَ بي
خوالجَ قلبٍ مُزبدِ اللُّجِّ هادرِ

وقفتُ أشيعُ الفِكرَ فيها ، كأنَّما
إلى الشاطيءِ المجهولِ يسبحُ خاطري

وقد نَشَرَ الغربُ الحزينُ ظِلالهُ ،
علىثَبَجِ الأمواجِ ، شُعثَ الغدائرِ

ومن خَلفِها تبدو النخيلُ كأنَّها
خيالاتُ جِنٍّ أو ظلالُ مساحرِ

ألا مـا لهذا البحرِ غضبانَ مثلمـا
تَنفَّسَ فيهِ الريحُ عن صدرِ ثائرِ ؟

لقد غـَمَرَ الأكواخَ فوقَ صخورِهِ
ولجَّ بهـا في مَوْجهِ المتزائرِ

وأنحى على قـُطـَّانهـا غير مُشْفقٍ
بهـمْ أو مـُجيلٍ فيهمو عينَ باصـرِ

ومـالي كأنّي أبصرُ الليـلَ فوقَهُ
يرفُّ كطيفٍ في السمـاواتِ حـائرِ

ألا أينَ صيـادوهُ فوقَ ضفـافِهِ
يَهيمونَ في خُلجـانِهِ والجـزائرِ

« وبحارةُ » الوادي تلفَّعُ بالـدُجى
وَتُنْشِـدُ ألحـانَ الربيعِ المُبـاكرِ

لقد غـَرِقوا ، في إِثرِ أكواخهمْ ، بِهِ
ومـا لمسوا من حـُكمهِ عفـوَ قادرِ

وسجَّاهمُ باليمِّ زاخـرُ مَوْجِـهِ
وأنزلَهـم منـه فـسيحَ المقـابرِ

أصِخْ، أيها الوادي ! أما منكَ صرخةٌ

يُدوِّي صداها في عميقِ السرائرِ ! ؟

أتعلمُ سِرَّ الليلِ ؟ أمْ أنتَ جاهلٌ ؟

بَلَى ، إنَّه ، يابحرُ ، ليلُ المقادرِ ! !

موكب الوداع

نظمت في ذكرى العام الأول لوفاة
الشاعر الهمشري

هذا الرحيقُ ، فأينَ كأسُ الشّاعِرِ ؟
قد أوحشَ الأحبابَ ليلُ السّامرِ !

لِمَ ، يا حياةُ ، وقد أحلّكِ قلبَهُ
لَمْ تؤثريهِ هوَى المحبِّ الشاكرِ !

أخلَيْتِ منهُ يدَيْكِ حينَ حلاهما
من ذلكَ الأدبِ الرفيعِ الباهرِ

لو عاشَ ، زادكِ من غرائبِ فنّهِ
ما لا يُشبّهُ حسنهُ بنظائرِ

وظَفِرتِ من تمثيلهِ وغنائهِ
بأدقِّ مثّالٍ وأرْخَمِ طائرِ

أمَلٌ محـا المقـدارُ طيفَ خيـــالِهِ
وتَخطّفَتْهُ يَدُ الــزمــانِ الجـائرِ

وأصــارَ فرحَتَنَـا بمُقبِـلِ يومِهِ
مأســاةَ مَيْتٍ في الشبـابِ البـاكرِ

متوسِّداً شَـوْكَ الطـريقِ ، مُلَثَّماً
بجراحهِ ، مثـلَ الشهيدِ الطـاهرِ

رُدُّوا المـراثي ، يا رفاقَ شبابهِ ،
لن تُطفئوا بالـدَّمعِ لوعةَ ذاكـرِ

هـذا فتىً نَظَمَ الشبابَ وصــاغَهُ
وحياً تَحدَّرَ من أرقِّ مشـاعرِ

جعـلَ الثـلاثينَ القِصَارَ مَـدىً له
والخُـلدَ غايةَ عُـمرهِ المتقـاصرِ

غَنّوهُ بالشّعْرِ الذي صَدَحَتْ بهِ
أشـواقُهُ لَحْنَ الحبيبِ الزائرِ

غَنّوهُ بالشِّعرِ الـذي خفقتْ بهِ
أنفـاسُهُ لَحنَ الحبيبِ الهـاجرِ

تلك القــوافي الشــارداتُ حُشَــاشَةٌ
ذابتْ علــى وَتَرِ المُغَنّي السَّــاحرِ

فتسمَّعُوا أصــداءَها في مــوكبٍ
للموتِ مُحتشدِ الفَــوَاجعِ زاخــرِ

مَشَتِ الطبيعةُ فيــهِ بينَ جــداولٍ
خُرسٍ ، وأدواحٍ هنــاكَ حواســرِ

ولو استطاعتْ نضَّــدتْ أوراقَهــا
كَفَناً لَهُ ، والنعشَ غَضَّ أزاهــرِ

وَدَعَتْ سواجعَ طيرِها فتألّقَتْ
أمماً تَخِفُّ إلى وداعِ الشاعرِ

يا ابنَ الخيالِ تساءلَتْ عنكَ الذُّرَى
والشُّهبُ بينَ خــوافقٍ وزواهــرِ

وشواطيءٌ محجــوبةٌ شــارفتَهــا
فوقَ العواصفِ والخضمِّ الهــادرِ

أيَرَى جنــاحُكَ في السماءِ كعَهْدِهِ
متوشّحاً فَلَقَ الصبــاحِ الســافرِ

أيُرَى شراعُكَ في العُبابِ كعَهْدِهِ
مُتَقَلِّداً حَلَقَ السحابِ الماطرِ

هدأ الصِّراعُ وكفَّ عن غَمَراتِه
من عاشَ في الدنيا بروحٍ مغامرِ

وطوى البِلَى إلاّ قصيدةَ شاعرٍ
أبقَى من المَثَلِ الشَّرودِ السائرِ

شعرٌ تَمَثَّلَ كلَّ حسٍّ مُرهَفٍ
لا رصفَ ألفاظٍ ورصَّ خواطرِ

ودُمى مُفَضَّضَةَ الطلاءِ كأنها
خُشُبُ المسارحِ مُوِّهَتْ بستائرِ

تتمثَّلُ التاريخَ في أزيائهِ
بين المصفِّقِ وابتسامِ السَّاخرِ

من صُنْعِ نظَّامينَ جَهدُ خيالِهِمْ
مَسحُ الزجاجِ من الغبارِ الثائرِ

مُتَخَلِّفينَ عن الزمانِ كأنَّهمْ
أشباحُ كهفٍ أو ظلالُ مساخرِ

يا قومُ ، إنَّ الشّعر روحـــانيةٌ
وذكاءُ قلبٍ في توقّدِ خـــاطـــرِ

نَظَرَ « الضريرُ » به فأدركَ فوقَ مـــا
لمستْ يَدُ الآسي وعينُ النـــاظرِ

مُتَعرِّفاً صُوَرَ الخـــلائق ســـابراً
أعمـــاقَ أرواحٍ وَغَوْرَ ســـرائرِ

هـــذي عروسُ الزَّنجِ ليلتهُ التـــي
أومَتْ بكفٍّ حُلِّيَت بأســـاورِ

والنَّجمُ أشواقٌ ، فمهجةُ عاشقٍ ،
وذراعُ مُعتَنِقٍ ، ووجنةُ عـــاصرِ

ألشّعر موسيقى الحيـــاةِ مُوَقّعاً
مُتَدَفّعاً من كـــلّ عِـــرقٍ فائرِ

عشـــاقُ بابلَ لو سُقُوا برحيقِهِ
لم يذكروهـــا بالرَّحيقِ الســـاكرِ

وَتَنَصَّتَتْ أقداحُهـــم لمغـــرِّدٍ
مَرِحٍ يُصَفِّقُ بالبيـــانِ السَّاحرِ

أو كانَ كلَّم بُرجَها بلسانِهِ
والقومُ شتَّى ألسُنٍ وحناجرِ

لم نَشكُ من عِوَجِ اللسانِ وَوُحِّدَت
لهجاتُ هذا العالمِ المتنافرِ !

هي

« الى التي علمتني كيف أحب وكيف أكره »

هي الكأسُ مشرقةً في يديكَ ،
فماذا أرابكَ في خمرِها ؟

نظرتَ إليها وباعدْتَها
كأنَّ المنيَّةَ في قَطْرِها

أما ذقتَها قبلَ هذا المسَاءِ
وَعَربدْتَ نشوانَ من سُكْرِها ؟

حلا طعمُها يَومَ كنتَ الخَليَّ ،
وكلُّ الصَّبابةِ في مُرِّها

سُقِيتَ بها من يَدٍ لم تكنْ
سوى الريحِ تَنفُخُ في جَمْرِها

تلفّتُ ! فهذا خيالُ التي
مَرِحتَ وغرّدتَ في وَكرِها

وعرفتُها لم تزلْ مثلما
تنسّمتَ حُبّكَ من عطرِها

وقفتَ بها ساهماً مُطرقاً
يُحدّثكَ الليلُ عن سرّها

مكانُكَ فيها كما كانَ أمسِ ،
وذلكَ مثواكَ في خِدْرِها

وآثارُ دمعِكَ فوقَ الوسادِ ،
وفوقَ المُهدّلِ من سترِها

فهل ذُقتَ حقاً صفاءَ الحياةِ ،
وذَوْبَ السعادةِ في ثَغرِها ؟

إذا فُتِحَ البابُ تحتَ الظلامِ
فكيفَ ارتماؤُكَ في صَدرِها ؟

وكيف طَوَى خَصرَها ساعدَاكَ
ومرّتْ يداكَ على شعرِها ؟

وما هــذهِ ؟ رِعشَةٌ في يَدَيكَ ؟
أمِ الكأسُ ترجفُ من ذكرِهــا ؟

وما في جبينكَ ، يا ابنَ الخيــالِ ؟
سِماتٌ تُحدّثُ عن غَدرِهــا ! !

لقــد دنّسَ الجَسَـدُ الآدميُّ
حيــاةً حرَصتَ على طُهْــرِهــا

بكى الفنُّ فيــكَ على شــاعرٍ
تُسائِلُهُ الــرُوحُ عن ثأرِهــا

نَزَلْتَ بهــا وَهْــدَةً كم خَبَــا
شُعــاعٌ وغُيِّبَ في قَبْرِهــا

رفعتَ تمــاثيلَكَ الــرائعــاتِ
وحَطّمتهنَّ علــى صَخــرِهــا

فَدعْ زهرةَ الأرضِ ، يا ابنَ السماءِ ،
فأنتَ المبــرّأُ من شــرّهــــا

مــراحُكَ في السُحُبِ العــاليــاتِ
وفوقَ النُـنَوِّرِ من زُهْــرِهــا

فَمُدَّ جَنَاحيكَ فوقَ الحيــاةِ ،
وأطلِقْ نشيدَكَ في فَجْــرِهــا

جزيرة العشّاق

« ذكريات رحلة في سبتمبر عام ١٩٣٨
بين بركان الفيزوف وجزيرة كبري والجروتا
المشهورة بهـا »

لَيَالي الصَّيفِ في كَپْرِي أمِ الفتنـةُ في البحـرِ
وجنِّيَّـاتُ بحـرِ الـرُّوم أمِ دُنيـا من السِّحرِ
علـى شطٍّ من الأحـلاَمِ والأنغـامِ والـزَّهْـرِ
تَنَفَّسَ جَـوُّهُ عطـراً يُفضِّضهُ سَنـَا البَـدْرِ
أريجُ البرتقـالِ بـهِ ونَفحُ العِنَبِ النَّضْرِ
أمِ الآلهــةُ العُشَّـــــاقُ بينَ المـوجِ والصخرِ
أهلّـوا تحتَ أشْـرعةٍ تُقِلُّ عَرَائسَ الشِّعْرِ
نَشاوى الحُسْنِ والنّورِ وبعضُ النّـورِ كالخمـرِ
تَنَهَّدَ حينَ أبصَـرَهُمْ مُحِبٌّ مُوغَرُ الصَّدْرِ
أقَامَ الـدَّهْر موتُوراً من الحرْمـانِ والهَجْـرِ
بأنفَاسٍ تُضيءُ الأفقَ بـركانيَّـةِ الجمــرِ
قَصَدْنَاهُ على الليـلِ وجُـزْنَاهُ مَعَ الفجرِ

فلَمْ تَغمضْ لهُ عَيْن"   تُصيبُ النَّجْمَ بالذُّعرِ
وباتَ الموجُ في فرٍّ   حواليهِ ، وفي كرِّ
فقالوا قَدْ دَنَا الموعدُ   أو آذنَ بالثأرِ
فَعُدْنَا مثلَمَا جِئنَا   من العِبْرِ إلى العِبْرِ
ويَمَّمنَا بجوفِ الصَّخرِ   دهليزاً مِنَ التِّبرِ
سَرَى زورقُنا في مائهِ   الغافي سُرَى السِّرِّ
تَرَامَى حَولَنَا الأضوا   أطواقاً من الدُّرِّ
فمن زُرقٍ ، إلى صُفرٍ ،   إلى خُضرٍ ، إلى حُمْرِ
كأنَّ الشَّمسَ حينَ رَأتْ   صِباهَا أوَّلَ الدَّهرِ
زَهَاهَا العُرْيُ فاستحيتْ   عُيُونَ الناسِ في البَرِّ
فَجَاءَتهُ محجَّبةً   على تيَّارِهِ تَسري
ونضَّتْ مِن غلائِلهَا   وألقتها على الصَّخرِ
وخانَت عَيْنَهَا سِنَةٌ   فنامت ، وهي لا تَدري !

حلم ليلة

إذَا ارتقى البدرُ صفحةَ النهرِ
وضمَّنا فيهِ زورقٌ يجري
وداعبتْ نَسمةٌ من العِطرِ
على مُحيَّاكِ خُصْلَةَ الشَّعرِ
حَسَوْتُها قبلةً من الجَمرِ
جُنَّ جُنوني لها وما أدري
أيَّ معاني الفتونِ والسِّحرِ
ثغرُكِ أوحى بها إلى ثغري !
حُلْمُ مساءٍ أتاحهُ دهري
غرَّدَ فيهِ الحبيسُ في صدري

فنوِّليني فليسَ في العمرِ

سوى ليالي الغرامِ والشِّعْرِ

إنّي رأيتُ النذير في الأثرِ

تُطلِقُ كفّاهُ طائرَ الفجرِ

فقرِّبي الكأسَ ، واسكبي خمري !

الشاطئ المهجور

موجةَ السحرِ من خفيٍّ البحورِ   أغمري القلبَ بالخيالِ الغميرِ
أقبلي الآن من شواطيء أحلا   مي ورُدِّي عليَّ نفحَ العبيرِ
واصخبي في شعاب قلبي وضجّي   فوقَ آلامِهِ الجسامِ وثوري
أيقظي فيهِ من فتونٍ وسحرٍ   ذكرياتٍ من الشبابِ الغريرِ
إنها ذكرياتُ أمسيةٍ مر   تْ ، وايامُ غبطةٍ وسرورِ
وبريءُ ابتسامةٍ ، في فم الأيا   مِ ، كانتْ عزاءَ قلبٍ كسيرِ
قد طواها النسيانُ إلاّ شعاعاً   غمر الرُّوحَ في بقيةِ نورِ
ر مَقٌ ذاكَ من أشعةِ شمسٍ   عَلِقتْ في غروبها بالصخورِ
أخذ القلب لمحها من وراءِ الموجِ يجتازُ لجةَ الديجورِ
فتبيَّنتُ في الشواطيء حولي   أثراً من غرامنا المأثورِ
صخرةٌ كانت الملاذَ لقلبينِ حبيبينِ في الشبابِ النضيرِ
جمعتنا بها الحوادثُ في ظلٍّ   هوًى طاهرٍ ، وعيشٍ قريرِ
كم وقفنا العشيَّ نرقبُ منها   مغربَ الشمسِ وانبثاقَ البدورِ
وجَلَسنا في ظلها نتملَّى   صفحةَ الماءِ في الضحى والبكورِ

فإذا مــا تهللتْ ليــلةٌ قمــرا هزّتْ بنــا خفي الشعورِ
وسرينــا في ضوئهــا تتنــاجى بهوىً فاضَ عن حنايا الصدورِ
واتتحينا منجانبِ البحرِ مجرىً مطمئنَّ الأمواهِ شاجي الخريرِ
نزلتْ فيه تستحمُّ النجومُ الزُّهر في جلوة المســاءِ المنــيرِ
راقصــاتٍ به على هَــزَجِ المَــوْجِ، عرايا، مهدَّلاتِ الشعورِ
وعلىصدرِهِ الخفوقِطَوَينا الليــلَ في زورقٍ رخيٍّ المسيرِ
ورياحُ الخليجِ دافئــةٌ تثــــني حواشي شــراعِهِ المنشورِ
خافقاً فَوْقَنَا يدفُ شعاعُ البــــدرِ في ظلّه دفيفَ الطيــورِ
ومن الساحلِ الطّروبِ أغــانٍ أخــذَتنــا بكلِّ لحنٍ مثــيرِ
رجَّعتهــا «بحــارةٌ» آذنتهم ليلةُ المنتأى، وبُعْدُ العشيرِ
وَسَكَتْنَا، فليسَ إلاّ عيونٌ أفصحتْ عن جوانحٍ وثغــورِ
تتــلاقى على نوازعِ قلبٍ وصدى هاجسٍ، وسِر ضميرِ
وكأنَّ الوجــودَ بحــرٌ من النـــورِ سبحنا في لجهِ المسجورِ
كلُّ ما حولنا يشفُ عن الحبِّ ويُفضي بســرِّهِ المستورِ
وكأنّا نطــوفُ في ليــلِ أحـــلامٍ، ونسري في عالمٍ مسحورِ
ياصخورَالوادي،يَضِجُّ عليها الســحرُ في جهشةِ المحبِّ الغيورِ
يارمالَ الكثبانِ، تنقشُفيها الرّيحُ أسطورةَ الحيــاةِ الغرورِ
ياخِفافَالأمواجِ،تحلُمُ بالإينا سِ من كوكبِ المساءِ الصغيرِ
يا نسيمَ الشمالِ، يعبثُ بالرغــوِ ويهفو عَلَى الرشاشِ النثيرِ

أنتِ يامَنْ شهدتِ فجرَ غرامي	ووعيْتِ الغداةَ سِرَّ الدهورِ
أينَ أخفيتِ أمسياتي اللــواتي	نزعتهـا منِّي يدُ المقـدورِ ؟
أمحاها الــزمانُ ؟ أم حجبتهـا	من عواديهِ ماحياتُ البدورِ ؟
بدلتني الأقدارُ منهـا بليـلٍ	مدلهـمٍّ الآفاقِ جهمِ الستورِ
غَشي العينَ ظِلّهُ ، وتمشَّتْ	في دمي منه رِعشةُ المقـرورِ
لكِ يا شاهداتِ حبي أتيتُ الآ	نَ أقضي حقَّ الوداعِ الأخيرِ
فانظري ، ما تَرَيْنَ غيرَ شقيٍّ	طافَ يبكي بالشاطيءِ المهجورِ
راعهُ عـاصفٌ يرجُ السمـاوا	تِ وموجٌ يضجُ ملءَ البحورِ
فكأنَّ الحياةَ في مِسْمَعَيْهِ	ضجةُ الحشرِ أو هزيمُ السعيرِ
وكأنَّ الوجودَ في ناظـريهِ	وهدةُ اليأسِ أو ظلامُ القبورِ
في هزيمِ الرياحِ ، في قاصفِ الر	عدِ ، يَدْوِّي للبارقِ المستطيرِ
في الفيـافي كآبةٌ ووجوماً	والمحيطاتِ صاخباتِ الهـديرِ
في الدياجي عوابساً ، ونجومُ اللـيلِ بينَ الخفوقِ والتغـويرِ
إنهـا الكائناتُ تبكي لمبكا	هُ ، وتبدي ضـراعةَ المستجيرِ
وهي مأسـاةُ حبِّهِ صوَّرتهـا	ريشةُ الليلِ مبدعِ التصويرِ
مَثَّلتْها لعينهِ الآنَ شطآ	نٌ وموجٌ يئنُّ تحتَ الصخورِ !!

سورية وعيد الجلاء

جاش في خاطر الشاعر أن يحيي استقلال سورية بمناسبة مرور عام على جلاء الجيوش الأجنبية عنها بقصيدة يلقيها بدمشق في ذلك اليوم أحد المجاهدين من خطباء الثورة العربية ، ولكن ظروف المرض قد حالت دون موافاة صديقه بالقصيدة قبيل سفره الى دمشق وجاء مصاب مصر في فقيدها العظيم صبري أبو علم باشا فأحال عيد « شم النسيم » بمصر يوم حزن وحداد ، فأنشأ الشاعر من فوره هذه الأبيات يخاطب بها « دمشق » محيياً معتذراً

هنَأْتُ باسمكِ تحتَ الشمسِ أحرارا
يَنْدَى هواكِ على هاماتهمْ غارا

دمَشقُ ! يا بلدَ الأحرارِ ، أيُّ فتىً
لم يَمتشقْ فيكِ سيفاً أو يَخُضْ نارا ؟ !

ذَوْداً عن الوطنِ المعبودِ ، من دمِهِ
للمجدِ يبنيهِ آطاماً وأسوارا

زَكَتْ « أميَّةُ » في أعراقهِ وجرتْ
دماً يُروِّي الثرى أو يغسلُ العارا

عيدُ الجلاءِ أسمّيهِ وأعرفهُ
يومٌ تباركَ أنداءً وأسحارا

جلا عن الشرقِ ليلَ البغي حينَ جلا
عروبةً فيكِ تلتقى الأهل والدارا

لولا مصابٌ دهى الوادي فشبَّ به
ناراً ، وهاجَ النسيم العذبَ إعصارا

وروّعَ الأمةَ الغلباءَ في رجلٍ
شدّتهُ قوساً ، وسلّتْ منه بتّارا

من النوابغِ أعماراً إذا قصرتْ
مدَّ النبوغُ لهم في الخلدِ أعمارا

أحرارُ مملكةٍ في الرأي ما أثموا
سمّاهمو الغاصبُ الظلّامُ ثوّارا

ثاروا على القيدِ حتى انحلَّ ، واقتحموا
على الطواغيت حِصْنَ الظلمِ فانهارا

... لولاهُ كانَ إليكِ البرقُ راحلتي
أطوي به الجوَّ آفاقاً وأقطارا

وجئتُ « فيحاءُ » أزجي الشعرَ مُفتَقِداً
تحتَ الصفائحِ مقداماً ومغوارا

والمفتدونَ ، شُراةُ الخلدِ ، قُلْ لهم
ما ينظمُ المدحُ ألحاناً وأشعارا !

فتح عكّا

عكّاءُ في السّاحلِ الشرقي شامخةٌ
تَطاولُ النّجْمَ أبراجاً وأسوارا

كم غرَّرَتْ بالغزاةِ الصّيدِ والتفتَتْ
إلى جَحافلهمْ هَزْواً وإصعارا

وخلّفَتْ نارُها أقوى سفائِنِهِمْ
يلهو بها المَوْجُ أنقاضا وأطمارا

مَشى لهامن ضِفافِ « السّينِ » مقتتلٌ
دانوا به قَيْصَراً في الحَرْبِ جبّارا

تساءَلَ الغَرْبُ مَنْ هذا وأيُّ فتىً
يلقى الكُماةَ شديدَ البأسِ قهّارا ؟

وما سفائِنُهُ في البَحْرِ مُنْشَئَةً
رُعْنَ الحديدَ وَهِجْنَ النارَ إعصارا

كأنَّ قرطاجــةً ثارتْ ملاحِمُهــا
تنــازعُ « الغَــرْبَ » أقواماً وأمصارا

ذاكَ الذي راعَ « ذِئبَ البحرِ » مخلبُهُ
وَقَلَّمَ « الدبَّ » أنيــاباً وأظفارا

تعوَّدَ الحربَ إقبــالاً فمــا بَرَحَتْ
تُغريهِ بالشَّرْقِ حتى ارتدَّ إدبارا

ألقتهُ عكّاءُ عن أبوابها وَرَمَتْ
بهِ شــراعاً على الدأماءِ مُنهــارا

حتــى أتاهــا فتىً من مصر تعــرفُهُ
في الرَّوْعِ مُقتحماً في النَّقْعِ كــرَّارا

أباحَ سدَّتهــا واجتــاحَ ســاحَتَهــا
فسلَّمتْ كفَّهُ الزيتــونَ والغــارا

وقبَّلتْ في لواءٍ تحتَ إمــرَتِــهِ
من فتيةِ النّيــلِ مقــداماً ومغــوارا

سمرٌ لهمْ بالشموسِ الغــر واشجةٌ
تُضيءُ أنســابهم شُهباً وأقمــارا

من كـــلِّ رامٍ كمـــا تنقضُّ صـــاعقةٌ
يرمي العـــداةَ حـــديدَ الظفرِ عقّـــارا!

وكـــلِّ ليثٍ غضوبٍ مثـــل عـــاصفةٍ
منـــهُ يطـــيرونَ ألبـــاباً وأبصـــارا

لم يتركوا في مجالِ النَّصْرِ متسعاً
للاحقٍ أو لبـــاغي السَّبْقِ مضمـــارا

إلى راقصة

« راقصة حسناء عرفها الشاعر في أوروبا والتقى بها في مصر

بِعَيْنيكِ ما يُلْهِمُ الخاطِرا   وَيَتْرُكُ كلَّ فتىً شاعرا
فيا فِتنةً من وراءِ البحارِ   لَقِيتُ بها القَدَرَ الساخرا
دَعَتْنِي ، فجَمَّعتُ قلبي لها   وناديتُ ماضِيَّ والحاضرا
وأقبلتُ في موكبِ الذكرياتِ   أُحَيِّي الخميلةَ والطائرا
وساءَلني القلبُ ، ماذا ترى ؟   فقلتُ أرى حُلُماً عابرا
أرى جَنَّةً ، وأراني بها   أهيمُ بأرجائها حائرا
ملأتُ بتُفّاحِهَا راحتيَّ   وبتُّ لكَرْمَتِها عاصرا
وَذُقتُ الحنانَ بها والرِّضى   يَداً بَرَّةً وفماً طاهرا
فياليلةً لم تَكُنْ في الخيالِ   أجَدَّتْ ليَ المَرَحَ الغابرا
أفاءتْ على النيلِ سحرَ الحياةِ   وأحْيَتْ لشعري به سامرا

نَسيتُ ليـاليَّ من قَبْلِها وكنتُ لهـا الوَافيَ الذاكـرا
سَلِي من أثارتْ بقلبي الفتونَ وَخَلَّتـْـهُ محتـدِماً ثائرا
بربِّكِ ! من ألَّفَ الأصغرينِ وعَلَّقَ بالنـاظرِ النـاظرا
إذا أطلقَ الضوءُ أطيـافَه ولفَّ بهـا خَصْرَكِ الضامرا
وطوَّقَ نَحْرَكِ لحظُ العيونِ وعـادَ بِكَرَّتهِ حـاسرا
ووَقَّعتِ منخفَقاتِ القلوبِ على قدمَيْكِ الصَّدى الساحرا
وحَدَّثَ كُـلُّ فتىً نفسَهُ أرى الفنَّ أم روحَه القـاهرا ؟
تمثَّلْتِهِ طيفَ إنسـانةٍ ومَثَّلَ فيكِ الصِّبا الناضرا ! !

خيـــال

عَشِقنا الدُّمَى وعبدْنا الصُّوَرْ
وهِمنـا بكلِّ خيـالٍ عَبَر

وصُغنا لكَ الشعرَ ، حبَّ الصِّبا ،
وشدوَ الأمـاني ، وشَجو الذِّكَرْ

تَغنَّتْ به القُبَـلُ الخـالداتُ
وغنَّـى بإيقـاعِهَـا المبتـكَرْ

وجئنـا إليـكَ بمُلكِ الهوى ،
وعرشِ القلوب ، وحُكمِ القَدَرْ

بأفئـدةٍ ، مثلمـا عَـرْبَدَتْ
يَدُ الـريحِ في ورَقاتِ الشَّجَـر

وأنتَ بأفقِكَ سَاجي اللحـاظِ
تُطِلُّ علـى شُبُحـاتِ الفِـكَر

دنوتَ ، فقلنـا رُؤَى الحـالمينَ ،
فلمـا بَعُـدْتَ اتَّهَمنا النَّظَـر

وحـامتْ عليـكَ بأضوائِهـا
مصابيحُ مثل عُيُـونِ الزَّهَر

تتبَّعنَ خَطوَكَ عَبْر الطـريقِ
كمـا يَتحرَّى الدليـلُ الأثَر

يُقبِّلنَ من قدميـكَ الخُطَى
كما قبَّـل الوَثَنيُّ الحَجَـر

مشى الحسنُ حولكَ في مَوْكـبٍ
يـرِفُّ عليـهِ لواءُ الظفَـر

تَمثَّـلَ صَـدرُكَ سلطـانَهُ
كجبَّـارِ وادٍ تحـدَّى الخَطَـر

بنَهـدينِ ، يستقبلانِ السمـاءَ
كأنَّهمـا يُرضِعـانِ القمَـر

تَساميتَ عن لُغـةِ الـكاتبينَ
وروعةِ كـلِّ قَصيـدٍ خَطَـر

سِـــوَى شــاعرٍ في زوايا الحيــاةِ

دَعَتْــهُ مبــاهجُهــا فاعتَــذَرْ

أكبَّ علــى كأســه ، واتتحى

صدى الليلِ ، في اللحظَات الأُخَـر

رنا حيــث ترقُبُ أحـــلامُهُ

خيــالكَ في المــوعِـدِ المُنتظَــر !

بحيرة كومو

« تعتبر بحيرة كومو أجمل البحيرات الثلاث التي ينفرد بها اللمباردي الايطالي ومن أجمل مفاتن اوروبا التي جذبت اليها كثيرا من الشعراء فألهمتهم أرق أشعارهم وأعذب أغانيهم. وقد زار الشاعر هذه البحيرة متنقلا بين شواطئها ومدنها وأروع جبالها المسمى بالبرونات فنظم هذه القصيدة التي أهداها الى أديبة أمريكية صحبته في هذه الزيارة »

هيِّئي الكأسَ والوترْ تلكَ « كومو » مَدى النظرْ
واصدحي ، يا خواطري ، طُويَتْ شُقَّةُ السَّفرْ
ودَنَتْ جَنَّةُ المُنى وحلا عندَها المقر
قد بُعِثْنا بها على موعدٍ غيرِ مُنتَظرْ
في مساءٍ كأنَّهُ حُلُمُ الشيخِ بالصِّغرْ
ألبحيراتُ والجبالُ توشَّحْنَ بالشجَرْ
وتنَقَّبْنَ بالغَمَامِ وأسفرنَ بالقمَرْ
« والبروناتُ » غادةٌ لَبِسَتْ حُلَّةَ السهَرْ
نُثِرَتْ فَوقها الدَّيارُ كما يُنثَرُ الزَّهَرْ
وعَبَرْنا رحابَها فأشارتْ لمن عَبَرْ

هاكَهـا قُبلَةً ، فمنْ رامَ فليركبِ الخطَـر !
فَسَمَوْنا لخدْرهـا زُمـراً تلوُهـا زُمَرْ
في زُجـاجٍ مُحَلِّقٍ لا دخـانٌ ولا شـرَرْ
يتخطّى بنـا الفضـا على السُّنـدسِ النَّضِر
سُـلَّمٌ يُشبهُ الصـرا طَ تَسَـامى عَلَى البصَر
فإلى النجـمِ مُـرتقىً وإلى السُّحبِ منحَـدَرْ
وَحَلَلْنـا بقمّـةٍ دونهـا قِمّـةُ الفِكَرْ
بَهَـجٌ في كُنُـوزِهـا للمحبِّـينَ مُـدَّخَـر
بابلٌ ؟ أمْ بحـيْرةٌ ؟ أمْ قصورٌ من الدُّرَرْ ؟
أم رُؤَى الخُـلدِ في الحيـاةِ تَمَثَّلْنَ للبَشَر ؟
حبَّـذا أمسيـاتُهـا وحنينـاً إلى البُكَرْ
ونـزوعـاً إلى السفيـنِ تَهيأنَ للسَّفرْ
نَسِيَتْ شُغلَها القلـوبُ ، وهَلَّلْنَ للسَّمَر
أوجُـهٌ مثلمـا رَنَتْ زهـرةُ الصَّيفِ للمطَـرْ
أضحِيـانيَّـةُ السمـاتِ هِـلاليـةُ الطُّـرَرْ
يَتَـوَهَّجْـنَ بالشبـابِ وَيَنْـدينَ بالخفَرْ
طَلعـةٌ تُسعِدُ الشَـقيَّ وتُعطي لَهُ العمُـر
تمنـحُ الحـظَّ من تَشَـاءُ ، وتُبقي ، ولا تَذَر !
إنَّمـا تنظُـرُ السمـاءُ إلى هـذهِ الصوَرْ

لتــــرى اللهَ خــالقــاً مُبدِعاً ، مُعجِزَ الأثَرْ
شاعرَ النيلِ ، طُفْ بهــا ، غَنِّهــا كُــلَّ مبتَكَرْ
ألثــلاثونَ قــد مَضَتْ في التَّفــاهــاتِ و َالهذَ َرْ
فتــزَ َو َّدْ مِنَ النعيـــــيمِ لأيامِكَ الأخَـــر
أين وادي النخيــلِ ، أم قَاهــريَّاتُه الغُــرَ َرْ ؟
لا تَقُــلْ أخصبَ الثَّرى فهنــا أوْرقَ الحجَــرْ ! !
هــا هنــا يَشْعر الجَمــا دُ ويُوحِي لمن شَعَرَ ! !
آهِ لــولا أحبــــةٌ نزلوا شــاطئَ النهَــر
ورُفــاتٌ مُطَهَّـــر وكــريمٌ مــن السِّيَرْ
لتمنَّيــتُ شُــرْفَــــةً لِيَ في هــذهِ الحُجَــر
أقطــعُ العمــر عنــدهــا غيرَ وانٍ عــن النظَــر
فلقـــد فازَ مــن رأى ولقــد عــاشَ من ظفِــر

★ ★ ★

يا ابنــةَ العــالَم الجديـــــدِ صِــلي عالَمــاً غَبَرْ
في دَمِي مــن تُــر َاثهِ نَفْحَةُ البَـدوِ والحضَرْ
وأغــانٍ لمــن شــد َا ومعــانٍ لمــن فَخَــر
مــا تُسِرِّينَ ؟ أفصِحي ! إنَّ في عينــكِ الخبَرْ
ألغــريبــانِ ههنـــا ليسَ يُجديهمــا الحــذ َرْ
نحنُ رُوحــانِ عاصفــا نِ وجسمانِ من سقَر

فاعـذري الرُّوحَ إن طغـى واعـذري الجسمَ إنْ ثأرْ !
نَضَبَتْ خَمـر بابلٍ وَهَوَى الكأسُ وانكسَر
وهُنـا كَـرمَةُ الخـلو دِ فطـوبى لمن عَصَر
فِيمَ ، والنبعُ دافِقٌ ، يَشتكي الظاميءُ الصَّدَرْ ؟
ولمـنْ هـذهِ العيـونُ تغمَّـرْنَ بالحَـوَرْ ؟
بتنَ يَلعبنَ بالنُّهـى لَعِبَ الطِّفـلِ بالأُكَـر
هنَّ أصفى من الشُّعا عِ وأخفـى مِن القَـدَرْ
ولمـنْ توشِـكُ الشَّـدَى وَثبَةَ الطيرِ في السَّحَر ؟
كـلُّ إلـفٍ لإلفـهِ هَمَّ بالصَّدْرِ وابتـدَرْ
عضَّ في الثـوبِ واشتَـكى وطأةَ الخـزِّ والوبَرْ
سِمَـةُ الطـائرِ المعـذَّ بِ في قَيْـدِهِ نَقَـر
وَلمـنْ رفتِـتِ المبـا سمُ واسترسلَ الشَّعَرْ ؟
ثمَـرٌ ناضِـجُ الجَنَـى كيفَ لا نقطُفُ الثَّمرْ ؟
مـا أبى الخـلدَ آدمٌ أو غَوى فيـه أو عثَرْ !
زَلَّـةٌ تورِثُ الحِجى وتُري اللهَ من كفَـر !
كأسنـا ضـاحِكُ الحبَـا بِ ، مُصَفًّى من الكدَرْ
فاسكبي الخَمـر وارشفيـهِ على رَنَّةِ الـوتَر
وإذا شئـتِ فاسقنيـهِ على نَغمَـةِ المَطَـرْ
فغـداً يذهـبُ الشبـا بُ وتَبقى لنـا الذِّكَـر !

أغنيّة ريفيّة

إذا داعبَ المـــاءُ ظلَّ الشّجَرْ — وغازلتِ السُّحبُ ضوءَ القمر
وردّدتِ الطـيرُ أنفاسَهـا — خوافقَ بين النّــدَى والزّهَرْ
وناحتْ مُطـوّقةٌ بالهـوى — تناجي الهديلَ وتشكو القدَرْ
ومرَّ على النهرِ ثَغـرُ النسيمِ — يُقبّلُ كـلَّ شـراعٍ عبَرْ
وأطلعتِ الأرضُ مِنْ ليلِهَـا — مفاتنَ مُختلفـاتِ الصّـوَرْ
هنـالكَ صفصافةٌ في الدّجى — كأنَّ الظـلامَ بهـا ما شَعَرَ
أخـذتُ مكانيَ في ظلهـا — شـريدَ الفؤادِ كئيبَ النّظَرْ
أمـرُّ بعيني خـلالَ السمـاءِ — وأطرِقُ مستغرقاً في الفِكَرْ
أطالعُ وجهَكِ تحتَ النخيـلِ — وأسمعُ صوتَكِ عندَ النّهَرْ
إلى أنْ يَمَلَّ الدّجَى وحشتي — وتشكو الكآبةُ مني الضّجَرْ
وتعجبُ من حَيْرتي الكائناتُ — وتَشفِقُ منّي نجومُ السَّحَرْ
فأمضي لأرجعَ مُستشرفاً — لقاءَكِ في الموعدِ المُنتَظَرْ ! !

أحلام عاشقة

كتبت على قطعة من الفخار محفوظة بالقاهرة نشرها إشبيجلبرج

يا للعَذوبةِ ، يا حبيبي ، حينَ أهبطُ للنَّهَر
كيْ أستحمَّ وأنتَ تُمعنُ في مفاتني النظر
لَوَدِدْتُ لو أنّي أمامكَ قد جلوتُ محاسني
بِغِلالةٍ مُبْتَلَّةٍ • كَشَفَتْ جميعَ مفاتني
أهْوَى إلى الماءِ الهبوطَ وأشتهي أن أتبَعكْ
وأشدُّ ما أهواهُ منهُ صعودُنا ، وأنا مَعَكْ
بيديَّ من سَمكاتِهِ حمراءُ رائقةُ الجمالْ
فتعالَ لي أنظرْ إليكَ ! تعالَ وانظرْ لي تعالْ !

إعتراف

إنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمـدامة كأسي
وتَوَلَّعتُ بالحسانِ لأنّي مُغْرَمٌ بالجمالِ من كلِّ جنسِ
وتَوَحَّدتُ في الهوى ثمَّ أشركتُ على حالتيْ رجاءٍ ويأسِ
وتبَذَّلتُ في غرامي فلم أحبِسْ على لـذةٍ شياطينَ رِجْسي
فبرُوحي أعيشُ في عـالمِ الفنِّ طليقاً والطهـرُ يملأُ حِسِّي
تائهاً في بحارِهِ لستُ أدري ، لِمَ أزجي الشراعَ أو فيمَ أرْسي
لي قلبٌ كزهرةِ الحقلِ بيضاءَ تَمَتّنها السماءُ من كلِّ قَبْسِ
هـو قيثارتي عليهـا أغنّي وعليهـا وَحْـدِي أغَنّي لنفسي
لِي إليها في خَلْوَتي همساتٌ أنطَقَتْنها بكلِّ رائعِ جَرْسِ

★ ★ ★

كم شفاهٍ بِهِنَّ من قُبُلاتي وهَجُ النّارِ في عواصفَ خُرْسِ
ووسادٍ جَـرَتْ بهِ عبراتي ضِحكُ يومي منه وإطراقُ أمسي
أيتّهذِي الخدورُ ! أنوارُكِ الحمراءُ كمْ أشْعَلَتْ لياليَ أنسي
أحرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْقَ منهنَّ سـوى ذلكَ الرَّمادِ برأسي !

إمـــرأة

أقبلتِ أم أمعنتِ في الإعراضِ
إنّي بحبّكِ ، يا جميلةُ ، راضي

واللهِ ما أعرضتِ بل جنّبْتِني
شَطَطَ الهوى، وسموتِ عن أغراضي

ألقاكِ لستُ أراكِ إلاّ فتنةً
عُلويّةَ الإشراقِ والإيماضِ

كم رُحتُ أغمِضُ ناظري من دونها
فأراهُ لا يَقوى على الإغماضِ

وَذهبتُ ألتمسُ السلوّ وأطلقتْ
نفسي زِمامَ جوادِها الركّاضِ

يجتازُ نارَ مفازةٍ مشبوبةٍ
ويخوضُ بَرْدَ جداولٍ ورياضِ

وَلقيتُ غيرَكِ غير أنَّ حُشاشتي
لم تَلْقَ غــيرَ الوَقْدِ والإرمَاض

واعتضتُ باللذّاتِ عنكِ فلم تَجِدْ
رُوحــي كلذَّةِ حُلْمكِ المعتــاضِ

وأطَعتُ ثم عَصَيْتُ، ثم وَجَدْتُني
بيــديكِ لا عن ذِلَّةٍ وتغــاضي

لكنْ لأنّكِ إنْ خطـرتِ تَمثّلتْ
دُنيــاكِ تسعَى لي بأروعِ ماضي !

الموسيقية العمياء

كان الشاعر يتردد على « الفتيا » أحد مطاعم القاهرة الشهيرة بموسيقاها شتاء عام ١٩٣٥ ، وكانت تترأس الفرقة الموسيقية به حسناء دلماتية ، تعزف على القيثار ، وكانت على جانب من الرقة والجمال ، فلا يخيل لمن يراها أن القدر قد اصابها في عينيها ، فحرمها نعمة الابصار ، فلما وقف الشاعر على حقيقة حالها ، أوحى اليه جمالها الجريح بالقصيدة الآتية :

إذا مـا طَافَ بالأرضِ   شعاعُ الكوكبِ الفضِّي
إذا مـا أتَتِ الـريحُ   وجـاشَ البـرقُ بالومْض
إذا مـا فتَّـحَ الفجـرُ   عيـونَ النرجسِ الغضِّ
بكيتُ لـزهـرةٍ تبكي   بدمـعٍ غـيرِ مُرْفَضِّ

★ ★ ★

زواهـا الدهـرُ لم تسعَدْ   منَ الإشـراقِ باللَّمْحِ
علـى جفنـينِ ظمـآنـينِ   للأنداءِ والصُّبْحِ
أمهـدَ النـورِ ما لِلّيـلِ   قد لفَّـكَ في جُنْحِ ؟
أضِيءْ في خـاطرِ الدنيـا   ووارِ سنـاكَ في جُرحي !

★ ★ ★

أرِي الأقدارَ ، يا حسنــــاءُ ، مثوى جرحكِ الدامي
أريهـا مَوضِعَ السّهـــمِ الذي سدَّدهُ الـرامي
أنيـلي مشرقَ الإصبـــاحِ هذا الكوكبَ الظامي
دعيـــهِ يرشُفِ الأنـــوارَ من يُنبوعها الســامي

★ ★ ★

وَخَلّي أدمعَ الفجـــرِ تُقَبِّلْ مغـربَ الشمسِ
ولا تبكي علــى يومِكِ أو تأسَيْ علــى الأمسِ
إليـكِ الكونَ فَاشتفّي جمـــالَ الكونِ باللمسِ
خـذي الأزهـارَ في كفّيـــكِ ، فالأشواكُ في نفسي !

★ ★ ★

إذا مــا أقبـل الليـلُ وشـاعَ الصمتُ في الوادي
خـذي القيثـارَ واستوحي شجونَ سحــابهِ الغـادي
وهُــزّي النجمَ إشفـاقاً لنجـمٍ غـيرِ وقّــادِ
لعـلَّ اللحنَ يستــدني شُعاعَ الرحمــةِ الهــادي !

★ ★ ★

إذا مـا سقسقَ العصفـــورُ في أعشـاشِـهِ الغَنَّ
وشقَّ الـروضَ بالألحـــانِ من غصنٍ إلى غُصنِ
أتتكِ خواطـري الصـدّا حـةُ الـرفّافة اللحـنِ
تغنّيـــكِ بأشعـــاري وترعى عالَم الحُسْنِ !

★ ★ ★

إذا ما ذابتِ الأنداءُ فوقَ الورَقِ النَّضرِ
وصَبَّ العطرَ في الأكمامِ إبريقٌ منَ التِبرِ
دعوتُ عرائسَ الأحلامِ من عالمِها السِّحري
تذيبُ اللحنَ في جفنيكِ، والأشجانَ في صدري !

★ ★ ★

عرفتِ الحبَّ ، يا حوَّاءُ ، أم ما زالَ مجهولا ؟
ألمَّا تحملي قلباً على الأشواقِ مجبولا ؟
صِفيهِ ، صِفيهِ ، فرحاناً ، ومحزوناً ، ومخبولا !
وكيفَ أحسَّ باللوعةِ عندَ النظرةِ الأولى ؟

★ ★ ★

ومَن آدمُكِ المحبوبُ ؟ أو ما صورةُ الصَّبِّ ؟
لقد أُلهِمتِ ، والإلهامُ ، يا حواءُ ، بالقلبِ
هو القلبُ ، هو الحبُّ ، وما الدنيا لدى الحبِّ ؟
سوى المكشوفةِ الأسرارِ والمهتوكةِ الحُجْبِ !

★ ★ ★

سلي القيثارَ بين يديكِ أيَّ ملاحنٍ غنَّى
وأيَّ صبابةٍ سالتْ على أوتارِه لحنَا
حوى الآمالَ ، والآلامَ ، والفرحةَ ، والحُزنا
حوى الآبادَ ، والأكوانَ في لفظٍ وفي معنى !

★ ★ ★

تعالى الحسْنُ ، يا حسناءُ ، عن إطراقِ محسورِ !
أيشكو الليلَ في كونٍ من الأنوارِ مغمورِ !
وما جلاّهُ من سوّاهُ إلاّ توأمَ النورِ ؟
وما سمّاهُ إذ ناداهُ غيرَ الأعينِ الحورِ ؟

البحيرة

عن ألفونس لامارتين

ليتَ شعـري أهـكذا نحنُ نمضي
في عُبـابٍ إلى شواطىءَ غُمْضِ

ونخوضُ الـزمانَ في جُنُحِ ليـلٍ
أبديٍّ ، يُضني النفوسَ ويُنضي

وضفـافُ الحيـاةِ ترمُقُهـا العيـ
ـنُ فبعضٌ يمـرُّ في إثرِ بعضِ

دون أنْ نملكَ الـرجوعَ إلى مـا
فاتَ منهـا ، ولا الرسوَّ بأرضِ ! ؟

* * *

حَـــدِّثي القلبَ ، يا بحيرةُ ، مــالي
لا أرى « أولڤيرَ » فوقَ ضفـافِكْ

أوشكَ العـامُ أن يمـرَّ ، وهـذا
موعـدٌ للقـــاءِ في مُصطافِكْ

صخرةَ العهدِ ! ويكِ ، هأنذا عـُـدْ
تُ ، فمـاذا لديكِ عنْ أضيافِكْ ؟

عدتُ وحـدي أرعَى الضفافَ بعينٍ
سفكتْ دمعَهـا الليـالي السوافِكْ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهـدرينَ كمـا أنــ
ـتِ هـديراً يهـزُّ قلبَ السكونِ

وضفـافٍ أمواجُهَــا يتـداعـ
ـينَ على هـذهِ الصخورِ الجونِ

والنسيمُ العليـلُ يدفعُ وهنـاً
زَبَدَ المـوجِ للـرُّبى والحـزونِ

ملقيـاً رغوَها على قدَمَيْهـا
ليّنَ المسِّ مستحبَّ الأنـينِ

* * *

أترى تذكـرينَ ليـلةَ كنـــا
منكِ فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ

وسـرى زورقٌ بنـا يتهـادى
تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟

في سكونٍ ، فليسَ نسمعُ فوقَ المـ
ـوجِ إلا أغـاني المجـدافِ

تتـلاقى علـى الرُّبَى والحوافي
بأناشيـدِ موجِـكِ العـزّافِ ؟ ؟

* * *

وعلـى حـينِ غـرةٍ رنَّ صـوتٌ
لم يُعَـوَّدْ سمـاعَه إنسـيُّ

هبطَ الشاطيءَ الطروبَ فما يُسمـ
ـعُ فيـهِ للهـاتفـاتِ دويُّ

وإذا الليـلُ سـاهمٌ سكَنَ النـو
إليـهِ وأنصـتَ اللجـيُّ

يتلقى عن نبـأةِ الصـوتِ نجـوى
كلمـاتٍ ألقـى بهـنَّ نجـيُّ

* * *

يا زمـانا يمـرُ كالطـيرِ مهــلاً
طائرٌ أنتَ ؟ ويكَ ، قِفْ طيرانَكْ !

أهنــاءَ الساعاتِ تجـري وتعــدو
نا عطاشـاً ، فقفْ بنـا جـريانكْ !

ويكَ دَعْنــا نمــرحْ بأجمــلِ أيا
مٍ ونَلقى ، من بَعْدِ خوفٍ ، أمانكْ

وإذا نحن لَــذّةَ العيش ذقنــا
هــا ومرّت بنـا فَدُرْ دَوَرَانكْ !

* * *

بَيْدَ أنَّ الشقــاءَ قد غمَــرَ الأر
ضَ وفاضَ الوجــودُ بالتاعسينا

كلهــمْ ضــارعٌ إليــك يرجّيــك
فأســرعْ ! أســرعْ ! إلى الضارعينا

وافترس مُشْنقِياتِ أيامهــمْ وامــ
ـضِ رحىً تطحنُ الشقــاءَ طحونا

رحمــةً ، فاذكرِ النفوسَ الحـزانى
وانسَ ، يا دهرُ ، أنفسَ الناعمينا !

* * *

عبثاً أنشدُ البقاءَ لعهدٍ
يَفْلِتُ اليومَ من يدي ويفر

وسويعاتِ غبطةٍ ما أراها
ووشيكاً ما تنقضي وتمرُّ

وأنادي يا ليلةَ الوصلِ قرّي
إن بعد السُّرى يطيبُ المقرُّ

أسفاً للصِّبا وغرٍّ ليالٍ
ليس يُبقي على صباهنَّ فجرُ

* * *

فلنحبَّ الغداةَ ولنحيَ حبّاً
ولنكنْ في الحياةِ بعضاً لبعضِ

ولنسارعْ فنقتفي إثرَ ساعا
تٍ فقد تؤذنُ النوى بالتقضِّي

إننا في الحياةِ في عُرْضِ بحرٍ
ليس نُلقي المرساةَ فيهِ بأرضِ

ما به مرفأ يَبينُ ولكنْ
نحن نمضي في لجّه ، وهو يمضي !

* * *

أكذا أنتَ ، أيهـا الـزَمَنُ الحـا
قدُ ، تغتـالُ نشوةَ اللحظـاتِ ؟

حيثُ يُزجِي لنـا السعادةَ أمـوا
جـاً من الحبِّ زاخـرُ اللجـاتِ ؟

أكذا أنت ، ذاهبٌ بليـالي الصـ
ـفوِ عنـا سريعـةَ الخطـواتِ ؟

أكـذا تنقضي مـلاوةُ نعمـا
هـا كمـا ينقضي شقاءُ الحيـاة ؟

* * *

كيفَ حـدِّثْ أغالهـا منك صرفٌ
في أبيدِ الزَّمـانِ حيثُ طواهـا ؟

ويكَ ، قل لي ، أليسَ نملكُ يومـاً
أن نراهـا ؟ أمـا تبينُ خـُطاهـا ؟

أتراهـا ولّتْ جميعـاً ، ولمـا
تبقَ حتـى آثارُهـا ، أتراهـا ؟

أوَذاكَ الدهرُ الذي افتنَّ في صـو
غِ صباهـا هو الـذي قد محاهـا ؟

* * *

أيّهـذا الزمانُ ، والعـدمُ العـا
تي ، غريقـين في سكونٍ وصمتِ

أيْ عميـقَ اللجـاتِ مـاذا بأيا
مِ صبـانا ؟ مـاذا بهنَّ صنعتِ ؟

حدثيني ، أمـا تعيـدينَ مـا من
سكراتِ الغـرامِ منـا اختطفتِ ؟

أوَ مـا تُطلقينهـا من دياجيـ
ـكِ ؟ أما تبعثينهـا بعـدَ موتِ ؟

* * *

أنتِ ، يا هـذهِ البحـيرةُ ، مـاذا
يكتمُ الموجُ فيـكِ والشطآنُ

أيهـا الغـابةُ الظليـلةُ رُدّي
أنتِ ، يا من أبقى عليهـا الزمانُ

وهو يسطيعُ أن يُجدِّكِ حسناً ! !
إحفظي لا أصـابَكِ النسيـانُ ! !

قـلّ حفظاً أن تذكـري ليـلةً مـرَّ
تْ وأنتِ الطبيعـةُ الحسّـانُ

* * *

ليَكُنْ منكِ ، يا بحيرةُ ، ما لجَّ
بكِ الصمتُ أو جنــونُ اصطخابكْ

في مغــانيكِ حــاليــاتٍ تراءى
ضــاحكاتٍ على سفوحِ هِضــابكْ

في مــروج الصَّنوبرِ الحــو تهفو
سابغاتُ الأليــافِ حــولَ شعابكْ

في نتــوءِ الصخورِ ، مشرفةِ الأعنــا
قِ ، بيضاً ، تُطــلُّ فوقَ عُبــابكْ

* * *

وليــكنْ في العُبــاب يهــدرُ أمــ
ــواجاً على شاطئيك مثــلَ الرعودِ

في انتحابِ الرياح تُعــول في الوديــ
ــانِ إعوالَ قلبــي المفــؤودِ

في صــدى الجدولِ المــوقّع أنّا
تِ حشاهُ بالجنــدلِ الجلمودِ

في شذاكِ السريِّ ينشقُ منــه الــ
ــقلبُ ريّا فردوسهِ المفقــودِ ! ؟

* * *

وليكنْ في النسيم مـا هـبَّ سـار
يهِ يجوبُ الشطآن نحوكِ جَوْبا

في جبـينِ النجـمِ اللجينيِّ يُلقي
فِضَّة الضـوءِ في ميـاهِكِ ذَوْبا

وليكنْ في شتيتِ ما تسمعُ الأذ
نُ ، وفيمـا نراهُ عينـاً وقلبـا

ليكنْ هـاتفٌ منَ الصوتِ يتـلو
« قد أحبَّـا وأخلصـا مـا أحبـا »

الملاح التائه

أيها الملاحُ قمْ واطوِ الشراعا　　لِمَ نطوي لُجّةَ الليلِ سِراعا
جَدِّفِ الآنَ بنا في هينةٍ　　وجهةَ الشاطيءِ سيراً واتّباعا
فغداً ، يا صاحبي ، تأخذُنا　　موجةُ الأيّامِ قذفاً واندفاعا
عَبَثاً تقفو خُطى الماضي الذي　　خِلتَ أنَّ البحرَ واراهُ ابتلاعا
لم يكنْ غيرَ أويقاتِ هوىً　　وقفتْ عن دورةِ الدهرِ انقطاعا
فتمهّلْ ، تسعدِ الرُّوحُ بما　　وهِمَتْ،أو تطربِ النفسُ سماعا
ودَعِ الليلةَ تمضي ، إنها　　لم تكنْ أولَ ما ولّى وضاعا
سوفَ يبدو الفجرُ في آثارها　　ثمَّ يمضي ، ودَوَاليكَ تِباعا
هذهِ الأرضُ انتشتْ مما بها　　فغفَتْ تحلُم بالخلدِ خداعا
قد طَوَاها الليلُ حتى أوشكتْ　　من عميقِ الصَّمتِ فيه أنْ تُراعا
إنّهُ الصمتُ الذي في طيّه　　أسفرَ المجهولُ ، والمستورُ ذاعا
سَمِعَتْ فيه هُتافَ المنتهى　　من وراءِ الغيبِ يقريها الوَداعا
أيها الأحياءُ ، غنّوا واطرَبوا　　وانهبوا من غفلاتِ الدّهرِ ساعا

★ ★ ★

آدِ ، ما أروعَها من ليلةٍ فاضَ في أرجائها السحرُ ، وشاعا
نَفَخَ الحبُّ بها من روحِهِ ورَمَى عن سِرِّها الخافي القناعا
وَجَلا من صُوَرِ الحُسْنِ لنا عبقرياً لَبِقَ الفنِّ صَنَاعا
نفحاتٌ رَقَصَ البحرُ لها وهفا النجمُ خُفوقاً والتماعا
وسرى من جانبِ الأرضِ صدىً حَرَّكَ العُشْبَ حناناً واليَرَاعا
بَعَثَ الأحلامَ من هجعتِها كسرايا الطَيْرِ نُفِّرْنَ ارتياعا
قُمْنَ بالشاطيءِ من وادي الهوى بنشيدِ الحبِّ يهتفنَ ابتداعا
أيها الهاجرُ عزَّ المُلتقى وأذبتَ القلب صداً وامتناعا
أدركِ التائهَ في بحرِ الهوى قَبْلَ أنْ يقتلَهُ الموجُ صِراعا
وارعَ في الدنيا طريداً شارداً عنهُ ضاقتْ رقعةُ الأرضِ اتساعا
ضلَّ في الليل سُراهُ ، ومَضَى لا يَرى في أفْقٍ منه شُعَاعا
يجتوي اللافحَ من حَرْقتِهِ وعذابٍ يُشعلُ الرُّوحَ النياعا
والأسى الخالدَ من ماضٍ عَفَا والهوى الثائرَ في قلبٍ تداعى
فاجعلِ البحر أماناً حولَهُ واملأ السهلَ سلاماً واليَفَاعا[1]
وامسحِ الآنَ على آلامهِ بيدِ الرفقِ التي تمحو الدَّماعا[2]
وَقُدِ الفُلْكَ إلى برِّ الرِّضى وانشُرِ الحبَّ على الفُلْكِ شِراعا

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الارض

(٢) الدَمّاع : كثير الدمع

طاقة زهر

الى المودعة الجميلة

زَهَرَاتُكِ الحُمْرُ التي أسْلمْتِها
بيدَيْ مودِّعةٍ يمينَ مُودِّعِ

لمّا وصلتُ إلى المصيفِ حملتُها
كالطِّفلِ نامَ على ذِرَاعِ المرضعِ

أمشي بها فَوْقَ الرِّمالَ كأنني
أمشي بطَيْفٍ في الظَّلامِ مُقَنَّعِ

مَضْمومَةَ الورَقاتِ طيَّ غِلالةٍ
وُسِمَتْ بطابَعِ ذَوْقِكِ المترفِّعِ

مَحْجُوبَةً كأميرَةٍ شرقيةٍ
في هَوْدَجٍ أسْتارُهُ لم تُرْفَعِ

حتى إذا أويتُها بَعْدَ السُّرَى
وخَلَعْتُ عنها لِبسةَ المتمنِّعِ

هَشَّتْ لآنيتي وأشْرَقَ لَوْنُهَا
وَتَرَدَّدَتْ أنفَاسُها في مَضْجَعي

ومَضَتْ تُخَالِسُني حَيِيَّ لحاظِها
لا تَشْتَكي سَهَراً وَفَرْطَ تَطَلُّعِ

هيَ أنتِ ، أحلامٌ تغازلُ نَاظِري
وَتَصُبُّ حُلْوَ حَدِيثها في مِسْمَعي

هيَ أنتِ ، أطْيَافٌ تعانقُ مُهْجَتي
وتَفِرُّ حينَ تُحِسُّ حُرْقَةَ أضْلُعي

أمْسَتْ تُعابثُني ومِلْءُ شِفَاهِهَا
مِنْ مُغْرِيَاتِكِ بَسْمَةٌ لِتَوَلُّعي

الشوق العائد

إهدئي ، يا نوازعَ الشّوقِ ، في قلبي فَلَنْ تَملِكي لماضٍ رُجُوعَا
آهِ ، هيهاتِ أن يعودَ ، ولو أفنيتُ عمري ، تَحرُّقاً وولوعَا
آهِ ، هيهاتِ أن يعودَ ، ولو ذوّبتُ قلبي صبابةً ودموعَا
فاهدئي الآن ، يا لَثَوْرَتِكِ الهوجاءِ جبّارةً تدكُّ الضلوعَا

★ ★ ★

رحمةً ، يا نوازعَ الشوقِ ، لو ناديتُ ماضيَّ ما وجدتُ سميعَا
أسدَلَ القلبُ دونَهُ ألفَ سِترٍ عبراتٍ ومثلهنَّ نجيعَا
رحمةً ، يا نوازعَ الشوقِ ، لو حاولتُ بعثَ الهوى فلنْ أستطيعَا
كيف يحيا زهرٌ ذوى في إناءٍ باتَ في قبضةِ الحياةِ صديعَا

★ ★ ★

رحمةً ، يا نوازعَ الشوقِ ، بالقلبِ فما يستطيعُ بَعْدُ نزوعَا
إنْ تكوني أحْبَبْتِهِ فدعيهِ ناعماً بالكَرَى رضيّاً قنوعَا
نَسِيَ الأمسَ أو سلا فتعاليْ نَجْنُ صمتاً من حَوْلِهِ وخشوعَا
أو فكوني في حُلْمِهِ الزّهْرَ والأنغامَ والخمرَ والعروسَ الشّمُوعَا

★ ★ ★

أيتُهـا الزائرُ المعـاودُ ما ألقـاكَ أحسنتَ بالمزارِ صنيعَا

مـا أرى في سِمَاتِ وجهِكَ إلاّ شَبحاً رائعـاً وحُلمـاً وَجيعَا

يتـوقّاهُ ناظـرايَ كأنّي فيــهِ ألقَى آلامَ عمـري جميعَـا

طالَ ليـلي فمـا طويتُ هزيعـاً منـه إلا نَشَرْتَ منـهُ هزيعَا

★ ★ ★

أيتُها الشوقُ ، خَلِّ عنـكَ ودعني ، وامْضِ لا خادعاً ولا مخدوعَا

أيْن هـذَا الجمـالُ أرعـاهُ كالبرقِ خلوباً وأجتليـهِ لمـوعَا

أيْنَ هـذَا الخيـالُ أُسقاهُ كأساً بيـدٍ منـهُ فجّرتْ ينبـوعَا

أين ، لا أين ! ما غِنائيَ بالذكـرى وقد أصْبَحَ الوهوبُ منوعَا !

★ ★ ★

عُدْتَ ، يا شوقُ ، لي وعادتْ لياليكَ ، ولكنْ وجدتَ قلباً صريعَا

عُدْتَ من بعـد لَوْعةٍ أحرقتـهُ وجَفَتْهُ على الـرّماد ضجيعَا

وليـالٍ من الفـَرَاغِ عَـــوَاتٍ هَرَأتهُ ثلوجهنّ صقيعَا

عُدْتَ ، ياشوقُ! فيمَ عُدْتَ؟ ربيعُ العُمرِ ولّى! فهلتعيدُ الربيعَا ؟!

عرائس الرّبيع

وَثبنَ في موكبِ الطبيعهْ — وثوبَ غزلانها الوديعهْ
منشّراتٍ ومرسلاتٍ — غلائلَ الفتنةِ الرّصيعهْ
أثارَ دفءُ النسيمِ روحاً — فيهنّ مشبوبةً ولبعَهْ
وهاجَ عطرُ الصباحِ فيها — ما هاجَ في النحلةِ الرضيعهْ
فَرُحنَ يَمرحنَ في غناءٍ — تُصغي وتتلو الرُّبى رجيعهْ
يحملنَ ورداً بها أوردٍ — ينثالُ بالحمرةِ الينيعهْ
كأنما الروضُ قلبُ صَبٍّ — أسَلنَ فوقَ الثّرى نجيعهْ
هـذا الربيعُ الجميلُ يجلو — فنونَ إبداعِهِ الرفيعهْ
مشى تحيّي الرياضَ منهُ — خطىً على صدرها سريعهْ
وديعةُ الخلدِ في يَدَيْهِ — وبوركتْ فيهما الوديعهْ
انتشتِ الأرضُ من شذاهُ — وأترعتْ كأنها الرصيعهْ
ولي فمٌ ناضبٌ وقلبٌ — فارغةٌ كأسُهُ صديعهْ
عرائسَ الحسنِ لا تَدعنَ الـ — ـحبَّ للهجرِ والقطيعهْ

فإنه شاعِر يُغنّي أحلامَهُ الحلوةَ البديعَهْ
لكنْ يُحيي صِبا الليالي شدواً ، ويُغني الهوى دموعَهْ

★ ★ ★

عادَ ربيعُ الثَرى وعادتْ صوادحُ الدوحةِ الوشيعَهْ
هفَتْ بجوقاتها إليهِ مُفْشِيةً سِرَّهُ مُذيعَهْ
وزفّهُ بلبلٌ لعوبٌ في حِضنهِ وردةٌ خليعَهْ
وحدّقَ الزهر واشرأبتْ كمائمٌ حولَهُ سميعَهْ
شريعةُ الغابِ ما أراها دماً ولا ميتةً ذريعَهْ
لكنّه الحبُ فوضوياً يقتحمُ الذروةَ المنيعَهْ
تدعو له الكائناتُ طراً وقدَّسَ الحبُ من شريعَهْ
فيا عروسَ الربيعِ هاتي من وحيهِ وانشري صنيعَهْ
أنتِ شبابُ الحياةِ ، أنتِ الجمالُ في موكبِ الطليعَهْ
وأنتِ أنتِ الرَّبيعُ ، لا ما تبدعُهُ ريشةُ الطبيعَهْ
خدّاكِ ، نهداكِ ، منْ جَناهُ فاكهةُ الجنّةِ المضيعَهْ
ثغرُكِ ريّانُ من رحيقٍ ألحبُ يُحيي بهِ صريعَهْ
شعرُكِ من نورِ ناظريه يقبسُ منه السَّنى سطوعَهْ
وُقيتِ لَمْحَ العيونِ إمّا رَمتْكِ بالنظرةِ الجميعَهْ
وُقيتِ لَفحَ الشفاهِ إمّا هفتْ بها قُبلةُ الخديعَهْ
وُقيتِ فَحَّ الصدورِ إمّا غلَتْ بها الشهوةُ الوضيعَهْ

فأرجعي ، يا عروس فنّي ،   صِباً يودُّ الهوى رجوعَهْ

أيامَ كلُّ الطريقِ زهر   وكلُّ حافاتِهِ مُريعَهْ

أيامَ كلُّ الحياةِ فجر   ترقبُ عينُ الفتى طلوعَهْ

وليلهُ مهرجانُ عرسٍ   قد أوقدوا حولَهُ شموعَهْ

إنْ أنتِ لم تُحسني إليه   قَتَلتِ في صَدْرِهِ نزوعَهْ

ومن لقلبٍ أضاعَ بينَ الهوى وبينَ الصِّبا ربيعَهْ ؟

كأس الخيام

رباعيات الخيام آية من مثاليات الشعر الخالد المتسم بالرقة والعظمة ، والخيام من أولئك الشعراء الذين حاولوا استكناه أسرار الكون ، واستشراف المجهول بالقلب المشبوب، والحس المرهف ، والروح الطامح المتوثب ، والخيال المرح المتفلسف ، والعقل الذكي المتأمل ، ولكن القصور الانساني ردّه عن بلوغ متمناه ، فأشعره بالألم ، وأورثه الحسرة ، فاندفع الى نشدان المتعة في الخمر والمرأة ، ليتسلى بهما عن عجزه ويأسه وقد صدحت هذه الرباعيات في نفس الشاعر ، فكتب قصيدة في الكأس ، استهلها بوصف الشرق الجميل المستيقظ على صياح الديكة ، وتغريد الطيور ، متأثراً بالمعنى الأول من قصيدة الخيام ، مناقشاً في بعض ما عرض له من آرائه

● هاتفُ الفجرِ الذي راعَ النجومْ
وأطارَ الليلَ عن آفاقِهَا
لم يَزَلْ يُغري بنا بنتَ الكرومْ
ويُثيرُ الوجدَ في عشاقِهَا

● صَيْدَحٌ جُنَّ غَرَاماً بالسَّحَرْ
أنطقتْهُ لهفةُ الرُّوحِ المَشوقْ
مَوْثِقُ القلبِ ، ومَيْعادُ النَّظَرْ
مهرجانُ النُّور في عُرْسِ الشروقْ

● فَرَحُ الجَنَّةِ في ألحانِهِ
وصداهُ في السَّحاب العابرِ
أرسَلَ السِّحرَ على ألوانِهِ
من فمٍ شادٍ ، وقلبٍ شاعرِ

● يَا لَهُ صوتاً من الماضي البعيدْ
رائعَ الإيقاعِ فتّانَ النّغمْ
جدّدَ الأشواقَ باللحنِ الجديدْ
وَهْوَ كالدنيا عَريقٌ في القِدَمْ

● كمْ عيونٍ نَفَضَتْ أحلامَها
حين نادى ، غير حُلْمٍ واحدِ
سلسلتْ فيه المُنى أنغامَها
وهي تشدو بالرّحيقِ الخالدِ

● كلّما لألأَ في الشّرْقِ السّنا
دَقّتِ البابَ الأكفُّ الناحلهْ
أيّها الخمّارُ ! قمْ وافتحْ لنا
واسقِنا ، قبلَ رحيلِ القافلهْ

● خَمرةُ العشاقِ لا زالتْ ، ولا
جَفّ من يَنبوعها نهرُ الحياهْ
نَضَبَتْ ، في قَدحِ العمرِ ، الطّلا
وهيَ في الأرواحِ تستهوي الشّفاهْ !

● كم شموسٍ عَبَرتْ هذا الفضاءْ
وألوفٍ من بُدورٍ ونجومْ
والثّرى بينَ ربيعٍ وشتاءْ
ضاحكُ النّوّارِ وهّاجُ الكرومْ

● كلُّ عنقودٍ دُموعٌ جَمَدَتْ
وقلوبٌ فَنيتْ فيها شَعاعا
ما احتواها الفجرُ إلاّ اتّقَدَتْ
جمرةً تذكو حَنيناً وَالتياعا

● لو أصابَتْ ريشتيها وثَبتْ
بِجَناحَيْنِ منَ الشّوقِ القديمْ
فاعذرِ الكأسَ إذا ما اضطربتْ
حَبَباً يَخْفِقُ في كفِّ النديمْ

● أيُّها الخالدُ في الدنيا غرَاما
أينَ نيْسابورُ ، والروضُ الأنيقْ ؟
أينَ معشوقكَ إبريقاً وجاما ؟
هلْ حطَمتَ الكأسَ؟ أمْ جفَّ الرحيقْ؟

● هذه الكَرمةُ والوادي الظليلْ
مثلما كانا ، وهذا البلبلُ
حاضرٌ أشْبَهُ بالماضي الجميلْ
لو يُغَنّيهِ المغنّي الأوّلُ

● أليدُ البيضاءُ في كلِّ الغصونْ
زهرةٌ تَنْدىَ ، ونَوْرٌ يُشرقُ
والثرى من نَفَسِ الرُّوحِ الحنونْ
مهجةٌ تهفو ، وقلبٌ يخفقُ

● كم تشهَّيتَ الحبيبَ المُحسِنا
لو سقى مَثْواكَ بالكأسِ الصبيبْ
وتمنَّيتَ ، وما أحلى المنى
خطَواتٍ منهُ ، والمَثْوى قريبْ

● أترَى أعطيتَهُ سِرَّ الخلودْ ؟
أم حبوتَ الحسنَ سُلطاناً يدومْ
عجباً ، تُخطيءُ أسرار الوجودْ
أيُّها الحاسبُ أعمارَ النجومْ !

● شَفَةُ الكأسِ التي أنطقتَها
لم تَدَعْ للسائلِ الصَّادي جوَابا
حُجُبٌ عنْ ناظري مزَّقتَها
فرأيتُ العيشَ برقاً وسَرابا

● ولمستُ الخافقَ الحيَّ المُنى
طينةً تبكي بكفِّ الجابلِ
تشتهي الرَّشفةَ مما علَّتَنا
وهي ملأى تحتَ ثغرِ الناهلِ

● نسِيَ الأنخابَ من تهوى وأمسى
مثلما أمسيت يستسقي الغَمَاما
واشتكتْ رقته في الأرض يُبسا
وغدا الإبريقُ والكأسُ حِطَاما

● لا ، فما زالا ، ولا زالَ الحبيبْ
أيها المفعِمُ بالحبِّ الوجودا
إنَّ من غَنَّيْتَ بالأمسِ القريبْ
منحَتْهُ ربَّةُ الشِّعرِ الخُلودَا

● مرَّ بي طيفُكما ذاتَ مَسَاءْ
وأنا ما بينَ أحلامي وكأسي
إستبدَّتْ بيَ أطيافُ الخَفَاءْ
وتغرَّبتُ عن الدنيا بنفسي

● صِحْتُ بالليلِ إلى أنْ أشفقا
فَلْيَقِفْ نجمُكَ ..ولْيَنْأ السَّحَر
جَدَّدَ العشاقُ فيكَ الملتقى
وَحَلاَ الهمسُ على ضَوْءِ القَمَر

● فَادخـلاَ بـين ضيـاءٍ وغمـامْ
حـانةَ الأقدارِ والليـلِ القـديمْ
مجلساً يهفو به رُوحُ الغـرامْ
كلُّ نجمٍ فيـهِ سـاقٍ ونديمْ

● وانهلامن سَلسَلِ النُّورِ المُذابْ
خمـرةً ليسَ لهـا منْ عاصرِ
قنِعَ الصـوفيُّ منهـا بالحَبـابْ
وهي تنهـلُ بكأسِ الشـاعرِ

● فاروِ ، يا شـاعرُ ، عن إشراقهـا
إنّما كأسُـكَ نورٌ وَصَفـاءْ
كيفَ طالعـتَ علـى آفاقهـا
روعةَ الغَيْبِ وأسرارَ السمـاءْ ؟

● كيفَ أبصرتَ الجمـالَ المشرقا
بَصَرَ الفـانينَ في حُبِّ الإلهْ
وفتحـتَ الأبَـدَ المُستغلـقـا
عن ضَميرِ الكونِ أو سِرِّ الحياهْ ؟

● أبِرُوحانيَّةِ الشَّرقِ العريقْ
أمْ ببُوهيمِيَّةِ الفنِّ الطَّليقْ
سَبَحَتْ روحُكَ في الكونِ السحيقْ
حيثُ لا يَسْمعُ طَافٍ لِغَريقْ !

● حيثُ أبصرتَ الذي لم تُبْصِرِ
أعيُنٌ مرَّتْ بهذا العالَمِ
ذاكَ سرُّ الشاعرِ المُستهترِ
وَفُتونِ الفيلسوفِ العَالِمِ

● ذاكَ سرُّ النَّغَمِ المسترسلِ
والصفاءِ السلْسَلِ المطَّردِ
رُوحُ شادٍ فَنِيَتْ في الأزَلِ
وتحدَّتْ شَهْوةَ المُنتقِدِ

● صَرَخَتْ آلامُهُ في كُوبهِ
فَهَوَى يثأرُ من آلامِهِ
إنما البعثُ الذي تنشدُو بهِ
يقظةُ المفجوعِ في أحلامِهِ !

● إنما البعثُ المُرَجَّى للوَرَى
غـايةُ الحيِّ التي لا تُخمَـدُ
إنما تُبْعَثُ في هَـذَا الثَّرى
بعضَ ما يُقتطَفُ أو مـا يُحصَدُ

● حَسبُها تعـزيةً أنَّا سَنحيَـا
في غَـدٍ ، مثلَ حيـاةِ الزَّهَرِ
وسَنَطوي الأبَدَ المجهـولَ طيَّـا
جُدَدَ الأطيـافِ ، شَتَّى الصُّوَرِ

● حسبُها تَعـزيةً أنْ نَحلُمـا
بأناشيـدِ الصَّبـاحِ المنتظـر
ونشقُّ الأرضَ عن وجـهِ السَّمـا
حيثُ نورُ الشمسِ أو ضَوْءُ القمر

● ربمـا جَـدَّدَ أو هـاجَ لنَـا
نبـأٌ أو قِصـةٌ مِنْ حُبِّنـا
نَوْحُ ورقاءَ أرتَّتْ حَوْلنـا
أو شَجَى قُبَّرةٍ مَرَّتْ بنـا

● أو خُطَى إلفَيْنِ في فجرِ الصِّبا
أترَعَا كأسَيهما مِنْ ذَوْبِهِ
أو صدَى رَاعٍ على تلكَ الرُّبَى
صَبَّ في النَّاي أغاني حُبِّهِ

● حُلُمٌ مَثَّلْتَهُ في خاطري
فعشَقتُ الخُلدَ في هذا الرُّواءْ
أنكرُوهُ ، فَحَكَوْا عن شاعرِ
جُنَّ بالخمرِ وأغوتهُ النساءْ

● ولقد قالوا شُذوذٌ مُغرِبُ
وأباحيَّةُ لاهٍ لا يُفيقْ
آهِ لو يَدْرونَ ما يضطرِبُ
بَيْنَ جَنبيْكَ من الحُزْنِ العميقْ

● أوَلا يَغدو الخليعَ الماجِنا
من رأى عُقبَى الصباحِ الباسمِ ؟
ورأى الحيَّ جماداً ساكنا
بعدَ ذيَّاكِ الحَراكِ الدائمِ ؟

● أو لا يُغْـرِبُ في نشْــوتِهِ
شاربُ الغُصَّةِ في اليَوْمِ الأخيرْ ؟
أوَ لاَ يُمعــن في شهــوتِهِ
مُسْلِمُ الجسمِ إلى الدودِ الحقيرْ ؟

● قصةُ الزُهْدِ التي غَنَّوْا لَهَــا
عَلَّلتهمْ بالسرابِ الخَــادعِ
نشوةُ الشاعرِ ، مــا أجملَهـــا !
هي مفتــاحُ الخلودِ الضَّــائعِ ! !

● لو أصــابُوا حكمةً مــا اتَّهموا
وَبَكى لاَحيكَ وَالمستهجنُ
فهــو من دنيــاهُمُ لو عَلموا
عَبَثٌ مُرٌ ، وَلَهْوٌ مُحزِنُ ! !

التمثال

قصة الأمل الانساني في أربعة فصول

الانسان صانع الأمل ، ينحت تمثاله من قلبه وروحه ، ولا يزال عاكفاً عليه يبدع في تصويره وصقله متخيلا فيه الحياة ومرحها وجمالها ، ولكن الزمن يمضي ولا يزال تمثاله طيناً جامداً وحجراً أصم ، حتى تخمد وقدة الشباب في دم الصانع الطامح وتشعره السنون بالعجز والضعف فيفزع الى معبد أحلامه هاتفا بتمثاله ، ولكن التمثال لا يتحرك ، ولكن الحلم الجميل لا يتحقق ، وهكذا تجتاح الليالي ذلك المعبد وتعصف بالتمثال فيهوي حطاما ، وهنا يصرخ اليأس الانساني ويمضي القدر في عمله

أقبلَ الليلُ ، واتّخذتُ طريقي
لكَ ، والنجمُ مؤنِسي ، ورفيقي

وتوارى النهارُ خَلْفَ ستارٍ
شفقيٍّ ، منَ الغمامِ ، رقيقِ

مدَّ طيرُ المساءِ فيهِ جناحاً
كشراعٍ في لُجةٍ من عقيقِ

هو مثلي ، حيرانُ ، يضربُ في الليـ
ـلِ ، ويجتازُ كلَّ وادٍ سحيقِ

عادَ من رحلةِ الحيـاةِ كمـا عـُـدْ
تُ ، وكلٌ لِوَكْرِهِ في طـريقِ ! !

أيّهـذا التمثـالُ هـأنذا جئـ
ـتُ لألقـاكَ في السكونِ العميقِ

حاملاً من غرائبِ البرِّ ، والبحـ
ـرِ ، ومن كلِّ مُحدَثٍ وعـريقِ

ذاكَ صيـدي الـذي أعودُ به ليـ
ـلاً ، وأمضي إليه عنـدَ الشروقِ

جئتُ أُلقِي به على قدميـكَ الآ
نَ في لهفـةِ الغـريبِ المشُـوقِ

عـاقداً منهُ حـولَ رأسِـكَ تاجاً
ووشـاحاً لقـدِّكَ الممشـوقِ !

★ ★ ★

صـورةٌ أنتَ من بدائعَ شتّى
ومثـالٌ من كـلِّ فنٍّ رشيقِ

بيدي هــذه جبَلتُكَ ، من قلبـ
ـــي ، ومن رونقِ الشَّبابِ الأنيقِ

كلمــا شِمتُ بارقاً من جمـــالٍ
طِــرتُ في إثرهِ أشــقُّ طـريقي

شهِدَ النجمُ ، كم أخذتُ من الرَّوْعـ
ـةِ عنهُ ، ومن صفــاءِ البـريقِ

شهِدَ الطيرُ ، كم سكبتُ أغانيـ
ـهِ على مسمعيكَ سكبَ الرَّحيقِ

شهِدَ الكرمُ ، كم عصرتُ جَنــاهُ
ومــلأتُ الكؤوسَ من إبريقــي

شهِدَ البرُّ ، ما تركتُ من الغـ
ـارِ على مِعْطَفِ الربيعِ الوريقِ

شهِدَ البحرُ ، لم أدَعْ فيهِ من دُرٍّ
جـديرٍ بمفــرقيكَ ، خليــقِ

ولقــد حيَّــر الطبيعــةَ إســرا
ئي لهــا كــلَّ ليــلةٍ وطـروقي

واقتحامي الضُّحَى عليهـا كَـرَاعٍ
أسيـويٍّ ، أو صـائدٍ إفريقـي

أو إلـهٍ مُجنَّـحٍ يتـراءى
في أسـاطيرِ شـاعرٍ إغـريقي

قلتُ لا تعجبي ، فمـا أنا إلاَّ
شبَحٌ لجَّ في الخفـاءِ الوثيـقِ

أنا ، يا أمُّ ، صانعُ الأملِ الضـا
حِكِ في صـورةِ الغـدِ المرموقِ

صُغتُهُ صَوْغَ خالقٍ يعشَقُ الـ
ـفنَّ ويسمو لكلِّ معنىً دقيقِ

وتنظَّـرتُهُ حيـاةً ، فأعيـ
ـاني دبيبُ الحيـاةِ في مخلوقي ! !

كلَّ يومٍ أقولُ في الغدِ ، لكنْ
لستُ ألقـاهُ في غـدٍ بالمفيقِ

ضـاعَ عُمري ، ومـا بلغتُ طريقي
وشـكا القلبُ من عـذابٍ وضيقِ

★ ★ ★

معبدي ! معبدي ! دَجَا الليـلُ إلاّ
رعشةَ الضوءِ في الســراجِ الخفوقِ

زَأرَتْ حولكَ العواصفُ لمـا
قهقهَ الـرَّعْدُ لالتمـاعِ البـروقِ

لطمتْ في الـدُّجى نوافذَكَ الصَّم
ودقّـتْ بكلٍّ سَيْـلٍ دفوقِ

يا لتمثـالي الجميـلِ ، احتواهُ
سـاربُ المـاءِ كالشهيدِ الغـريقِ

لم أعُدْ ذلكَ القـويَّ ، فاحميـ
ـهِ منَ الويلِ والبـلاءِ المحيـقِ

ليلتي ! ليلتي ! جَنَيْتِ منَ الآ
ثامِ حتى حملتِ مـا لم تطيقي

فاطـربي واشـربي صُبـابةَ كأسٍ
خمرُهـا سـالَ من صميمِ عروقي !

★ ★ ★

مـرَّ نورُ الضحى على آدميٍّ
مُطـرقٍ في اختـلاجةِ المصعوقِ

في يديهِ حُطامةُ الأمل الـذا
هبِ في مَيْعَةِ الصِّبا المـوموقِ

واجماً أطبـقَ الأسـى شفتيهِ
غيرَ صوتٍ عبر الحيـاة طليقِ

صاحَ بالشمسِ لا يرُعكِ عذابي
فاسكبي النـارَ في دمي ، وأريقي

نارُكِ المشتهـاةُ أندى علـى القلـ
ـبِ وأحنـى من الفـؤادِ الشفيقِ

فخـذي الجسم حفنـةً من رمـادٍ
وخـذي الروحَ شُعلةً من حـريقِ

جُنَّ قلبـي فمـا يرى دَمَهُ القـ
ـاني على خَنجرِ القضاءِ الرقيقِ ! !

الطَّـــريد

شقي أجنّته الدياجي السوادفُ
سليبَ رقادٍ أرّقته المخاوفُ

ترامى به ليلٌ كأنّ سوادَهُ
به الأرضُ غرقى ، والنجومُ كواسفُ

إلى أين تمضي ، أيها التائهُ الخُطَى ،
يُساريكَ برقٌ أو يُباريكَ عاصفُ ؟

رأيتُكَ في بحرِ الظلامِ كأنما
إلى الشاطيءِ المجهولِ يدعوكَ هاتفُ

تخوضُ الدُّجى سهمانَ والنجمُ حائرٌ
يسائلُ من ذاك الشقيُّ المجازفُ ! ؟

طريداً يفرُّ الوحشُ من وقعِ خطوِهِ
ويعزبُ عنه الصِّلُّ ، والصلُّ واجفُ

كأنَّ إلهَ الشـرِّ يقتحـمُ الورى
أو انَّ الـرَّدَى في بردهِ الرثِّ زاحفُ

فواعجبـاً ! ! لم تحمـلِ الأرضُ مثلَه
ولا طافَ منـهُ بالدجنَّةِ طائفُ

يخافُ الثَّرى مسـراهُ وهو يخـافهُ
وبينهما يسري الـدُّجى وهـو خائفُ

تُرى أيُّ سـرٍّ في الظـلام محجَّبٍ ؟
أليس لَهُ من نبـأةِ القلبِ كاشفُ ؟

أجبْني طـريدَ الأرضِ ، إني يهـزُّني
إليكَ هوىً، من جانبِ الغيب ، شاغفُ !

فردَّدَ ذاكَ الطيفُ صوتاً محبَّباً
إليَّ كلحنٍ ردَّدتهُ المعـازفُ

وقالَ أجـلْ إنّي الطـريدُ وإنه
لسرٌّ تهزُّ القلبَ منـهُ الرواجفُ

أتسألكَ الأفلاكُ عنـي ، أنا الـذي
رَمَتْـهُ الدياجي والرعودُ القواصفُ ؟

أجــلْ إن ذاتي يا نجيِّي تنكرتْ
لعينكَ ، لكنَّ القــلوبَ تَعَــارَفُ !

ومــا أنا إلا من بنــي الأرضِ ناءَ بي
مقيــمُ عــذابي والشقــاءُ المحــالفُ

وما كانَ هذا النَّوْءُ والموجُ والدُّجى
ليرهبَ نفساً حقَّــرتْ مــا تصــادفُ

سواءٌ لديهــا أشرَقَ الفجرُ أم سجتْ
غيــاهبُ في ســر الــدجى تتكاثفُ

هيَ الأرض مهدُ الشر من قبل خَلْقِنَا
ومن قبــلِ أنْ دبَّتْ عليهــا الزواحفُ

غذتهــا الضحــايا بالجسومِ فأخصبتْ
وأترعهــا سيــلٌ من الــدَّم جــارفُ

وهيهــاتِ تشفِي غُلَّةً من دمائنــا
ويا ليتَ ترويهــا الدموعُ الــذَّوارفُ

ولي قصةٌ يُشجي القــلوبَ حديثُهــا
ويعجزُ عن تصويرها ، اليومَ ، واصفُ

دعوتُ إلى حــرّية الــرأي معشراً

ثقافتهم ضربٌ من العــلمِ زائفُ

يرونَ بأنّ العيشَ لــذاتُ مــاجنٍ

وأنّ قصــاراهُ حُلىً وزخــارفُ

إذا لمحــوا نورَ الحقيقةِ أغمضــوا

وقالوا ألا أين الضياءُ المشــارفُ ؟

عجبتُ لهــذا العقلِ حُــراً فمــا لَهُ

من الوَهْمِ يُمسي وهو في القيدِ راسفُ

هــو الحقُّ في الكوخِ الحقــيرِ فحيِّهِ

وليسَ بمــا تزهى هنــاكَ المقــاصفُ

هنــا تصدقُ الإنسانَ عاطفةُ الهــوى

إذا كــذبتْ ربَّ القصورِ العــواطفُ

لقــد سئمتْ نفسي الحياةَ ومــا أرى

بديلاً عن الكأس التي أنا راشفُ

أيُجحدُ في الشــرق النبوغُ ويُزدَرى

ويَشقى بمصرَ النــابهونَ الغطارفُ ؟

يجوبونَ آفاقَ الحيـاةِ كأنهـمْ
رواحـلُ بِيـْـدٍ شرَّدتهـا العواصفُ

طـرائدَ في صحراءَ ، لا نبعَ واحـةٍ
يرقُّ ، ولا دانٍ من الظـلِّ وارفُ

ألا إنَّ لي قلبـاً طعينـاً تحوطُهُ
عصـائبُ تنـزو من دمـي ولفـائفُ

أقلَّتهُ أحنـائي ذمـاءً ولم أزَلْ
به في غمـارِ الحـادثاتِ أجـازفُ

كمـا رفَّ نسر راشَهُ السهمُ فارتقى
خفـوقَ جنـاحٍ وهـو بالـدمِّ نازفُ

أتيتُ إلى هـذا المكانِ تهـزُّني
إليـهِ عهودٌ للشبـابِ سـوالفُ

أردِّدُ فيهـا للطفـولةِ والصِّبـا
أحـاديثَ شتَّى كلهنَّ طـرائفُ

أودِّعهـا قبـلَ الفـراقِ وإننـي
أفارقُهـا والقلبُ لهفـانُ كاسفُ

إلى حيثُ ينمو الــرأيُ حُــراً تذيعهُ
من الحقِّ فيهـــا ألسنٌ وصحـــائفُ

لعــلَّ بلاداً مــا علتني سمــاؤهــا
ولا نبهتْ فيهــا لذكــري عوارفُ

أعيشُ بهــا حُــرَّ العقيدةِ هــاتفاً
برأيِيَ إمَّا أسعدتني المــواقفُ !

القطب

نظمها الشاعر على اثر مشاهدة رواية
سينمائية تصور مشاهد القطب الشمالي

هو ليلٌ من الغَيَاهبِ ضافي
وأديمٌ في لُجَّةِ الثلجِ طافي

وبحارٌ ، إن رُدْتَها ، لم تجِدْ غيـ
ـرَ جليدٍ من لجَّةٍ وضفافِ

وجبالٌ من الثلوجِ تدَجَّى
رائعاتِ السفوحِ والأعرافِ

وصحارَى لا ينتهي الركبُ فيها
عند صخرٍ أو واحةٍ مِئنافِ (١)

---

(١) المئناف الشمّاء

وطنُ الـزمهـريرِ والثلجِ ، لا الـ
ـقَيظِ ولا كدرةِ الرمالِ السوافي

وهي مغدَى السفينِ والدُبِّ، لا مغـ
ـدى نياقِ الفلا ، وذئبِ الفيافي

عـالمٌ كلُّه سكونٌ وصمتٌ
متـرامي الحـدودِ والأطرافِ

لا تَـرى للنهـارِ والليـلِ في وا
ديهِ يوماً من دُورةٍ واختـلافِ

أو تُحسُّ الأرواحُ قصفَ الرياحِ الـ
ـهوجِ فيه ، أو هـدرةَ الرجَّافِ

لا اصطفاقَ الغصونِ ، لا هَذَرَ الطيـ
ـرِ ، ولا أنَّةَ النميرِ الصافي

عَرِيتْ أرضُه من العُشُبِ الأخـ
ـضرِ والدَّوْحِ سابغِ الأليافِ

قِفْ بهذا الوادي الرهيبِ وحَدِّقْ
فيه ، والليلُ مؤذنٌ بانتصافِ

وانظرِ الشمسَ ، فيالغياهبِ ، صفرا
ءَ ، تهـادى في رائـعِ الأفوافِ

يغمـرُ الكائناتِ منهـا شُعاعٌ
مرسـلٌ من غلالةِ الرَّوعِ ضـافي

يحسبُ النـاظرونَ في الأفقِ منـه
حُمرةَ الوَرْسِ[1] أو مزيجَ السُّلافِ

وهـو غيبٌ محجَّبٌ دونَ مـرآ
هُ اقتحامُ الردى ورَنْقُ الذعافِ !

* * *

حـدثيني ، يا شمسَ منتصفِ الليـ
ـلِ ، فليسَ الحديثُ عنكِ بخافِ !

أيُّ أفقٍ من عـالمِ الأرضِ هـذا
شاحبُ اللونِ ، باهتُ الأكنـافِ ؟

فيـهِ من صُفرةِ الفنـاءِ ، وفيـهِ
من سوادِ النحوسِ لونُ الغـدافِ ؟

(1) الوَرْس نبات كالسمسم يصبغ به

أهُوَ القطبُ ؟ ؟ فتنةُ الأبدِ الخا
لي ، ومغدى الظنونِ والأرجافِ ؟ !

أم هـو العالَمُ الذي جهلوه
وَنَأى أوجُهُ على الكشّافِ ؟

أيُّ سرٍّ للجاذبيةِ فيه
يأخذُ الأرضَ نَحوَه بانحرافِ ؟

أيُّ نجمٍ في أفقه رَصَدوه
لمسارٍ حولَ الثرى ومطافِ ؟

لكأني به مغاورَ جنٍ
مستسرِّي الأرواحِ والأطيافِ

لا يقيمونَ في ذُراهنَّ والليـ
ـلُ على الكون مطبقُ الأسدافِ

فإذا أقبلَ النهارُ تولوا
وتواروا خلالَ تلكَ الشعافِ

وأراهُ مِجَنَّ كلِّ خفيٍّ
من تهاويلِ ساحرٍ عرّافِ

يستمـــدُّ الأنبـــاءَ منـــهُ ويُـــدلي
بالأحـــاديثِ وهي جِـــدُّ زيافِ

وبهـــا من خفـــاءِ مهبطِهِ الخـــا
في خفيِّ الأخبـــار والأوصـــافِ

وهوَ الشاطئُ الـــذي في حفـــافيـ
ـــه تَقَـــرُّ الأنغـــامُ بعـــدَ طوافِ

كـــلُّ لحنٍ من الملاحن مهمـــا
أبدعتـــه أناملُ العـــزّافِ

فإليـــه يصوبُ في سُدُفِ الليـ
ـــلِ ويثوى صداهُ بينَ الحفـــافِ

ليتَ شعـــري أيستحيلُ صـــدىً في
لجِّـــه ، أم يقـــرُّ في الأصـــدافِ ؟ !

إنَّ هـــذي ، يا شمسُ ، ألحانُ قلبي
مُرْسَـــلاتٍ عن مدمعـــي الذرّافِ

فاشهديهـــا تقـــرُّ في جوفِهِ النـــا
ئي ، فكَمْ فيـــهِ من حُطامِ أثافي

* * *

أيهـا القطبُ ، حَدِّثِ الكونَ هلا
تُسعدُ الشعر ليـلةً باعترافِ ؟

طالَ بالشمسِ في دجـاكَ اصفرار"
لا الدُّجى حائل" ولا الضوءُ صـافي

لم تَجُــزْ عن ثَراك قيـدَ ذراعٍ
أو تُنَبِّهُ جفنَ الصبـاحِ الغـافي

قيــل حاموا على ذُراكَ ، وألقوا
فوقَ واديكَ نظرةَ استشرافِ

وأراهم في زعمهم قد أسفّوا
بكَ ، يا قطبُ ، أيَّما إسفافِ

تشهـدُ الكائنـاتُ أنكَ أمسيـ
ـتَ، وتُمسي، سِرَّ الوجودِ الخافي

في القـــرية

« نظمها الشاعر حنينا الى عهـد قديم
مصورا بها سـناية دميـاط »

غنـي بأودية الـربيع وطـوفي
وصفي الطبيعةَ يا فتـاةَ الرّيفِ

ولّى خريفُ العـامِ بعـدَ ربيعِـهِ
ولـكَمْ ربيع مـرَّ بعـدَ خـريفِ

يا أخـتَ طالعـةِ الشموسِ تطلّعي
للـوردِ بينَ مفتّـحٍ وكميفِ

والطـيرُ هـدارٌ ، فأُفقٌ أكدرٌ
يرمي الغمـامَ بـهِ ، وأُفقٌ يوفي

لهفـانَ يرتادُ الجداولَ باكيـاً
من كـلِّ طيفٍ للـربيعِ لطيفِ

أهــدى الشتاءُ إليهِ من نَغمِ الأسى
صَخَبَ الـرياحِ وأنّةَ الشادوفِ

هــذا بعبرتهِ يجـودُ ، وهــذهِ
مــا بـينَ نفسٍ في الـربى وزفيفِ

إني لأذكــرُ حفلنا ، وليـاليـاً
أزهــرنَ في ظلٍّ لديهِ وريفِ

ومراحنَا بقرى الشمالِ ، وكوخنَا
تحت العــرائشِ في ظلالِ اللــوفِ

نلقى الخمــائلَ بالخمــائلِ حولنَــا
متعانقــاتٍ سابغــاتِ الفــوفِ

ذكرى الطفولةِ أنتِ وحــدكِ للصِّبا
حلُمٌ يرفّهُ عنــهُ بالتشويفِ

يا رُبَّ رســمٍ من ربوعِكِ دارسٍ
قَضّيَ الثواءُ به وطالَ وقوفي

إني طَوَيتُ العيشَ بعدكِ ضــارباً
في الأرضِ منفــرداً بغــيرِ أليفِ

صَدَفَ الفؤادُ عَنِ الشبابِ ولهوِهِ
ومضى عنِ الأحبابِ غيرَ صدوفِ

يا رُبَّ ليلٍ دبَّ في أحشائِهِ
منا لفيفٌ سارَ إثرَ لفيفِ

نقتافُ آثار الطيورِ شوارداً
بين النخيلِ على رمالِ السِّيفِ

شادٍ هنا وهناكَ رَنَّةُ مزهَرٍ
ألنجمُ في خَفَقٍ له ورفيفِ

والبدرُ نَقَبهُ الغمامُ كأنهُ
وجهٌ تألَّقَ من وراءِ نصيفِ

والنهرُ سلسالُ الخريرِ كأنَّه
قيثارةٌ سحريةُ التعزيفِ

قومي عذارى الريفِ والتمسي الرُّبى
نَضِراً وغنِّي بالغديرِ وطوفي

وتفيَّئي الدوحَ الظَّليلَ ومربأً
للفنِّ تحتَ أزاهرٍ وقطوفِ

غُصُنٌ يطلُّ الفجرُ من ورقاتهِ
ويُقبِّلُ الأنداءَ جِدَّ شغوفِ

أينَ الغديرُ عليهِ يخلعُ وشيَهُ
صَنَعُ الأناملِ رائعُ التفويفِ

يا حبَّذا هو من مراحٍ للصّبا
والكوخُ من مشتىً لنا ومصيفِ

صُوَرٌ نزلنَ على بنانِ مصورٍ
صُوِّرنَ من نَسَقٍ أغرَّ شريفِ

أغرينَ بي حُلُمَ الطفولةِ والهوى
وأثرنَ بي ذكرى ليالي الريفِ

الملك البطل

نظمت على أثر وفاته فجأة في مدينة برن عاصمة سويسرا عام ١٩٣٣ وقد كانت فجيعة العرب فيه أبعد أثراً من كل الفجائع التي توالت عليهم من أيام الحرب الكبرى الماضية وقد كان رحمه الله أول ملك عربي عمل جهده لاستقلال العراق » بلاده المحبوبة ، ومن أعظم الرجالات الذين كرسوا حياتهم لخدمة القضية العربية

تألّقَ كالبرقةِ الخاطفَهْ
وجلجلَ كالرّعدةِ القاصفَهْ

مُبينٌ من الحقِّ ، في صوتِهِ
صَدَى البَطْشِ والرحمةِ الهاتفَهْ

يخوضُ الغِمارَ دماً أو لظىً
ويركبُ للمأربِ العاصفَهْ

يطيرُ على صَهَواتِ السحابِ
ويمشي على اللجّةِ الرّاجفَهْ

ويقتحمُ الموتَ في مأزقٍ
ترى الأرضَ ، من هولِهِ ، واجفَهْ

تَمَـزَّقُ في جانبيهِ الرياحُ
وتنفطرُ السُّحبُ الواكفَهْ

وتشتجرُ الرُّجُمُ الهاوياتُ
وتعتنقُ الظُّلَمُ الزّاحفَهْ

عَشيَّةَ لا القلبُ طوعَ النُّهى
ولا العقلُ تأسِرهُ العاطفَهْ

ولكنها وثباتُ الجريءِ
على عَثَرَاتِ المُنى الخائفَهْ

شعوبٌ تعالجُ أصفادَها
وتأبى الحياةَ بها راسفَهْ

صَحَتْ بعد إغفاءة الحالمينَ
على لُجةِ الزَمَنِ الجارفَهْ

وحسبكَ بالدهرِ من منذرٍ
كَربٌ يعاقبُ مَنْ خالفَهْ

رأيتَ السفينـةَ في بحـرِهِ
تنَـازعُهـا اللججُ القـاذفَهْ

مـدتَ يـديكَ فأرسيتَهَـا
أمـاناً مِنَ الغمـرةِ الحـائفَهْ

وخلفـكَ من يَعْـرُبٍ أمـةٌ
إلى النـورِ فازعـةٌ شـاعفَهْ

نَضَتْ فيصلاً من صِقالِ السيوفِ
يُقَبِّـلُ فيـهِ الضُحى شارِفَهْ

أعـدتَ لهـا مجـدَها المجتبى
وبوّأتهـا الـذُروةَ الشـائفَهْ

بِنـاءٌ من السؤدُدِ اليعـربيِّ
دُعمْـتَ بتـالدِهِ طـارفَهْ

جَلَتْ فيه (بغدادُ) عهـدَ الرشيـدِ
وأحيـتْ ليـاليهَـا السـالفَهْ

وأرسلتَهَـا بعـدَ نسيـانِهـا
حـديثَ النبـاهةِ والعـارفَهْ

فوا أسفاً ، كيفَ روَّعتهَا
بفقدكَ في الليلةِ السادفَه

صَحتْ (برنُ) منكَ على نبأةٍ
تسيلُ البروقُ بها راعفَه

رمى الغربُ بالشرقِ إيماضَها
فردَّ الشموسَ به كاسفَه

أناخَ على سَرَوَاتِ العراقِ
فقصَّفَ أفنانهَا الوارفَه

طوى فجرُها بَسَمَاتِ المُنى
وأسكتَ أوتارَها العازفَه

ومُصطبحينَ هَوتْ كأسهُم
حُطاماً على الشفةِ الراشفَه

أفاقوا على حُلُمٍ رائعٍ
كأنَّ بهم فَزَعَ الآزفَه

يردُّون بالشَّكِّ صوتَ اليقينِ
وتصدقُه الأعينُ الذارفَه

وإني لأسمعُ ما يسمعونَ !
صدى الويلِ في صَخَبِ العاصفَهْ !

وكيفَ ؟ وقد كنتَ نجمَ الرجاءِ
إذا قيلَ ليسَ لها كاشفَهْ

وما عرفوا عنك نقصَ التمام
وبيعَ الصحيحةِ بالزائفَهْ

تحفكَ أُبَّهةُ المالكينَ
ونفسُكَ عن زهوها صادفَهْ

سَرَتْ بالوداعةِ في بأسها
سُرَى النَّسْمِ في الليلةِ الصائفَهْ

وتحملُ عنهمْ من العبءِ ما
تخرُّ الجبالُ له خاسفَهْ

تَهزّأُ من صَرَعَاتِ الردى
وتمسي على أمرهمْ عاكفَهْ

إلى أن طوتها وأودتْ بها
غوائلُ تطوي الدجى خاطفَهْ

فراحــتْ تــرفُّ علــى كفّهــا

رفيفَ النَّــدى في اليــدِ القــاطفَهْ

ومــا هي إلا دمــوعُ الأسى

هَمَتْ من جراحاتهــا النــازفَهْ

ومــا نَسِيتْ دجــلةٌ ، إنهــا

بشطّيــهِ حــائمــةٌ طــائفَــهْ

تبــاركهمْ من سمــاءِ الخــلودِ

وتدعو لغــازيّهــمْ هــاتفَهْ

يوم فلسطين

كان اليوم الثاني من نوفمبر سنة ١٩٤٥ يوم حداد عام في عواصم الدول العربية ، احتجاجاً على وعد بلفور المشئوم الذي صدر في مثل هذا اليوم ، والذي اراد ان يغتصب فلسطين العربية المسلمة من ابنائها حفدة الفاتحين الأولين من العرب ، ليسلمها لقمة سائغة لدعاة « صهيون » حتى يقيموا عليها دولة ويؤسسوا ملكاً ظن هذا الصهيوني أنه قادر على أن يمحو من خريطة الارض شعباً بأسره ، وان يبدل التاريخ سيرته ، والفلك دورته ، والقدر مشيئته ، ولكن غلاة المستعمرين من الانجليز اتخذوا من هذا الوعد الآثم ذريعة للفتك بالثوار من احرار فلسطين ، الذين هبوا يدافعون عن أرضهم ، ويذودون عن عشيرتهم ، وسالت دماء ، وخربت ديار ، واحرقت مراع ، وأهلكت انفس ، ظلما وعدوانا ، وبغيا وطغيانا ، وفتح الشر ابوابه لما يسمونه الهجرة ، وابيحت فلسطين لكل غريب متسلل من آل صهيون ، هؤلاء الذين يذوق الانجليز اليوم منهم الأمرين ، بعد أن كثر عددهم ، واشتد أيدهم في أرجاء فلسطين ، فثاروا على الانجليز يوسعونهم ارهابا ، ويصلونهم حربا وعذابا ، لقد تبرأ من هذه النزعة الصهيونية ، كثير من يهود مصر الذين نعموا بالسلام والاخاء والرغد آلاف السنين ، وعاشوا مع مسلميها ومسيحيها اخوانا واخدانا ، ولكن محنة فلسطين لم تنته بعد ، وها هم ابناؤها في أرضهم مضطهدون ، وزعماؤها في الغربة مشردون ، وقد نشرت هذه القصيدة صباح ذلك اليوم الحزين ، وقد بدت عواصم مصر وبلدانها مغلقة الحوانيت والمشارب ، ترفرف على دورها أعلام الحداد ، مقفرة الميادين والأبهاء ، الا من هذه المواكب الغاضبة تدعو العرب الى النضال والكفاح

فلسطينُ لا راعتْكِ صيحةُ مُغتالِ
سَلِمتِ لأجيالٍ وعِشْتِ لأبطالِ

ولا عَزَّكِ الجيلُ المُفدَّى ولا خبتْ
لقومكِ نارٌ في ذوائبِ أجبالِ

صَحَتْ بادياتُ الشرقِ تحتَ غبارهمْ
على خَلَجَاتِ الرُّوحِ من تُرْبِكِ الغالي

فوارسُ يَسْتَهْدي أعِنَّةَ خيلهمْ
دَمُ العربِ الفادينَ والسؤددُ العالي

بكلِّ طريقٍ منهُ صخرٌ مُنَفَّرٌ
وكلِّ سماءٍ جمرةٌ ذاتُ إشعالِ

هو الشرقُ لم يهدأ بصبحٍ ولم يَطِبْ
رقاداً على ليلٍ رماكِ بزلزالِ

غداةَ أذاعوا أنَّكِ اليومَ قِسْمةٌ
لكلِّ غريبٍ دائمِ التِّيهِ جوَّال

قَضى عمرَهُ ، جمَّ المواطنِ ــ واسمُهُ
مواطنُها ــ ما بينَ حِلٍّ وترحالِ

وما حلَّ داراً فيكِ يوماً ، ولا هفتْ
على قلبهِ ذكراكِ من عهدِ إسرالِ

محا اللهُ وعداً خطَّهُ الظلمُ لم يكنْ
سوى حلُمٍ من عالمِ الوَهْمِ ختّالِ

حَمَتْهُ القنا كيما يكونَ حقيقةً
فكانَ نذيراً من خطوبٍ وأهوالِ

وفَتَّحَ بينَ القومِ أبوابَ فتنةٍ
تُطِلُّ بأحداثٍ وتومِي بأوجالِ

أرادَ ليمحو آيةَ اللهِ مثلَما
أرادَ ليمحو الليلُ نورَ الضحى العالي

فيا شمسُ كُفّي عن مدارِكِ واخمدي
ويا شهبُ غوري في دياجيرِ آجالِ

ويا أرضُ شُقّي من أديمكِ وارجعي
كما كنتِ قبلَ الرُسْلِ في ليلكِ الخالي

ضلالاً رأوا أن يسلوَ الشرقُ مجدهُ
وما هو بالغافي ، وما هو بالسّالي

ألا يا ابنــةَ الفتــحِ الــذي نَوَّرَ الثرى
وطهَّــرَ دنيــا من طغـاةٍ وضُــلاّل

وأكــرمَ قومــاً فيــكِ كانوا أذِلّةً
فحــرَّرهــمْ من بعــد رِقٍّ وإذلالِ

لكِ الشرقُ ، يا مهدَ القداسة والهُدَى ،
قلوباً تُلبِّي في خشــوعٍ وإجــلالِ

لكِ الشرقُ ، يا أرضَ العروبةِ والعلى ،
شعــوباً تُفدّي فيــكِ مــيراثَ أجيــالِ

ومــا هــو منْ مستعمرٍ جــاءَ بالهــوى
ولا هُو من مستثمرٍ جــاءَ بالمــالِ

هــو الشــرقُ ألقــى عن يديهِ قيــودَه
فلا تَحسبيهِ في قيــودٍ وأغــلالِ

سَليهِ ، تَهِجْ مــا بينَ عينيكِ أرضُه
مخــالبَ نَسْرٍ أو براثنَ رئبــالِ

سَليهِ ، يَمُجْ مــا بينَ سمعيكِ أُفقُه
زئيرَ أســودٍ أو زمــاجرَ أشبــالِ

سَلِيهِ الدمَ المهراقَ يَبْذُلُه غالياً
ويضربْ به في الحقِّ أروعَ أمثالِ

★ ★ ★

ألا أيّها الشادي الذي أطربَ الورى
بحلو حديثٍ عن حقوقٍ وآمالِ

وقالَ لنا في عالَمِ الغدِ جَنّةٌ
غزيرةُ أنهارٍ وريفةُ أظلالِ

سَمعنا ، خُدِعنا ، واتبهنا ، فحسبُنا
لقد مَلّتِ الأسماعُ قيثاركَ البالي

ويا أيّها الغربُ المواعدُ لا تَزِدْ
كفى الشرقَ زاداً من وعودٍ وأقوالِ

شَبِعنا وَجِعنا من خيالٍ مُنَمّقٍ
ومنه اكتسينا ، ثم عُدْنا بأسمالِ

فلا تَنْدبِ الضّعفى وتغصبْ حقوقَهمْ
فتلكَ إذاً كانت شريعةُ أدغالِ ! !

أغنية الجندول

في كرنفال ڤينيسيا

تفريدة الموسيقار الاستاذ محمد عبد الوهاب

أينَ منْ عينيَّ هاتيكَ المجالي
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
أينَ عشّاقكِ سُمّارُ الليالي
أين من واديكِ ، يا مهدَ الجمالِ
موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنفالِ
وسُرَى الجُندولِ في عَرْضِ القنالِ
بين كأسٍ يتشهّى الكرمُ خمرَهْ
وحبيبٍ يتمنّى الكأسُ ثغرَهْ
إلتقتْ عيني بهِ أوّلَ مرَّهْ
فعرفتُ الحبَّ من أوّلِ نظرَهْ
أينَ منْ عينيَّ هاتيكَ المجالي
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

مرَّ بي مُستضحِكاً في قُرْبِ ساقي

يَمزُجُ الراحَ بأقداحٍ رِقاقِ

قد قَصَدْناهُ على غَيْرِ اتفاقِ

فنظرنا ، وابتسمنا للتّلاقي

وهو يَستهدِي على المَفرِقِ زهرَهْ

ويُسوّي بيَدِ الفِتنَةِ شَعرَهْ

حينَ مسَّتْ شَفَتِي أوّلُ قطرَهْ

خِلْتُهُ ذوَّبَ في كاسيَ عِطْرَهْ

أينَ منْ عينيَّ هاتيكَ المجالي

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

ذَهبيُّ الشَّعرِ ، شَرقيُّ السِّماتِ
مَرِحُ الأعطافِ ، حلوُ اللَّفتاتِ

كُلَّما قلتُ لهُ خُذْ • قالَ هاتِ
يا حبيبَ الرُّوحِ ، يا أُنسَ الحيـاةِ

أنا مَنْ ضيَّعَ في الأوهامِ عُمرَهْ
نَسيَ التاريخَ أوْ أنسيَ ذِكرَهْ
غيرَ يومٍ لم يَعُدْ يَذكُرُ غيرَهْ
يومَ أنْ قابلتَهُ أوَّلَ مَرَّهْ

أينَ منْ عينيَّ هـاتيكَ المجـالي
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيـالِ

قالَ من أينَ ؟ وأصغى ، ورَنا
قلتُ من مصر ، غريبٌ ههُنا

قالَ إنْ كنتَ غريباً فأنا
لم تكُنْ ڤينيسيا لي موْطنا

أينَ منّي الآنَ أحلامُ البُحَيْرَهْ
وسماءٌ كَسَتِ الشطآنَ نَضْرَهْ
منزلي منها على قمّةِ صَخْرَهْ
ذاتِ عينٍ من مَعينِ الماءِ ثَرّهْ

أينَ منْ عينيَّ هاتيكَ المجالي
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسري في لســاني
هاجتِ الذكرى ، فأينَ الهرَمانِ ؟

أين وادي السِّحرِ صدّاحَ المغاني ؟
أينَ مــاءُ النيل ؟ أين الضِّفتّانِ ؟

آهِ ، لو كنتَ معي نختالُ عَبْرَهْ
بشراعٍ تَسبحُ الأنجـمُ إثرَهْ
حيثيَروي الموجُ في أرخمِ نَبْرَهْ
حُلْمَ ليلٍ من ليــالي كليوبترَهْ

أينَ منْ عينيَّ هــاتيكَ المجـــالي
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيــالِ

أيهـا الملاّحُ ، قِف بينَ الجسورِ
فتنةِ الدنيـا ، وأحـلامِ الدهورِ

صفّقَ المـوجُ لولدانٍ وحورِ
يُغـرقونَ الليْلَ في يَنبوعِ نورِ

ما ترى الأغيَدَ وضّاءَ الأسِرّهْ ؟
دقّ بالسّاقِ وقد أسلَمَ صَدْرَهْ
لمُحبٍّ لفَّ بالساعِدِ خَصْرَهْ ؟
ليتَ هذا الليلَ لا يُطلِعُ فجرَهْ !

أينَ منْ عينيّ هـاتيكَ المجـالي
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيـالِ

رَقَصَ الجُندولُ كالنَّجمِ الوضي

فاشدُ ، ياملاَّحُ ، بالصوتِ الشجي

وترَنَّمْ بالنشيدِ الوثَنيِّ

هذهِ الليلةُ حُلمُ العَبقريِّ

شاعتِ الفرحةُ فيها والمَسرَّهْ

وجَلا الحُبُّ على العُشَّاق سِرَّهْ

يَمنةً مِلْ بي،على الماءِ ، ويَسْرَهْ

إنَّ للجندولِ تحتَ الليلِ سِحرَهْ

أينَ ، يا ڤينيسيا ، تلك المجالي ؟

أينَ عُشاقُكِ سُمَّارُ الليالي ؟

أينَ من عينيَّ أطيافُ الجمالِ ؟

موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنڤالِ ؟

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخَيالِ ! !

النهر الظامئ

الموكب التاريخي السائر برفات الزعيم الخالد سعد زغلول

الى ضريحه الجديد

طالَ انتظارُكِ بين اليـأسِ والأمـلِ
يا كعبةَ المجدِ ، حَيِّ موكبَ البَطَلِ

هـذا المآبُ المرجّى شُقّةٌ قَصُرَتْ
وَغُرْبةٌ عن ثَراكِ الطُّهْرِ لم تَطُلِ

يا لهفةَ القومِ ، هـلْ ضَجّوا لرؤيتهِ
وجـدّدوا العهـدَ من أيامهِ الأُوَلِ ؟

تَدَفّقَ النهر من أقصى منـابعهِ
لهفـانَ يسبقُ لمعَ البـارقِ العَجِلِ

يثورُ تيّـارُهُ العـاتي فيسألُه
أيَّ الأساطيرِ ، من ماضيَّ ، خيّلَ لي ؟

وأيّ مضطَربٍ في ضِفتيّ مَشَتْ
فيهِ الملايينُ من ساعٍ ومحتفِلِ

أعَوْدَةُ الثائرِ المنفيّ من سَفَرٍ
لا يبلغُ الوهمُ منهُ مفرقَ السُّبُلِ ؟

بلِ الشهيدُ المُسجّى في لفائفِهِ
ضَنّوا عليهِ بقبرِ الهانيءِ الجَذِلِ !

ما أشبهَ اليومَ بالأمسِ الذي نَسَلوا
فيهِ على صَعَقاتِ الحادثِ الجَلَلِ

هذا الرفاتُ تراثُ المجدِ في وَطَنٍ
لواؤهُ عن ركازِ المجدِ لم يَمِلِ

أغلى الذخائرِ من ميراثِ نهضتِهِ
رفاتُ مستشهدٍ في الحقّ مقتَتِلِ

مشى إليكِ بهِ التاريخُ فاستلمي
معاقدَ الغارِ من فوديهِ ، واقتبِلي

حانَ اللقاءُ فما أعددتِ من كَلِمٍ
وما ادّخرتِ من الأشواقِ والقُبَلِ ؟

فاستشرفي النصر واستدني مطالعَهُ
هـذا بشيرُ الهـدى والحبِّ والأمَلِ

★ ★ ★

عواهـلُ النيـلِ أم أشبـاحُهم عبَروا
من ضِفَّةِ النهرِ ملءَ السَّهلِ والجَبَلِ

مَرُّوا خِفافاً على الوادي كأنهـمُ
مواكبُ السُّحْبِ البيضـاءِ في الطَّفَلِ

وفي أسـاريرهم ذكـرى ، وأعينِهمْ
أسرارُ ماضٍ على الأحقـابِ منسَدِلِ

يستغفرونَ ليـومٍ مَـرَّ ، ما لهُمُ
يَدٌ بهِ ، جَـلَّ فرعونٌ عن الغِيَلِ

ما كانَ من يَسلُبُ الموتى مضاجعَهُمْ
رَبَّ الصوالجِ والتيجانِ والدُّوَلِ

حيَّـوا بأرواحهمْ سَعْداً ولو مَلَكوا
نبضَ الوتينِ مشوا في المشهدِ الحَفِلِ

★ ★ ★

يا صاحبَ الخُلدِ كم للرُّوحِ مُعجزةٌ
وكم تَمثَّلَ روحُ الخلدِ في رَجُـلِ

لم ينته ِ الوحيُ والسحرُ الحلالُ ، ولمْ
تَخلُ الحيـاةُ من الرّوادِ والرُسُلِ

ومن دمِ الشهـداءِ البـاعثينَ بِهِ
جيـلاً من الحقِّ أو دنيـا من الأمَـلِ

ولم يَزَلْ لكَ صـوتٌ كلمـا شرعوا
لهـاذمَ البغيِ ثَنَّـاها على خَجَـلِ

وطافَ بالمـدفعِ الـداوي فأخرسَهُ
والنـارُ في صدرِهِ تصطكُ من وَجَلِ

لواؤكَ الضخـمُ مـا زالتْ مواكبـهُ
تَتـرَى ، وراياتهُ حمراءَ كالشُعَلِ

يمشي علـى قَدَمٍ جَبَّـارةٍ هـزأتْ
بالصخرِ،والموجِ، والنيرانِ،والأسَلِ [1]

هـذا طـريقُكَ للبيتِ الـذي ألِفَتْ
خُطاكَ بالأمسِ ، فاسلكهُ على مَهَلِ

---

(١) الأسـل : الرماح ، وكل حديد رهيف من سيف وسكين

أنظرْ إليه ، فما حالتْ معالمُه

ما للزمانِ بما خلّدْتَ من قِبَلِ !!

أسا لَهُ اليومُ جرحاً لو مضتْ حِقَبٌ

لظلَّ في جنبِ مِصرٍ غيرَ مُندَمِلِ

فَلْيَلْقِ أروعَ ما أبدَعتَ من خُطَبٍ

جلالُكَ الأبديُّ المفردُ المَثَلِ

وعِشْ ، كما أنتَ معنىً في ضمائرِنا ،

لا ينتهي وحيُه يوماً إلى أجَلِ

وصورةً سمحةَ الإشراقِ ملهِمةً

أرقَّ من خَطَراتِ الشاعرِ الغَزِلِ

ذكراكَ في الدهرِ أعمارٌ مخلدةٌ

حياةُ محتشدِ الأمجادِ متَّصلِ

يطالعُ الناسَ منها ، أينما اتَّجهوا

شعاعُ كوكبِكَ الوقَّادِ في الأزَلِ

أغنية الفولجا

لا نَجم ، لا مصباحْ		يلمع في السهلِ
قد نامتِ الأدواحْ		مقرورةً الظلّ
مطمورةَ الأشباحْ		في مهدِها الثلجي
هذا شعاعٌ لاحْ		يخفقُ في وَهَجِ

★ ★ ★

ألحارسُ السهرانْ		قد فَتَّحَ البُرْجا
يتلو على النيرانْ		أُغنيَّةَ الفولجا
واللَّهبُ السكرانْ		يرقصُ في نارِهْ
والنَّغمُ الفرحانْ		يلهو بقيثارِهْ

★ ★ ★

أطلقـتَ إنشـادي يـا مـن تغنّينـي
قيثـارُك الشـادي حـلوُ الأرانـينِ
يـدعـو لميعـادي ألحبَّ والأحـلامْ
يا حـارسَ الـوادي قـد باحتْ الأنغـامْ

★ ★ ★

هـذا الفتى المـراحْ قـد أغلـقَ البـابا
واللّهبُ الوضّـاحْ من خلفـهِ غـابا
لا نجمَ ، لا مصباحْ يلمـعُ من بُعـد
لا صوتَ ، لا أشباحْ إنّي هنـا وحـدي

★ ★ ★

يا أمـلَ العمـرِ يا حُـلُمَ العـذراءْ
يـا توأمَ الفجـرِ يا ابنَ الصّبا الوضّاءْ
يـا مَلَكَ الحـبِّ إنّي لكَ الليـلَهْ
فاطبَـعْ على قلبـي أو شفتي قُبْـلَهْ !

نشيد افريقي

عودة المحارب

« الى الذين قدّسوا الحياة بحب الموت ! »

أُرْقُصي ، يا نجومُ ، في اللّيْلِ حولي
واتبعي ، يا جبالُ ، في الأرضِ ظلّي

واصْدَحِي ، يا جنادلَ النهرِ ، تَحتِي
بأناشيدِ مائِكِ المُنْهَلِّ

وارفعي ، يا رُبَى ، إليَّ وأدْنِي
زَهَراتٍ من عُشْبكِ المخضَلِّ

ضَمِّخي من عبيرِها ونَدَاها
قَدماً لَمْ تطأكِ يوماً بِذُلِّ

هَزَأتْ بالجراحِ من مِخْلَبِ اللّيْـ
ـثِ وأنيابِ كلِّ أفعى وصِلِّ

واحملي ، يا رياحُ ، صوتي إلى الوا
دي ، وضِجّي بكلِّ حَزْنٍ وَسَهْلِ

وانسِمي بالغرامِ ، يا نَسمةَ الليـ
ـلِ ، وكوني إلى الأحبَّةِ رُسْلي

إنَّ في حَوْمَةِ القبيلةِ ناراً
ضَوَّأتْ لي على مَضاربِ أهلي

رَقَصَتْ حولها الصَّبايا وغَنَّتْ
بأغاني شَبابها المتَهِلِّ

صوتُ إفريقيا وَوَحْيُ صِبَاها
ونداءُ القرونِ بعدي وقَبْلي

باسمِها الخالدِ امتشقتُ حُسَامي
بيَدٍ تَخفضُ الحظوظَ وتُعلي

وشربتُ الحميم من كلِّ شمسٍ
نارُها تُنضِجُ الصخور وتُبلي

وقهرتُ الحياةَ حتى كأني
قَدَرٌ ، تَكْتُبُ الحتوفُ وأُملي

يا عــذارى القبيـــــلِ أنتنَّ للمجـ
ـدِ على عِفـّـةٍ صـواحبُ بَذْلِ

حسبُ روحي الظامي وحسبُ جـراحي
رَشْفَةٌ من عيـونِكنَّ النُجْـلِ

وابتسـامـاتكنَّ فـوق شفــاهٍ
بمعـاني الحيـاةِ كم أومـأتْ لي

حـين ألقَى زوجـي على بابِ كوخـي
وأُناغِي علـى ذراعيَّ طِفْـلي

وأنامُ الليـــلَ القصـير لأجـلو
صـارمي في سَنَى الصبـاحِ المُطِلِّ

الى أبناء الشرق

« هزت قضية فلسطين أقطار الشرق العربي وأثارت مواجد العالم الاسلامي وهذه القصيدة دعوة الحق يهتف بها الشاعر وهو في سرير مرضه ، منبها الشرق الى واجبه ، حافزاً نواه الى الكفاح والنضال في سبيل أقضيته وقضية الشعوب العربية في فلسطين وشمال افريقيا في هذا الوقت الذي تقرر فيه مصائر الشعوب »

دَعوهــا مُنىً وَاتركوهُ خيــالا
فمــا يعرفُ الحقُّ إلا النّضــالا

بني الشــرقِ ! مــاذا وراءَ الوعودِ
نطِــلُّ يمينــاً ونــرنو شِمــالا

ومــا حكمةُ الصّمْتِ في عــالمٍ
تضجُّ المطــامعُ فيــهِ اقتتــالا

زمــانكمو جَــارِحٌ لا يعِــفُّ
رَأيتُ الضعيفَ بــه لا يُوالى

ويومكمو نُهْــزَةُ العـــاملينَ
ومضيعــةُ الخــاملينَ الكســالى

خَطـا العــلمُ فيهِ خُـطَى صــائدٍ
تَوقَّى المقــادرُ منــهُ الحِبــالا

توغَّــلَ في ملكوتِ الشعــاعِ
وصــادَ الكهاربَ فيه اغتيــالا

وحــزَّبهــا فهي في بعضهــا
تُحَطِّمُ بعضــاً وتُلقِي نَكالا

رَمى « دولةَ الشمسِ » في أوْجهــا
فخــرَّتْ سمــاءً ودُكَّتْ جِبــالا

مــدائِنُ كانتْ ورَاءَ الظنــونِ
تَرى النَّجْم أقربُ منهــا منــالا

كأنَّ « سليمــانَ » أخْلى القمــاقمَ
أو فَكَّ عــن جنهنَّ اعتقـــالا

وأوْمَا إليهــا فَطــاروا بهـــا
مَــدَى اللمحِ ثمَّ تلاشتْ خيــالا

ففيمَ وقوفكمو تنظرونَ
غُبارَ المُجلّي يَشُقُّ المجالا

وحتّامَ نشكو سوادَ الحظوظِ
ومن أُفقنا كلُّ فجرٍ تلالا !

ألسنا بني الشرقِ مِن يَعرُبٍ
أُصولاً سَمَتْ وجباهاً تَعالى ؟

أجئنا نُسائلُ عطفَ الحليفِ
ونرقبُ منهُ الندى والنوالا ؟

نصرناهُ بالأمس في محنَةٍ
تَمادَى الجبابرُ فيها صِيالا

سبحنا إليهِ على لُجَّةٍ
من النارِ لم تُذْكِ منها ذُبالا

فكيفَ تَناسَى حَواريّهُ
غداةَ السّلامِ وأغضَى ومالا ؟

أردَّ الحقوقَ لأربابها ؟
وأعفاهمو من طلابٍ سؤالا ؟

ورفّتْ علـى الأرضِ حـُـريّةً
تألَّـقُ نوراً وتَنْـدَى ظـلالا ؟

نبيَّ الحقيقةِ ، كم قُلْتَ لي ؟
بربّكَ قُلْ لي وزِدْني مقـالا

رأيتُـكَ أندى وأحنـى يـداً
علـى أُمَمٍ جَشَّمتكَ النـزالا

فمـا لكَ تقسو علـى أُمَّـةٍ
سَقَتْـكَ الودادَ مُصَفىً زُلالا

وعَـدتَ الشعوبَ بحقِّ المصـيرِ
فمـا لَكَ تَقضي وتُملي ارتجالا

أتَغصِبُ من أهلهـا أرضَهـم
وتُسلِمُ للغـيرِ نهبـاً حـلالا ؟

أليستْ لهـمْ أرضُهمْ حُـرّةً
يسودونَ فيهـا الدُّهورَ الطـوالا ؟

« فلسطينُ » مـالي أرى جُرْحَهـا
يسيلُ ويأبى الغـداةَ اندمـالا

تَنازعُها حيرةُ الزَّاهدينَ
وتنهشها شَهَواتٌ تَقَالى

أعزَّتْ أُساتَكَ أدواؤُها ؟
هوَ الحقُّ ! ما كانَ داءً عُضالا !

هو الحقُّ إنْ رمتمو عالماً
يشفُّ صفاءً ويزكو جَمالا

أقيموا عليهِ مودَّاتكمْ
وإلاَّ فقد رمتموهُ مُحالا

فيا للبريئةِ ماذا جَنَتْ
فتحملُ ما لا يُطاقُ احتمالا ؟

هي الشرقُ ، بل هي من قلبهِ
وشائجُ ماضٍ تأبَّى انفصالا

وتاريخُ دنيا وأمجادُها
بَنى رُكنَها « خالدٌ » ثمَّ عالى

وعى الحقُّ « للمصطفى » دعوةً
لنُصرتها والعوادي تَوالى

تَبارَى لها المسلمونَ احتشاداً
وهبَّ النَّصارى إليها احتفالا

منَ الشامِ والأرزِ والرافدينِ
وأقصَى الجزيرةِ صحباً وآلا

و « إفريقيا » ما لإسلامها
يُسامُ عبوديةً واحتلالا ! ؟

على « تونسٍ » « وبمرّاكشٍ »
تروحُ السيوفُ وتغدو اختيالا

ألم تخبُ في الأرضِ نارُ الحروبِ
ويلْقَ الطغاةُ عليها وبالا ؟

ألم يتَغَيَّرْ بها الحاكمونَ ؟
ألم تتَبَدَّلْ من الحالِ حالا

همُ العربُ الصِّيدُ لا تحسبنَّ
بهم ضَعةً ، أو ضنىً ، أو كلالا

نماهُمْ على البأسِ آباؤهمْ
قساورةً وسيوفاً صِقالا

بُنـاةُ الحضَـارَةِ في المشـرقيـنِ
ذُرىً يَخْشَعُ الغرْبُ منْها جَلالا

ألا أيهـا الشـامخُ المطمئـنُّ
رويـداً فإنَّ اللّيـالي حَبـالى

وما لَكَ تَنْسى على الأمسِ يومـاً
به كادَ مُلْكُكَ يَلْقى زَوالا

فتقـذفُ بالنـارِ « سـوريةً »
وَتَرْمي « بلبنـانَ » حـرباً سجالا

شبـابَ « أُمَيَّـةَ » طوبى لَكُمْ
أقمتـمْ لكلِّ فِـداءٍ مِثـالا

دعتكمْ « دمشقُ » فمـا استنفرَتْ
سوى عاصفٍ يتخطّى الجبـالا

وفي ذِمَّـةِ المجـدِ من شيبكمْ
دَمٌ فوقَ أروقةِ الحقِّ سـالا !

بني الشـرقِ كونوا لأوطـانكمْ
قُوىً تتحـدَّى الهـوى والضـلالا

أقيموا صـــدورَكمو للخطـــوبِ
فمـــا شطَّ طالبُ حَقٍّ وغالى

فَـــزِعْتُ لَكُمْ من وراءِ السقـــامِ
وقد جَلَّلَ الشَّيْبُ رأسي اشتعالا

ومـــا إنْ بكيتُ الهـــوى والشبابَ
ولكنْ ذكرتُ العُلَى والرجـــالا ! !

أيتها الأشباح

« هي ذكريات قديمة يصور الشاعر فزعه من طروقها ذات ليلة فيحاول انكارها وتجاهل أمرها وهي لا تصدق دعواه فتصر على موقفها منه ويمضي الشاعر في محاولته ليردها عنه في مناجاة محزنة وضراعة مؤثرة »

لِمَ أقبلتِ في الظلامِ إليَّ ؟
ولماذا طرقتِ بابيَ ليلا ؟

لاتَ حينَ المَزارِ ، أيتها الأشـ
ـباحُ،فامضي، فما عرَفتُكِ قبْلا !

★ ★ ★

أتركيني في وحشتي ، ودعيني
في مكاني بوحدتي مُستقلاً

لستُ من تقصدينَ في ذلكَ الوا
دي ، فعذراً إنْ لمْ أقلْ لكِ أهلا !

★ ★ ★

لا تُطيلي الوقوفَ تحتَ سياجي
لنْ ترَيْ فيهِ للثَّواءِ محلاّ

ضلَّ مسراكِ في الظّلامِ فعُودي
واحذري فيهِ ثانياً أنْ يَضِلاّ !

★ ★ ★

ذاك مأوايَ في تخومِ الفيافي
طَلَلٌ واجمٌ عليكِ أطلاّ

قد تخلَّيتُ عن زماني فيهِ
وهوَ بي عن زمانهِ قد تخلَّى !

★ ★ ★

لن تَريْ من خلالِهِ غير خفّا
قِ شعاعٍ يكادُ في الليلِ يبلى

وخيالٍ مستغرقٍ في ذهولٍ
بات يرعى ذُباله المضمحلاّ !

★ ★ ★

إبرحي بهوَه الكئيبَ فما فيـ
ـهِ لعينيكِ بهجةٌ تتجلّى

قد نَزلتِ العشيَّ فيهِ على قَفْـ
ـرٍ جفتْهُ الحياةُ ماءً وظلاّ !

★ ★ ★

كانَ هـذا المكانُ روضـاً نضـيراً
جـرَّ فيهِ الـربيعُ بالأمسِ ذَيلا

كانَ فيهِ زهـر ، فعـادَ هشيماً
كانَ فيهِ طيرٌ ، ولكنْ تولّى !

★ ★ ★

فاسلمي من شقـائه ودعيـهِ
وحـدَه يصحبُ السكونَ الملاّ

واطـرقي غَير بابهِ ، إنَّ روحـي
أحـكمتْ دونَه رِتاجـاً وقُفـلا !

★ ★ ★

أو ُقوفاً إلى الصَّبـاحِ بيـابي ! ؟
شـدَّ ما جِئتِهِ غبـاءً وجهـلا !

إبعـدي من وراءِ نافـذتي الآ
نَ ورفقاً إذا انثنيتِ ومهـلا !

★ ★ ★

إنَّ من تحتهـا هـَزاراً صريعـاً
سـامهُ البـردُ في العشيّةِ قَتـلا

وأزاهـير حَـوْلَهُ ذابلاتٍ
مزّقتهـا الرّياحُ في الليـلِ شمـلا

★ ★ ★

كانَ لي في حيـاتهـا خيرُ سـلوى

فدعيني بِمَـوْتهـا أتسـلّى

فهي بقيـا صبـابةٍ ودمـوعٍ

جثيـا عنـدها شعـاعاً وطلاّ

★ ★ ★

إن عيني بهـا أحقُّ من المـو

تِ وقلبـي بهـا من القبـرِ أولى

جنّ قلبـي فاستضحكتْهُ المنـايا

حيـثُ أبكتني الحقيقـةُ عقـلا

★ ★ ★

لا تطيلي الوقوفَ ، أيتهـا الأشـ

ـباحُ ، فامضيْ ، فما رأيتُكِ قبـلا

أوَلم تسمعي ؟ جهلتـكِ من أنـ

ـتِ ! فعودي،فما كذَبْتكِ قَوْلا !!

سؤال وجواب

تَسائِلُني وَهَلْ أحببتَ مثلي ؟
وكم معشوقةٍ لكَ أو خليلَهْ ؟

فقلتُ لها وقد هَمَّتْ بكأسي
إلى شَفَتَيَّ رَاحتُهَا النحيلَهْ

نسيتُ ، وما أرى أحببتُ يوماً
كحبّكِ ، لا ، ولم أعرفْ مثيلَهْ !

فقالتْ لي جوابُكَ لم يَدَعْ لي
إلى إظهارِ ما تُخفيهِ حِيلَهْ

وفي عينيكَ أسرارٌ حَيَارَى
تُكذِّبُ ما تحاولُ أنْ تقولَهْ

فقلتُ أجَلْ، عرفتُ هَوَى الغواني
لكلٍّ غايةٌ ، ولها وسيلَهْ

خَبرتُ غرامهنَّ قِلىً وَوَصْــلاً
كثيرَ الوَعْـــدِ لم يُدرِكْ قليــلَهْ

قلـــوبٌ قاسيـــاتٌ قَنَّعتهــــا
وجـــوهٌ شـــاعـــرياتٌ نبيـــلَهْ

إذا طالعنني أُنسيتُ جُـــرحـــي
وأنَّ الحبَّ لم يَرْحَمْ قتيـــلَهْ

وجـــاذَبَني إلى اللـَّـــذاتِ قلبٌ
شقيٌ ضـــلَّ في الدنيـــــا سبيـــلَهْ

وعُدْتُ ، كما ترينَ ، صريعَ كأسٍ
أنا الظمـــآنُ لم يُطفىءْ غليـــلَهْ

١

فقالتْ: كيفَ تضعُفُ؟ قلتُ: وَيْحي
وكيفَ أطاعَ «شمشونٌ» «دليلَهْ» ؟

فقالتْ ما حياتُكَ ؟ قلتُ حُلْمٌ
من الأشواقِ أُوثِرِ أنْ أطيلَهْ

حيـــــاتي قِصَّةٌ بدأتْ بكأسٍ
لهـــا غنَّيتُ ، وامرأةٍ جميلَهْ ! !

راقصة الحانة

سَرَتْ بينَ أعيُنهم كالخيالْ
تعانقُ آلهةً في الخيالْ

مُجَرَّدةً حَسِبَتْ أنها
من الفنِّ في حَرَمٍ لا يُنالْ

فليستْ تُحِسُّ اشتهاءَ النفوسِ
وليستْ تُحسُّ عيونَ الرجالْ

وليستْ ترَى غير مَعبودِها
على عَرْشِهِ العبقريِّ الجلالْ

دَعَاها الهوى عِنْدَهُ للمُثُولِ
وما الفنُّ إلاّ هوًى وامتثالْ

فَخَفَقَتْ لهُ شِبْهَ مسحورةٍ
عَلَتْ وجهها مَسْحَةٌ من خبالْ

وفي روحِهَا نشوةٌ حلوةٌ
كمهجورةٍ مُنِّيَتْ بالوصالْ

تَراها وقد طوَّفَتْ حولهُ
جَلاها الصِّبا ، وزهاها الدلالْ

تَضُمُّ الوِشاحَ وَتُلْقِي بهِ
وفي خطوِها عِزَّةٌ واختيالْ

كفارسَةٍ حَضَنَتْ سيفَهَا
وألقتْ بهِ بَعْدَ طولِ النِّضَالْ

تَمُدُّ يدَيْهَا وتثنيهما
وَتَرتدُّ في عِوَجٍ واعتدالْ

كحوريَّةِ النَّبعِ تطوي الرِّشَاءَ
وتجذبُ ممتلئاتِ السِّجالْ

مُحَيِّرَةَ الطَّيفِ في مائجٍ
منَ النُّور يَغمرُهَا حَيثُ جالْ

تُخَيِّلُ للعينِ فيما تَرَى
فراشةَ روضٍ جَفَتْهَا الظِّلالْ

وزَنبَقَــةً وَسْــطَ بَلّورةٍ
عَلى رفرفِ الشمسِ عندَ الزّوَال

تَنَقّلُ كالحُلْمِ بَيْنَ الجفونِ
وكالبــرقِ بَيْنَ رؤوسِ الجبَــالْ

على إصْبعيْ قَدَمٍ أُلْهِمَتْ
هبوبَ الصَّبَــا ووثوبَ الغَــزَالْ

وتَجْرِي ذراعينِ منسَــابتينِ
كَفَرْعَيْنِ من جــدولٍ في انثيــالْ

كأنَّهمــا حولهــا تَرْسُمــانِ
تقــاطيــعَ جســمٍ فــريدِ المثــالْ

أبَتْ أنْ تَمَسَّاهُ بالــراحتينِ
ويرضَى الهوى ، ويريدُ الجمالْ !

ومن عَجَبٍ ، وهي مفتــونةٌ ،
تُريكَ الهدَى ، وتُرِيكَ الضلالْ

تَلَــوّى وتسهــو كَلَهّــابةٍ
تَراقصُ ، قبلَ فَنَــاءِ الذُّبَالْ

وَتَعلو وتهبطُ مثلَ الشراعِ
تَرامَى الجنوبُ بهِ والشمالْ

وتعدو كأنَّ يداً خلفَها
تُعذّبُها بسياطٍ طوالْ

وتزحَفُ رافعةً وجهَها
ضَراعةَ مُستغفرٍ في ابتهالْ

وتسقطُ عانيةً للجبينِ
كقمريّةٍ وقعَتْ في الحبالْ

تَبِضُّ ترائبُها لوعةً
وتخفقُ لا عَنْ ضَنىً أو كلالْ

ولكنَّهُ بعضُ أشواقها
وبعضُ الذي استودَعَتْها اللياِلْ ! !

من الأعمــــاق

في مــاء يوم الخميس الموافق ٢٠ يونيه سنة ١٩٤٦ فوجئت مصر والعالم العربي قاطبة مفاجأة سارة بظهور المجاهد الاسلامي العظيم ، مفتـي فلسطين الاكبر السـيـد امين الحسيني في قصر عـابدين ، لاجئـا الى سـاحة البيت العـلوي بعـد خروجه خفية من باريس بنحو اسبـوعين وقد أمنـه الفـاروق على حيـاته ، وأكـرم وفادته ، ومنح سماحته حرية البقاء في مصر ، وطن الاحرار ، وملاذ المجاهدين من أبناء العروبة ، وقد هز هذا النبأ اقطار العالم وخاصة أقطاب السياسة البريطانية الذين أبوا على هذا البطل الكريم مقامه في وطنه فلسطين الشهيدة وهددوه في حياته ، فعاش سنين الحرب طـريد البغي والجور متنقلا في أقطار أوروبا الوسطى ولكن كلمة الفـاروق قد حسمت لجـاج الانجليز وأرتهـم النخوة العـربيـة في مثلها الأعلى يدين بهـا ملوك العرب مثل شعوبهم وانها في حياتهم جميعا مثلمـا كانت في حيـاة آبائهم الاولين رمز سلطـانهم وشعار تيجانهم

حَيَّتـكَ في الشرقِ آمـالٌ وأحـلامُ

وقبَّلتـكَ جـراحـاتٌ وآلامُ

واستقبلتك علـى الوادي وضِفتَّهِ

عـروبةٌ وَثَبَتْ فَرحَى وإسـلامُ

وحِقْبةٌ من جهادٍ أشرقتْ وهَفَتْ
بها ليالٍ من الذكرى وأيامُ

تُعانقُ العائدَ المنفيَّ في بلدٍ
حِماهُ للحرِ إعزازٌ وإكرامُ

ديارُ « فاروقٍ » من يلجأ لساحتها
فقد حَمَتْهُ من الأحداث آجامُ

يطيبُ للعربي المستجيرِ بها
معاشُهُ ويرقُّ الماءُ والجامُ

ويحطمُ القلمُ العاني بحَوْمَتِها
أصفادَهُ ، ويفكُّ القيدَ ضرغامُ

يا أيها البطلُ الصنديدُ جِئْتَ بما
تحدثتْ عنه أدهارٌ وأقوامُ

هَزَّتْ « فلسطينَ » أنباءٌ يطيرُ بها
برقٌ على جنباتِ الليلِ بسَّامُ

عادتْ لها ذكرياتُ الأمسِ وانبعثتْ
بها صحائفُ من نورٍ وأقلامُ

وأنفسٌ قُرَشِيّاتٌ يُطْرِبُهَا
صوتٌ يرنُّ به رمحٌ وصمصامُ

نَصَّتْ على اللّيلِ آذاناً تُغازلها
من صوتِكَ الجهوريِّ العَذْبِ أنغامُ

قد أقسمتْ لا ينالُ الدارَ مغتصبٌ
حتّى وإنْ شُرقتْ بالنارِ أعلامُ

في اللهِ ، في الحقِّ ، في الإسلامِ كلُّ دمٍ
يسيلُ فيها ، وجُرْحٍ ليسَ يلتامُ

ظنُّوكَ أُقْصِيتَ عنها فهي نائمةٌ
وكيفَ ! هل في ربوعِ القُدْسِ نُوَّامُ!

وتلكَ أطماعُهُمْ في كلِّ ناحيةٍ
ألسيفُ منهنَّ فوقَ الخَلْقِ قَوّامُ

قالوا غدرتَ ولم أفهمْ لمنطقهمْ
حُكماً ، ولكنّما للقومِ أحكامُ

أفي دفاعكَ عن أهلٍ وعن وَطَنٍ
غدرٌ ؟ إذنْ فجهادُ الظلمِ إجرامُ !

قالوا هــوَ الحقُّ مــا نسعى لنُصْرتِـهِ
يا بُؤْسَهُ كم هــوانٍ أهلُهُ ســاموا

يا شرقُ، يا شرقُ، لا تخدعْكَ دعوتُهم
واقبضْ يداً ، فحديثُ الحقِّ أوهــامُ

أكان غــيرَ عيــونِ الزَّيتِ دافقــةً
من قلبــكَ الغض يُجــريهنَّ سجَّامُ

وكانَ غــير أنابيبٍ يحوطُ بهــا
ضُــلوعَ صــدركَ قهَّــارٌ وظــلاَّمُ

قد قسَّموكَ مطــاراتٍ ومــا عمــلوا
إلاَّ لحربٍ لهــا في الكَوْنِ إضــرامُ

أكُنْتَ غيرَ الفِدَى في غــيرِ تضحيةٍ
إن هم عليــكَ بسربٍ للردى حــاموا

ياشرقُ سَلْ « بالحسينيِّ » الذي صنعوا
واسمعْ لحقِّكَ ، لا يَخْدَعْكَ هدَّامُ

سلهمْ عن الشَّرَفِ الموعودِ كم غدروا
بهِ ؟ كم اجْتَرحَتْ في السلمِ آثامُ

وأنتَ ، يا أيّهـا الفـادي عـُرُوبتهُ ،
إسلَمْ فديتــكَ ، لا غبَنٌ ولا ذامُ

جهـــادكَ الحقُ مظـلوماً ومغترباً
وحــيٌ لكلّ فتىً حـُـرٍ وإلهـــامُ

أندونيسيا

هنالك بين بحر الصين الجنوبي ، والمحيط الهادي ، والمحيط الهندي تقع جزائر اندونيسيا العظيمة ، التي أقام عليها الاسلام أكبر وأغنى أمبراطورية في بحار الجنوب والتي نازعها أرضها وسلطانها الاستعمار البرتغالي ، فالاستعمار الهولندي ، فالاستعمار الياباني ، فالاستعمار الدولي الحالي الذي يمد الغرب أسبابه في كل مكان هنالك في هذه الجزر النائية الموزعة بين البحار والمحيطات يقيم شعب أبي عظيم غذته التعاليم الاسلامية بأسمى وأكرم مواهبه وفضائله ، شعب امتص الاستعمار دمه واستنزف قواه ، ولكنه ظل يصاول ويناضل في سبيل حريته واستقلاله ويكافح وينافح لاستنقاذ كرامته وسيادته ، وقد بدأ هذا الشعب الباسل جهاده العظيم الحق منذ عام ١٩١٦ تحت مطارق الاستعمار وقبضاته الفولاذية ، حتى انتهى جهاده المرير الى تكوين الحزب الوطني الأندونيسي بزعامة رجل الوطنية والثورة الزعيم « أحمد سوكارنو » واخوانه الأحرار ولكن الاستعمار الهولندي لم يلبث أن قبض عليهم جميعاً بدعوى قيامهم ضد القانون ونفاهم خارج البلاد في جزر فلوريس وبندا ومجاهل غينيا الجديدة حتى أوائل الحرب الأخيرة ، وما كاد روزفلت يعلن حرياته الأربع ومواثيقها العظمى حتى وقفت أندونيسيا جميعها ترقب اليوم الموعود لانتهاء هذه الحرب وتحررها من ربقة الاستعباد ، ولكن الهولنديين أبوا على هذا الشعب الكريم أن ينعم بحقه في الحياة ، فثار ثورته الكبرى يدفع بالسيف والنار هذا العتو والاستكبار وكاد الجيش الاندونيسي ان يقضي على فلول الاستعمار قضاءه الاخير لولا تدخل انجلترا تدخلا مسلحاً مفاجئاً بأساطيلها وطائراتها في صف الهولنديين ، وهكذا كفر نبي السلام المزعوم بكتابه الجديد ورمى الواحه ، ومزق صحائفه ومحا آياته ، وكان عاراً على انجلترا في عصر الحريات الاربع

أن تعمل على اخضاع شعب اسلامي حر يبلغ عدده أكثر من سبعين مليونا لاستعمار شعب غربي لا يكاد يبلغ عدده تسعة ملايين

ان قصة حرب أندونيسيا مأساة رائعة من مآسي الزمن الحاضر ، ولكن الشعب الأندونيسي العظيم أدرك بفطانته أنه لا رجاء له في الاستنجاد بمن ينصبون أنفسهم حماة الحق والسلام وبناة العصر الجديد واعتمد على قوته المدخورة وايمانه الشديد فظل يكافح ويجاهد حتى تم اتفاق مؤقت بينه وبين هولندا على القاء السيف والاعتراف بحقوقه الاستقلالية ، وبينما كان الشعب الأندونيسي الباسل يخوض غمرات هذه الحرب الباغية ، كان الشرق الاسلامي أجمع يرتقب في مضطرب أحداثه ومحنه نتيجة هذا الصراع الدامي ليلة ميلاد العام الاسلامي الجديد فكتب الشاعر قصيدته هذه يحيي هؤلاء الملايين من المسلمين المجاهدين في تلك الجزر النائية وينعى على الغرب الجائر وانجلترا العاتية هذا العدوان المسلح في فجر السلام

وها هي ذي هولندا تنقض عهدها من جديد وتباغت الشعب الأندونيسي البريء بحرب غادرة دفعت فواجعها الدول الصغرى الى الاستغاثة بمجلس الأمن والى انتزاع قرار منه بوقف رحى القتال

سحائبُ حمرٌ ؟ أم سماءٌ تضرَّمُ ؟
أم الشمسُ يجري فوقَ صفحتها الدمُ ؟

على مَشرِقِ الإصباحِ من « أندونيسيا »
سيوفٌ تُغَنّي أو حتوفٌ ترنّمُ

وفوقَ رُباها يزحفُ الموتُ ضاحكاً
على جُثَثٍ منهنَّ يَرْوَى ويَطعمُ

فراديسُ شرقٍ ذِيدَ عنهن أهلُهُ
وهنَّ لأهلِ الغَرْبِ نهبٌ مُقَسَّمُ

يُدارُ بهـا مـاءُ الجمـاجِمِ مِثلمـا
يُدارُ على الشَّربِ الرحيقُ ويَسْجُمُ

وفي أرضهـا أو أُفقها صوتُ مُخننَقٍ
كأنَّ صـداهُ الغيبُ ، لو يتكلَّمُ !

تميـد الصحـارَى والجبـالُ لوقعِـهِ
وتُشفِقُ أنواءٌ ، ويَفْـرَقُ عَيْلَمُ

وترتدُّ حتّـى الشهبُ عن سَبَحَاتهـا
فلا ثَمَّ آفاقٌ ، ولا ثَم أنجم

وفيم تُضيءُ الشمسُ أو يُشرقُ السَّنَى
إذا الأرضُ غشَّاهـا ضَـلالٌ ومأثمُ ؟

وأصبَح فيهـا المضعفونَ وحظُّهم
من العيشِ مايَقْضِي القويُّ ويُبْرِمُ ؟

أذلاّءُ إنْ نامـوا ، أرقّاءُ إنْ صحـوا
يُبـاعُ ويُشْرَى فيهمو ويُسوَّمُ

يُسَمَّوْنَ ثُوّاراً إذا مـا تجهَّموا
لمغتصِـبٍ ، أو من عَـذابٍ تألَّمـوا

لأيةِ إنســانيــةٍ ذلكَ الوغَى ؟
وفيــم أحلّوهُ لقــوم وحَــرَّموا

رويداً بُناةَ الكونِ ، مــا تلكَ ثورةٌ
على الحقِّ ، بل روحٌ على الجور يَنْقِمُ

ومــا هي إلاَّ منكمو رَجْــعُ صيحةٍ
على الأمسِ كانتْ كالمزاميرِ تُنْغَمُ

هو الشــرقُ ثارتْ روحُهُ فهو لُجَّةٌ
من النّــارِ تُذكيها رياحٌ تَهــزَّمُ

يُنــادِي بِعهدٍ بينَ يومٍ وليــلةٍ
أُضيعَ ، وحقٌّ يُستباحُ ويُهضَمُ

وحــرّيةٍ موؤدةٍ ، طــالَ شوقُهــا
إلى النــورِ ، يطويها ظلامٌ مُخَيِّمُ

مُكبلَّةِ الكفَّين ، مغــلولةِ الخُطَى
تُداسُ ، وَيَأْبَى أنْ يَبُوحَ لها فمُ !

★ ★ ★

سَلاماً ، سَلاماً ، سيِّدَ السِّلم والوغَى
جلالُك موفورٌ ، وعَهْدُكَ مُكرَمُ

ويعنو إليك الجنُّ والإنسُ طاعةً
كأنكَ فيهمْ عن « سليمان » تَحكُمُ

وبين يديكَ الأرضُ تُلقي زمامَها
وفي راحتيكَ السَّبعةُ الخُضرُ تُسلِمُ

ولم تَبقَ في الكونِ السحيقِ رحابةٌ
لغيركَ ، أو يَبعُدْ به عنكَ مغنمُ

فما لكَ بالأُسطولِ والجيشِ واثباً
على أُمَّةٍ عزلاءَ بالسلمِ تَحلُمُ ؟

وتَنقَضُّ مثلَ النسرِ فوقَ سمائها
بأجنحةٍ تغزو النجومَ وتَزحَمُ

ألاقَيتَ في أجوائها غيرَ طيرها
على نَسَماتٍ في الغصونِ تُهَينِمُ ؟

وأبصرتَ إلاّ أمَّةً من « محمدٍ »
تَنازعَها «الميكادُ» غَصْباً و« ولنهَمُ »

ملايينُ مِمَّن كرَّمَ اللهُ خَلقَهُمْ
يُرادُ بهم أنْ يُمسَخُوا أو يُحطَّموا !

أنِلْ هـذه الدنيا رِضاكَ ، وحسبنا
من الدهـرِ هـذا البـارقُ المتبسِّمُ

سَراب" من الأوهـامِ نَسْنقَى بلمعه
وطيف" برؤياه نُسَـرُّ ونَنْعَـمُ

ودعنـا بمعسولِ المُنَى ووعودهـا
نَذُقْ من نعيـمِ العيشِ مـا نتوَهَّمُ

وَنَبْدعْ لهذا الكونِ في الوَهْمِ صورةً
تُمثِّلُ منه بَعْضَ ما كنتَ تَزْعُمُ !

فإنّا شعوب" من سُـلالة « آدمٍ »
لنـا في مراقي العـلمِ والفنِّ سُـلَّمُ

لنـا خطرة" تَهْوَى الخيالَ ، ونظرة"
طَموح" ، وقلب" بالمحـاسنِ مُغْرَمُ

على أنّنـا نَبْنِي على الحقِّ والهـدى
مـآثرَ لاتَبْلَى ولا تتهـدَّمُ

ونَرْعَى مواثيقَ الوفاء ، كمـا رَعَتْ
أوائِلُنا ، لسنا على البَذْلِ نَنْدَمُ !

من الصينِ حتى ســاحلِ الغربِ عالَمٌ
به المســلمونَ الأولونَ تقــدموا

بَنَوْهُ حضاراتٍ ضِخاماً ، ولم يزَلْ
له أثرٌ في الكونِ أسمى وأضخمُ

نظامٌ من الشورى وعهــدٌ من الرضى
أياديهِ شتَّى ، حسْنيَاتٌ وأنعمُ

سَلِ العــامَ إن أوفَى عليكَ هــلالُه
ففي ضَــوئهِ للحقِّ هَــدْيٌ ومَعلَمُ

لعلّكَ إنْ يَمسَسْكَ من نورِهِ سَنىً
يلنْ منك قلبٌ بالحديدِ ملثَّمُ

ويُنبِئْك أنّا لا نطيــقُ علــى الأذَى
مُقَــاماً ، وأنّا أُمَّــةٌ ليس تظلــمُ

على الحقِّ نَجزِي مَنْ جَزانا بحقّنا ،
فإنْ لم يكُنْ ..فالشرُّ بالشرِّ يُحسَمُ !

قيثارتي

بددتِ يا قيثارتي أنغامي
وَنَسَيتِ لحنَ صَبابَتي وغرامي

مرّتْ ليالٍ كنتِ مؤنستي بها
وعزاءَ نفسٍ جمّةِ الآلام

ترويَن من طرَبِ الصِّبا وَحَنينهِ
وتذهّبينَ حواشيَ الأحلامِ

كالبلبلِ الشّاكي رَوَيتِ صَبابتي
لحناً تمشّى في دمي وعظامي

أُنشودةُ الوادي ولحنُ شَبابهِ
ذابتْ على صدرِ الغديرِ الطامي

شـــاقَ الطبيعةَ من قديمِ ملاحنـــي
أصداؤُكَ الحـــيرى على الآكامِ

وشجـــا البحيرةَ واستخفَّ ضِفافَهَا
لحنٌ كهائرِ مَوْجِهَـــا المترامي

يا ربّةَ الألحـــانِ غنّـــي وابعثي
من كـــلِّ مـــاضٍ عـــاثرِ الأيامِ

هل من نشيدِكِ ما يُجدّدُ لي الصّبا
ويعيدُ لمحـــةَ ثغـــرِهِ البسّـــامِ

وَيُصَوِّرُ الأحـــلامَ فتنةَ شـــاعرٍ
تُوحـــي الخيـــالَ لريشةِ الرسّـــامِ

وادي الهوى ولّتْ بشاشةُ دَهْرِهِ
وخَلَتْ مغـــانيـــهِ مِنَ الآرامِ

طارتْ صـــوادحهُ وجفّ غـــديرُهُ
وَذَوَى بشطّيهِ النضـــيرُ النّـــامي

واعتاضَ من هَمْسِ النّسيمِ بعاصفٍ
داوٍ يشـــقُّ جـــوانبَ الأظلامِ

وهو الصَّدى الحاكي لضائعِ صرختي
وصداكِ بين الغورِ والآكامِ

قد كُنَّ أُلاَّفي ونزهةَ خاطري
وسماءَ وحيِ الشعرِ والإلهامِ

مالي بهنَّ سكتنَ عن آلامي ؟
أنَسَيْنَ عهدَ مودتي وذمامي ؟

يا ربَّةَ الألحانِ هَلْ من رجعةٍ
لقديمِ لحنكِ أو قديمِ هيامي ؟

فارْوي أغانيَّ القُدامى ، وانفُثي
في الليلِ من نَفَثَاتِ قلبي الدامي

علَّ الذي غنَّيتُ عرشَ جَمَالِهِ
وطفقتُ أرقبُ أُفقَهُ المتسامي

تشجيهِ ألحاني فيُسْعِدُني بهِ
طيفٌ يضنُّ عليَّ بالإلمامِ

مالي أراكِ جَمَدْتِ بينَ أناملي
وعصيتِ أنَّاتي ودمعي الهامي

خرســاءَ لا تتــلو النشيدَ ولا تعي
سرَّ الغنــاءِ ولا تعيــدُ كلامي

يُغري الكآبةَ بي ويكسفُ خاطــري
أنّي أراكِ حبيســةَ الأنغــامِ

الغرام الذبيح

من وحي الجسد

كم ليلةٍ حمراءَ خِلْتُ ظلامَها
يَدَ ماردٍ سَلَّتْ خضيبَ حُسامِ

وكأنَّ كلَّ سحابةٍ في أُفقِها
شَبَحُ الخطيئةِ فوقَ عِرْضٍ دامي

وكأنَّ أنجمها نوافذُ حانةٍ
شَرِبَ الدّخانُ بها بريقَ الجامِ

وكأنَّ أنوارَ المدينةِ تحتها
سُرُجُ الغِوايةِ في طريقِ حَرامِ

همدَ الهواءُ بها فجهدُ حَراكِه
هَبَواتُ نارٍ في نَفِيثِ قَتامِ

وكأنما اختنقَ الفضاءُ فكلُّ ما
فيه صريعٌ أو وشيكُ حِمامِ

ألفيتُنِي جَسَداً تسارِقُ رُوحَهُ
قَبْلُ" عواصفُ ضُرِّجتْ بأثامِ

أجناحُها وأضجُّ من لَذَعَاتِها
فكأنَّهـا بدمي نقيعُ سُمامِ

وعلى يَدَيْ مسمورةٍ مخمورةٍ
ألتذُّ كالمقرورِ حر ضرامِ

متضائلَ الأفكارِ مهدورَ القُوَى
متزايلَ الأهواءِ والأحلامِ

هي من ترى ؟ هيَ هنَّ ، هنَّ جواذبي
بأنيقِ ثوبٍ ، أو رشيقِ قوامِ

ألشارداتُ العائداتُ مع الضُحَى
ألطاردات وراءَ كلِّ ظلامِ

هن اللواتي إنْ صحوتُ فإنَّني
منهنَّ طالبُ مَهْربٍ وسلامِ

أخمدتُ فوقَ شفاههنَّ شبيبتي
وذبحتُ بينَ عيونهنَّ غرامي !

عام جديد

انشأ الشاعر هذه القصيدة بمناسبة العام الهجري الجديد ١٣٦٢ منوهاً بما شرعه الاسلام من اغتراب وعذاب وصراع في سبيل المبدأ الحق ، والعدل الالهي ، مذكراً الشرق بما يلابس العالم من ويلات الحرب

غَنِّ بالهجرة عاماً بعدَ عامِ
وادْعُ للحقِّ ، وبشِّر بالسَّلامِ

وترسَّلْ ، يا قَصيدي ، نَغَماً
وتنقَّلْ بين مَوْجٍ وغمامِ

صوتُكَ الحقُّ ، فلا يأخُذْكَ ما
في نواحي الأرضِ من بَغْيٍ وذامِ

كُنْ بشيرَ الحبِّ والنورِ إلى
مُهَجٍ كَلْمَى ، وأكبادٍ دَوامي

هَجَرَتْ أوطانَها واغتربتْ
في مثاليٍّ من المبدإِ سامِ

أنِفَتْ عيشَ الرقيقِ المجتَبى
وأبَتْ ذُلَّ الضَّميرِ المستضامِ

يا دُعاةَ الحقِّ هـذي محنـةٌ
تُشعِلُ الرّوحَ بمشبوبِ الضرامِ

هذهِ حربُ حياةٍ ، أو حِمامِ
وصراعُ الخيرِ ، والشَّرِّ العُقامِ

خاضها الإسلامُ فرداً ، وهَدَى
بيراعٍ ، وتحدَّى بحسامِ

هجرةٌ كانتْ إلى اللهِ ، وفي
خطْوِهَا مولِدُ أحداثٍ جِسامِ

أخطأ الشيطانُ مَسْراها ، فيا
ضَلَّةَ الشيطانِ في تلك المَوامي !

آبَ بالخَيْبَةِ من غايتهِ
وهو فوقَ الأرضِ ملعونُ المقامِ

صفحاتٌ من صراعٍ خالدٍ
ضَمِّنَتْ كلَّ فخارٍ ووسامِ

لم تُتَـحْ يومـاً لجبَّـارٍ طَغَى
أو لبـاغٍ فاتكِ السَّيفِ عَـرامِ

بل لـدَاعٍ أعـزلٍ في قومِهِ
مستباحِ الـدَّمِ مهـدورِ الذِّمامِ

زلـزلَ العـالم من أقطـارِهِ
بِقُوىَ الرُّوحِ على القَوْمِ الطَّغامِ

وبَنَـى أوّلَ دنيـا حُـرّةٍ
بَرِئتَ من كـلّ ظـلمٍ وأثامِ

تَسَعُ النـاس على ألوانهـم
لم تفـرِّقْ بين آريٍّ وسـامي

★ ★ ★

حاطَم الأصنامِ هَلْ منـكَ يَدٌ
تَذَرُ الظـلمَ صـديعاً من حُطامِ ؟

لم تُطِقْهـا حجَـراً أو خَشَباً
ويُطاق اليـومَ أصنـامُ الأنامِ ! !

وعجيـبٌ صُنعُهُـم في زمنٍ
أبْصَر الأعمى به والمتَعـامي !

آدميُّــونَ قَزَامَـــى انتحـلوا
منطـقَ الآلهـةِ الشُّمِّ العظـامِ

وتراهُـــمْ مثلَمــــا تسمعهـمْ
صُورَ الوَهْمِ ، وأحـلامَ النيامِ

بشَّروا الناسَ بدنيــا ، ويحهُمْ !
أيُّ دنيــا من دَمارٍ وحِمــامِ ؟

تسلبُ النــاسَ حِجَاهم ، وتَرى
أُممَ الأرض قطيعــاً من سـوامِ

قيــلَ للحــقِّ ، ومَــا أعجبَهُ
في ادِّعَاءٍ لفَقُوهُ ، واتِّهــامِ ؟

قِيلَ للخُبزِ ، فَهَــلْ أطعمهُمْ
حاتمُ الحَرْبِ سوَىالموتِ الزؤامِ؟

أنتِ ، يا أيَّتُها الشَّمْسُ ، اطلَعي
من وراءِ الليــلِ والغيـمِ الـرُّكامِ

سدِّدي بالنــارِ قوساً واصرعي
مارِدَ الشر بمشبوبِ السِّهامِ

ضلّتِ الأرضُ بليلٍ داهمٍ
يحذرُ النّجمُ دُجاهُ المترامي

دَميتْ أعيُنُنا في جُنحِهِ
واشتكتْ حتى خفافيشُ الظّلامِ

★ ★ ★

يا قلُوباً ضمّها الشّرقُ على
مَوْردٍ للحقّ والحبّ التّؤامِ

وشعوباً جمَعَتها أُمّةٌ
بينَ مصرٍ ، وعراقٍ ، وشآمِ

وبطوناً من بقايا طارقٍ
في البقاعِ الجُرْدِ، والخُضرِ النوامي

ما شدا شعري بها إلاّ هَفَتَ
بالقبابِ البيضِ ، أو حمْرِ الخيامِ

كلُّ روحٍ بهدىً من حبّها
كلُّ قلبٍ بشعاعٍ من غرامِ

تَذكُرُ القُرْبى وتَستندني بها
مَشرقَ الآمالِ في مطلعِ عامِ

وتُرجي عـودةَ المجـدِ الـذي
أعجزَ البَـاني ، وأعيَـا المتسامي

من بيـوتٍ هاشميَّـاتِ البنَى
وعُروشٍ أُمـويَّاتِ الـدعـامِ

وتـاجٍ مـن نُهىً جبَّـارةٍ
وتراثٍ من حَضَاراتٍ ضخـامِ

قُلْ لهـا ، يا عامُ لا هُنْتِ ، ولا
كنتِ إلاَّ مهـدَ أحـرارٍ كـرامِ

ذاكَ مجـدٌ لـم ينَلْهُ أهلُه
بالتمنِّي ، والتغنِّي ، والكلامِ

بل بآلامٍ ، وصبْرٍ ، وضنىً
ودمـوعٍ ، ودمٍ حُـرٍّ سجـامِ

قُلْ لهـا إنَّ الـرَّحى دائرةٌ
واللَّيـالي بَيْنَ كَـرٍّ وصـدامِ

فاسْتعـدي لغـدٍ إنَّ غـداً
نُهزَةُ السبَّاقِ في هـذا الزحامِ !

واجمعي أمـركِ لليَـوْمِ الـذي
يَحْمِلُ البُشْرَى لعُشَّاقِ السلامِ !

سيرانادا مصرية

أغنية ليالي النيل

« للسيرانادا ذكر مأثور في الموسيقى الايطالية وقد اشتهرت في الأدب الأوربي وخلدتها قصص الحب ، وهي عبارة عن اغان ليلية يشدو بها العشاق على معازفهم تحت نوافذ معشوقاتهم

● دنا الليـلُ فهيَّا الآنَ يا ربَّةَ أحلامي
دعانا مَلَكُ الحبِّ إلى مِحرابهِ السامي
تعـاليْ ، فالدُّجى وحيُ أناشيدٍ وأنغـامِ
سَرَتْ فرحتُه في الماءِ ، والأشجارِ ، والشهبِ
ألاَ فَلْنَحْلُمِ الآنَ ، فهذي ليلةُ الحبِّ

●على النيلِ ،وضوءُ القمرِ الوضّاحِ كالطّفلِ
جرى في الضّفةِ الخضراءِ خلفَ الماءِ والظلِّ
تعـاليْ مِثلهُ نلهو بِلثمِ الوَرْدِ والطّلِّ
هناكَ على رُبى الوادي ، لنا مَهدٌ من العُشبِ
يَلُفُّ الصّمتُ روحَيْنا ، ويشدو بُلبلُ الحبِّ

● يطوفُ بنا على شطٍّ من الأضواءِ مسحورِ
شِراعٌ خافقُ الظلِّ على بحرٍ من النـــورِ
تُناجيهِ نجومُ الليلِ، نجوى الأعينِ الحُورِ
وأنتِ على فمي ويدي، خيــالٌ خــافقُ القلبِ
ألاَ فَلْنَتَحَلَّمِ الآنَ ، فهذي ليــلةُ الحبِّ

● ليالي الصيفِ أحلامٌ، تراءَتْ للمحبِّينا
تغيبُ الخمرُ، والسَّاقي، ويبقى سحرُها فينا
وهــذا كأسُها الوهاجُ صَدَّاحٌ بأيدينــا
فهيَّا نشربِ الليــلةَ، من نبعِ الهوى العَذْبِ
ألاَ فَلْنَتَحَلَّمِ الآنَ ، فهذي ليــلةُ الحبِّ

الأمير المجاهد

في تأبين الفقيد العظيم الأمير شكيب أرسلان

رزءُ العــروبةِ فيــكَ والإســلامِ
رزءُ النُّهَى وفجيعــةُ الأقــلامِ

هو مــأتمُ الأحــرارِ في متــوثّبِ
بصفوفهــمْ مستقتــلٍ مقــدامِ

أأبا المثــاليــنَ صــوتُكَ لم يزل
في الشرقِ وحــيَ براعةٍ وحســامِ

وَندَاءَ فادٍ تســألُ الدنيــا به
أصريعَ حــربٍ أم شَهيد ســلامِ ؟

لخــلاصِ دارٍ أو فكاكِ عَشــيرَةٍ
خُضتَ الحيــاةَ كثــيرةَ الآلامِ

واجتزتَ جِسْرَ العمرِ بين عواصفٍ
هُوجٍ ، وموجٍ مُـزْبِدٍ مترامي

وشهرتهـا حـرباً على مستعمرٍ
مُتجبّرٍ ، أو غـاصبٍ ظـلاّمِ

تَلقَى ببسمتك العـريضةِ نارهـا
في مَـوْكب من ذائـدينَ كـرامِ

متفرّقينَ على البعـادِ منـازلاً
متجمّعينَ علـى هـوىً ووئامِ

كالبحرِ مـاج وفي غـواربهِ التَقى
سيـلُ الرُبَى وشـوامخُ الأعـلامِ

وقفوا الحيَـاة على الجهادِ وقرّبوا
دَعَةَ النفوسِ وصحّةَ الأجسـامِ

إرثُ الجدود الصيد أنتَ وَهَبْتَهُ
قلمـاً يصـاولُ دونه ويحـامي

وشبابَ مهـدورِ الـدماءِ مجاهـدٍ
في اللهِ عَن عـربٍ وعن إسـلامِ

★ ★ ★

ألشاعرُ الغرِّيدُ نازحُ جَنَّةٍ
مَسْحُورةِ الأفنانِ والأكمامِ

أفياؤها ظُلَلُ الدهورِ ، وأرزها
أعلامُ آلهةٍ على آطامِ

قامتْ على جَبَلٍ أشمَّ ، سماؤهُ
مسرَى البيانِ ومسبحُ الإلهامِ

تهْدِي إليه بكلِّ مغربِ كوكبٍ
أشواقَ نِضويْ لوعةٍ وغرامِ

أمٌّ تحنُّ إلى لقاءِ نجيبها
وأبٌ ، هو الوطنُ المشوقُ الظامي

يتساءلانِ متى الإيابُ ؟ ويومهُ
يومُ الرحيلِ ، ولاتَ حين مقامِ

★ ★ ★

مرّتْ « چنيفُ » بخاطري فتمثّلتْ
صُوَرُ الشهيدِ كأنهنَّ أمامي

متوحِّداً في غُرْبةٍ ، متوقّداً
بصبابةٍ ، متفرِّداً بسقامِ

شيخٌ يدبُّ على عصاهُ ، وقلبُهُ
متوثّبُ الآمالِ والأحلامِ

يطوي الثمانينَ الوضاءَ مَليئَةً
بمواكبٍ للذّكرياتِ ضخامِ

وَجَلائلٍ للمأثراتِ مواثلٍ
وَجحافلٍ للحَادثاتِ جسامِ

هيهاتِ ما أوهتْ قواهُ ولا ثَنَتْ
من خطوهِ عن غايةٍ ومَرَامِ

هيهاتِ ما نالتْ على إرهاقها
من قلبه في نَضْرَةٍ ووسامِ

هيهاتِ ما شابتْ بِمُر مذاقها
فيه حلاوَة روحهِ البسّامِ

طَلْقُ الجبينِ على نديٌ شمائلٍ
كالفجرِ بين أشعةٍ وغَمَامِ

★ ★ ★

يا ابنَ الأمارةِ نافضاً من إرثها
يَدَهُ لِنُصْرَةِ مبدأٍ وذمامِ

حين الغِنَى والجاهُ فتنةُ معشرٍ
عَن قومهمْ متخلفينَ نيامِ

صِفْ كيفَ أبصرتَ الحياةَ وأنتَ في
عزّ الملوكِ وهيبةِ الحكّامِ

ورأيتَ دنيا المالكينَ بعالمٍ
متخوّنٍ ، متلوّنٍ ، هدّامِ

تُومِي إليكَ قصورُهم وكأنها
عينٌ مقرَّحةٌ وقلبٌ دامِ

ومشيتَ تُنذرُ والوغَى مُتَسَعِّرٌ
والأرضُ غرقى في دمٍ وضِرامِ

في حومةٍ من قاهرينَ تربَّصوا
بالمضعفينَ منافذَ الأيامِ

عَنَتِ الشعوبُ لسيفهم فتألّبوا
يتنازعونَ مصايرَ الأقوامِ

يأبى يَراعُكَ أن يُفارقَ راحةً
خُلِقَتْ لردّ تحيّةٍ وسلامِ

بيضاءُ ملهَمةُ البنانِ مزاجُها
فَيْضٌ من الأضواءِ والأنغامِ

أخذتْ خِناقَ الظلمِ فاستخذَى لها
وارتدَّ يسترُ وجهَهُ بِلِثامِ

وَتعَقَّبَتْهُ تهزُّ قبضةَ ثائرٍ
فإذا الحديدُ بها صديعُ حطامِ

وإذا الحصونُ الشامخاتُ حجارةٌ
منثورةٌ ، والنارُ سُحبُ قتامِ

وإذا المجاهدُ تحتَ غارِ جهادِهِ
طُهرُ اليدينِ مُخَضَّبُ الصمصامِ

روحٌ يهزُّ الشرقَ من أعماقه
وسَنىً يمزِّق عنهُ كلَّ ظلامِ

وَيَدٌ تُعانِقهُ برغم مَنيَّةٍ
وَفَمٌ يُقَبِّلُهُ برغم حِمامِ

قلبي

كالنَّجمِ في خفقٍ وفي ومضٍ
مُنْتَفَرِّداً بِعَوالمِ السُّدُمِ

حيرانَ ، يتبعُ حيرةَ الأرضِ
ومصارعَ الأيامِ والأُمَمِ

* * *

مستوحشاً في الأُفقِ منفردا
وكأنَّه في سامرِ الشُّهُبِ

هذا الزحامُ حيالَهُ احتشدا
هو عنه ناءٍ جِدُّ مُغْتَرِبِ

* * *

مترنحاً كالعاشقِ الثَّمِلِ
ريّانَ من بَهَجٍ ومن حَزَنِ
نشوانَ من ألَمٍ ومن أمَلِ
مستهزئاً بالكونِ والزَّمَنِ

★ ★ ★

تلكَ السماءُ على جوانبهِ
بحرُ الحياةِ الفائرُ الزَّبَدِ
كَمْ راحَ يلتمسُ القرارَ بهِ
هيمانَ بين شواطيء الأبَدِ

★ ★ ★

تهفو على الأمواج صورتُهُ
وشعاعُهُ اللمَّاحُ في الغَوْرِ
نفَذَتْ إلى الأعماقِ نظرتُهُ
فإذا الحياةُ جليةُ السر

★ ★ ★

ويمرُّ بالأحداثِ مبتسمَا
كالشمسِ حينَ يلفُّها الغَيْمْ
زادَتهُ عِلماً بالذي عَلِمَا
دنيا تناهى عندَها الوَهْمُ

★ ★ ★

بَلَغَ الروائعَ من حقائِقها
فإذا السعادةُ توأمُ الجهلِ

هتفَ المحدِّقُ في مشارقها
ذهبَ النهارُ فريسةَ الليلِ

★ ★ ★

يا قلبُ مثلُ النجمِ في قلَقِ
والناسُ حولَكَ لا يُحسّونا

لولا اختلافُ النورِ والغسَقِ
مرّوا بأُفقكَ لا يُطلّونا

★ ★ ★

فاصفحْ إذا غمطوكَ إدراكا
واذكر قصورَ الآدميّينا

أتريدهمْ ، يا قلبُ ، أملاكا
كلاّ . . . وما هُمْ بالنبيّينا

★ ★ ★

هم عالَمٌ في غيِّهِ يمضي
مُستغرقاً في الحمأةِ الدنيا

نزلوا قرارةَ هذهِ الأرضِ
وحللتَ أنتَ القمةَ العُليا

★ ★ ★

عُبَّاد أوهامٍ وما عَبَدوا
إلاَّ حقير مُنىً وغاياتِ

وَمُناكَ ليسَ يحدُّها الأبَدُ
دنيا وراءَ اللانهاياتِ

★ ★ ★

ولكَ الحياةُ دُنىً وأكوانُ
عزَّتْ معارجُها على الراقي

تحيا بها وتبيدُ أزمانُ
وشبابُها المتجدِّدُ الباقي

★ ★ ★

يا قلبُ كم من رائعِ الحلَكِ
ألقاكَ في بحرٍ من الرُّعبِ

كم عُذْتَ منه بقبَّةِ الفَلَكِ
وصرختَ وحدكَ فيه ، يا قلبي !

★ ★ ★

ومضيتَ تضربُ في غياهبِهِ
وتردُّ عنكَ المائجَ الصَّخِبَا

تترقبُ البرقَ المطيفَ بهِ
وتسائلُ الأنواءَ والسُّحُبَا

★ ★ ★

وخفقتَ تحتَ دُجـاهُ من وَجَلِ
كالطـيرِ تحتَ الخنجرِ الصَلْتِ

وعرفتَ بين اليـأسِ والأمـلِ
صحو الحياةِ ، وسكرةَ المَوْتِ

★ ★ ★

يا قلبُ عنـدكَ أيُّ أسـرارِ
مـا زِلنَ في نَشـرٍ وفي طي

يـا ثورةً مشبـوبةَ النـَّـارِ
أقلقتَ جِسْمَ الـكائنِ الحي

★ ★ ★

حَمَّلْتَه العـبءَ الـذي فَرَقتْ
منـهُ الجبـالُ وأشفقتْ رَهَبـا

وأثرتَ منـهُ الرُّوحَ فانطلقتْ
تحسو الحميـمَ وتأكلُ اللهَبَـا

★ ★ ★

ومـلأْتَ سِفرَ المجدِ من عَجَبِ
وخلقتَ أبطالاً من العَـــدَمِ

وعلـى حـديثِكَ في فَمِ الحِقَبِ
سِمَةُ الخـلودِ ونفحةُ القِـدَمِ

★ ★ ★

كم من عجـائبَ فيـكَ للبشـرِ
أخـذَتهمُو منهـا الفُجاءاتُ

متنبـئاً بالغَيْـبِ والقـدَرِ
وعجيبـةٌ تلكَ النبـوءاتُ

★ ★ ★

وعجبـتُ منـكَ ومنْ إبائـِكَ في
أسْـرِ الجمـالِ وربقـةِ الحبِّ

وتَلَفُّتِ المتـكبِّرِ الصَّلِفِ
عن ذِلّةِ المقهـورِ في الحـربِ

★ ★ ★

يا حُـرُّ، كيفَ قَبِلْتَ شِرعتَهُ
وقنِعتَ منـهُ بزادِ مأسـورِ

آثـرتَ في الأغـلال طلعتَـهُ
وأبَيْتَ منـه فِكاكَ مهجورِ

★ ★ ★

فإذا جفـاكَ الهـاجرُ النـاسي
وقسا عليـكَ المشفقُ الحدِبُ

فاضتْ بدمعِكَ فَورَةُ الـكاسِ
وهَفَتْ بكفّكَ وهي تضطرِبُ

★ ★ ★

وفـزِعتَ للأحـلامِ والـذِّكَرِ
تبكي وتُنشدُ رجعـةَ الأمسِ

وَوَدِدْتَ لو حكَّمْتَ في القَدَرِ
لتعيـدَ سيرتَهـا منَ الرَّمْسِ

★ ★ ★

ووهِمْـتَ ناراً ذاتَ إيمـاضِ
فبسطتَ كفَّـك نحوهـا فَزِعـا

مَـرَّتْ بِعَيْنِكَ لمحـةُ المـاضي
فوثبتَ تُمْسِكُ بارقاً لَمعـا

★ ★ ★

وصحوتَ من وَهْمٍ ومن خَبَـلِ
فإذا جـراحُـك كلّهـنَّ دَمُ

لَجَّتْ عليـكَ مـرارةُ الفشلِ
ومشى يَحـزُّ وَتينَكَ[1] الألمُ

★ ★ ★

(١) الوتين عرق في القلب يجري منه الدم الى العروق كلها

والأرضُ ضاقَ فضاؤها الرَّحْبُ
وخَلَتْ فلا أهلٌ ولا سَكَنُ

حالَ الهوى وتفرّقَ الصَّحْبُ
وبقيتَ وحدكَ أنتَ والزّمنُ !

★ ★ ★

وصَرَخْتَ حين أجنّكَ الليلُ
متمرّداً تجتاحُكَ النّارُ

وبدا صراعُكَ أنتَ والعقلُ
ولأنتما بحرٌ وإعصارُ

★ ★ ★

ما بينَ سِلْمِكما وحربِكما
كونٌ يَبِينُ ، ويختفي كَوْنُ

وبنيتما الدُّنيا ، وحسبُكما
دنيا يقيمُ بناءَها الفنُّ

حديث قبلة

تُسائِلُني حُلوةُ المبسمِ
مَتى أنتَ قبَّلتَني في فمي ؟

تحدَّثتَ عنِّي ، وعن قُبلةٍ ،
فيا لكَ من كاذبٍ مُلْهَمِ !

فقلتُ أعابثُها بل نسيتِ ،
وفي الثغرِ كانتْ ، وَفي المعصمِ

فإنْ تُنكريها فما حيلتي ؟
وها هي ذي شعلةٌ في دمي

سَلِي شفتيكِ بما حَسَّتاهُ
من شَفتَيْ شاعرٍ مُغرمِ

ألَمْ تُغمِضي عندها ناظريكِ ؟
وبالرّاحتينِ ، ألَم تَحتمي ؟

هَبِي أنّها نعمةٌ نِلْتُها
ومن غير قَصْدٍ ، فلا تندمي !

فإنْ شئتِ أرجعتُها ثانياً
مضاعفةً للفمِ المنعمِ

فقالتْ ، وغضّتْ بأهدابها
إذا كانَ حقاً ، فلا تُحجمِ

سأُغمضُ عينيَّ كيْ لا أراكَ ،
وما في صنيعكَ من مأثمِ

كأنّكَ في الحُلمِ قبّلتَني ..
فقلتُ وأفديكِ أن تَحْلُمي !

الكرمة الأولى

بالله من أنبـاكْ بالـلّـونِ والطعـمِ
وما جَنَتْ كَفّـاكْ يا غارسَ الـكرْمِ ؟

★ ★ ★

آدمُ أمْ حـوّاءْ أغْـراكَ بالغـرسِ
يا شـاربَ الصَّهْباءْ عَـلاءً بلا كأسِ ؟

★ ★ ★

لو شَـرِبَا منهـا مـا نَسِيـا العهـدَا
أو حـدّثا عنهـا مـا هجرا الخُـلْدَا

★ ★ ★

صَهبـاءُ مـا كانتْ من غَـرْسِ إبليسِ
بـل كـرمةٌ زانتْ خَلْقَ الفـراديسِ

★ ★ ★

تَسمو بهـا الأرواحْ عَنْ عـالمِ الإثمِ
شَفّـاقةُ الأقـداحْ في رقّـةِ الحُـلْمِ

★ ★ ★

ألــكأسَ والقيثــارْ يــا رَبَّــةَ الحُسنِ
يا ربَّــةَ الأشعــارْ غَنِّــي بهــا غَنِّــي

★ ★ ★

غنِّــي بهــــا رُوحــاً عُلْويَةَ النوَمضِ
لو أدركتْ نُوحــاً عِشْنــا بلا أرضِ

★ ★ ★

عِشنــا كأحْــلامٍ في خاطرِ الأكــوانْ
في عــالَمٍ ســامٍ لا يعــرفُ الأحــزانْ

★ ★ ★

هــاتي اسْقِني هــاتي من دَنِّهــا المختــومْ
أنسَى بهــا الأتي من عمــريَ المحتــومْ

شوقي

في تأبين الشاعر احمد شوقي

هَجَرَ الأرضَ حينَ مَلَّ مقامَهْ
وطوى العمر حيرةً وسآمهْ

هَيكلٌ من حقيقةٍ وخيالٍ
مَلَكَ الحبُّ والجمالُ زمامَه

ألهَمَ الشعرُ أصغريهِ فرفًا
في فَمِ الدهرِ كوثراً ومُدامه

سلسبيلٌ من حكمةٍ وبيانٍ
فَجَّرَ اللهُ منهما إلهامَه

تأخذُ القلبَ هَزةٌ من تسا
قيهِ ، ويَنسى بسحره آلامه

غَمَرَ الأرضَ رحمةً وسَلاَماً
وجلا الكونَ فتنةً ووسامه

مالئاً مِسْمعَ الوجودِ نشيداً
علَّمَ الطيرَ لحنَهُ وانسجامهْ

مالَهُ والزمانُ مصغٍ إليه
رَدَّ أوتارَه وحطَّم جامهْ ؟

رُوِّعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيـ
ـكِ وسالتْ جراحُها الملتامهْ

ما الذي شاقَهُ إلى عالمِ الرُّو
حِ ؟ أجَلْ تلكَ روحُهُ المستهامهْ !

راعها النورُ وهيَ في ظلمة الكـ
ـونِ فخفَّتْ إليه تطوي ظلامهْ

هي بنتُ السماءِ وهو من الأرض
سليلٌ نما الترابُ عظامهْ

فاهتفوا باسمه فما ماتَ ، لكنْ
آثرَ اليومَ في السماءِ مقامهْ !

★ ★ ★

حـدّثتني الرياضُ عنـهُ صَبـاحاً
مـا لصدّاحِهـا جفـا أنغـامهْ ؟

وشـكا لي النسيمُ أولَ يومٍ
لم يُحمِّلْهُ للحبيـبِ سـلامهْ

وتسمعتُ للغـديرِ يُنـادي
مـا الذي عـاقَ طـيرَهُ وحيـامهْ ؟

أتـُراهُ ترشّفَ الفجـر نوراً
أم شفى من نَدَى الصبـاحِ أُوامهْ

ورأيتُ الجمالَ في شُعَبِ الوادي
ينـادي بطـاحَـهُ وأكامـهْ

صـارخاً يستجيرُ شـاعـرَهُ الشـ
ـادي ، ويدعو لفنِّـه رسّـامهْ

فَتَلَفّـتُّ باكيـاً وبعينـي
شَبَـحٌ تخطـرُ المنـونُ أمـامهْ

هتفَ القلبُ بالمنـادينَ حولي
لَقِيَ الصـادحُ الطروبُ حِمـامهْ

فاذكــروا شــدوَهُ بكل صبـــاحٍ
وارقبــوا من خَيَــاله إلمــامه

واملأوا الأرضَ والسمــاءَ هتــافاً
علّهُ لم يرَ الصبــاحَ فنــامه

★ ★ ★

لم يرُعْني من جــانبِ النيـــلِ إلا
كــرمة فوقَهَــا ترفّ غمَــامه

تحت ســاجي ظلالهــا زهــرة تبــ
ــكي ، وفي فرْعِهَا تنوحُ حمَامه

عرفتهــا عيني ، ومــا أنكرتها ،
من ظــلامٍ ووحشــةٍ وجَهَـــامه

قلتُ يا كــرمةَ ابنِ هــاني سَــلاماً
ليسَ للمــرءِ في الحيـــاةِ ســلامه

نحنُ ، لو تعلمينَ ، أشباحُ ليــلٍ
عــابرٍ ينسخُ الضيــاءُ ظــلامه

والــذي تلمحينَ من لهبِ الشـ
ــمسِ غــداً يُطفيءُ الزمانُ ضرامه

والــذي تبصرينَهُ من نجــومٍ
فَلكٌ يرصــدُ القضــاءُ نظامهْ

والمَرادُ المُــدلُ بالوردِ زَهْــواً
كالــذي أذبلَ الــردى أكمــامهْ

عَبَثــاً نُنشدُ الحيــــاةَ خلوداً ،
ونرجِّي الصِّبــا ، ونبغــي دوامهْ

إنمــا الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحــ
ــبُ وفي جــوفِـهِ تطيبُ الإقامهْ

أودعَ القلبُ فيــهِ آلامَه الكــ
ــبرى ، وألقــى ببــابه أحــلامهْ

نَسِـيَ النــاعمــونَ فيه صبــاهُمْ
وســلا المغــرمُ المشــوقُ غــرامهْ

فامسحي الــدمعَ وابسمي للمنــــايا
إنَّ دنيــاكِ دمعــةٌ وابتسامهْ ! !

★ ★ ★

أيهــا المسرحُ الحــزينُ عــزاءً
قد فقدتَ الغــداةَ أقوى دِعــامهْ

ذَهَبَ الشاعر الـذي كنتَ تستو
حـي وتستلهمُ الخـلودَ كلامهْ

واهـبُ الفـنِّ قلبَـهُ وقواهُ
والمصـافيهِ وُدَّه وهيـامهْ

ربَّ ليـلٍ بجانبيـكَ شهـدنا
قصةَ الدهـرِ روعةً وفخـامهْ

أسفَرَ الشعر عن روائعِهِ فيهـا
وألقـى عن الخفـاءِ لثـامهْ

فأعِـدْ عهـدَه وأحـيِ ليـالي
ـهِ وجـدِّدْ ، على المـدى ، أيامهْ

ولكَ اليـومَ همـةٌ في شبـابٍ
ملأوا العصـر قوةً وهمـامهْ

نزلوا سـاحَهُ يشيدونَ للمجـ
ـدِ وشَقّوا إلى الحيـاةِ زحـامهْ

فاذكـروا نهضةَ البيـانِ بأرضٍ
أطلعتْ في سمـائهـا أعـلامهْ

إنهـــا أمةٌ تغــارُ علــى الفنّ

وتــرعى عهـــودَه وذمـــامهْ

لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ في الشر

قِ ، وفي كفّهــا لواءُ الزعامهْ

إنّ يومــاً يفوتهــا السَبْقُ فيــهِ

لهو يومُ المعــادِ يومُ القيــامهْ ! !

عودة المحارب

بعد أكثر من عشرين عاما قضاها بطل العروبة « فوزي القاوقجي » بين تخوم سورية وفلسطين والعراق وبادية الحجاز ، مغترب الديار ، مهدور الدم ، يصاول بحد السيف كتائب المستعمرين من الانجليز والفرنسيين وأذنابهم من الصهيونيين في حرب مريرة وجهاد طويل وبعد أن اضطرته ظروف الحرب الأخيرة للهجرة الى أوربا الوسطى وهي في مضطرب الدمار والموت ، كتب القدر له السلامة ، فأفلت من أيدي الأقوياء الغاشمين وهبط بالطائرة الى عاصمة المملكة المصرية ، في طريقه الى وطنه الحبيب « سورية » العظيمة ، فكانت عودته المفاجئة حديث الشرق أجمع ، واقيمت له الاحتفالات الرائعة في مصر وسورية تقديراً لمواقفه الخالدة في الجهاد ، واعجاباً ببطولته الفذة ، وقد حيا الشاعر مقدمه بهذه القصيدة

أتدري الريحُ من ملكتْ زمامهْ
تَشقُّ الغربَ أو تطوي ظلامهْ ؟

هَفَتْ للشرقِ فاختلجتْ جناحاً
بهِ ، واستقبلتْ لثماً غمامهْ !

وقِيـلَ دنا وحَوَّمَ ، فاشرأبتْ
ضفافُ النيلِ تستهدي حِيامَهْ

وعانقَهُ الصباحُ على رُباها
غضيضَ الطَّرفِ لم ينفضْ منامَهْ

يضيء بوردِهِ الأزلي أُفقاً
تُظلِّلُهُ الرعايةُ والسلامَهْ

وواكَبَهُ على « سيناءَ » برقٌ
بِعينِ الملهمينَ رنا فشامَهْ

تَمثَّلَ إذْ تألَّقَ ذكرياتٍ
وأمجاداً مشهَّرةً مُسامَهْ

لمحتربٍ مِنَ الأبطال فادٍ
يخافُ الدهرُ أن يَلْقَى عُرامَهْ

حواريٌّ على كفَّيهِ قَلْبٌ
أبَى غَيْرَ الشهامةِ والكرامَهْ

نَحيفٌ مِن شُراةِ الخلدِ يحمِي
تُراثَ الشرقِ أوْ يَرْعَى ذمامَهْ

كَسَتهُ خُشُنَةً غِيرُ الليالي
وسلَّتْ عزمَهُ وجَلَتْ حُسامهْ

أشدُّ على قواضبها مراساً
وأنفذُ مِن مضاربها هُمامهْ

أقامَ على الفلاةِ طريدَ ظُلْمٍ
وَذِيدَ ، فما أطاق بِها مقامهْ

وَبايعَ في شبيبته المَنايا
فعادتْ منه وادَّرأتْ حمامهْ !

أحلُّوا قتلَهُ وتطلَّبوهُ
دماً حراً وروحاً مستهامهْ

تُنَسِّي الحربُ كلَّ فتىً هواهْ
ولا يَنسَى الكميُّ بِها غرامهْ

زئِيرُ الليثِ يطربُ مِسمَعيهِ
وتشجيهِ بِرَنَّتِها الحمامهْ

ووثبُ الخيلِ أفراسُ الأماني
إلى خَطَرٍ تعشَّقهُ ورامهْ

يَصُفُّ البيضَ والسُمر العوالي
ويرقبُ مِن فم الصُبحِ ابتسامه

ويفركُ راحتيهِ دماً وناراً
يُغَنّي حُبَّهُ ويُديرُ جامه

كذاكَ رأى الحياةَ فما اجتواها
ولا عرفَ الملالةَ والسآمه

مفازعُ للردَى إنْ لاحَ فرَّتْ
وراءَ خطاهُ وارتدَّتْ أمامه !

★ ★ ★

أخا الهيجاءِ كيف شَهِدْتَ حَرْباً
يُذكّرُ هولُها يومَ القيامه

وكيفَ رأيتَ بعدَ الحربِ سِلْماً
تَمتّلأُ بِالضغينةِ واللآمه

وقالوا "عالَم" قد جَمّلوهُ
فلم يَعْدُ الشناعةَ والدمامه

تناثرتِ الممالكُ فيهِ حتى
لتعجزَ أنْ تبينَ لها حطامه

متــاهاتٌ تضــلُ بهــا الليــالي
ولا يدري بهــا فَلَكٌ نظـامهْ

فلسطينُ الشهيــدةُ في دجــاهُ
مفــزّعةُ الخواطِــرِ مُستضـامهْ

أقامَ المستبدُّ علــى حمـــاهــا
فعــاثَ بهــا وأفردهــا طغـامهْ

وجـــاءَ بآبقٍ لَفَظَتْهُ دارٌ
وأفّــاقٍ يُحمِّلُهـــا أثامــهْ

أباحَ لهُ علــى كَيْــدٍ جَنَــاهــا
وشــاطرَهُ علــى خُبْثٍ مُـدامهْ

وعلّمــهُ الــرمايةَ واجْتِبـــاهُ
فســدّدَ في مقــاتله سهــامهْ !

نَــديمُ الأمسِ سَقّاهُ بِكأسٍ
أحسَّ لهيبهـــا ورأى ضــرامهْ

رمى الشيطانُ عن فَخّــارتيهــا
وعضّ علــى نواجــذِهِ ندامهْ

ألا لا يمرحُ الباغونَ فيها
فلن يَنسَى لها الحقُّ انتقامهْ

مُحالٌ أنْ تَطيبَ لهم حياةٌ
عليها ، أو تدومَ لهم إقامهْ

عروبتُها على الأدهارِ أبقى
وأثبتُ من رواسخها دِعامهْ

أتهدأُ وهي في الغَمراتِ تأسو
جريحاً ؟ أو تشدُّ له ضِمامهْ ؟

ومُفتيها الأمينُ ومفتديها
وراءَ تخومها يَشكو هيامهْ ؟

فتى أحرارها ما عابَ عنها
ولا مَنَعَ الخيالَ بها لِمامهْ

كأمسِ ، كعهدها ، لم يَغفُ عيناً
بليلٍ أقسمتْ ألاّ تنامهْ

يؤلّفُها على الأحداثِ صفاً
جسورَ النّفسِ جبّارَ العزامهْ

جهــادٌ في العــروبةِ واحتشادٌ
له التــــاريخُ قــد ألقَى زمــامهْ

★ ★ ★

أخا الصَّبَواتِ هل شَفَتِ الليــالي
جــراحَ القلــبِ أو روَّتْ أُوامهْ ؟

حلَلتَ بسوريا بعــدَ اغترابٍ
وقــد كادَ الجــلاءُ يتــمُّ عــامهْ

فقلتُ تحيَّــةُ الــزمنِ المعـــادي
لمقتتــلٍ أطــالَ بهِ صــــدامهْ

وأشــرقتِ الكتائبُ عن لــواءٍ
يَــدُ الشهـداءِ لم تتركْ عِصــامهْ

لأصهبَ من أُسودِ الحــربِ يمشي
بأصْهَبَ تُمسِكُ الدنيــا لجــامهْ

حــوالكَ جــلالةٌ فحنيــتَ رأســاً
ولم تَخفِضْ لجبَّــارينِ هــامهْ

طــريقُ المجــدِ كــم أثرٍ عليــهِ
لأهوالٍ لَقيتَ ، وكم عــلامهْ !

وكـــم جبــلٍ هبطـــتَ برأسِ وادٍ
يعـــزُ الجنَّ أن تـَرقـَى سنـــامه

حميـــتَ الغــاصبينَ خـُطـَىً إليـــه
فصـــانَ عـــراقـَهُ وحمـــى شـــآمه

بجيشٍ مِن « بَني عـــدنانَ » فادٍ
تـَـــرَى نســـراً بهِ وتـــرى أُســـامه

يروعكَ « خـــالدٌ » فيـــهِ وتلقى
« عُبـَيـْدَةَ » وهو في سيفٍ ولامه

كأنَّ الفـــاتحينَ مِن الأوالِي
على أسيـــافهـــم رفعـــوا خيـــامه !

★ ★ ★

حُمـــاةَ الشرقِ ، كم في الغربِ باغٍ
عليـــهِ ، أذاقهُ بطشـــاً وســـامه

وكم أيـــدٍ عليـــه مُجـــرّداتٍ
مخـــالبَ كاسرٍ يبغي التهـــامه

ذئابٌ حول جَنـَّتـِهِ تـَعـــاوَى
كأنَّ بهـــا إلى دَمِهِ نهـــامه

فهــزّوه صــوارمَ مشــرعاتٍ
تَشُــقُّ بكلِّ مُعْتَـرَكٍ زحــامهْ

هــو السيفُ الأصمُّ إذا تَغنَّى
صغـــا متجبِّرٌ ووَعَى كلامهْ

أعِــدوا حــدَّهُ لصــراعِ دَهْــرٍ
صريعُ الوَهْمِ من يرجو ســلامهْ !

عاشقة

« قيلت على لسان فتاة تناجي معشوقها
الذي يجهل أنها تهواه »

يا حبيبي ، أقبلَ الليْـلُ ، وناداني الغرامْ
أيُّ سِرٍ لمحبٍ لم يُصَوِّرْهُ الظلامْ
كلُّ نجمٍ مهجةٌ تهفو وعينٌ لا تَنامْ
وشعاعُ البَدْرِ معشوقٌ به جُنَّ الغمامْ
يا حبيبي ، كلُّ عيشٍ ما خلا الحبَّ حرامْ
وحرامٌ ، يا حبيبي
يا حبيبي ، غَنَّتِ الفَرْحَةُ في كلِّ مكانِ
فَهُنا البُلْبُل يَشدُو ، وهناكَ العاشقانِ
غَيْرَ أنّي أشتكي الوحشةَ في ظلِّ التداني
إنما روحُكَ في الكَوْنِ وروحي تَوْأمانِ
لا تَدَعْني أقطَعُ الأيامَ وحدي ، وأُعاني
فحرامٌ ، يا حبيبي !

يَا حبيبي ، سَئِمَ اللَّيلُ سكوتي واكتئابي
أنا أهواكَ ، ولكنْ أنتَ لا تَعْلَمُ ما بي
لحظةً بينَ ذراعيكَ فقدْ طالَ عذابي
لحظةً أمزجُ أنفاسكَ بالقلبِ المذابِ
وَأُغَنّي ، وَيُغَنّي لكَ حُبِّي ، وشَبابي
وسلامٌ ، يا حبيبي

الشّاعر

أنشأ الشاعر هذه القصيدة تحية لصديقه الشاعر الكبير « ابراهيم ناجي وقد ألقيت في حفلة تكريمه بمناسبة تعيينه مديراً للقسم الطبي بوزارة الأوقاف

عبقريٌّ مِنَ النَّغَمْ رَجَعُهُ الحبُّ والألمْ
نَبْعُهُ قلبُ شاعرٍ شارفَ النُّورَ في القِمَمْ
وَرَأى مولدَ الحَيا ةِ على شاطئِ العَدَمْ
في رَفيفٍ من النَّدَى وَحفيفٍ من النَّسَمْ
وإطارٍ من السَّنَى جَمَعَ الكونَ وانتَظَمَ
ورآها وقد بَدَتْ مِثلَ حوريَّةَ الحُلُمْ
هيَ سَكرَى تجرَّدَتْ من ثيابٍ ومن عِصَمْ
وهو لاهٍ بخدْرِها ثَمِلٌ بالذي غَنِمْ
تَعصرُ الكرمَ راحتا هُ لها ، وهي تبتسمْ
فَشدا أوَّلُ الرعا ةِ بشبَّابةِ القِدَمْ

قبلَ أن يَسْعِدَ الغنا بها راعي الغَنَمْ
خطرةٌ منْ شبابهِ ومَضَتْ ، فاشتكى السأمْ
وإذا الشاعر المدلَّهُ يقظانُ لم يَنَمْ
أرَّقَتْهُ صبابةٌ بينَ جنبيهِ تَضطرِم
يقطعُ الدَّهر وَحْدَهُ ذاهلاً تائِه القَدَمْ
يسأل الليلَ ، والكواكبَ ، والسُّحْبَ ، والدِّيَمْ
ناحَ قيثارُهُ الشجيُّ بما رقَّ وانسجمْ
وعلى خدِّهِ جَرَتْ عبراتٌ من النَّدمْ
ذَوَّبَ الحبُّ قَلبَهُ وبَرى جسمَه السَّقمْ
وجلا الغيبُ سرَّهُ بينَ عينيهِ وارْتَسَمْ
فَجَرى في نشيدهِ أروعُ الشعرِ والنَّغمْ

★ ★ ★

فانظروا أيَّ شاعرٍ هو في الحَفْلِ بينكُمْ
ذلكَ المبدعُ الروائعَ في صورةِ الكَلِمْ
ربَّةُ الحكمةِ اشتكتْهُ إلى ربَّةِ القلَمْ
نازَعَتْها غرامَهُ وَهُوَ الخصمُ والحكَمْ
فاسمعوا الآنَ شعرَهُ وَتَمَلَّوْهُ عن أمَمْ
ضامرُ الجسمِ واسمُهُ يَسَعُ الكونَ بالعِظَمْ
وقصيرٌ ، ومجدُهُ باذخٌ كالضُّحى أشَمْ

ذلكَ الشـاعر الـذي فازَ بالحـبِّ واتّسَـمْ
خـالد" بالـذي شـدَا خـالد" بالـذي نَظَـمْ
ذاكَ « ناجـي » وحسبُـهُ أنّهُ الشـاعر العلَـمْ !

ليــالي كليوبتره

كَتَبَتْ الى الشاعر تقول

« قرأت لك عن ليلة النيل والموج ، وهو يروي حلم ليلة من ليــالي كليوبترة ، فهلا وصفت لنــا ليلة من تلك الليالي ، وهل لنــا بصورة حلم من أحلامهــا » .

فإلى صاحبة تلك الإثارة الرائعة إهداء هذه القصيدة

كليوبترا ! أيُّ حُلْمٍ منْ لَيــاليكِ الحسانِ
طافَ بالمَوْجِ فغنَّى ، وتغَنَّى الشَّاطئــانِ
وَهفَــا كلُّ فؤادٍ ، وشدَا كلُّ لسانِ
هــذهِ فاتنــةُ الدُّنيــا وحسناءُ الــزَّمانِ

بُعِثَتْ في زورقٍ مُسْتَلْهَمٍ من كلِّ فنِّ
مَرِحِ المجــدافِ يختــالُ بحوراءَ تُغنِّي
يا حَبيبي ، هــذهِ ليــلةُ حُبِّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قَلْبي !

نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عشّاقٍ سُكارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَناحٍ في سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ ، والفرحةَ ، والوجدَ المُثارا
حلوةً صافيةَ اللّحْن كأحلامِ العذارى

حُلُمُ عَذراءَ دعاها حبُّها ذاتَ مساءِ
فتَغَنَّتْ بشراعٍ من خَيالِ الشعراءِ

يا حَبيبي ، هذهِ ليلةُ حُبِّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قَلْبي !

وَتَجلّى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَميدُ
يَتهدّاهُ على الموجِ نَواتيٌّ عبيدُ
ألمجاديفُ بأيديهمْ ، هتافٌ ، ونشيدُ
ومُصَلّونَ لَهُمْ في النهرِ مِحرابٌ عتيدُ

سَحرَتهم رَوْعَةُ اللّيلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَديدُ
كلُّهُمْ رَبٌّ يُغَنِّي وإلهٌ يَستعيدُ

يا حَبيبي ، هذهِ ليلةُ حُبِّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قَلْبي !

إصدَحي ، أيتها الأرواحُ ، باللّحنِ البديعِ
إمرَحي ، يا راقصاتُ الضوءِ ، بالموْجِ الخليعِ
قَبِّلي ، تحتَ شراعي ، حُلُمَ الفنِّ الـرفيعِ
زورقاً بينَ ضفافِ النيـلِ في ليـلِ الرَّبيعِ

رنَّحتْهُ موجـةٌ تَلعبُ في ضـوءِ النُّجومِ
وتُنـادِي بشعـاعٍ راقصٍ فوقَ الغيـومِ

يا حَبيبي ، هـذهِ ليـلةُ حُبِّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قَلْبي !

ليلُنـا خمرٌ وأشواقٌ تُغَنِّي حولنـا
وشراعٌ سـابحٌ في النّـور يَرْعَى ظِلَّنـا
كانَ في اللّيْلِ سُكارَى ، وأفاقوا قبلَنَا
لَيْتَهُمْ قد عرَفوا الحبَّ فبـاتوا مثلَنَـا

كلّما غـرَّدَ كأسٌ شـربوا الخمـرةَ لحنـا
يا حبيبي ، كلُّ مـا في اللّيـلِ روحٌ يتغنَّى

هاتِ كأسي ، إنهـا ليلةُ حُبِّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قَلْبي !

يا ضِفافَ النيــلِ باللهِ ويا خُضْرَ الروابي
هل رأيتنَّ على النَهْرِ فتىً غَضَّ الإهــابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ في النّورِ المُــذابِ
سابحاً في زورقٍ من صُنْعِ أحلامِ الشبابِ ؟

إنْ يكُنْ مَرَّ وَحَيَّــا من بعيــدٍ أو قريبِ
فَصِفيهِ ، وأعيــدي وصْفَهُ ، فهو حبيبي !

يا حَبيبي ، هــذهِ ليــلةُ حُبّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قلبي !

أنتِ يا من عُدْتِ بالذكرى وأحلامِ الليــالِي
يا ابنةَ النّهر الذي غَنّــاهُ أربابُ الخيــالِ
وتمنّتْ فيــهِ لو تسبــحُ ربّاتُ الجمــالِ
موجهُ الشّاديعشيقُ النّور ، معبودُ الظّلالِ

لم يزَلْ يَروِي ، وتُصغي للرواياتِ الدهورُ
والضفافُالخضرسَكرى، والسّنىكأس"تدورُ

حُــلُمٌ لم ترْوِه ليــلةُ حُبٍّ
فاذكريه ، واسمعي أفراحَ قلبي !

في عالم الذكرى

بمناسبة مرور الاربعين لوفاة المغفور له محمد صبري أبو علم باشا زعيم المعارضة في مجلس الشيوخ ، ونقيب المحامين الوطنيين وسكرتير عام الوفد المصري

ألقاكَ في عالمِ الذكرى وتلقاني
رغمَ الفراقِ بهذا العالمِ الفاني

أرنو إلى وجهكَ الضَّاحي فيشرقُ لي
عن صفحتيْ مَرحٍ في الخُلدِ جذْلانِ

وأجتلي لَمَحاتِ العبقريَّةِ في
عينينِ حدَّثتَا عن رُوحٍ فَنَّانِ

لأنتَ حيٌّ برغمِ الموتِ ، أسمَعُهُ
كعهدِهِ ، وأراهُ مِلءَ وجداني

عذبُ البيانِ ، سَرِيُّ اللفظِ مازَجَهُ
ما في طباعِكَ من حُسْنٍ وإحسانِ

يـُذْكِـي الشيوخَ بأحلامِ الشبابِ وكم
أذكى بحكمتهمْ أحـلامَ شُـبَّانِ

أُصْغي إليكَ ، عميقَ الفكرِ ، ملتمعاً
في منطقٍ جهـوريِّ الصَّوتِ رنَّانِ

كالغيثِ يلمـعُ في الآفاقِ بارقُـهُ
وفي الثَّرَى مِـنه زهرٌ ، فوقَ أفنانِ

عفُّ الضميرِ حَوَى الدنيا بنظرتِـهِ
فَلَمْ تَرُعْـهُ بأشكالٍ وألوانِ

مُقَيَّـدٌ بعـريقٍ من خـلائقِـهِ
لا خوفَ بطشٍ ولا زُلْفَى لسلطانِ

كالنهرِ يقتلعُ الأسـدادَ ، منطلقاً
حـراً ، ويجري حبيساً بينَ شطئانِ

يُعطِي الحيـاةَ لأقوامٍ وينشرُهـا
شَتَّى روائعَ في حقلٍ وبستانِ

تَمثّـلَ الحقَّ يرمي كـلَّ شـائبةٍ
عنهُ ، ويُغرِقُ فيهِ كلَّ بُهتـانِ

حامي القضاءِ وراعي العَدْلِ ، في بلد
لا يأمنُ العــدلُ فيهِ سطوةَ الجاني

ورافعُ الصَّرحِ لاستقلاله ، عَجَباً !
صُنْعُ السماءِ ترى،أم صُنْعُ إنسانِ ؟

صبري! أحقاً طواكَ الموتُ؟كيف؟ وما
هذي المواكبُ من قاصٍ ومن داني ؟

كالأمسِ ضجَّتْ فهل أسْمعتَ هاتفها
صدى هُتافكَ في جنَّاتِ رضوانِ ؟

قُمْ بَشِّرِ الحقَّ واخطبْ في كتائبه
ياصاحبَ الخلدِ هذا يومُكَ الثاني !

★ ★ ★

يا واهبَ الثورةِ الكبرى يَفَاعَتَهُ
حينَ الشبابُ رُؤَى غيــدٍ وألحانِ

وصاحِبَ العهدِ لم يطرحْ أمانَتَهُ
كهــلاً يُصاولُ عن أهــلٍ وأوطانِ

وَقْفٌ على مصرَ هذا القلبُ مُتَّقِداً
بحبهــا ، مَنْ لهــذا المدْنَفِ العاني

قد استبدَّتْ به ، حتى استبدَّ به
عادِي الرَّدى ، وهو لا واهٍ ولا واني

يا للشهيدِ صريعاً ملءَ حومتِهِ
سيفاً خضيباً وجُرْحاً من دمٍ قاني !

★ ★ ★

هذي الصحائفُ من مجدٍ ومن شَرَفٍ
هيهاتَ يُسْلِمُهَا دهرٌ لنسيانِ

ذخائرُ الوطنِ الغالي يرَتِّلُهَا
على مسامعِ أجْيالٍ وأزمانِ

فيها أغانٍ لعشَّاقٍ قد افتقدوا
أوطانَهم ، وأناشيدٌ لفرسانِ

أحرارُ مملكةٍ أرْسَوْا دعائمها
على أساسٍ من الشُورَى وأركانِ

لم يَرْهَبوا سوْطَ جلاّدٍ ولا حَفِلوا
بسيفِ باغٍ ولا أصفادِ سجَّانِ

ولا أقاموا على ذُلٍّ وإنْ ذهبوا
على دموعٍ وآلامٍ وأشجانِ

همو البُنَاةُ وإنْ لم يذكروا يَدَهُمْ
فيما يَرَى الجيلُ من مرفوعِ بنيانِ

لا تسألنَّ الضحايا عن مآثرهمْ !
وسائلِ الأثَرَ الباقي مَنِ الباني ؟

★ ★ ★

ذكراكَ ما سنحتْ للفكرِ ، أو عبرت
بالقلبِ ، إلاّ وهاجتْ نارَ أحزانِ

فَزِعتُ منها إلى الأوهامِ أسألها
أأربعونَ مَضَتْ ؟ أم مرَّ عامانِ ؟

قد أذهلَ الخطبُ شعري عن شواردِهِ
وأُنسِيَتْ كلماتي شَدْوَ أوزاني

فجئتُ أُجْريهِ دمعاً في يديْ رَجُلٍ
قد صاغه اللهُ من حقٍّ وإيمانِ

هذا الذي باركتْ مصر" زعامته
وقَبَّلَتْ جُرْحَها في قلبه الحاني !

خمرة نهر الرين

يتفرد نهر الرين بجنات أعنابه ، وأشجاره الباسقة وقصوره التاريخية ، ذلك النهر الذي ينبع من سويسرا ويمر بين فرنسا وألمانيا ويخترق هولندا حتى مصبه في بحر الشمال ، وقد تغنى بجماله وفتنته شعراء مبدعون احتفل الأدب بآثارهم فأودعوا قصائدهم ارخم ما غناه عشاق نهر الرين ، وقد أوحت الى الشاعر المصري ليلة قضاها على ضفافه بهذه القصيدة التي اهداها الى صديقة سويسرية التقى بها في ذلك الجو الساحر

كنزُ أحلامِكَ ، يا شاعرُ ، في هذا المكانِ
سحرُ أنغامِكَ طوّافٌ بهاتيكَ المغاني
فجرُ أيامِكَ رفّافٌ على هذي المحاني
أيُّها الشاعرُ ، هذا الرّيْنُ ، فاصدحْ بالأغاني

كلُّ حيٍّ وجمادٍ ههنا
هاتفٌ ، يدعو الحبيبَ المحسِنا

يا أخا الرُّوحِ ، دعا الشوقُ بنا
فاسْقِنا من خمرةِ الرّيْنِ ، اسْقِنا

عالَمُ الفتنةِ ، يا شـاعرُ ؟ أم دنيا الخيالِ ؟
أمـروجٌ عُلِّقَتْ بين سحـابٍ وجبـالِ ؟
ضحكتْ بين قصـورٍ كأسـاطيرِ الليـالي
هـذه الجنَّةُ ، فانظرْ أيَّ سحرٍ وجمـالِ !

يا حبيبَ الـروحِ ، يا حُلْمَ السَّنا
هـذه ساعتُنا ، قـمْ غَنِّنا

سـكِرَ العشـاقُ إلاَّ أنـنـا ...
فاسقنـا من خمـرةِ الرَّيْنِ اسقنـا

ليـلةٌ فوقَ ضِفافِ الرَّيْنِ حُلْمُ الشعراءِ
أليالي الشرقِ ، يا شـاعرُ ؟ أم عرشُ السماءِ
ألدُّجى سكرانُ ، والأنجمُ بعضُ الندماءِ
أنصتَ الغابُ، وأصغى النهرُ، من صخرٍ وماءِ

فاسمعِ الآن البشـير المعلِنـا
حـانتِ الليـلةُ ، والفجـرُ دنا
فاملإِ الأقداحَ من هـذا الجنَى
واسقنا من خمـرة الرَّيْنِ ، اسقنا

هاهُم العشّاقُ قد هَبّوا إلى الوادي خِفافا

أقبلوا كالضوءِ أطيافاً وأحلاماً لِطافا

ملأوا الشاطيءَ همساً والبساتينَ هُتافا

أيّها الشاعرُ ! هذا الرّيْنُ ! فاستوحِ الضّفافا

ألصِّبا ، والحسنُ ، والحبُّ هنا

يا حبيبي ، هذه الدنيا لنا

فاملإ الكأسَ على شدوِ المنى

واسْقنا من خمرة الرّيْنِ ، اسْقنا !

يا ابنةَ «الآرِ» حديثُ الأمسِ ما أعذبَ ذِكرَهْ

كانَ حُلماً أن نرى الرّيْنَ وأنْ نشربَ خمرَهْ

وشربنا ، فسكرنا ، وأفقنا بعد سَكرَهْ

ووقفنا لوداعٍ ، وافترقنا بعد نظرَهْ

أين أنتِ الآنَ ؟ أم أين أنا ؟

ضربتْ أيدي الليالي بيننا !

غيرَ صوتٍ طافَ كالحُلمِ بنا

اسْقنا من خمرة الرّيْن ، اسْقنا

أغنية الحبّ

قال الشاعر الألماني هنريخ هايني :

أيها الصحب هـذا زمن الحب ، فلنرفع الكؤوس ، فالربيع المرح يجعلنا جميعاً اخواناً ، ها هو ذا الحب البهيج وأنت أيتها الشمس أتصوّبين شعاعك ؟ فلنذهب لنقطف فرحين الأعناب الناضرة »

وقلت في هذا المعنى :

يا رفاقي ، هـذهِ السَّاعَةُ من حُلْمِ الـزَّمانِ
إنَّ هـذا زَمَنُ الحبِّ ، فضِجُّوا بالأغـاني
إرفعوا الأقداحَ مَلأى واشـربوا نَخْبَ الحسانِ
فالـربيعُ السَّمْحُ يدعوكـم إلى أقربِ حـانِ !

★ ★ ★

ألـربيعُ المـرِحُ الجذلانُ يختـالُ فخورا
إنّهُ الحسنُ الـذي يملأُ بالحبِّ الصـدورا
كيفَ لا نقطفُ منـه الثَّمَرَ الحـلوَ النضـيرا !
أنتِ ، يا أيتهـا الشمسُ ، امـلأي الآفاقَ نورا !

★ ★ ★

يا رفاقي ، قد دعانا زَمَنُ الحبِّ فهيَّا
أطْلَعَ الرَّوْضُ جَنَى الكرمةِ والزَّهرَ النَّدِيَّا
أُقطفوا الأزهارَ منه واعصروا الكرْمَ الجنِيَّا
يا رفاقي ، قد دعانا زَمَنُ الحبِّ ، فهيَّا ! !

ميلاد زهرة

الى الطيور النائمة في
أعشاشها قبيل فجر شتاء

يا شُعراءَ الرَّوْضِ أينَ البيانْ !
أينَ أغاريدُ الهوَى والحنانْ ؟

قد وُلِدَتْ في روضِكُمْ زهرةٌ
يا حُسْنَهَا بين الزُّهور الحسَانْ !

حُلْمُ الفراشاتِ ، وحُبُّ النَّدَى
وخمرةُ النَّحْلِ ، وسحرُ الأوانْ

قد بشَّرَ الأرضَ بها مُرْسَلٌ
مُجَنَّحٌ من نَسماتِ الجِنانْ

والنورُ سِر في ضَميرِ الدُّجَى
والفجر طيفٌ لم يَبِنْ للعيانْ

أبصرتُهـا تَهفو علـى غُصنهـا
في وحشةِ اللّيـلِ وصَمتِ المكانْ

بَيضاءُ ، أو حمـراءُ ، تَزْهَى بهـا
عرائسُ النرجس ، والأُقحـوانْ

تَظَـلُّ تُصغي ، وتظلُّ الرُّبى ،
والعشبُ ، والجدولُ ، والشاطئانْ

ولَيسَ منكمْ حولَهَـا هـاتِفٌ
تسكبُ موسيقاهُ سِحرَ البَيَـانْ

هـل مَلّتِ الخمـرةُ أقداحَكمْ ؟
أم نَضَبَتْ من خَمْرِهِنَّ الدِّنانْ ؟

قُوموا انظروا الظّلَّ على مهدِهَـا
يرقُص فيهِ القَمَرُ الأَضحيانْ

لو تقـدرُ الأنسامُ زفّتْ لهـا
أرْبِعةَ الفردوسِ في مهرجـانْ

وأسمعَتْ من خَفَقِ أنفاسِهَـا
صوتَ البشيراتِ ، وشدوَ القيانْ

يا شعراءَ الرَّوْضِ كَمْ زهـرةٍ

ميـلادُها من حَسَنَاتِ الزَمانْ

حسبي من الدُّنيـا على شَـدْوِكُمْ

زَهْرٌ ، وخمـرٌ ، ووجوهٌ حِسانْ

الأجنحة المحترقة

استقبل الشاعر بهذه القصيدة جثتي البطلين
حجاج ودوس من سلاح الجو المصري يوم ٢٨ نوفمبر
سنة ١٩٣٣ وقد احترقت بهما طائرتهما في سماء
فرنسا وهما في طريقهما الى الوطن

أدَنَا المَزارُ وقرّتِ العينانِ ؟
وَفَرَغْتما من لهفةٍ وَحَنانِ ؟

وَهَزَزْتما بالشّوْقِ كفَّ مُسَلِّمٍ
وهفَتْ إلى تقبيله الشّفتانِ ؟

وحلا العناقُ على اللقاءِ ، وأومأتْ
لكما الديارُ ، فرفرفَ القلبانِ ؟

وعلى الثغورِ الباسماتِ بَشَائِر
وعلى الوجوهِ المشرقاتِ أماني ؟

وعلى سماءِ النيلِ من سِمَةِ الضّحى
وَضَحٌ ، ومن ثغريكما وَضَحانِ ؟

وعلى الضفافِ الضاحكاتِ مزاهرٌ
وعلى السفينِ الراقصاتِ أغاني ؟

يومٌ تَطلَّعَتِ المُنَى لصباحِهِ
وتحدَّثتْ عنهُ بكلِّ لسانِ !

وسَرَى التخيُّلُ بالنفوسِ فهزَّها
مَرَحُ الطَّروبِ ، وغبطةُ النشوانِ

والأُفقُ مُربدُّ الأديمِ ، وأنتما
فوقَ الرياحِ الهوجِ منطلقانِ

تتخايلانِ على السحابِ برَفْرَفٍ
بلواءِ مصر مُظَلَّلٍ مُزدانِ

تتطلعانِ إلى السَّديمِ كأنما
تتخيرانِ لها أعزَّ مكانِ

وتُحدِّثانِ النجم عن أوصافِها
والنجمُ مأخوذٌ بما تَصِفَانِ

علَّقتما بالناظِرَيْنِ خيالَها
شوقاً ، وأجفانُ المَنونِ رواني

هي خطرةٌ ، أو نظرةٌ ، وَدَرَجْتُمَا
في جوفِ عاصفةٍ من النيرانِ

طاشَ الزِّمامُ فلا السحابُ مقاربٌ
لكما ولا الجَبَلُ الأشمُّ مُداني

وهوى الجناحُ فلا الرياحُ خوافقٌ
فيه ، ولا الأرواحُ طوعُ عِنانِ

سَدَّتْ طريقَكما الحُتوفُ وأنتما
تتحرَّقانِ هوىً إلى الأوطانِ

ومشى الرَّدى بكما وتحتَ جناحِهِ
جسمانِ بل قلبانِ محترقانِ ! !

★ ★ ★

يا ملهميَّ الشعر ، هذا موقفٌ
ألشعرُ فيهِ فوقَ كلِّ بَيَانِ

لَوَدِدْتُ لو أنّي عرضتُ بناتِهِ
في المهرجانِ نواثرَ الريحانِ

وعقدتُ من شعري ومن ريحانها
إكليلَ غارٍ أو نظيمَ جُمانِ

أنا من يُغَنّي بالمصارعِ في العُلى
وَيَشيدُ بالآلامِ والأحزانِ

ماذا وراءَ الدمعِ من أُمنيةٍ
أوْ ما وراءَ النَّوحِ من نُشدانِ ؟

أصبحتُ ذا القلبِ الحديدِ ، وإنْ أكُنْ
في الناسِ ذاكَ الشاعرِ الإنساني

ووهبتُ قلبي للخطارِ ، فللهوى
شطرٌ ، وللعلياءِ شطرٌ ثاني

وعشقتُ موتَ الخالدينَ ، وعِفتُ من
عمري حَقارةَ كلِّ يومٍ فاني

لولا الضحايا الباذلونَ دماءَهمْ
طَوَتِ الوجودَ غيابةُ النسيانِ

هذا الدمُ الغالي الذي أرخصتُمُ
هوَ في بناءِ المجدِ أوّلُ باني

تبنونَ للوطنِ الحياةَ وهكذا
تبني الحياةَ مصارعُ الشجعانِ !

★ ★ ★

مثّلتما في الموتِ وحدةَ أُمةٍ
ذاقتْ من التّفريقِ كلَّ هَوَانِ

مسحَ الهلالُ دمَ الصليبِ وضمَّدَتْ
جُرْحَ الأهلّةِ راحةُ الصُلبانِ

إن كانَ في ساحِ الردى لِكِلَيْكُما
مَثَلٌ ، ففي ساحِ الفِدَا مَثَلانِ !

★ ★ ★

عذراً « فرنسا » إن جزعتِ فإنهُ
قَدَرٌ ، وما لَكِ بالقضاءِ يدانِ

هزّتكِ بالرّوعاتِ قبلَ مُصابِنا
أُممٌ مَلَكْنَ أعنّةَ الطيرانِ

واسيتِ مصرَ فما هوى نجمٌ لها
إلاّ ومنكِ عليهِ صدرٌ حاني

حي سماءَ الفرقدينِ وقدّسي
من تُربِكِ الغالي أعزَّ مكانِ

فهنا دمٌ روّى ثراكِ ، وههنا
قلبانِ تحتَ الصّخْرِ يختلجانِ

يا أُمــةَ الشهداءِ أنتِ بثُكلهمْ
أدرى ، وبالأحــزانِ والأشجــانِ

ألغــارُ أحقرُ أن يكلّلَ هامَهمْ
ورؤوسهُــمْ أغلى من التيجــانِ

لِغَــدٍ صبرنا للزّمانِ ، وفي غدٍ
نعفو ونغفــرُ للزمــانِ الجــاني

ونمــدُّ للأيامِ كفَّ مُصــافحٍ
يَجزي المسيءَ إليــهِ بالإِحسانِ

وَنُدِلُّ فوقَ النيِّراتِ بموكبٍ
فيه الحِجَى والبأسُ يلتقيــانِ

ونهزُّ أجنحةَ الحيــاةِ وَنَعتَلي
بخفــافهنَّ منــاكبَ العقبــانِ

وننصُّ رايةَ مصــر ، أنَّى تشتهي
مصر ، ويرضاهُ لهــا الهــرمانِ

أقبِلْ سلاحَ الجو ، إنَّ عيونَنَا
للقــاكَ لَمْ يغمضْ لهــا جفنانِ

أقبِلْ سلاحَ الجو ، إن قلوبَنَا
كادتْ تطيرُ إليكَ بالخفقانِ

رفرفْ على البلدِ الأمينِ وحيِّهِ
وانزلْ إلى الوادي ، وطِرْ بأمانِ

كنْ للسلامِ وقاءَه ، ولواءَه ،
وشعاعَه الهادي على الأزمانِ

وإذا دعتكَ الحادثاتُ فلبِّها
بحميَّةِ المستقتلِ المتفاني

★ ★ ★

ليضنَّ بالأعمارِ كلُّ معاجزٍ
وليخْشَ حربَ الدهرِ كلُّ جبانِ

لِيَثُرْ على القضبانِ كلُّ مُعذَّبٍ
وليحطمِ الأصفادَ كلُّ مُعاني

هذا الزمانُ الحرُّ ما لشعوبِهِ
صبرٌ على الأصفادِ والقضبانِ

لكُمُ الغدُ المرجوُّ فتيانَ الحمى
واليومَ يومُكُمُ العظيمُ الشانِ

لا تثنينَّكُمُ المنـــايا ، إنهـــا
سرُّ البقـــاءِ وسِنَّةُ العمـــرانِ

كونوا من الفـــادين إنْ عزَّ الفـــدا
كم في الفـــداءِ من الخـــلودِ معـــاني

ولَئِنْ حُرمتمْ من متاعِ شبابِكُمْ
إنَّ النعيم يُنـــالُ بالحـــرمانِ

ليَكُنْ لكمْ في كـــلِّ أُفْقٍ طـــائر
ليكُنْ لكمْ في كلِّ أرْضٍ باني

وليستخفَّ البحـــر من أُسطولِكمْ
عَلَمٌ كَنَجْمِ المدلجِ الحيرانِ

سيروا بِهَـــدْيِ الأحمرينِ ومهِّدوا
بهمـــا سبيلَ المجـــدِ والسلطانِ

لم تبصِرِ الأُممُ الحيـــاةَ على سنىً
كالنـــار في شَفَقِ الدماءِ القـــاني !

رجوع الهارب

اذا تمرد المحبون على حكم الهوى ، وضاق كيوبيد بصراخهم وبكائهم ، فتح لهم باب ديره فخلصوا منه ناجين وانطلقوا هاربين من أسره ينشدون السلو والنسيان في حياة أصبحت تنكرهم وكأن لم يتصلوا بها وهاموا في عالم كأنما يجهلهم ويجهلونه هنالك يرجع الهارب نادما مأخوذآ بسحر تلك الأيام التي كانت تشرق عليه من خلال ديره القديم

قرَّبتُ للنورِ المشع عُيُوني
ورفعتُ للَّهبِ الأحم جبيني

ومشيتُ في الوادي يمزّق صخرُه
قَدَمي ، وتُدْمي الشائكاتُ يميني

وعدوتُ نحو الماءِ وهو مُقاربي
فنأى وردَّ إلى السرابِ ظنوني

وبدَتْ لعيني في السماءِ غمامة"
فوقفتُ، فارتدَّتْ ــ هنالكَ ــ دوني

وأصختُ للنَسماتِ وهي هــوازجٌ
فسمعتُ قصفَ العــاصفِ المجنونِ

يا صبحُ مــا للشمسِ غيرَ مضيئةٍ
يا ليــلُ مــا للنجمِ غــيرَ مبينِ ؟

يا نارُ مــا للنــارِ بينَ جوانحي
يا نورُ أينَ النــورُ ملءُ جفوني ؟

ذهبَ النهــارُ بحــيرتي وكآبتي
وأتى المســاءُ بأدمعي وشجوني

حتى الطبيعة أعرضتْ وتصاممتْ
وتنكرتْ للهــاربِ المســكينِ ! !

★ ★ ★

إنْ لم يكن لي من حنــانِكَ موئلٌ
فلمنْ أبثُّ ضَراعتي وحنيني ؟

آثرتَ لي عيشَ الأســيرِ فلم أُطِقْ
صبراً وجُنَّ من الإســارِ جنــوني

فأعدتني طَلقَ الجنــاحِ وخِلتَ بي
للنــور جنَّةَ- عاشــقٍ مفتــونِ

وأشرتَ لي نحو السمــاءِ فلم أطِر

وردَدْتُ عينَ الطــائرِ المسجونِ

نسي السمــاءَ وباتَ يجهلُ عالمــاً

ألقى الحجــابَ عليــه أســرُ سنينِ

ولقد مضى عهدُ التنقُّلِ ، وانتهى

زَمَني إليــكَ بصبوتي وفتوني

لم ألقَ بعــدكَ ما يَشوقُ نواظري

عندَ الرياضِ ، فليسَ ما يصبيني

فهتفتُ أستــوحي قديمَ ملاحني

فتهــدَّجَتْ وتعثَّــرتْ بأنينــي

ونزلتُ أستذري الظــلالَ فعِفْنَني

حتى الغصون غَدَوْنَ غير غصونِ

فرجعتُ للوَكْرِ القــديمِ وبي أسىً

يطغــى عليَّ وذِلــةٌ تعــروني

لمــا رأتهُ اغرورقتْ عينــايَ من

ألَمٍ ، وضجَّ القلبُ بعدَ سكونِ

ومضتْ بيَ الذكرى فرُحتُ مُكذِّباً
عيني ، ومُتَّهماً لديهِ يقيني

وصحوتُ من خَبَلٍ وبي مما أرى
إطراقُ مكتئبٍ ، وصمتُ حزينِ

فافتحْ ليَ البابَ الذي أغلقتَه
دوني ، وهاتِ القيدَ غيرَ ضنينِ

دعني أُروِّ القلبَ من خمرِ الرِّضَى
وأُنِمْ ، على فجرِ الحنَانِ ، عيوني

وأعِدْ إلى أسْرِ الصَّبابةِ هارباً
قد آبَ من سَفَرِ الليالي الجونِ

عافَ الحياةَ على نواكَ طليقةً
وأتاكَ ينشدُهَا بعينِ سجينِ ! !

غرفة الشاعر

أيهـا الشّاعرُ الكئيبُ ، مضى الليـ
ـلُ ومـا زلتَ غارقاً في شجونِكْ

مُسْلِماً رأسَكَ الحزينَ إلى الفكـ
ـرِ ، وللسهدِ ذابلاتِ جفونِكْ

وَيَدٌ تُمسكُ اليَرَاعَ ، وأُخرى
في ارتعـاشٍ تمـرُّ فوقَ جبينِـكْ

وفـمٌ ناضبٌ به حَـرُّ أنفـا
سِـكَ يطغى علـى ضَعيفِ أنينِكْ

* * *

لستَ تُصغي لقاصفِ الرَّعدِ في الليـ
ـلِ ، ولا يزدهيكَ في الإبراقِ

قد تمشَّى خِلالَ غرفتِكَ الصمـ
ـتُ ودبَّ السكونُ في الأعماقِ

غيرَ هذا السراجِ ، في ضوئهِ الشّا
حِبِ ، يهفو عليكَ من إشفاقِ

وبقايا النيرانِ ، في الموقِدِ الذّا
بِلِ ، تبكي الحياةَ في الأرماقِ

★ ★ ★

أنتَ أذبلت بالأسى قلبَكَ الغضَّ
وحطَّمتَ مِنْ رقيقِ كيانكْ

آه ، يا شاعري ، لقد نَصَلَ الليـ
ـلُ وما زلتَ سادراً في مكانِكْ

ليس يحنو الدّجى عليكَ ولا يأ
سى لتلكَ الدُّموعِ في أجفانِكْ

ما وراءَ السُّهادِ في ليلك الدّا
جي ، وهلاَّ فرغتَ من أحزانِكْ ؟

فَقُمِ الآنَ من مكانِكَ واغنمْ
في الكَرَى غَطَّةَ الخليِّ الطَّروبِ

والتمس في الفراشِ دِفْئاً يُنسِّـ
ـيكَ نهارَ الأسى وليلَ الخطوبِ

لستَ تُجزَى من الحياةِ بما حُمِّـ
ـلتَ فيها من الضَّنى والشحوبِ

إنها للمجونِ ، والختلِ ، والزَّيـ
ـفِ ، وليستْ للشَّاعرِ الموهوبِ !

عاشق الزَّهر

يا ليتَ لي كالفراشِ أجنحةً ... أهفو بها في الفضاءِ هيما
أدفُ للنّورِ في مشارقهِ ... وأغتذي من سناهُ نشوا
وأرشفُ القطرَ من بواكرهِ ... فلا أرودُ الضفافَ ظمآ
وألثمُ النَّوْرَ في سنابلهِ ... مصفقاً للنسيمِ جذلا
حتى إذا ما المساءُ ظلّلني ... سريتُ بينَ الوُرودِ سهرا
أشربُ أنفاسَها وقد خَفَقَتْ ... صدورُها للربيعِ تحنا
تحلمُ بالفَجْرِ فوقَ جنّتها ... يموجُ فيه الغمامُ ألوا
وبالعصافيرِ في ملاحِنِها ... تهزُّ قلبَ الصباحِ إرنا
لو يعلمُ الزهر سرَّ عاشقِهِ ... أفردَ لي مِنْ هواهُ بُستا
فلا تراني العيونُ مقتحماً ... سياجه ، أو تحس لي شا
إذن لغرّدتُ في خمائلِهِ ... وصغتُ فيهِ الحياةَ ألحا

لكنّه شاء خلقَ مبتدعٍ   منْ فنّهِ العبقريّ فنانا

أرادهُ شاعراً فدلّههُ   وسامَهُ جفوةً وهجرانا

* * *

فليحمِني الحسنُ زهر جنّته   وليُقْصني العمرَ عنهُ حرمانا

ما كنتُ لولاهُ طائراً غَرِداً   ولَوْ جهلتُ الغناءَ ما كانا !

الفن الجميل

ضَارب" في الخيالِ مُلْقٍ عِنَانَهْ
مَلَكَ الوحيُ قلبَه ولسانَهْ

مستفيضُ الجمالِ ، أزهرُ كالور
دِ ، إذا كلّلَ النَّدى أفنانَهْ

عاشَ بين الأنامِ نِضْوَ غرامٍ
لم يُنفِّضْ من الصِّبا طيلسانَهْ

ملأ الكونَ من أياديه سحراً
وبنى مُلْكَهُ وشدَّ كِيانَهْ

وحباهُ الخلودَ في العالمِ الفا
ني وأبقى على البِلَى سلطانَهْ

هو فجرُ النبوغِ يصدحُ فيه
كلُّ من أطلقَ الهوى وجدانَهْ

وسمــاءٌ للشّــاعرِ الفــذِّ منهــا
يستقي الشعر وحيَــه وبيــانَهْ

تجتلي ريشــةُ المصــوِّرِ منــهُ
كــلَّ عــذراءَ لا تَرُدُّ بنــانَهْ

وهو قيثــارةُ الخــلودِ عليهــا
يعزفُ الطيرُ في الرُّبى ألحــانَهْ

وأنا الشّــاعرُ الــذي افتنَّ بالحســ
ــنِ وأذكتْ يدُ الحيــاةِ افتنــانَهْ

معهدي هــذهِ المروجُ ، وأُستـَا
ذي ربيــعُ الطبيعــةِ الفينــانَهْ

وأزاهــيرُ حــانيــاتٌ على النهــ
ــرِ يُقَبِّلْنَ ، في الضحى ، شُطآنَهْ

ناشــراتٍ وشي الربيعِ عليهــا
ساكبــاتٍ ، في لجّهِ ، ألوانَهْ

يتسمّعنَ للخــريرِ المُنَــاجي
ويرتّلنَ للــرُّبى تَحنــانَهْ

معبـدٌ للطيـورِ ، راهبهُ الليـ
ـلُ ، وناقوسهُ الصَّبـا الرنَّانَهْ

ومحـاريبُ للعـذارى إذا مـا
سَكَبَ الغربُ في الدجى أُرجوانَهْ

قامَ ربُّ الفـنِّ الجميـلِ عليهـا
مستحِثاً تحـتَ الظـلامِ قِيـانَهْ

يتغنَّى لحنَ الخـلودِ ويدعـو
من وراءِ الغَيْبِ الرهيبِ زمـانَهْ

أيُّها الدهر حَسْبُكَ اللهُ ، ماذا
برجـالِ الفنُّونِ هـذي المهانَهْ ؟

هـل تبيَّنْتَ في رفاتِ أواليَّ
دفينـاً مَحَى البِـلَى عُنـوانَهْ ؟

قِفْ على الفنِّ بين شـرقٍ وغـربٍ
وَصِفِ العـالَمِ المخـلَّدَ شـانَهْ

عرشُ غـرناطةَ ، إلهُ أثينـا ،
تاجُ روما ، سماءُ مجدِ الكِنانَهْ

يُشرقُ السحرُ من تماثيلَ فيها
ومقاصيرَ كالبروجِ المُزانَه

وتراءى العذراءُ تَلْهِمُ « رَافا
ئيلَ » روحَ الخلودِ ، وحيَ الديانَه

و« ابنُ حمديسَ » في الملا ، و« لمرتـ
ـينَ » يفيضانِ صبوةً ومجانَه

ناجيا الروضَ والبحيرةَ حتّى
لمسَ الفنُّ فيهما عُنفوانَه

إنما المجدُ ، في الورى ، لِمُغَنٍّ
هزَّ قلبَ الوَرَى وَقَادَ عِنانَه

وَلمنْ ساسَ في الممالكِ عدلاً
وارتضى الحقَّ في العلا بنيانَه

القمر العاشق

« الى ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت
نافذتها المفتوحة في ليالي الصيف المقمرة »

إذا ما طافَ بالشُرفةِ ضوءُ القمَرِ المُضْنَى
ورفَّ عليكِ مثلَ الحُلْمِ أو إشراقةِ المعنَى
وأنتِ، على فراشِ الطُّهرِ، كالزّنبقةِ الوَسْنَى
فضمّي جسمَكِ العاري وصوني ذلكَ الحُسْنَا

★ ★ ★

أغارُ عليكِ من سَابٍ كأنَّ لضوئِهِ لحنَا
تدقُّ لهُ قلوبُ الحُورِ أشواقاً إذا غنَّى
رقيقُ اللَّمسِ، عربيدٌ، بكلِّ مليحةٍ يُعنَى
جريءٌ، إنْ دعاهُ الشَّوقُ، أن يَقتَحِمَ الحُصنا !

★ ★ ★

تحــدَّرَ من وراءِ الغيــــمِ ، حــين رآكِ ، واستأنى
ومسَّ الأرضَ في رفقٍ يشــقُّ رياضَهــا الغَنَّــا
عجبتُ لهُ ، ومــا أعجبُ كيفَ استلَمَ الركنــا ؟
وكيفَ تَسَوَّرَ الشَّوكَ ؟ وكيفَ تسلَّقَ الغُصْنــا ؟

★ ★ ★

علــى خَــدَّيكِ خمرُ صبــــابةٍ أفرغهـــا دَنَّـا
رحيــقٌ من جَنَــى الفِتْنَــــةِ لا ينضُبُ أو يفْنى
وفي نهــديكِ طِلَّسمـــانِ في حَلِّهِمـــا افتنَّـا
إلى كنزِهمـــا المعبـــودِ باتَ يُعالِجُ الـرُّدْنا

★ ★ ★

أغــارُ ، أغــارُ إنْ قَبَّــلَ هــذا الثغر أو ثَنَّى
ولفَّ النَّهْــدَ في لينٍ وضــمَّ الجَسَدَ اللَّدْنا
فإنَّ لضــوئهِ قلبــاً وإنَّ لسحــرهِ جِنّــا
يصيــدُ المــوجةَ العــذرا ءَ من أغوارِهَــا وَهْنــا !

★ ★ ★

وكــم من ليــلةٍ لمَّـــا دعــاهُ الشــوقُ واستدنى
جثــا الجبَّــارُ بَيْن يَدَيْـــكِ طفــلاً يشتــكي الغَبْنا
أرادَ ، فلم يَنَل ثغــراً ورامَ ، فلم يُصِبْ حِضْنا
حَوَتْكِ ذراعهُ رَسْماً وأنتِ حَوَيْتِــهِ فنّــا !

عَصَيْتِ هواهُ فاستغرى   كأنَّ بصدرِهِ جِنَّا
مضى بالنظرةِ الرَّعناءِ يطوي السَّهلَ والحَزْنا
يثيرُ الليلَ أحقاداً   وصدرَ سحابهِ ضِغْنَا
وعادَ الطفلُ جبَّاراً   يهزُّ صراعهُ الكوْنا !

★ ★ ★

فرُدّي الشُرفةَ الحمرا   دونَ المخدَعِ الأسنَى
وصوني الحسنَ من ثورةِ   هذا العاشقِ المُضنَى
مخافةَ أنْ يظنَّ النا   سُ في مُخدعكِ الظنَّا
فكم أقلقتِ من ليلٍ !   وكم من قمرٍ جُنَّا !

لحن من ڤيـــنّا

ولأول مرة بعد الحرب الأخيرة قدمت من ڤيينا فرقة موسيقية الى ربوع سويسرا ، أسمعتنا ، بمصاحبة مغنيتها البارعة ، لحن الڤالس الكبير ، وقصص من غابة ڤيينا ، ولحن الدانوب الأزرق ، وزهرات من الشرق ، بين مظاهر البهجة والتأثر

في اهتزازِ العَصَبِ الثائرِ والرُّوحِ المعنَّى
طالَعَتْهُ بالهناءِ الليلةُ الأولى فغنَّى
ورأى مِن حولِهِ الأرضَ سلاماً فتمنَّى
ليس يَدْرِي ، أشَدا من فَرَحٍ أم ناحَ حزْنا
قُلْتُ : من أيِّ بلادٍ ؟ قيلَ : لحنٌ من ڤيّنا !

يا ڤيّنا ، سلسلي الأنغامَ سِحرا
في حنايا النفسِ لا جو المكانِ

أوَ حقّاً أنتِ ذي ؟ أم أنتِ ذكرى
أم رُؤىً تمرحُ في دنيا الأغاني

وبنانٌ هزّتِ الأوتار سكرى
أم شِفاهٌ لمستْ روحَ الزمانِ ؟

* * *

يا ڤيّنا ، جدّدي الآنَ مسرّاتِ الليالي
روحُكِ الرّاقصُ لم يَحفِلْ بأرضٍ وقتالِ
طَرِباً ما زالَ يشدو بين موجٍ وجبالِ
بأساطيرَ ، وأحلامٍ ، وفنٍّ ، وخيالِ
هُوَ روحُ النّغَمِ الهائمِ في دنيا الجمالِ

* * *

يا ڤينَّا ، هل على غابكِ للشَّمْلِ اجتمــاعُ ؟

أم على فجــركِ نايٌ ، فيهِ للراعي ابتدَاعُ ؟

أم على أُفقكِ من نورِ العشيَّاتِ التمــاعُ ؟

أم على مائكِ تحتَ الليــلِ للحبِّ شراعُ ؟

آهِ من أمسِ ! وما جرَّ على النفسِ الوداعُ !

* * *

يا ڤينَّا ، أسمعي الدنيـــا وهـــاتي
قِصَّةَ الغـــابةِ والقَلْسِ الكبيرِ

أينَ بالدانوبِ شــدوُ الذكــرياتِ
وصدى العُشَّاقِ في الليلِ الأخيرِ ؟

رَحَلوا عنــكِ بأحــلامِ الحيــاةِ
غَيْرَ قلبٍ في يدِ الحبِّ أســيرِ !

عدلي يكن

رثى الشاعر بهذه القصيدة عدلي يكن باشا أحد أقطاب الحركة السياسية في مصر ، وكانت وفاته فجأة في باريس

وقفةٌ بالشواطيءِ المحزونَهْ
يذكرُ النيلُ دمعَه وشجونَهْ

وَدَّ لوْ حوَّلوا إلى السِّينِ مَجْرا
هُ وبَثُّوا على الطريقِ عيونَهْ

ومشى بالشهيدِ للوطنِ الثا
كلِ بحراً من الدُّموعِ الهتونَهْ

دَنَتِ الدَّارُ ، يا سفينةُ ، إلاَّ
شاطىءٌ حالتْ المنيَّةُ دونَهْ

فاهدئي في ضفافِ مصر وقرّي
آنَ للَّيثِ أنْ يَحُلَّ عرينَهْ

قَرِّبي من أديمهــا هيكَلَ الحـ
ـــقِ تَضُمُ الصدرَ الذي تحملينَه

لحظةً يشتكي المتيَّــمُ فيهـــا
لوعةَ البَيْنِ أو يبثُ حنينَـــه

ولكِ اللهُ ، يا شـــواطيءُ ، فيمن
كنتِ في كـــلِّ موكبٍ ترقبينَه

ذَهَبَتْ بسمةُ الثغـورِ وحــالتْ
لمحــاتُ الطــوالعِ الميمــونَه

ما عَرَفْتِ السفينَ من عهــد « ناقا
رينَ » غـــير المجللاتِ الحــزينَه

خرجتْ منكِ ، ليلةَ البحر ، غــرًا
ءَ عليهــا من المُنى ألفُ زينَه

ثم آبتْ إليــكِ منكوســةَ الصــو
رِ يئنُ الجـريحُ فيهـا أنينَه

فسلي البحرَ هــل غــدا لِكِ أو را
حَ بطيفٍ من الفتوحِ المبينَه

مـا شَهِدتِ الأيامَ غـيرَ سـوادٍ
يشفقُ النجـمُ أنْ يشقَّ دجـونَهْ

كـلَّ يومٍ تستقبلينَ شهيـداً
ذاقَ في وحشةِ الغـريبِ منـونَهْ

أو طـريداً وراءَ بحـرٍ تحامى
أن يرى مصر في الحديدِ سجينَهْ

فاذكري الآن ، يا شواطىءُ ، عيناً
شَيَّعَتْ بالبكاءِ كـلَّ سفينَهْ

واحمـلي الوافدَ الكريم حنـاناً ،
والثمي ثَغرَهُ ، وحَيّي جبينَـهْ

وإذا ضقتِ بالأسى فاستمـدي النَـ
ـوْحَ من كـلِّ قريةٍ ومـدينَهْ

سـائلي الـريحَ أنْ تضجَّ عـويلاً
وسلي البحـرَ أن يُجَنَّ جنـونَهْ

ذاك وادي البُكا ، ومـا بعجيبٍ
أن يَرَى الناسُ في البكاءِ فنونَهْ !

يا شهيدَ « الأحــرار » لا كانَ يومٌ
كم تمنَّى في الغيبِ ألاَّ يكونَهْ

فَزِعِ النيــلُ بالظّنـــونِ إليــهِ
فتحـــدّى رجـــاءَهُ وظنـــونَهْ

كلَّ جـــرحٍ أســـالَ رُزْؤُكَ حتى
رَسَفَتْ مصرُ في الجراحِ الثخينَهْ

لو تَلَفَّتَ ، خلفَ نعشِك ، يا « عد
لي » ، لراعتــكَ أُمةٌ مسكينَهْ

كنتَ أهــلاً لبرِّهــا وهواهــا
وهي كانتْ بمن تُحبُّ ضنينَهْ !

كيفَ لا تستقــلُّ في حقــك الدمــ
ـعَ ولا تَرخصُ الدموعَ الثمينَهْ ؟

مــا بكاءٌ على الــذي اتخــذ الأو
طانَ دنيــاهُ في الحيـــاةِ ودينَهْ ؟

مــا بكاءٌ على الــذي حبس القلـ
ــبَ عليهــا ، وجبينَه ، وسكونَهْ ؟

كنتِ يا مصرُ برةً تفتديننَهْ ! !

* * *

يا رسولَ السلامِ في كلِّ حينٍ
فقدتْ مصر وحيَه وأمينَهْ

ذكرَ الناسُ فيكَ أيامَ « سعدٍ »
فبكوا رحمةً لمَا يذكرونَهْ

وتناجوا بذكرِ « ثروتَ » حتى
رَجَعوا الأمسَ واستعادوا شؤونَهْ

عرَضوا الذكرياتِ فاهتجنَ فيهمْ
كامنَ الحزنِ والهمومَ الدفينَهْ

دِنتَ بالنُبْلِ والوداعةِ قلباً
عجزَ البطشُ والأذى أنْ يُلينَهْ

عقدتْ كفُّهُ بكفِّكَ عهداً
يتمنّى العدوُ ألاّ تصونَهْ

وتعانقتما ، وما كنتَ إلاّ
عونَ سعدٍ ، وإلفَهُ ، وخدينَهْ !

* * *

يا نصيرَ الحقوقِ آثرتَ حقاً

كلُّ نفسٍ بما قضاهُ رهينَهْ

فنمِ الآنَ في ثرى مصر وانزلْ

منزلَ الحبِّ والهدى والسكينَهْ

لم يَمُتْ مَنْ حديثُهُ يملأُ الوا

دي ويطوي سهولَه وحزونَهْ

تأخذُ الظالمينَ صيحتُه الكبـ

ـرى ، وتستعذبُ السماءُ رنينَهْ !

فلسفة وخيال

وقضيا يومهما في الغابة ، وتحدثا وضحكا واكلا معاً ، ثم انتحت ناحية ، فرسمت على غلاف رسالة أعدتها له هذه الصورة ، ففطن الى أنها تريد بالغريزة الأزلية المركبة فيها أن تدفع عنها هبوب اهواء ثائرة ، وخيال جامح وشعر هو برقتها وحيائها ، فأجابها على الفور بما تترجم عنه هذه القصيدة ، ثم نهضا فجابا طرقات الغابة ، مرحين فرحين ، وقبل أن يعودا الى المدينة في المساء كانا قد أكلا من شجر التفاح المكتنف طريقهما ، ونقشا اسميهما على بعض الأشجار.

نُهزَةً" أهدَتِ الخيالَ إلينا ودعَتْنا لموعدٍ فالتقينا
ههنا تحتَ ظُلَّةِ الغابةِ الشجرا ءِ سِرْنا ، والفجر يحنو علينا
وقَطَفنا من زَهْرِها ، وانثنينا فَجَنَيْنا تُفّاحها بيدينا
ومَرِحنا بها سحابةَ يومٍ وبأشجارها نقشنا اسمينا

★ ★ ★

ههنا يا ابنةَ البحيراتِ والأودية الخُضْرِ والرُّبَى والجبالِ
صَدَحَ الحبُّ بالنشيد فلبَّينا نداءَ الهوى وصوتَ الخيالِ
وتَبِعنا على خُطَى الفجرِ موسيقى من العُشْبِ والندَى والظلالِ
وسمعنا حفيفَ أجنحةٍ تهفو بها الريحُ من كهوفِ الليالي

★ ★ ★

قُلْتِ لي والحياءُ يَصْبُغُ خدَّيكِ أنارٌ تمشي بها أمْ دماءُ ؟
مِلْءُ عينيكَ ، يا فتى الشرقِ ، أحلامٌ سَكَارى وصبوةٌ واشتهاءُ
وعلى ثغرِكَ المشوقِ ابتسامٌ ضَرَّجَتْهُ الأشواقُ والأهواءُ
أوَ حقاً دُنياكَ زهرٌ وخمرٌ وغوانٍ فواتنٌ وَغناءُ ؟

★ ★ ★

قُلْتُ يا فتنةَ الصِّبا حَفِلَتْ دنياكِ بالحبِّ والمُنَى والأغاني
ما أثارتْ حرارةَ الجَسَدِ المشتاقِ إلاَّ مرارةُ الحرمانِ
إنَّ أجسادنا معابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فتَّانِ
أنا أهوى روحيَّةَ العالمِ المنظورِ لكنْ بالجسمِ والوجدانِ

★ ★ ★

ما تكونُ الحياةُ لو أنكرَ الأحياءُ فيها طبائعَ الأشياءِ !
أنا أهواكِ كالفراشةِ صاغتها زهورُ الثرى وكفُّ الضياءِ
أنا أهواكِ فِتنَةً صاغها المثَّالُ من طينةٍ ومن إغراءِ
أنا أهواكِ بِدْعةَ الخلدِ صِيغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حوَّاءِ

★ ★ ★

أنا أهواكِ من أثامٍ وَطُهرٍ حُلْمَ إغفاءَتي وصَحْوَ غرامي
أنا أهواكِ تَبْدعينَ يقيني من نسيجِ الظُّنونِ والأوهامِ
أنا أهواكِ دِفْءَ قلبي ويَنْبُوعَ اشتهائي ، وشِرَّتي ، وعُرامي
وحناناً مُجسَّداً إنْ طواني الليلُ وسَّدتُ صَدْرَهُ آلامي

★ ★ ★

إنني بالخيالِ أنتزعُ الرِّقّةَ من قسوةِ الزمانِ المريرِ
عَجَباً ! ما حقائقُ الكونِ إلاّ لمحاتُ الخيالِ والتفكيرِ
قَبْلَ أنْ تشرقَ النجومُ على الأرضِ أضاءَتْ بِذِهْنِ ربٍّ قديرِ
وَتَجَلَّتْ في حُلْمِهِ بنظامٍ من بديعِ التكوينِ والتصويرِ

★ ★ ★

أطلِقِي نفسَكِ السجينةَ ملءَ الغابِ ، ملءَ الفضاءِ ، ملءَ العُبابِ
واحلُمِي بالحياةِ من نَغَمِ الخلدِ وخَمْرِ الهوى وزهرِ الشبابِ
ههنا عُشُّنا على الشاطيءِ المسحورِ نَبْنِيهِ من غصونِ الغابِ
ونخطُّ البستانَ أحلامَ طِفلٍ صَقلتْهُ مواهبُ الأربابِ

★ ★ ★

خطرةٌ ، ثم أطرقتْ في حياءٍ وأدارتْ في جانبِ الغابِ عَيْنَا
وانثنتْ بابتسامةٍ فدعتني ثمَّ قامتْ تمشي هناكَ الهوينا
وتلاقتْ عيونُنا فتدانتْ لي ، وَجُنَّ الحنانُ في شفتينا
فاعتنقنا في قُبْلةٍ قد أذابتْ جَسَدَيْنا ، ومازجتْ روحينا

ألحان وأشعار
في
منزل ريتشارد ڤاجنر

الموسيقيّ الشاعر « ريتشارد ڤاجنر » أشهر من أن يعرّف به في عالم الفن ، فهو من أعلامه المبدعين الخالدين ، الذين طوعوا الموسيقى لأسمى وادق وابرع صور الخيال والتأملات التي تتعمق مآسي الحياة ، ولد في مدينة « ليبزج » عام ١٨١٣ ومات عام ١٨٨٥ وقد طوّف بأوروبا فزار معظم عواصمها ومدنها التاريخية المشهورة ، وعاش أثيراً باعجاب ومحبة لودڤيج الثاني ملك باڤاريا ، ومات ، وعاش فنه من بعده للملايين ، متعة القلوب ورياضة العقول ، وهو بعد ذلك معبود هتلر ، سبقه بأكثر من مائة عام بكتابه المشهور « اليهودية في الموسيقى Das Judentum in der Music »

ومن أمجد وأخلد ألحانه « تانّا هاوزر » و « تريستان » و « ايزولد » و « لوهنجرين » و « سيجفريد » و « جوتر دامرنج » وقد كان من حظ صاحب هذا الديوان أن يحضر في صيف عام ١٩٤٦ الليلة الأولى لأول مهرجان موسيقي يقام بعد الحرب بمدينة « لوسرن » وان يستمع الى لحن « سيجفريد » رمز الشباب والقوة والجمال في الأسطورة الألمانية ، والى لحن « جوتر دامرنج » الذي يصور فجر الآلهة وكيف يكون !

وكان عزف هذين اللحنين تحية من مقاطعة « لوسرن » لذكرى الموسيقي الخالد الذي فتن بجمال طبيعتها ، واحبها وأحب عشيرتها وجيرتها كل الحب ، فوهبها ما بقي له من سني حياته ، وهجر اليها عام ١٨٦٦ ليقيم في « تريبشن » ضاحية لوسرن العريقة الأنيقة ، وهناك في منزل صغير متواضع ، متفرد بما يرتفع وينخفض حوله من سهول ومروج وهضاب ، وبما يمتد

ويلتف على أطراف حديقته الساحرة من ظلال جبال ، وشجر باسق ، وشاطيء فاتن هناك ، قضى ڤاچنر فترة من المع وأمتع فترات حياته ، فأحب وغنّى سينفونياته الخالدة ، وفي غرف هذا المنزل ، وتحت أشجار حديقته ، صدحت عبقريته ، وشدت قيثارته بألحان « سيچفريد » و « فجر الآلهة » فلا عجب أن وقفت مقاطعة لوسرن هذا المنزل وحديقته على ذكراه ليكون متحفاً رائعاً جامعاً لآثاره

زار الشاعر هذا المنزل صحبة فنانة اسكندنافية في فجر الليلة التي استمعا فيها الى موسيقى ڤاچنر ، وقطعا الطريق من لوسرن الى تريبشن على الاقدام ، مصعّدين في الأودية والربوات والهضاب النضرة تحت أفق غائم ماطر يتنفس بورد الشروق ، وعلى شاطيء البحيرة المسحورة ، وتحت الغابة الشجراء التي استوحى الموسيقي العظيم طبيعتها وجوّها هذين اللحنين الخالدين ، استلهمت الفنانة الشابة بعض الصور والكلمات ، واستوحى الشاعر قصيدته هذه

يا لَلطريقِ الضيِّقِ الصّاعدِ بينَ ربوتينْ
كأنما خُطّ على قَدْرِ خُطىً لعاشقينْ
ألشَّجَراتُ حولهُ كأنها أهدابُ عَيْنْ
كعهدِهِ بصاحبِ الدّارِ ظليلَ الجانبينْ
نَبّأهُ الصَّدَى المرنُّ عن قدومِ زائرينْ
في فجرِ يومٍ ماطرٍ شَقّ حجابَ ديمتينْ
كأنما يَنزِلُ منهُ الوحيُ حَبّاتِ لجينْ
فانتبهتْ خميلةٌ تهزُّ عُشَّ طائرينْ
وشاعَ في الغابةِ هَمْسٌ من شفاهِ زهرتينْ
مَنِ الغريبانِ هنا ؟ وما سُراهما ، وأين ! ؟

ماذا قدومهُمـا والغيثُ مِـدرارُ
لا صاحبُ الدَّارِ طلاَّعٌ ولا الدَّارُ

هذي البحيرةُ وَسْنَى ، حُلْمُ ليلتها
لمَّـا تُفِقْ منـهُ شطئانٌ وأغـوارُ

والأرضُ تحتَ سحابِ المـاءِ أخيلةٌ
ممـا يُصـوِّرهُ عُشْبٌ ونُوَّارُ

والصبحُ في مهدِهِ الشرقي ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغَيْمِ أستارُ

حتَّى الجبالُ فما لاحتْ لهـا قِمَمٌ
ولا شـدا لرُعـاة الضأنِ مزمـارُ

فمنْ هما القـادمانِ ؟ الريحُ صاغيةٌ
لوَقْعِ خطوِهما والأرضُ أبصارُ !

أعادَ منْ زَمَنِ الأشباحِ سـامرُهُ
فالليلُ والغـابُ أشباحٌ وأسمارُ ؟

أمِ البحـيرةُ جِنِّياتُهـا طلعتْ
فهبَّ موجٌ ينـاديهـا وتَيَّـارُ !

أمْ راصــدا كوكبٍ ضــلاَّ سبيلهما
لمَّــا خَـبَـتْ من نجومِ اللـّيلِ أنوارُ

أمْ صاحبا سَـفـَرٍ مالَ الضَّـنـَى بهما
حَوَتهمــا جَنَّةٌ للفنِّ مِـعْطارُ

أم عاشقانِ تُـرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟
وهل مَعَ الفجرِ عشّاقٌ وزوّارُ ؟ !

وأمسكَ الغيثُ كمــا لو كانَ يُصغي مثلَـنَـا
واعتنقتْ حتى وُريقاتُ الغصونِ حولَـنَــا
كأنمــا تخشى النسيمَ أو تخــافُ الغُـصُـنَــا
وانبعثَ اللحنُ الشجيُّ من هنــا ومن هنـــا
يثورُ في إيقــاعِـهِ قيثــارةً وأرغُـنَــا
كأنَّ جِنـّاً في السمــاءِ يُشعلونَ الفِـتَـنَــا
كأنَّ أرباباً بهــا يُحــاكمونَ الزَّمَـنَــا
يا صاحبَ الإيقاعِ ما تعرفَ ما هجتَ بنَــا
ألفجرُ ؟ أم ثارتْ على الشمسِ بوارقُ السَّنى ؟
مالَكَ قد غَـنـَّيتَهُ هــذا النشيدَ المحــزنَا
غَـنـَّيتَهُ آلهــةً أمْ أنتَ غنـَّيتَ لنــا ؟

ماذلكَ الصوتُ شاجي اللحنِ سَحّارُ
يُجريهِ نبعٌ من الإلهامِ زَخّارُ

فيه تَنَفَّسُ فوقَ السُحبِ آلهةٌ
وآدميونَ فوقَ الأرضِ ثوّارُ

وفيهِ تَهمسُ أرواحٌ وأفئدةٌ
منهنَّ عانٍ ، ورحمنٌ ، وجَبّارُ

له مذاقٌ ، له لونٌ ، له أرَجٌ
خَمْرٌ أباريقُها شتّى وأثمارُ

أشتفُّهُ وأُنادي كلَّ ناحيةٍ
مَنِ المُغَنّي وراءَ الغابِ ، يا دارُ ؟

ألسمفونيّةُ هذي ! أم صدى حُلُمٍ
كما تَجاوبُ خلفَ الليلِ أطيارُ !

أعادَ للمِعزَفِ المهجورِ صاحبُهُ
فعربدتْ في يديهِ منهُ أوتارُ !

أظَلُّ أُصغي وما منشرفةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاحَ رِتاجَ البابِ ديّارُ

حتى الحديقةُ لفَّتْ كوخَ حارسها
بصمتها ، فهما نبْتٌ وأحجارُ

تواضعتْ بجلال الفنِّ ما ارتفعتْ
مثلَ البروجِ لها في الجوِّ أسوارُ

تُصغي إلى هَمَسَاتِ الريحِ شيِّقةً
كأنما همساتُ الريحِ أخبارُ !

هنيهةً ، ثمَّ سمعنا هاتفاً مردِّدًا
يقولُ: قمْ « ياسِچْفريدُ» ، فالصَّباحُ قد بدا
عرائسُ الوادي ألَمْ تضربْ لهنَّ موعدا ؟
ماذا ! قمِ انفضِ الكرَى،ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطرْ على الغابةِ منصورَ الصِّبا مُخلَّدا
خُذْ سيفكَ السحريَّ صِيغَ جوهراً وعسجدا
قد لَقِيَ التنِّينُ منه في العشيَّةِ الرَّدَى
صوتٌ معَ الريحِ سَرى..، وللسكونِ أخلدا
فأمسَكَتْ صاحبتي يدي وحاطتْ بي يدا
تقولُ لم أسمعْ كهذا اللحن أو هذا الصَّدَى
قلتُ ولا بمثلهِ شادٍ على الدهرِ شَدَا

قد باحَ بالنَّغَمِ الموعودِ قيثارُ
فالفجرُ أحلامُ عُشّاقٍ وأسرارُ

صحا يُفَصِّلُ رؤياهُ ويَعْبُرُها
موجٌ على الشاطيءِ الصخريِّ ثرثارُ

وزحزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً
على البُحيرةِ أعشابٌ وأزهارُ

تُسائلُ الماءَ هل غَنَّتْهُ أو عَبرتْ
شُهبٌ بهِ مستحماتٌ وأقمارُ ؟

ياصاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغِيةٌ
فأينَ من «سِجفريدَ» السيفُ والغارُ؟

ما زالَ فوقَ نديٍّ العشبِ مضجعُهُ
وَمِنْ يديهِ على الأغصانِ آثارُ

هذا النشيدُ، نشيدُ الحبِّ، تَعزِفُهُ
له عرائسُ ، مِثلُ الوردِ ، أبكارُ

بَعَثْتَهنَّ من الأنغامِ أجنحةً
هزيزهنَّ مَعَ الأفلاكِ دوّارُ

في صـــدرِ قيثارةٍ أودعتَهُ نَغَمـــاً
مِزاجُهُ المـــاءُ والإعصارُ والنـــارُ

تُفْضِي بما شئتَ من أسرارِ عالمِها
فيهِ ليـــالٍ ، وأيامٌ ، وأقدارُ

حتـــى الطبيعـــةُ من ناسٍ وآلهـــةٍ
تمازجتْ فهيَ ألحـــانٌ وأشعـــارُ !

فاروس الثاني

وفجأة سقط موسوليني زعيم الفاشية الايطالية ، وأصبح سجيناً ، ففاراً طريداً ، وكتب الشاعر من فوره هذه القصيدة وقد مثلت لخاطره حياة مليئة بالفطرسة الكاذبة والكبرياء الخادع ، وتراءت له مأساة البطل الاسلامي الشهير « المختار » زعيم طرابلس المعذبة ، ومظالم العدوان في ضرب بيروت بقنابل الأسطول في الحرب العثمانية الايطالية ، ومطامع الفتح في الصومال ، وفظائع غزو الحبشة ، وحلم احتلال مصر قبل موقعة « العلمين » الأخيرة وها هي ذي شرفة قصر البندقية في روما تذكر خطب موسوليني النارية ، وما جرته على بلده من الأحداث ، فما أشبهه « بفاروس » الروماني قائد جيوش الأمبراطور « أغسطوس » الذي ذهب على رأس جحافل روما الجرارة لمحاربة الجرمانيين في العام التاسع من الميلاد فوقع في كمين ، وأبيدت جيوشه الثلاثة من آخرها ، حتى استولى على الأمبراطور حزن شديد ، فكان ينهض من نومه مذعوراً وهو يصيح فاروس ! فاروس أين جيوشي ! أين ذهبت بجيوشي يا فاروس

نَبَـأٌ ، في لحظةٍ أو لحظتينْ ،
طافَ بالدنيـا وهـزَّ المشرقينْ

نبـأٌ ، لو كانَ همسَ الشفتـينْ
منذُ عامٍ ، قِيلَ إرجافٌ ومَيْنْ !

وتـراهُ أُمـَّـةٌ بالضفتـينْ
أتَهُ كانَ جنـينَ « العلمـينْ »

موشليني ! أين أنتَ اليومَ ؟ أينْ ؟
حـلُمٌ ؟ أم قصَّـةٌ ؟ أم بينَ بينْ ؟

* * *

قَصْرُ « ڤينيسيا » إليكَ اليومَ يُهدي
لعنةَ « الشُرفَةِ » في قربٍ وبُعْدِ

عجبـاً ! يا أيُّهـذا المتحـدِّي
كيفَ سـاموكَ سقـوطَ المتردِّي ؟

إمبراطورُكَ في هَـمٍّ وسُهـدِ
صائحاً في ليـلهِ لو كانَ يُجْدِي

أينَ ، يا «فاروسُ» ، ولـَّيتَ بجنـدي ؟
أين ولـَّيْتَ بسلطـاني ومجـدي ؟

* * *

إعتَزَلتَ الحُكمَ ؟ أمْ كانَ فِرارا
بعــدَ أنْ ألفيتَ حوليكَ الدَّمارا

شُقتَ للمجزرةِ الزُّغبَ الصِّغارا
بعد أنْ أفنَيتَ في الحربِ الكِبارا

يا لَهُم في حَومةِ الموتِ حَيَــارى
ذَهَبوا قَتلَى ، وجَرْحى ، وأسارى

يملأُونَ الجوَّ في الرَّكْضِ غُبَارا
وقبُوراً ملأُوا وَجهَ الصحــارَى

* * *

أعلى « الصُومالِ » أم « آديسَ بابا »
ترفعُ الـرايةَ ، أم تَبْني القِبَـــابا

أمْ عَلَى « النِّيلِ » ضِفَافاً وعُبَابا
لمَحَتْ عَينَــاكَ للمَجْدِ سَــرابا

فَدَفَعتَ الجيشَ أعلاماً عُجــابا
ما لِهذا الجيشِ ، في الصحراءِ ، ذَابا ؟

بَخرَتهُ الشَمسُ فارْتَدَّ سَحَابا
حــينَ ظَنَّ النَّصرَ مِنْ عينيهِ قَابا

* * *

يا أبا « القُمْصانِ » جَمْعاً وفُرادى
أحَمَتْ قُمصانكَ السُّودُ البِلادَا ؟

لِمَ آثرْتَ مِنَ اللّوْنِ السَّوادا ؟
لَوْنُها كانَ عَلى الشَّعبِ حِدَادا

جِئْتَ بالأزْيَاءِ تَمثيلاً مُعَادا
أيُّ شَعبٍ عَزَّ بالزِّيِّ وَسَادا

إنّهُ الرُّوحُ شُبُوباً واتّقَادَا
لا اصْطِنَاعاً بَلْ يَقِيناً واعْتِقادَا

* * *

موسُليني ! قِفْ على أبْوَابِ روما
وتأمَّلهَا طُلُولاً وَرُسُوما

قِفْ تَذَكّرْهَا على الأمْسِ نُجُوما
وتَنَظّرْهَا عَلَى اليَوْمِ رُجُوما

أضرَمَتْ حَولَكَ في الأرضِ التُّخوما
تَقْتَفِي شَيطَانكَ الفَظَّ الغَشُوما

أوَ كانتْ تلك« روما » أمْ «سدُوما»
يَوْمَ ذَاقتْ بخَطَايَاكَ الجَحيما ؟

* * *

هِيَ ذَاقَتْ مِنْ يَدِ اللهِ انتقاما
لِأثَامٍ « خَالِدٍ » عاماً فَعَاما

يَوْمَ صَبَّتْ فَوْقَ بيروتَ الحِمَاما
لَمْ تَذَرْ شَيخاً ولَمْ ترحَمْ غُلاما

مِنْ سَفَينٍ يَمْلأُ البَحْرَ ضِراما !
ذلِكَ الأُسْطولُ كَمْ ثارَ احتِداما

أينَ راحَ اليومَ؟ هَلْ رامَ السَّلاما ؟
أم على الشَّاطيءِ أغْفَى ثُمَّ ناما ؟

* * *

أيُّ عُدْوانٍ زَرِيٍّ المَظْهَرِ
بِدَمٍ قانٍ ودَمْعٍ مُهْدَرِ

حينَ طافَتْ بِحِمَى(الإسكَنْدَرِ)
أجنُحٌ مِنْ طَيْرِكَ المستنسرِ

تَنْشُرُ المَوْتَ بلَيْلٍ مُقْمِرِ !
يا لِمِصْرٍ ! أترى لَمْ تَثْأرِ

بِيَدِ المُنْتَقِمِ المُسْتَكْبِرِ ؟
أتَرى تَذْكُرُ ؟ أم لَمْ تَذْكُرِ ؟ !

* * *

موسُليني ! لَسْتَ مِنْ أمْسٍ بعيدا
فاذكُرِ «المُختارَ» والشّعبَ الشّهيدا

هُو رُوحٌ يَملأُ الشّرْقَ نشِيدا
ويُنادِيكَ ، ولا يألُو وعِيدا

موسُليني ! خُذْ بكفّيْكَ الحَدِيدا
وَصُغِ القَيْدَ لِسَاقَيْكَ عَتِيدا

أوْ فَضَعْ منكَ على النّصْلِ وَرِيدا
فَدَمي يَخْنِقُكَ اليَوْمَ طَرِيدا ! !

الأيام

بردى

أيّتُهـــا الأيامُ ، مـا تصنعينْ
بذلكَ العبءِ الـذي تحملـينْ

غَبِنتِ ، يا أيامُ ، لم يلتمسْ
عـذركِ حتى المستضامُ الغبينْ

يلومُكِ النـاسُ على مـا بهِ
جَرَى يرَاعُ الغَيْبِ فوقَ الجبينْ

وقالَ من قالَ لقـد أُولعـتْ
بالشـرِّ ، فالطَّبْعُ لئيمٌ لعـينْ

عـدوةٌ أنتِ لمـن خـانَهُ
حظٌ ، وإنْ كنتِ الصـديقَ المعـينْ

لحـاكِ من أخطـأ في رأيِـهِ
كأنمـا أنتِ التـي تَفـكرينْ

ومن أساءَ الصُّنعَ في عَيْشِهِ
كيفَ تُسيئينَ ولا تُحسنينْ ؟

ولامَكِ الضَّليلُ في دهرِه
فمنكِ لا منهُ الضلالُ المبينْ !

حتّى أخو الحرمانِ في حُبِّهِ
كأنما أنتِ الحبيبُ الضنينْ

وأنتِ لا شكوى ولا آهةٌ
مما تَرَى عيناكِ أو تسمعينْ

لَسْتِ ضَعفَ الناسِ في عَالَمٍ
قويُّهُ لا يرحَمُ المضعفينْ

أخذتِ بالحُسْنى أراجيفهَمْ
والضعفُ لا يشفعُ للمرجفينْ

وأنتِ يا أيامُ ، من رحمةٍ
لَهُمْ تُصَلّين ، وتَستغفرينْ

وأنتِ يا أيامُ ، كلُّ الرّضى
تولينَهُمْ من كَنْزِهِ كلَّ حينْ

فمن مـرير علقـمٍ كالوزينْ
حـلاوةً في عيشهـمْ تسكبينْ

وتـُنبتينَ الـرفقَ في أنفسٍ
غَليظَـةٍ قاسِيَةٍ لا تلـينْ

أنا الذي أدرَى بمـا تصنعينْ
إنْ ضِقـْتُ بالعـُمْرِ الذي تَفسحينْ

لديكِ مـا يمحو عـذابي ، وما
يرقأُ دمعي ، وهو هـامٍ سخينْ

لديكِ ما يُفني همومي ، ومـا
يـُبرىءُ قلبي ، وهو دامٍ طعينْ

لديكِ مـا يـُشعرني راحـةً
إن عقـّني الودُّ وخـانَ اليمينْ

لديكِ مـا يـُنصفـُني سـُلوةً
إنْ ظـَلـَمَ الحبُّ وجار الحنينْ

لولاكِ لم أنسَ فنـائي ، ولم
أحـْلـُمْ بأنـّي خـَالدٌ في السنينْ

إمرأة وشيطان

أقسمَتْ لا يَعْنُو لجبّارٍ هَوَاها
أبَدَ الدهرِ وإنْ كانَ إلهــا

لا ولا أفلَتَ منهــا فاتنٌ
قرّبَتْــه واحتــوته قبضَتَاها

قِيـلَ عنهـا إنّهـا ســاحرةٌ
تتحــدّى سطــوةَ الجنّ شَطاهــا

وعجــوزٌ بالصِّبـا موعودةٌ
وبعمــرِ الدّهرِ مَوْعودٌ صِبَاها

حـَـذِقَتْ عِلْم الأوالى وَوَعَتْ
قِصَصَ الحبِّ ومأثورَ لغـاها

قِيـلَ لا يُذْهِبُ عنهـا كيدَهـا
غـيرُ شيطـانٍ ولا يمحو رُقاهـا

وَرَووا عنهـا أحـاديثَ هـوىً
آثمٍ يُغْرِبُ فيهـا من رَوَاها

وأسـاطـير ليــالٍ صُبِغَتْ
بدمـاءٍ سفكتهنَّ يَدَاهـا

يذكرُ الرُّكبـانُ عنهـا أنَّهـا
سـرقتْ من كـل حسناءَ فتَـاها

وقتيـلٌ بينَ عينيْ زَوْجِـهِ
كـلُّ معشوقٍ دَعَتْهُ فَعَصَاهـا

كلـَّمـا التـذَّتْ وصـالاً من فتىً
سحرَتْهُ وهو في حِضْنِ هَوَاهـا

واحتـوتْهُ في أصيصٍ زهـرةً
يَسْرِقُ الأنفاسَ من طيبِ شَذَاها

زَهـراتٌ مثّلَتْ عشّاقَهَـا
بعيـونٍ غَرِقاتٍ في كَرَاهـا

فإذا مـا اللّيـلُ أرخـى سِتْرَهُ
أطلقَتْ أشبـاحَهم في مُنْتَدَاهـا

مُهَجاً خفّاقةً ملتاعةً ،

وعيوناً ظامئاتٍ ، وَشِفَاها

تستعيدُ الأمسَ في لذّاتِها

ولياليها ، وأشواقِ رُؤَاها

تَتَلوّى بينهمْ مشبوبةً

شهوةً ، يلتهمُ اللّيْلَ لَظَاها

عبر الشيطانُ يوماً أُفْقَها

فرأى ثَمَّ فنوناً ما رَآها

أيُّ وادٍ رائعٍ أحجارُهُ

تحذرُ الرّيحُ عليهنَّ سُرَاها

أيُّ قصرٍ باذخٍ في قمّةٍ

تحسَبُ الأنجمَ من بعضِ ذُرَاها

ودروبٍ ، حولها ، ملتفّةٍ

كأفاعٍ سُمِّرَتْ في منحَنَاها

وبروجٍ لحمامٍ زاجلٍ

هو بالأقدارِ يهفو من كُوَاها

ظنَّهــا من عَبْقـرٍ ناحيــةً
أخطأتْ عينــاهُ بالأمسِ صُوَاهــا

فهـوَى من حــالقٍ يرتادُهــا
طُرقاتٍ زخــرفَ الفنُّ حَصَاهــا

وَرَنَا حيثُ رَنَا فاهتــاجَهُ
منظرُ الــزَّهرِ الــذي زانَ رُبَاها

أُصُصٌ من ذَهَبٍ تحسبُهــا
بَعثَرَتْ فيهــا الدراريُّ سَنَاهــا

كلَّمــا مَسَّتْ يداهُ زهــرةً
عَطَفَتْهُ لقطــافٍ شَفَتَاهــا

فجنَى مــا شــاءَ حتــى لم يَدَعْ
في أصيصٍ زهــرةً إلاَّ جَنَــاهــا

وانتشى من عطــرِهَــا فانتثرتْ
مثلَ حَبَّــاتٍ من المــاسِ يَرَاهــا

عَجَباً مــا لمستْ غــير الثرى !
أيُّ نورٍ شــاعَ فيهــا فزَهَاها ؟

نظـــرةٌ ، أو خطرةٌ ، واختلجتْ
فعــرتهُ هِــزّةٌ ممــا عرَاهــا

واستحــالتْ بينَ عينيــهِ دُمىً
حيّةً تَسْتبِقُ البــابَ خُطَاهــا

فُكَّ عنهــــا السّحرُ فارتدتْ إلى
عالمِ الحسِّ وخفّتْ قَدَمَاها

ورنا الشيطــانُ في آثارِهـــــا
ســابحاً في دهشةٍ طالَ مَــدَاهــا

يا لَها ! كيفَ استقرّتْ ثمَّ فرّتْ !
لحظةً مرّتْ ، ولكنْ ما وَعَاهــا !

وَدَنَا الليــلُ ، ورنّتْ صدحةٌ
نَبّهتهُ ، حين لا يبغي انتِبَاهــا

فــإذا مــــائدةٌ حــــافلةٌ
بالأباريقِ تــرامَى طَــرَفَاهــا

مِلْؤُها الخمرةُ نوراً وَشَـــذاً
نَسَمَتْ وائتلقتْ فَخَــارَتاهــا

وصحـــافٍ كتهـــاويلِ الـــرؤَى
تَجِدُ الأنفسُ فيهـــا مُشتهَاها

وإذا مقصـــورةٌ من حَـــوْلِهِ
خالهـــا تَنبِضُ بالـــرُوح دُمَاهـــا

وقفـــتْ غانيـــةٌ في بابهـــــا
قد تعرَّتْ غيرَ فَضْلٍ من حُلاهـــا

يا لَهـــا من فتنةٍ قـــد صُـــوِّرَتْ
في قوامِ امـــرأةٍ راعَ صِبَـــاهـــا

طلعتْ في هـــالةٍ من خُضـــرةٍ
وعيـــونٍ يترقرقنَ مِيَـــاهـــا

ثُمَّ نادتْ « يا أحبَّـــايَ انهضوا
واغنموا الليـــلةَ حتى مُنتَهَـــاهـــا »

وتلاشى الصـــوتُ لا رجعَ صـــدىً
لا ، ولا ثمَّ مُجيبٌ لِنِـــدَاهـــا

فَعَرَتهـــا رِعـــدةٌ ، فالتفتتْ ،
فرأتهُ ، فتلقّـــاهـــا وِجَاهـــا

أبصرتْ وجهاً كوَجْهِ المِسْخِ لم
يَتَقَنَّعْ ، شاهَ هـذا الوجهُ شَاها

ورأتْ كفَّيـهِ يَنْدَى منهمـا
أرَجُ الزَّهْرِ فأجَّتْ نظـرتَاها

عَرَفَتْ مـا اجترحَتْهُ يَـدُهُ
أوَ لا يعرِفُ من داس حِمَـاها ؟

يا لهـذا المِسْخِ ! دَوَّتْ ومَشَتْ
صيحةٌ يُنـذرُ بالويلِ صَـدَاهـا

فانثنى الشيطانُ عنهـا صـارخاً
أتراهـا تتحدَّى ؟ من تُراهـا ؟

فبَـدتْ في شفتيهـا آيـةٌ
من مُبينِ السِّحر ، أوْما فمَحَاها

فدَنَتْ ترمقُـهُ فاختلجـتْ
عينُهُ ، حينَ أشارتْ بعَصَـاها

بُدِّلَتْ تلكَ العَصَـا جُمجمـةً
ريعَ لمَّـا شرَّعَتْهـا فاتَّقَاهـا

هي من مَلَكةٍ جنٍّ مَن تُصِبْ
يخترمْهُ بالمنــــايا مَخْجِرَاهــا

فتنحّــى غاضبــاً مُبتئِســاً
وتنحّتْ والأسَى يُلجِمُ فاهَــا

وسَجَى بينهمــا الصمتُ الــذي
يَتغشّى الأرضَ إنْ حــانَ رَدَاها

والتقتْ عينــاهمــا فاستروَحَــا
راحةً من قبلِهَــا مــا عرَفَاها

عرفتْ من هُو فاستخذتْ لَه
ورَأى من هيَ فاستحيــا قُواهــــا

قال أُختــاهُ ، اغفري لي نظرةً
إشتهتْ كــلَّ جمــالٍ واشتهَاهــا

واغفري لي شِــرّةً عــارمةً
في دمي ، لو أتأبّى مــا أبَاهــــا

يا لهــذا الــدمِ ! مــا عنصرُهُ ؟
كلُّ ما في النــارِ من وَقْدِ لَظَاها

فأجابتْ زهراتي رُدَّها

إنْ تَقُلْ حقاً ولا تَبْغِ أذَاها

قال لا أذكرُ إلا حُلُماً

لحظةً ضلَّ بها عقلي ، وتَاها

أهيَ جِسْم؟ أهيَ رُوح ؟ إن تَكُنْ

لا يَردُّ الروحَ إلا من بَرَاها

فأحسَّتْ هَوْلَ ما يجهلُهُ

فاستَحَتْ منهُ وأغضَى ناظِرَاها

صَاحَ غفرانكِ لا تبتئسي

أُطلبي ما شئتِ منِّي ما خَلاَها

أأنا من تتَخَطّى قَدَمِي

مَسبحَ الشمسِ فيربدُّ ضُحَاها

أأنا من يطفيءُ النجم فمي

وأردُّ الأرضَ غرقى في دُجَاها

وتمسُّ القمم الشمَّ يدي

فيُرَى منحدِراً لي مُرتَقَاها

وأجـيءُ الأرضَ من محـوَرِهَـا
فإذا بي يتـدانى قُطْبَـاهـا

وأصُـدُّ الـريحَ عن وِجْهتِهَـا
فتجوبُ الكونَ لا تـدري اتّجاهـا

أأُراني عـاجـزاً عن دَرْكِ مـا
تتمنّى امـرأةٌ ! ؟ عزّتْ مُنَـاها !

آهِ ، ما أضعفَ سلطاني ، ومـا
كنتُ إلاّ بغـروري أتبَاهى ! !

قالتِ الآنَ سـلاماً زائـري
ورِضَى نفسيَ إن رُمْتَ رضَاهـا

أيهـا الشيطانُ ، مـا أعظمَ مـا
قُلْتَهُ ، ما قُلْتَ لغواً أو سِفَاها

زَهَرَاتي تلكَ ، مـا كانتْ سوى
شهواتٍ ، جِسْمِيَ الطـاغي نَمَاها

قهـرتني ، واسـتذلّتني بهـا
غَيْرَةٌ ، ينهشُ قلبي عَقرَبَاها

وأنانيــةُ أُنثـى لــم تُطِــقْ
فاتنــاً تملكهُ أُنثى سِــوَاهــا

قد صَنَعْتَ الحقَّ ، قد عاقبتنِي
فارحــمِ المــرأةَ في ذُلِّ هَوَاهــا

فَدَنَا منهــا ، فألفتْ وجهــهُ
غيرَ ما كانَ ، لقــد ألْفَتْ أخَاها !

قَرَّبتْ بينهمــا روحُ الأسـى
فاجتبتهُ بَعْـدَ حِقْدٍ واجْتَبَاها

واستهلَّتْ دمعــةٌ مِنْ عينهــا
دمعــةٌ رقَّتْ وشَفَّتْ قطرَتَاهــا

ضُمِّنَتْ كــلَّ عــذابٍ وضنىً
كلَّ مــا في النفسِ من بثٍّ أسَــاها

ورآهــا فتنــدَّتْ عينــهُ
رحمةً فاحتــال يُخفي من بُكَاها

وبكى الشيطــانُ ! يــا لامــرأةٍ
أبكَتِ الشيطانَ لَمَّا أنْ رَآها ! !

في الخريف

صفحات من حب

منها

« جمعتهما الصداقة فأحسا بذلك الانعطاف الروحي البريء الذي يقرب ما بين القلوب ويمازج بين الارواح وأحسا بالهوة العميقة العريضة التي تفصل بينهما ، فتحدث اليها عن ذلك الحب اليائس وأله الممضّ ، وأن القدر لا يريد لهما السعادة ، وظنت هي أن كل شيء قد تغير سريعاً فكتبت اليه بهذه القصيدة التي ترجمها هو فيما يلي »

وحيـدةٌ ! وينحي ! بلا راحـةٍ
مـا بينَ مَوْجٍ طاغيـاتٍ قُواهْ

تجـري بيَ الفُلْكُ كأُرجـوحةٍ
حَيْرَى بأقيانوسِ هـذِي الحيـاهْ

أبحثُ عنـهُ ، وسُدىً مـا أرى
أين حبيبي ؟ أين سـارتْ خُطاهْ ؟

لم يَهْـدِني نجمٌ إليـهِ ، ولم
يَبْسِمْ لِيَ الحظُّ فألقى سَنـاهْ

وليسَ لي من موجـةٍ بَـرَّةٍ
تحمِلُنـي في إثرِهِ كيْ أراه

من شـاطيءِ الـراحةِ لم يَـدْنُ بي
إليـهِ أُفقٌ لا يُـرَى منتهـاه !

هنـاكَ في الشـاطيءِ وا فرحتـا
أعـزُّ إنسـانٍ صَفـَا لي هـواهْ

منتظـراً لي ، شاخصاً ، باسماً ،
تُشِيرُ بالآمـالِ لي راحتـاهْ

لكنَّما هيهـاتَ ، كيفَ السُّرَى
وأينَ من عَصْفِ الرياحِ النَّجاهْ ؟

أصـارَ حتماً أن يُرَى زورقي
محطَّماً قـد مـالَ بي جـانبـاهْ ؟

وَهَلْ فضـاءُ البحـرِ أو غَوْرُهُ
مهمـا تنـاءَى وارتمتْ لجتـاهْ

يكفي مـداهُ أنْ تـوارَى بـه

جميـعُ آلامي ؟ أيكفِي مـداهْ ؟

★ ★ ★

نَمَتْ زهـرةٌ في غضونِ الخريفِ

كَحُلْمٍ من المـاءِ والخضرةِ

كـزنبَقـةٍ في زُهَى حُـلَّةٍ

رَبيعيـةِ الوَشْـي محمـرَّةِ

تَبُـثُّ المـراعـي نوراً يشفُّ

ويجـلو الطهـارةَ في النظـرةِ

كأني بهـا قَدَحـاً مُتْرَعـاً

بهِ مُـزِجَ السـمُّ بالخمـرةِ

لهـا وَهَجُ الحبِّ في قُبْـلةٍ

علـى شَفةٍ شِبْـهِ مُفْتَـرَّةٍ

ألا إنَّهـا هي بُقْيـا الهَـوَى

وآخـرُ مـا فيـهِ من نَضْرَةِ

ألاَ إنَّهـا هي صَهبَـاؤُهُ

وآخـرُ مـا فيهِ من قَطْـرَةِ

تميتُ وتُحْيي فيا لَلْحياةِ
والموتِ إلْفَيْنِ في زهرةِ !

★ ★ ★

إنْ أنا قاومتُ هياج العبابْ
مصطرعاً والأُفُق داجي السحابْ

ولم تَدَعْ كفّي إلى زورقي
زمامَهُ حُراً وخضتُ الصّعابْ

فسوفَ يُلقيهِ خفيُّ القَضَا
مُحَطَّماً فوقَ الصُخورِ الصِّلابْ

وإنَّ أقوَى ساعدٍ عاجزٌ
أنْ يَمسكَ المجدافَ دونَ اضطرابْ

إنْ عانَدَ الأمواجَ فهو الذي
يحفرُ في اليم حَفِيرَ التَّبابْ

وهو الذي يَسعى إلى حتفهِ
في هوَّة مَفغورةٍ في العُبابْ

فلْيُلْقِ بالمجدافِ من كفِّهِ
وليتركِ الموجَ طليقَ الرِّغابْ

ولِيَمْضِ بالزورقِ ما يشتهي
إلى القضاءِ الحتم دونَ ارتيابْ

وليبتلعهُ الموجُ في جَوْفهِ
فلا مفرَّ اليومَ مما أصابْ

طالَ كفاحي ، ويحَ نفسي فما
طولُ كفاحي غيرُ طولِ العذابْ !

★ ★ ★

أطلَّ الخريفُ بأعقابِ ليلٍ
دجيٍّ الظلامِ بَكي السُحُبْ

وآخر ما في الرُّبَى زهرةٌ
عَدَاها من الصَّيْفِ وَقْدُ اللهَبْ

غَدَتْ وحدَها في أديمٍ عفا
من النَّوْرِ والوَرَقاتِ القُشُبْ

كحارسةِ الميْتِ ليسَت تَرِيمُ
مكاناً به وَقَفَتْ تضطرِبْ

تساقطَ من حولها أدمعاً
غصونٌ تُطالِعُها عن كَثَبْ

جرى الغيثُ ، من ورَقاتٍ بهـا
إلى أُخَـرٍ شاحبـاتٍ ، صبَبْ
تحـدَّر مختنِقـاً فوقَهَـا
بلا نَبْـأةٍ قَطْـرُهُ المنسكِبْ
فيـا مَنْ لهـا زهرةُ « الجورجينَ »
مَنِ الـزائرُ الحـائرُ المقترِبْ ؟ !
جَنـاحٌ لآخـرِ مـا في الفـراشِ
من رحمـةٍ بقِيَتْ أو حَـدَبْ
مضى الصيفُ وانقطعت إثْـرَهُ
أغاريدُ كنَّ مَثـارَ الطَـرَبْ
نأى طـيرُهـا عانيـاً واختفى
غرامٌ أتى . . وغرامٌ ذَهَبْ . . !

اليها

(وقرأ قصيدتها فراعه ذلك الروح الشاعر الثائر المضطرب في محيط من العذاب والألم وأدرك سر هذه الخواطر الحزينة الباكية وأحس أنه المتهم ، وهو البريء الذي لم يكفر بهذا الحب المثالي ، ولم يخل قلبه من امله فمد اليها ذراعيه يخاطبها بهذه القصيدة)

لا تتركي زورقَنا المُجهَدا
يَجري به اليأسُ ويمضي العذابْ
لا تُسلمِي مجدافَهُ للرّدَى
فالشاطيءُ الموعودُ وَشْكَ اقترابْ
سيّانِ أرغى الموجُ أم أزْبَدا
لن نحنيَ الرأسَ أمامَ الصعابْ
هذي يدي ! مُدّي إليها يَدا
نَقتَحِمِ النّوْءَ ونَطْوِ العباب !

نادَى بروحي منكِ روحٌ شَرودْ
لبّيْـــكِ ، يا رُبّانتي الهـــاتفه

شرائعُ النـــاسِ بهـــذا الوجودْ
أعجزُ من أنْ تقهر العـــاطفهْ

وَدِدْتُ لو حطّمتُ هـــذي القيودْ
وجئتُ ألقـــاكِ على العـــاصفهْ

يُضيءُ وَجهَيْنا بريقُ الرعودْ
فننثني بالبسمـــةِ الخـــاطفهْ !

وحـــدكِ أنتِ الآن ؟ إنّا هنـــا
روحـــانِ شبّا في ظلالِ الكفاحْ

شراعُنا الخفّـــاقُ لن يَسْكُنَا
لليـــأسِ مهمـــا مزّقَتْهُ الرياحْ

ونجمُنَـــا ما زالَ طَلْقَ السّنَى
يُطالعُ الأُفْقَ ويَلْقَى البطاحْ

إذا الغواشي السّودُ مرّتْ بنـــا
ألقَى لنـــا الضّوْءَ ومَدَّ الجنـــاحْ

حَسْبُكِ رُبَّانُ الهُدى والسلامْ
ما لانَ للأخطارِ أو أذعنا

لا تَنْزِعِي من قَبْضَتَيْهِ الزمامْ
ولا يَرُعْ قلبكِ هذا الضنَى

كم ثار نَوْءٌ وتدجَّى ظلامْ
وهذهِ أنتِ ، وهذا أنا

إنا بَلَوْنا الهولَ باسمِ الغرامْ
جنباً لجنبٍ ، وَرَجَوْنا المُنَى !

ثِقِي بملاّحِكِ في المأزقِ
إنّي أنا ابنُ المَوْجِ والعاصفاتْ

ألشعَرَاتُ البيضُ في مفرقي
تُنْبِيكِ عن أيامي الخالياتْ

آثارُ عُمْرٍ مُرعدٍ مُبْرِقِ
تعصفُ فيهِ أروعُ الحادثاتْ

ما كدَّرَتْ من روحيَ المشرقِ
تلكَ الليالي القُلَّبُ المُظلماتْ

حبيبتي ، من أيِّ قلبٍ حزينْ
وأيِّ روحٍ عبقريِّ الألَمْ
وأيِّ وادٍ للأسى أو معينْ
فجَّرتِ لحناً من أرقِّ النغَمْ ؟

وصَفْتِ فيه زهرةَ « النجْورِجينْ »
حارسةَ الميْتِ بوادي العَدَمْ
وَخِلْتِهَا كالكأسِ ذاتِ الرنينْ
برَّاقةً فيها الرَّدَى يبتسِمْ ؟ !

بكيتِ بالدَّمعِ السَّخينِ الذريف
على غرامٍ خِلْتِهِ قد مَضَى
وأبصَرَتْ عيناكِ ظلَّ الخريف
يُجلِّلُ الأرضَ ويغشَى الفَضَا

تخضبُ كفَّاهُ النضيرَ الوريف
وَرْساً ، وتدْمِي الزنبقَ الأبيضَا
وتخرسُ الطَّيرَ بليلٍ شفيف
يروعُ فيهِ القلبَ أنْ ينبِضَا !

هذ االخريفُ الجَهمُ تمشي خُطاهْ

على الـربيعِ الذّابلِ المحتضَر

كآبةٌ تحجبُ أُفقَ الحيـاهْ

سحـابةٌ تخنقُ ضَوْءَ القَمَرْ

أُختاهُ ! هذا الحبُّ غَضٌ صِباهْ !

أيُّ عذابٍ صاغَ هـذي الصوَرْ ؟

لم يَبْرحِ الشـاطيءَ ، إنّي أراهْ

كعهدهِ في الموعِـدِ المنتظَرْ !

كانَ حـديثُ القَدَرِ المبهَمِ

مثَار هـذا الخاطرِ المفـزعِ

برُغمِ قلبي ، صحتُ لا تُقدمي !

وكانَ مـا كانَ ، فلَمْ تسمعي

أشفقتُ أن تَشْقَيْ وأن تألمي

معي ، فنـاشدتُكِ أنْ ترجعي

لكنْ أبى الحـبُّ فلـم نأثمِ

وكانَ أن أبقَى ، وتَبْقَيْ معي !

أكانَ حلْماً أم قضاءً دعا ؟
ماذا يُفيدُ العاشقينَ الحَذَرْ ؟

شِئْنَا فلم نَقْدِرْ ، وعُدنا معا
يا أُختَ روحي ذاكَ حكمُ القَدَرْ !

لم ندّخِر جَهداً ولا أدمعا
ولا دماً ، ما نحنُ إلاّ بَشَر ! !

ما أمجدَ الحبَّ وما أروعا
إذا تحدّى العاشقانِ الخَطَرْ !

ألحبُّ ما زالَ ، وهذا سناهْ
يُلهبُ حتى الجذوةَ الخامدهْ

تذوِي الأزاهيرُ وتذوي الشفاهْ
وهو ربيعُ الأنفسِ الواجِدهْ

قلوبُنا منه تُصيبُ الحياهْ
وتستمدُّ النُّضرةَ الخالدهْ

إذا أضعناهُ ، فوارحمتاهْ
لنا ، وَبُؤسَى لليدِ الجاحدهْ !

ثلج ونار

وافترقا ذات ليلة شاتية عاتية البرد ، تحدث عن قسوة الحرمان ، وعتو النسيان ، ومن جانب المدفأة كتبت اليه بهذه القصيدة وهي تغري النار بالشبوب والاضطرام ، والنار تغريها باتلاف آثار هذا الحب ، حتى قصاصة مسكينة من الورق كتب عليها بضع سطور لها أول عهده بحبها فبعثت اليه بهذه القصيدة التي ترجمها فيما يلي :

أأيتُها النارُ ، هذا المساءُ
قسى بردُهُ فانهَضي واستفيقي
أيا نارُ ، كفّاي أثلجُ منهُ
فهلاّ بَعَثْتِ بدفءِ الحريقِ !

★ ★ ★

أما فيكِ بعدُ حياةٌ تُشَبُّ ؟
أما فيكِ من جَذْوةٍ تَلْهَبُ ؟
أمقرورةٌ ؟ أم غفا وانطوى
على نَفْسِهِ اللّهَبُ المُتعَبُ ؟

★ ★ ★

أأجلس ، يا نارُ ، وحدي هُنا
أُراعيكِ وَهنناً وأستطلعُ ؟

خُذي ملءَ شدقيكِ هذي الرسَائلَ
إنْ كانَ فيهنَّ ما يُشبعُ !

★ ★ ★

خُذيها ! كُليها ! ولا تُمهلي
فمنها الوقودُ ومنكِ الأجيجْ

ويا مَنْ لها كَلِماتٍ حَوَتْ
من الحبِّ كلَّ جميلٍ بهيجْ !

★ ★ ★

أتُبقينَ حقاً على ما بها ؟
متى أنتِ أبقَيتِ شيئاً ؟ متى !

ومَاذَا أُرجّي بهذَا الدُّعاءِ
وكيفَ تُلبّينَ ؟ واحسرتا !

★ ★ ★

أجائعةٌ أنتِ ؟ يا للشراهةِ
ما عِفتِ غير بِلىً أو رَمَادْ

تشهَّيتِ كلَّ طعامٍ ، وما
تذَوَّقتِ شيئاً كَطَعمِ المدَادْ ؟

★ ★ ★

ومَنْ لي بِزَادكِ ؟ لَم يَبْق مَـا
يَلُوكُ لِسَانُكِ أو يَعلُكُ

أأيتها النـارُ ، ويْنكِ اصبري
أجِئنُكِ بكلِّ الـذي أملكُ

★ ★ ★

بقـرباني القـدُسي الأخيرِ
أزاهـير كنَّ رقاقاً لطـافا

أزاهـير تُزهَى بهـا باقةٌ
ذَوَتْ نضرةً وأصـابتْ جفافا

★ ★ ★

ألا كَمْ تَألَّقنَ فوقَ الغصونِ
زواهـر في روعـةٍ واتقـادْ

بكفيَّ هَـاتَينِ جمعتهنَّ
من كلِّ روضٍ ومن كلِّ وادْ

★ ★ ★

فوارحمتـا ، أيُّ عمـرٍ قصيرٍ
لهنَّ ، وأيُّ شبـابٍ ذَوَى

وأيُّ حيـاةٍ كحلـمٍ سَرَى
سُرَى البَرْقِ لألأَ ثمَّ انطوَى !

★ ★ ★

أحقاً فرغتِ ؟ إذن مـا شعارُكِ
لم يَبْقَ ، يا نارُ ، ما يُنْهَشُ

أهــذي القُصــاصةُ ؟ لا ! إنني
أضــمُّ عليهــا يداً تَرْعَشُ !

★ ★ ★

أكانت ســوى قطعةٍ غُضِّنَتْ
من الوَرَقِ اليَـابسِ الأصفرِ

مهلهـــلةٍ غـيرِ مقــروءةٍ
حَوَتْ قِصَّةَ الحبِّ في أسطرِ !

★ ★ ★

ضِننتَ بهـــا ضنَّ معتَــزَّةٍ
وتَحْتَ الوســادةِ أودعتُهــا

أُقَبِّلهـــا مِنْي مــرةٍ
إذا جُنَّ شـوقي فأطلعتهـــا

★ ★ ★

فَيَــا للشَّرَاهةِ ؟ ماذَا أرَى ؟
لِســانكَ في ثورةٍ واهتيَــاجْ

يكاد إليَّ مــن المضطَــلَى
بجمركِ أن يتخطَّى السيَاجْ !

★ ★ ★

خَسِئتِ فردِّيهِ ! مــاذا يرومُ ؟

ألم يَبْقَ ، يا نارُ ، ما يُطعمُ ؟

أهــذي القُصاصةُ ؟ يا لَلْحــريقِ

ويا لَلْبَــلى ! شــدَّ ما يُؤلمُ !

نار ونار

واشتد به الالم عند مطالعة قصيدتها التي تضطرم أسى وألما ، وتضطرب يأسا ومرارة ، وتفيض بأنبل العواطف فذابت نفسه حبا وحنانا ، وفزع اليها بهذه القصيدة معاتبة ومصـــالحة

حبيبةَ قلبي هي النــارُ لا
تَشُبـِّي لظاها ، ولا تستثيري

دَعِيها ولا تُوقِظي جَمْرَها
فمــا النــارُ أحنَى من الزمهريرِ

فِدَى راحتيــكِ فؤادٌ يلذُّ
لهُ ، في هواكِ ، عذابُ السَّعيرِ

أنيليهما دِفْءَ ثغري الحنونِ
وصونيهمــا رحمــةً من زفيري !

قَسى البردُ! كيفَ ؟ أيقسو عليكِ ؟
وواعجباً كيفَ يَرْضَى المساءْ ؟

وكم جِئتِهِ بأرقِّ الغناء
وأشرقتِ فيه بِوَحْيِ السماءْ ؟

أأُختاهُ ! أيُّ عذابٍ طغى
عليكِ ، وأيُّ ضنىً أو شقاءْ

ضَرَعْتُ إليكِ فلا تُسْلِمي
ودائعنا للرَّدى والعفاءْ !

فما هُنَّ بعضَ مدادٍ جرى
ولا هُنَّ أُختاهُ بعضَ الوَرَقْ

ولكنهنَّ شَغافُ الفؤادِ
وذَوْبُ السوادِ ونورُ الحَدَقْ

وأحلامُ دنيا وأشواقُها
لروحَيْنِ بَعْدَ الضَّنى والرَّهَقْ

أفاءا إلى أيكةٍ ينظرانِ
جمالَ المساءِ وسِحْرَ الشَّفَقْ !

أُحسُّ بقلبكِ لَذْعَ الأسى
وفي وجنتيكِ لهيبَ الدموعْ

وأسمعُ صيحةَ مُستقتلٍ
يُصارِعُهُ اليأسُ بينَ الضُّلوعْ

وألمحُ في جانبِ المُصطَلَى
وجوهاً زواها الأسى والخشوعْ

مُحدِّقَةً فيهِ ، مَحنيَّةً
عليهِ ، ويا لَلّظى كم يروعْ !

لَهُنَّ لياليكِ أو ذكرياتي
جِئنَ بأجنحةٍ من ضياءْ

تسمَّعنَ صوتَكِ تحتَ الظلامِ
فَجُبْنَ الثرى وطوينَ الفضاءْ

تُمَسِّحُ كفَّيْكِ راحاتُهنَّ
على قُبَلٍ من شفاهٍ ظماءْ

ويسكبنَ في أُذُنَيكِ الدعاءَ
وفي قلبكِ الغضِّ نورَ الرَّجاءْ

ألا ، يا عرائسَ وادي الخيالِ ،
بآلهةِ الرَّحمةِ المُنصِفَهْ

ألا ادفعنَ هذا الرَّدَى المشرئبَّ
وأمسِكنَ هذي اليدَ المُضعفَهْ

وأنقذنَ هذا الغرامَ الشهيدَ
فقد كادتِ النارُ أن تَلقفَهْ

رسائلُ ، أنبلُ ما سطَّرتْ
يدُ الحبِّ أو ردَّدَتهُ شفَهْ !

وصُنَّ أزاهرَ ما نوَّرَتْ
بهنَّ الغصونُ لغيرِ الشفاهْ

ولا نَسمَتْ غيرَ روحِ الهوى
ولا غيرَ أنفاسِهِ أو شَذاهْ

أزاهرَ هُنَّ رُؤَى ليلةٍ
هي العمرُ أو هي كلُّ الحياهْ

تمثَّلها الحبُّ في باقةٍ
إلهيةٍ جمَعَتها يداهْ

ألا يا عرائسَ وادي الخيــالِ
ألا ابعثنَ روحَ الرِّضى والسلامْ

ألا احْكُمْنَ بيني وبَيْنَ التي
تثــورُ بعاشقِهــا المُستهــامْ

تُفــارقُهُ وتطيلُ الفــراقَ
وتسألُهُ أينَ عَهْدُ الغــرامْ

فإنْ قال ضَيَّعتِـهِ ، أسرعتْ
إلى النــار تُوقِـظُ فيهــا الضرامْ

ألا ، يا عرائسُ ، هــلاّ استمعتِ
لأُختي ربَّةِ هــذا القصيدْ !

أغَرَّدَ رُوحٌ بهــذا الصَّفَاءِ
وردَّدَ قلبٌ كهذا النشيدْ !

يقولُ أنا الحبُّ لا تُلْقِ بي
إلى النــارِ إنِّي قويٌّ شديدْ

ومــا أنا بعضُ رَمَادٍ لهــا
ولا أنا بعضُ حُطامٍ بديدْ

أنا الجوهر الفرْدُ لا ماسَتِي
تذوبُ ، ولا نورُهـا يَنفَدُ

مُنِحتُ الخلودَ وأعطيتُهُ
لمن يُلهَمُ الشِّعرَ أو يُنشِدُ

تَخِرُّ العروشُ وتَهوي الشموسُ
ولي عرشيَ الخالدُ الأيّدُ

هو القلبُ أعظمُ ما صوّرتْ
يدُ اللهِ ما نازَعَتها يَدُ

ألا ، يا عرائسَ وادي الخيالِ ،
ألا قرِّبي يَدَها قرِّبي

حبيبةَ قلبي نسيبُ النَّوى
ودعوى البريئةِ والمُذْنبِ

وأنسيتُ حتى كأنْ لم يَكُنْ
على الأمسِ ما كانَ أو مرَّ بي !

حديثُ القُصاصةِ ردَّ الهوى
لقلبي ، فَشُبّيهِ أو ألهبي ! !

إليها

من لياليَّ التي لم يَهْدَأ الشوقُ عليها

من أمانيَّ التي كانتْ رُؤىً في ناظريها

من أغانيَّ التي استلهمتُها من شفتيها

من دموعٍ ما زجَتْ أدمعَها بينَ يديها

كلُّ ما قد رقَّ من شعري وما راقَ لديها

وهو ما ضم كتاب ، هو منها ، وإليها

إلى سيّد درويش

ذكرى مجدد الغناء المصري الحديث

طَوَيْتَ الحياةَ خفيَّ السُّرَى
كما تذهبُ النجمةُ التائههْ

تُطلُّ على عالمٍ ينظرونَ
فتَسْطرفُكَ النظرةُ الشائههْ

وتلحظهُم ، من وراءِ الحياةِ ،
بنفسٍ مُعَذبةٍ والههْ

شقيتَ بهمْ ، حيثُ سادَ الغبيُّ
وخصّوهُ بالسُّمعةِ النابههْ

لقد ضلّتِ الأرضُ في ليلها
فحقّتْ بها لعنةُ الآلههْ !

ميلاد شاعر

هَبَطَ الأرضَ كالشعاعِ السني
بعصا ساحرٍ وقلبِ نبي

لمحة" ، من أشعةِ الرُوحِ ، حلّتْ
في تجاليدِ هَيْكَلٍ بَشَرِيّ

ألهمتْ أصغريهِ من عالِمِ الحكـ
ـمةِ والنّورِ كلَّ معنىً سريّ

وَحَبَتْهُ البَيَانَ رِيّاً من السحـ
ـرِ به للعقولِ أعذبُ رَيّ

حينما شارَفتْ به أُفْقَ الأر
ضِ زَهَا الكونُ بالوليدِ الصبيّ

وسبَى الكائناتِ نورٌ محيّا
ضاحكِ البِشرِ عن فؤادٍ رضي

صُوَرُ الحُسْنِ حُوَّمٌ حولَ مهدٍ
حُفَّ بالوَرْدِ والعَمَارِ[1] الزكي

وعلى ثغـرِهِ يُضيءُ ابتسـامٌ
رَفَّ نوراً بأُرجوانٍ نـديٍّ

وعلى راحتيـهِ ريحانةٌ تنـدَ
ى ، وقيثـارةٌ بلحنٍ شجـيٍّ

فَحَنَتْ فوق مهـدِهِ تتمـلَّى
فجـرَ ميـلادِ ذلكَ العبقريِّ

وتساءَلنَ حـيرةً مَلَكٌ جـا
إلينـا في صورةِ الإنسيِّ ؟

من تُرَى ذلكَ الوليدُ الـذي هـ
ـشَّ له الكونُ من جمـادٍ وحيٍّ ؟
من تُراه ؟ فرنَّ صوتٌ هتوفٌ

من وراءِ الحيـاة شـاجي الدويِّ !
إنَّ ما تشهدونَ ميلادُ شاعر !

★ ★ ★

(١) العمار الريحان يزين به مجلس الشراب

كان وجهُ الثرى كوجهِ المـاءِ
رائقَ الحسنِ مستفيضَ الضياءِ

حينَ ولّى الدُّجَى وأقبلَ فجر
واضحُ النـورِ مشـرقُ اللألاءِ

بَهَجٌ في السمـاءِ والأرضِ يُهدَى
مِنْ غريبِ الخيـالِ والإيحـاءِ

صفقَّتْ عندَهُ الخمائلُ نَشْوَى
وشـدا الطـيرُ بين عُودٍ وناءِ

مَظْهَرٌ يبهرُ العيـونَ ، وسحرٌ
هَـزَّ قلبَ الطبيعةِ العـذراءِ

وجـلا من بدائعِ الفنِّ روضـاً
نَمَّقَتْـهُ أناملُ الإغـراءِ

ما الربيعُ الصَّناعُ أوفَى بنـاناً
مِنْـهُ في دِقَّةٍ وحسنِ أداءِ

نَسَقَ الأرضَ زينةً وَجَـلاها
قَسَماتٍ مِنْ وجههِ الوضَّـاءِ

ربوةٌ عند جَدْولٍ ، عند رَوْضٍ ،
عنـد غَيْضٍ ، وصخرةٌ عنـدَ ماءِ

فَزَهَـا الفجرَ مـا بدا ، وتجلّى
وازدهى بالوجودِ أيَّ ازدهـاءِ

قالَ لم تَبْدِ لي الطبيعةُ يوماً
حين أقبلتُ مثلَ هـذا الرُّواءِ

لا ، ولم يَسْرِ مِلءَ عيني وأُذْني
مثلُ هـذا السَّنى وهـذا الغنـاءِ

أيُّ بُشْرَى لهـا تجمَّلت الأر
ضُ وزافتْ(1) في فاتناتِ المـرائي ؟

علّهـا نُبِّئَتْ مِنَ الغَيْبِ أمـراً
حَمَلَتْهُ لهـا نجومُ المسـاءِ

قالَ ماذا أرى ؟ فردّدَ صـوتٌ
كصدى الوَحْيِ في ضميرِ السمـاءِ

إنَّ هذا ، يا فجرُ ، ميلادُ شاعرٍ !

---

(1) زافت الأرض نشرت جمالها

كانَ فجر ، وكانَ ثمَّ صبـاحُ
فيهِ للحسنِ غـُـدوةٌ ورَواحُ

بكـَرَتْ للرياضِ فيــه عَذَارى
تزدهيهـنَّ صبـوةٌ ومـراحُ

حينَ لاحَتْ لهنَّ رَنَّ هـُتـَـافٌ
وعَلَتْ بالـدُّعـاءِ منهنَّ راحُ

قلنَ ما أجمـلَ الصباحَ فما حـ
ـلَّ على الأرضِ مثلُ هـذا صباحُ

فتعـالوا بنـا نغنّي ونلهو
فهنـا اللهوُ والغنـاءُ يُتـاحُ

وهنـا جَدْوَلٌ على صفحتيهِ
يرقصُ الظلُّ والسَّنى الوضَّـاحُ

وَعَلَى حـافتيـهِ قَامَ يغنيـ
ـنَا مِنَ الطيرِ هـاتفٌ صدَّاحُ

وفـَرَاشٌ لـَهُ من الزَّهرِ ألوا
نٌ ، ومن رَيّقِ الشعاعِ جنَـاحُ

دَفّ في نشوةٍ يناديهِ نُوّا
رٌ وعِطرٌ مِنَ الثرَى فوّاحُ

وهنــــا رَبْوَةٌ تلألأُ فيهــــا
خضرةُ العشبِ والنّدى اللمـاحُ

ونسيمٌ كأنّهُ النَفَسُ الحـــا
ئــرُ تُصغي لهمســهِ الأدواحُ

مثلَ هــذا الصباحِ لم يَلدِ الشَر
قُ، ولم تنجِبِ الشموسُ الوِضاحُ

لكأنّا بالكونِ أعــلامُ ميــلا
دٍ وعرسٌ قامت لهُ الأفراحُ

أيَّ حُسْنٍ نرى ؟ فردّدَ صوتٌ
شبهَ نجوى تُسِرُّهــا أرواحُ

إنَّ هــذا الصباحَ ميلادُ شاعرْ !

★ ★ ★

وتجلّى المساءُ في ضــوءِ بدرِ
وشُفوفٍ غُــرِ الغلائلِ حُمــرِ

وسماءٍ تطفو وترسبُ فيهــا الــ
سحبُ كالرَغْوِ فوقَ أمواجِ بحرِ

صورٌ جمَّةُ المفاتنِ شتّى
كرؤى الحلمِ أو سوانحِ فكرِ

لا ترى النفسُ أو تحسُّ لديها
غيرَ شجوٍ يفيضُ مِنْ نبعِ سحرِ

أُفقُ الأرضِ لم يزَلْ في حواشيـ
ـهِ صدىً حائرٌ بألحانِ طيرِ

وبأحنائهِ يرفُّ ذَماءٌ ،
من سَنَى الشمسِ ، خافقٌ لَمْ يقرِ

وعلى شاطيءِ الغَديرِ ورودٌ
أغمضتْ عَينَهَا لمطلعِ فجرِ

وَسَرَى الماءُ هادئاً في حوافيـ
ـهِ يُغَنّي ما بين شوكٍ وصخرِ

وكأنَّ النجومَ تسبَحُ فيه
قبلاتٌ هَفَتْ بحالِمِ ثغرِ

وكأنَّ الوجودَ بحرٌ من النُّو
رِ على أُفقِهِ الملائكُ تسري

هتفتْ نجمةٌ أرى الكونَ تبـدو
في أسـاريرهِ مخـايلُ بشـرِ
وأرى ذلكَ المسـاءَ يثيرُ الـ
ـسحرَ والشجوَ ملءَ عيني وصدري
أترانا بليـلةِ الوحـيِ والتنـ
ـزيلِ ؟ أم ليـلةِ الهوى والشعرِ ؟
ما لهذا المَسَاءِ يَشْغَفُنَا حبـ
شجوَ ، والشعرَ ، والهوى ، والخيالا
أيُّ سرٍّ ترى ؟ ؟ فرنَّ هتـافٌ
بنجيٍّ مِنَ الصَّـدَى مستسر
إنَّ هـذا المساءَ ميلادُ شَاعِرْ !
قَمَـرٌ مشرقٌ يزيدُ جمـالا
كلمـا جـدَّ في السماءِ انتقالا
وسكونٌ يرقى الفضاءَ ، جنـاحا
هُ على الأرضِ يضفوانِ جـلالا
هـذه ليـلةٌ يشفُّ بهـا الحسـ
ـنُ ويهفو بهـا الضياءُ اختيـالا

جَوُّها عـاطرُ النسيمِ ، يثير الـ
ـشوقَ ، والشعرَ ، والهوى ، والخيالا

وإذا النهـرُ شـاطئـاً ونمـيراً
يتبـارى أشعـةً وظِـلالا

وسَـرَى فيـهِ زورقٌ لحبيبـ
ـينِ ، صغيرينِ ، يَنعمانِ وِصـالا

يبعثانِ الحنينَ في صـدرِ ليـلٍ
ليس يدري الهمـومَ والأوجـالا[1]

شَهِدَ الحبُّ منـذُ كانَ روايا
تٍ على مسرحِ الحيـاةِ تَوالى

وجرَتْ ملءَ مِسمعيهِ أحاديـ
ـثُ عفا ذِكرُها لديهِ ودالا

ذلكَ البـاعثُ الأسى والمثـيرُ الـ
ـنارَ في مهجةِ المُحبِّ اشتعالا

لم يَجِبْ قلبُـه لميـلادِ نجمٍ
لا ، ولَم يبكِ للبـدورِ زَوَالا

---

(١) الأوجال جمع وَجَل ، أي الخوف

بَيْدَ أنَّ القضاءَ أوحَى إليهِ
ليذوقَ الآلامَ والآمالا

فأحسَّ الفؤادَ يخفقُ منهُ
.ورأى النورَ جائلاً حيثُ جالا

واستخفَّتْهُ مِنْ شفاهِ الحبيبيـ
ـنِ شئونُ الهوى ، فرقَّ ومالا

وتجلَّتْ له الحياةُ ، وما فيـ
ـها ، فراعَتْهُ فِتنةً وجمالا

فجثا ضارعاً أرى الكونَ ربِّي
غَيْر ما كانَ صورةً ومِثَالا

لم يكنْ يعرف الصبابةَ قلبي
أو تَعِي الأذنُ للغرامِ مَقَالا

أتُراها تغَيَّرتْ هذه الأر
ضُ ، أمِ الكونُ في خيالي َحالا

ربِّ ، ماذا أرى ؟ فرنَّ هتافٌ
مُسْتَتِرُ الصَّدى يجيبُ السؤالا

إنَّ هذا ، يا ليلُ ، ميلادُ شاعِرْ !

★ ★ ★

وتجلّى الصَّدى الحبيبُ الساحر
في محيطٍ مِنَ الأشعةِ غـامر

وسكونٍ يبثُّ في الكونِ رَوْعاً
وقفتْ عِنـدَهُ الليـالي الدوائر

واستكانَ الوجودُ ، والتفتَ الدهـ
ـرُ ، وأصغتْ إلى صَدَاهُ المقـادرْ

لم يَبِنْ صورةً ، ولكن رأتهُ
بعيونِ الخيـالِ مِنّـا البصائر

قال يا شـاعري الوليدَ سـلاماً
هزَّتِ الأرضَ، يومَ جِئتَ، البشائر

فإليكَ الحيـاةَ شتّى المعـاني
وإليكَ الوجودَ جَمَّ المظـاهر

لا تَقُلْ كم أخٍ لكَ اليـومَ في الأ
رضِ شقيٍّ الوجدانِ، أَسوانَ حائرْ

إن تكنْ سـاورَتهُ في الأرضِ آلا
مٌ وحَفَّتْ بِهِ الجدودُ العواثر

فَلِكَيْ يَسْتَشِفَّ من خَلَل الغيـ
ـب جمالاً يُذكي شبابَ الخواطرْ

ولكيْ ينهلَ السعادةَ من نبـ
ـعٍ شهيِّ الورودِ، عَذْبِ المصادرْ

فلَكَم جاءَ بالخيالِ نبيٌّ
ولكم جُنَّ بالحقيقةِ شاعر

إنما يسعدُ الوجودُ وتشقو
نَ، وإنّي لَكُمْ مثيبٌ وشاكرْ

وَلَكُمْ جَنّتي، اصطفيتكُمُ اليو
مَ لتُحيوا بها جميلَ المآثرْ

فانسقوها جداولاً ورياضاً
واجعلوها سَرْحَ النُّهى والنواظرْ

إجعلوا النهرَ كيفَ شئتمْ، ومُدّوا
شاطئيهِ بينَ المروجِ النواضر

ماؤه ذَوْبُ خمرةٍ، وسنا شمـ
ـسٍ، وَرَيّا وَرْدٍ، وألحانُ طائر

وَضَعوا هضبةً تُطِلُّ عليه

ذاتَ صَخرٍ منوّرِ العُشبِ عاطِرِ

واغرسوا النخلةَ الجنيّةَ فوقَ النبـ

ـعِ في المَوْقِفِ البديعِ الساحر

واجعلوا جنتي قصيدةَ شاعِرِ !

★ ★ ★

أُدخلوا الآن ، أيها المحسنونا

جَنَّةً كنتمْ بها توعدونا

إجعلوها مِنَ البدائعِ زُوْنا[1]

واملأوها مِنَ الجمالِ فُنُونا

إملأوها فنّاً ، وليسَ فُتُونا

وانشروا الصَفْوَ فوقها والسُكونا

غَيْرَ لحنٍ يرفُ فيها حَنُونا

تتغنّى بهِ الطيورُ وُكونا

وسناً مُشْرقٍ يُضيءُ الدُجُونا

سرمديٍّ الشُعاعِ يمحو المَنونا

رائقِ النورِ ليسَ يُعشي العُيونا

---

(١) الزون الموضع تجمع فيه الأصنام وتزيّن

وتغنّوا بهـا كمـا تشتهونا

وَصِفُوهـا جـداولاً وعيونا

وورودأ نـديّةً وغصـونا

لا تثيروا بهـا الهـوى والمُجُونا

واحذروا أن تَذْكُرُوا « المجنونا »

فَلَقَدْ ثابَ مِنْ هواهُ شجونا

وخـلا مهجةً وجفَّ شـؤونا[1]

وَهْو في جنتيه أسعدُ شاعِر

أيهـا الشاعرُ اعتمـدْ قيثارَكْ

واعزفِ الآنَ مُنْشِداً أشعارَكْ

واجعلِ الحُبَّ والجمـالَ شعارَكْ

وادْعُ ربّاً دعـا الوجودَ وبارَكْ

فزهـا وازدهى بميـلادِ شاعِرْ !

---

(1) الشأنُ جمع شؤون وأشؤن العرق الذي تجري منه الدموع

أرواح وأشباح

هذه الأرواح ، تهيم اشباحها ويدور حوارها في صفحات هذا الكتاب ، يعيش بعضها في عالم الحقيقة ، ويضطرب البعض الآخر بين عالمي الأساطير والخرافات ؛ لم اسعَ إليها عن عمد ، ولم القَها مصادفة ، ولكني تبيَّنتها صوراً يتمثلها خيالي ، وحديثاً يتردد في خطرات نفسي ؛ فوجدت مطابقة بينها وبين اشخاص قرات لهم وسمعت عنهم ، ورايت اتفاقاً ومواءمة بين ما نزعوا إليه في عالم الروح وما صنعوه في عالم المادة ؛ فعرضت للطبائع والغرائز والأهواء ، واستعرضت الوقائع والآثار والأسماء ، فأيقنت ان كلاً يكاد يكون المعنيَّ بهذا الحوار ، المتسقة طبائعه وغرائزه على هذا القرار

وحبَّبَ لي هذا الجو الأغريقي الساحر ، واساطيرَه الغادية الشادية ، أني وانا اتمثَّلَ هذه الأرواح صوراً ، واستلهمها إحساساً وفكراً ، خيل لي ان روحي قد انسرقت من طيفها فيما يشبه احلام اليقظة ، أو لحظات الشرود الالهيِّ ؛ مأخوذة بما ترى ، مشفقة مما تسمع ، وكأني بها وراء سحابة في عالمها الذي سبق لها ان عاشت فيه عند بعثها الأول ؛ ووجدت نفسي في طريق أفلاطون ومثله العليا ، فتنفست في هذا الجو طلقاً حراً لا تقيدني بيئة او عقيدة ، ولا يحد من حريتي حذر او اتهام ؛ وارسلت بصري في هذا الطريق الصاعد البعيد فلم يصل إلى مداه ، وبدأت البصيرة عملها من حيث انتهى البصر ، فاذا أبواب سحرية

موصدة ، وراءها خفايا وأسرار ، وقضايا وأقدار ؛ وإذا بي عند ختـام قصيدتي لا أزال في ذات الطريق لم أصل إلى غاية ، ولم أوفِ على نهاية

وفي عـالم الأسرار والأقدار سمعت حواراً يجري بين حوريات ، من صواحب الفن وربّاته ، هن سافو ، وبليتيس ، وتاييس ؛ ورأيت بينهن إلهاً عجيباً فذاً يحكم بينهن ، ويقضي فيهن ؛ وجدت « هرميس » الذي لا مشبه له بين آلهة الأغريق ، في تعدد صوره ، وتنوع مذاهبه ، وتنافر طبائعه ، وتناقض وظائفه ؛ إلهٌ عجيب شاذ ، لائق حقاً بالمهمة الموكّل بها في هـذه القضية ، ومَن غيرُه إلهٌ له في الروحيـات والماديات ؟ ، له في التجـارة والكسب ، وله في الخداع والدهاء ، له في الجد والعبث ، وله في الشعر والفناء ، يجمع بين النزعات العليـا ، والرغبات السفلى ، يلهم الشعراء ، ويرعى القطعان ؛ ثم هو بعد ذلك وقبله ، لصٌ أو إلهٌ للصوص ؟

من غيرُه إلهُ متناقضاتٍ حقاً ، يحكم بين صاحبـات الفن ورباته ؟ والحياة لا تلذُ لهنَّ إلا بهذا التناقض ، ولا يَرَيْن لها جمالا إلا من خلال أمزجتهن الرقيقة المتقلّبة

لم يكن غير « هرميس » ليحكم بين هذه الأرواح العابثة ، اللاهية ، المرحة الغاوية ، المتألمة المعذبة ، اللطيفة المتكبرة ؛ ولم يكن لهن غير هـذا الاله القوي العجيب ، الخبير بالمرأة حقاً ، الذي يعرف جمالها ودلالها ، ويدرك سرها الذيرآه ووعاه في« أفروديت » ربة العشق وإلهة الصبابة. ولم يكن لهن غير إله مرح ، قادر ، ماكر ، يتعقّب الحوريات ويلعب معهن ، وتتحدى قوته العمالقة ويعبث مكره بالآلهة وما رايك في إلهٍ سرق ليلة مولده خمسين ثوراً من قطيع الأوليمب السماويّ ، وجد بينها في كهف « بيلوس » متلبساً بإثمه ؟ ثم هو بعـد ذلك قاتل العملاق « أرجوس » وقائد « هيراكليس » إلى عالم الظلمات

وهذه « سافو » ربة الشعر الغنائي والأماديح والأناشيد التي يراها « سوينبرن » أعظم شاعرة عرفها التاريخ ، والتي اضطربت حياتهـا في محيط اللذات والآلام ، أحبت الرجـال ثم اجتوتهم ، ووصِمَتْ بهـذا اللون المريض من العشق ، حتى قيل إنهـا كانت تـعَدُ في « لسبوس » كاهنةَ الرذيلة ؛ ثم هي هـذه المحبة الوامقـة التي انتحرت من أجـل معشوقها الملاّح الميتيليني « فاون » الذي كان بعطر « ڤينوس » أجمل الرجـال ! !

هذه المراة الواقعية ، ما سر شذوذها المزعوم ؟ وما سر صاحبتها « بليتيس » الخرافية ؟ السرّ هو ما يعلل به العلماء هذا الانحراف الجنسي ؛ هو الشعور العميق بالازدراء والامتهان من الجنس الآخر ، هو الخيبة الشديدة في الحب ، والاخفاق الأليم فيه ، يصدم العصب الانسانيّ فيهزه هزاً عميقاً عنيفاً يختلُ له نظامه ، وهذا ما يتجلى في حوار الشاعرتين ، وما يعبران عنه بالذات في مقطع « دنيا النساء »

أما « تاييس » تلك الراقصة الفاتنة اللعوب ، التي لا تستقيم حياتها الخاصة بغير الرجال وغير مودّاتهم ، والتي لا ينمو فنها ولا يتفتح ولا يزدهر ، إلا في اجواء محبتهم وإعجابهم وتحت اشعات ابصارهم وبين رفيف شفاههم وقلوبهم ، هذه المراة الذكية القلب لم يكن لها غير أن تدافع عن الرجال لأن الحياة كما تعرفها وكما خبرتها لا معنى لها بدونهم ، ولا بهجة فيها إلا بهم ؛ وإن عطفت على بنات جنسها في بعض اقوالها فذلك من البديهيات التي لا خلاف عليها

فان كان ثمئت فرق محسوس بين نزوع هذه الأرواح في السماء ، وبين صنيع اصحابها في الأرض ، فهو الذي تقضي به طبائع الأشياء ، ويستقيم به المنطق ؛ فكل روح قد سمعت بحديث الخير والشر ، وتأثرت به ، وطبعت على ما هيئت له وهي في صحبة الآلهة قبل حلولها في اطيافها الأرضية ، وهيهات ان ندرك في أقوالها مدى عنفها ولينها ، وحبها وبغضها ، وسخطها ورضاها ، وسلامها وخصامها ، وهي روح مجرد في العالم المعقول ؛ كما نرى ذلك ونلمسه في افعالها ، وهي مزاج من روح وجسد في العالم المنظور ، وهذه الأطياف الأرضية ، سجون أرواحنا ، مثار الأهواء الآثمة ، ومستقر الغرائز الدنيا

هرميس ـ ابن الاله جوبيتر ، وزوج افروديت إلهة الصبابة ، ووالد هرما افرودت الفتاة العجيبة الشاذة المعروض تمثالها في متحف اللوفر بباريس ، وهو رسول آلهة الأغريق ، إله اللصوص والمنافسات ، والقطعان ، والبلاغة ، والموسيقى ، والوحي ، ومبتكر جميع الفنون ، ومخترع القيثارة في طفولته ، وتروي الأساطير حوادث كثيرة عن رجولته ومغامراته الغرامية ، وقد أقام له الأغريق شتى المعابد في كثير من أنحاء اليونان وجزائرها كما نصب له الرومان اجمل التماثيل وقيل إنه المكلف قيادة الأرواح الآثمة إلى الجحيم

تاييس ــ راقصة اثينية ، غير القديسة التي وضع فيها أناتول فرانس قصته المشهورة ، ولدت قبل الميلاد بأربعة قرون وكانت فاتنة مرحة أكثر ما تكون المـراة فتنة ومرحاً ، حتى اسكرت بأنوثتها شبان أثينا ، وكانت صاحبة فنٍ في حياتهـا ، وغواية لكثير من أرباب الخيال وأفذاذ الرجـال ، ومن عشاقها الشاعر الأثيني « منـاندر » وقد تسلطت على الأسـكندر الأكبر وصحبته في فتوحـاته الأسيوية ، وقيل إنهـا التي قدمت المشعل الذي احرق مدينة « برسبوليس » وفي رواية أنها هبطت مصر واغوت بطليموس بجمالها حتى تزوج منها

سافو ــ شاعرة إغريقية ، ولدت في القـرن السادس قبل الميـلاد وانشأت مدرسـة لهـا في جزيرة « لسبوس » لتعليم الفتيـات الشعر والموسيقى وكانت لسبوس في ذلك العهد أشد جاذبية من أثينا لرجـال الأدب والفن وأحفل منها بمباهج الحياة ، ومرداً فاتناً للهو والقصف ؛ وقد تفنـّت سافو في شعرها بالحب والجمال والأهواء العنيفة المضطربة بين الفتون والمرح واشتهرت بين بنات جنسها بالمذهب السافي في ملذات العشق

بليتيس ــ هي الشاعرة الخرافية التي خلقها إبداع الشاعر الفرنسي « بيير لويس » وأفرد كتاباً لأشعارها المزعومة باسم « أغاني بليتيس » وهي مجموعة من الشعر الفنائي الذي يتحدث بالغزل المكشوف ، والحب الملتهب ، ويرمز إلى رغبات الجنس المكبوتة ؛ وهي صورة محـرفة من الشاعرة سافو ؛ وقد ولدت في القرن السادس قبل الميلاد على شاطيء « الملاس » بالقرب من « بانفلي » ثم انتقلت في صباها إلى « لسبوس » حيث قضت حياتها في الحب والبؤس ، والتهتك ، وكانت معاصرة لسافو ومن صواحباتها الحبيبات

الأرفيّ ــ نسبة إلى شاعر إغريقي كان يحرك الجماد والنبـات بقوة شعره وسحر غنـائه ، ويُروَى أنه أبرع من عزف على القيثار وكانت لألحانه خوارق المعجزات حتى قيل إن مدينة « سيبا » بُنِيَتْ بسحر إيقاعه وقيـل إنه أخضع الوحوش الضـارية لنغماته ، فكانت تقبل من كهوفها على أصدائها وترقد تحت قدميه مصغية إليه ؛ وفي الأساطير أنه أحب « يوريدس » وكانت فتاة بارعة الجمال فتزوجها ، وفي ليلة العرس لدغتها أفعىأثناء رقصها فماتتلساعتها ، وجن « أرفيوس » حزناً عليها ،

فاقتحم أرض الفناء ، وأخذ يوقع على قيثاره أمام « بلوتو » ، ملك الموت ، اشجى انغامه المتفجرة لوعة وحزناً ، فتأثرت زوجته « برسيفون » من انغامه وعطفت زوجها عليه ، فوعدها بإعادة « يوريدس » إليه ، على ان يخرج من ارض الموت دون ان يلتفت وراءه ، وخرج « ارفيوس » وقلبه يتنصت بين جنبيه لوقع أقدام حبيبته فلما لم يسمعها نظر خلفه فرآها ، ولكنها لم تلبث أن تلاشت من عينيه وتبددت بين ذراعيه الممتدتين للقائها !

الأولمب ــ مقر آلهة الأغريق وسماءُ وحي شعرائهم

السامري ــ بعد خروج موسى ببني إسرائيل من مصر ، واجتيازهم البحر في طريق الأرض المقدسة ، واعد موسى ربَّه في طور سيناء ، فذهب إلى مواعدته وسبق قومه الذين تخلفوا عنه في البرية زهاء ثلاثين يوما ، ولما طالت غيبته دَبَّت الحيرة فيهم وتولاهم القلق ، فانبرى منهم السامريُّ فصنع لهم عجلاً من الذهب يسمع له خوار عجب ؛ وقد فتن بنو إسرائيل بهذا المعبود الجديد ، فباتوا يغنون ويطربون ، وقامت أجمل فتياتهم ترقص حوله على ضوء النيران ؛ ونسي القوم مقالة موسى لهم عند وداعه

مانا ــ أعظم آلهة الطابو وأشدهم انتقاما ، والطابو معناها المقدس ، وهي عقيدة بعض قبائل السود المنتشرين في شاطيء العاج الأفريقي وبعض جزر الشرق النائية ، ومن الايمان بها حلول روح القدس في جسد فتاة بارعة الجمال ، يسمونها « عذراء الطابو » إذا مسها احد بشرٍ غضبت ارواح آلهتهم فثارت البراكين وطغت البحار وعصفت الرياح ولعلعت البروق انتقاماً لهذه العذراء المقدسة

هاواي ــ من جزائر المحيط الهادي ، اشتهرت بجوها الشرقي الساحر وطبيعتها البدائية الفاتنة وموسيقاها الفطرية المترجمة عن ارق العواطف والذّ خلجات الحياة

موسوي ــ إشارة إلى قصة النبي موسى في ارض مدين ، وقد مر بمورد للماء مغطى بحجر ثقيل ، تقف دونه فتاتان بأغنامهما على استحياء دون ان تستطيعا الورود من زحام الرجال ، فخفّ موسى لنجدتهما وتقدم فرفع غطاء البئر بيديه وقرّب الماء لهما وسقى الغنم ، واعجبت به إحدى الفتاتين واسمها صفّورة ، فدعته لمرافقتها إلى والدها الشيخ ، وكان ذلك وتزوج موسى منها

إلى قِمَّةِ الزَّمَنِ الغابرِ
سَمَتْ رَبَّةُ الشِّعرِ بالشاعرِ

يَشُقُّ الأثيرَ صدىً عابراً
وروحاً مُجَنَّحَةَ الخاطرِ

مَضَتْ حُرَّةً من وِثَاقِ الزَّمانِ
ومن قَبْضَةِ الجَسَدِ الآسرِ

وأوفتْ عَلَى عالَمٍ لم يَكُنْ
غريباً على أمسِها الدَّابرِ

نَمَتْ فيه بينَ بناتِ السَّديم
وَشَبَّتْ مع الفَلَكِ الدائرِ

تُلَقَّنُ سِيرتَها في الحياةِ
وتنطقُ بالمثلِ السائرِ

وتَرْسُمُ أسماءَ ما عُلِّمَتْ
من القَلَمِ المُبْدعِ القادرِ

مشاهدُ شتَّى وَعَتْها العقولُ
وغابتْ صُوَاها عن الناظرِ

وجودٌ حَوَى الرُّوحَ قبلَ الوجودِ
وماضٍ تَمَثَّلَ في حاضرِ

تبـدّى لهـا ، فانجلى شكـُّها
وثابت إلى وَعْيِهـا الذّاكـرِ

وأضغَت ، فمرّتْ على سمعِها
روايـةُ ميـلادِهـا الغـابرِ

هـو البعثُ ، فاستمعوا واقرأوا
حـديثَ السّماءِ عن الشـاعرِ !

في السمـاء

يمر روح جميل ، هو فنان آذنته الكلمة بالبعث في عالم الأرض ، وقد صحبه هرميس اله الوحي ، حتى يجوز به انطار السماء ، فيمـران في طريقهما بحوريات انطلقن في سمرهن ، في انتظار بعثهن ، فيدور حديثهن الآتي

سـافو عَجبتُ ! مَنِ المَلَكُ العـابرُ !
ومنْ ذلك الشَّبَحُ الطّـائرُ ؟

أهَـلاً علينـا فمـا سلَّمـا
ولا صـافَحَ النـاظرَ النـاظرُ

ولـلـرِّيحِ حوالهمـا زَفَّـةٌ
كما صَـدَحَ المِزْهَرُ الساحرُ

أفي عـالمِ الأرضِ بعثٌ جـديدٌ ؟
أمِ الوهمُ مَثَّلَهُ الخـاطرُ ؟

تاييس نَعَمْ ، هو روحٌ جميلُ الإهابِ
يَنِيلُ الرِّياحَ جَنَـاحَيْ مَلَكْ

وذلك هرميس يسري به
سُرَى النورِ في سُبُحاتِ الفلكْ

عرفناهُ ... لا شكَّ . . هـذا فتىً
سَيَسْلُكُهُ الفنُّ فِيمَنْ سَلَكْ

غـداً تمـلأُ الأرضَ ألحـانُهُ
ويَبْقى صـداها إذا مـا هلَكْ !

بليتيس إلى الأرضِ ؟ فليمضِ هـذا الشقيُّ
ألاَ وَلْتَنْفِضْ كأسَهُ بالشجونْ

جـزاءً لِمَـا غضَّ من أمرِنا
ومـرَّ كأنْ لمْ تَلاقَ العيـونْ

أراهُ ، ولمَّـا يَزَلْ بيننـا ،
أصـابَتْهُ لَوثَةُ أهـلِ الفنـونْ

لئنْ صحَّ مـا كانَ من أمـرِهِ
فيـا شِقوَةَ الأرضِ ممَّا يكونْ !

تاييس حنـانكِ ، يا أُختِ ، لا تَغْضَبي
فمـا اختـالَ زَهواً ولا استكبرا

لقـد كفَّ عينيهِ بَرْقُ الحيـاةِ
فمـرَّ بنـا دونَ أنْ يُبْصرا

لنـا مِثلهُ في غـدٍ غشيةٌ
إذا مـا حللنـا رحـابَ الثَّرَى

إذا كانَ في الأرضِ هـذا الشقاءُ
فلا كانَ بَعْـثٌ ولا قـدّرا

بليتيس أرى في حـديثكِ معنى الرِّضـا
وأسمعُ فيهِ هُتَـافَ الحنـانْ

فهـلاَّ ذكـرتِ لـهُ إخـوَةً
حديثهُمُ مِلءُ سَمعِ الـزمانْ

أصـاروا الفنونَ رُمُوزَ الأثامِ
واستلهموا الشرَّ سِحْرَ البيـانْ

وأغـرَوْا بحـواءَ مـا لقَّنُوا
وما حَذَقُوا من طريدِ الجِنـانْ !

ألـمْ تسمعِي بفتـىً شـاعرٍ
يُحَمِّلُهـا عِبءَ أوزارِهِ ؟

ترَشَّفَهـا خمـرةً فانتشَى
فألقمهـا مُـرَّ أثمـارِهِ ؟

أنالَتـهُ أجمـلَ أزهـارِهَـا
فأهْدَى لهـا شَرَّ أزهـارِهِ ؟

إذا كنتِ ، يا أُختِ ، لم تسمعي
خُذِي فاقرأي بعضَ أشعارِهِ . . !

الحيّة الخالدة

تاييس تفتح كتاباً وتقرأ من قصيدة الحية الخالدة

« وفي قصيدة تدور حوادثها حول الفن بين الرجل والمرأة واثر الغريزة فيه ، يتكلم شاعر فنان اتخذ فتاة حسناء نموذجاً حياً لفنه ، فاغوته بمفاتن

جسدها ، ودفعته بحماسة في غمار ملذات لا يلبث ان يفيق منهـا ، وقد راى مدى انهيار روحه وفنه ، والموقف كله شذوذ واضطراب ، وكله عنف وضعف ، وهو تصوير لهـذه الحية الخـالدة التي يشتهيها الفنـانون والشعراء رغم لدغاتها ... »

ولَفّتْ ذراعـيـنِ كالحيّتـيـنِ
عليَّ ، وبي نَشْوَةٌ لم تَطِرْ

وقد قَرَّبتْ فمهـا من فمي
كشِقَّيْنِ من قَبَسٍ مُسْتَعِرْ

أشـمُّ بأنفَـاسِـهـا رغبـةً
ويهتفُ بي جفنُهــا المنكسِرِ

تبَيَّنتُ في صدرهـا مصرعي
وآخـرةَ العـاشقِ المنتحِرِ ! !

أفي حـلـمٍ أنا ؟ أم يقظـةٍ ؟
ومنْ أنتِ ، أيتهـا الخاطئه ؟

هو الحبُّ ؟ لا . بلْ نداءُ الحياةِ
تُلبِّيـهِ أجسـادُنا الظـامئه

يَخِفُّ دمي لصـداهُ الحبيبِ
وتدفعني القـدرةُ الهـــازئه

كأنّي ببحرٍ بعيـدِ القَـرارِ
طَوَى أُفقَه وزَوَى شـاطئه

أرى . . مـا أرى ؟ جَسَداً عارياً
تضجُّ بـهِ الشهوةُ الجـائعه

أرى •• ما أرى ؟ حَدَقَتيْ ساحرٍ
تؤجّانِ بالنظرةِ الرّائعهْ

أرى • • ما أرى ؟ شَفَتَيْ غادةٍ
تَرِفّانِ بالقُبلَةِ الخادعهْ

تُساقطني ثمراً ! ما أرى ؟
أرى حَيَّةَ الجنَّةِ الضائعهْ !

بعينيكِ أنتِ ، فلا تُنكري
صفاتِ أُنوثتكِ الشّاهدهْ

تَمَثَّلْتِ شَتَّى جسومٍ وكم
تجدَّدْتِ في صُوَرٍ بائدهْ

نعم ، أنتِ هنَّ •• نعم •• ما أرى
أرى الكلَّ في امرأةٍ واحدهْ

لقد فَنيَتْ فيكِ أرواحهنَّ • •
وها أنتِ ، أيتها الخالدهْ !

لقد كنتِ وحْي رَخَامٍ يُصاغُ
فأصبحتِ لحماً يثيرُ الدماءْ

وكنتُ فتىً سَاذَجاً لا أرى
سوى دُمْيَةٍ صُوِّرَتْ من نقاءْ

أَنيلُ الثرى قَدَميْ عابرٍ
يعيش بأحلامهِ في السماءْ

فأصبحتُ شيئاً ككلِّ الرجالِ
وأصبحتِ شيئاً ككلِّ النساءْ !

وكنتِ أميرةَ هــذي الدُّمَى
وصــورةَ حُسنٍ عزيزِ المنــالْ

وكنتِ نموذجَ فنٍّ الجمــالِ
أُحبُّــكِ للفنِّ لا للجمــالْ

أرى فيــكِ مــا لا تَحدُّ النُّهــى
كأنَّكِ معنىً وراءَ الخيــالْ

فجــرَّدْتِني رجــلاً أشتهــي
وجرَّدْتُ أُنثى تَشهَّى الرجــالْ

دعيني حــواءُ أو فابنعــدِي
دعينــي إلى غــايتي أنطلِقْ

أخمــر" ونار ؟ لقــد ضــاقَ بي
كِياني ، وأُوشِكُ أن أختنِقْ

أرى •• ما أرى ؟ لَهَباً ؟ بل أشمُّ
رائحــةَ الجَسَدِ المحترِقْ !

فيــالكِ أفعــى تشهَّيتُهــا
ويا لِيَ من أُفعُوانٍ نَزِقْ •

المــرأة والفن

بليتيس تضع يدها على صفحة الكتاب في غضب وتمنع تايبس من القراءة

بليتيس كفانا ، فقــد جُنَّ هــذا الفتى
وجــاوَزَ حــدَّ الكلامِ المبــاحْ

نكاد نُحِسُّ اختلاجَ النجومِ
ونسمعُ مُضطَرِباً في الرياحْ

مريضُ الغريزةِ ، فتّاكُها ،
حَبَتْهُ الطبيعةُ أمضَى سلاحْ

سَقَتْهُ الشياطينُ يَحمومَها
فمجَّ الرحيقَ وذمَّ الصباحْ

تأثّم بالفنِّ حتى غوَى
وما الفنُّ بالمرأةِ الخاطئهْ

هو الدمُ واللحمُ ما يشتهي
هو الخمرُ والمتعةُ الطارئهْ

وكم في الرجالِ سُعارُ الوحوشِ
إذا لمسوا الجثّةَ الدافئهْ

فلا تذكري فَنَّ هذا الفتى
بل الحيوانيةَ الخاسئهْ

رأى جسمَ حواءَ فاشتاقَه
فهاجتْ به النزوةُ المُسْكِرَهْ

سَبَى روحَها ، فاشتهى جسمَها ،
فثارتْ بعزّةِ مُستكبرهْ

سَمَا جسمُها وتأبّى عليهِ
فجرّدَ في وَجْهِهَا خنجرهْ

وهمَّ بها ، فالتوى قصدُهُ ،
فأرسلَ صيحَتَهُ المُنكَرهْ

ألمْ يَتنسمِ الخُلدَ من عطرها ؟
ألمْ يَعْبدِ الحسنَ في زهرهـا ؟

ألم يَقبسِ النـورَ من فجرهـا ؟
ألم يسـرقِ الفنُّ من سحرهـا ؟

شَفَتْ غُلّةَ الفنِّ حتى ارتَوَى
وإنْ دنّسَ الفنُّ من طهرها !

وهامتْ على ظمـأٍ روحُهـا
وكم ملأوا الكأسَ من خمرهـا !

على مَـذْبَحِ الحبِّ من قلبهـا
سِراجٌ يُسبِّحُ مَنْ لألأَهْ

منـارٌ يجوبُ الـدُّجى لَمْحُهُ
فَتلقى السفينُ بـه مـرفأَهْ

يبثُّ الحـرارةَ بَرْدَ الشتـاءِ
ويُلْهِبُ شُعلتَهُ المطفأَهْ

وتَمشي الحيـاةُ على نورهِ
ومـا نورُهُ غـيرُ عينِ امـرأهْ !

خطيئتُهـا قِصَّـةُ الملهمينَ
وإغراؤهـا الفَرَحُ المُفتَقَدْ

بأرواحهمْ يَرْتقونَ الخـلودَ
على سُلّمٍ من مَتَـاعِ الجَسَدْ

ولو لم تكنْ لَهوَى فَنّهـم
صريعَ الظلامِ قتيلَ الجَمَدْ

وما الفنُّ إلاّ سعيرُ الحياةِ
وثورتُها في مُحيطِ الأبَدْ !

لهيبٌ إذا الرُّوحُ مَرَّتْ بهِ
تضاعفتِ الرُّوحُ في نارهِ

يُطيقُ القويُّ لظى جَمْرهِ
ويعشُو الضعيفُ بأنوارهِ

رَمَتْ فيهِ حواءُ آثامَها
فذابتْ على صُم أحجارهِ

لقد قرَّبَتْ جَسداً عارياً
وقلباً يَضِنُّ بأسرارهِ

الأصل والمثال

أمن صَنْعَةِ الله هذا الجمالْ ؟
نعم ، ومن الفنِّ هذا المثالْ !

على مَعْرِضٍ مرمريٍّ الدُّمَى
تَرامَى أشعتُه والظلالْ

تماثيلُ من جَسَدٍ فاتنٍ
تأبَّى على شَهَواتِ الرجالْ

حَبَتْهُ الطبيعةُ أسرارَها
ولاقَى الحقيقةَ فيهِ الخيالْ

لقـد أخـذَتنا شجونُ الحديثِ
وكم في حديثِ الفَتى منْ شجونْ

سَمَرْنا بهِ وجهلنَـا اسمَهُ
ومـا حظُّهُ من رفيعِ الفنونْ ؟

أمِنْ ربَّةِ الشِّعرِ إلهـامُه ؟
أم الوترِ « الأُرفُسيِّ » الحنونْ ؟

أمِ المـرمرِ الغضِّ يجلو بهِ
رفيفَ الشفاهِ ولَمْحَ العيونْ ؟

بليتيس هبي وحيَهُ من سمـاءِ الأُولِمبِ
وآلهـةِ الحكمةِ الغـابرينْ

فمـا هـو بالمَلَكِ المستعزِّ
ولَكنَّهُ الآدمـيُّ المَهـينْ

ومـا الآدميةُ بنتُ السَّمـاءِ
ولكنَّهـا بنتُ مـاءٍ وطـينْ

يريدُ لهـا الفنُّ أُفقَ النُّجومِ
فيُقعِدُها جسمُ عَبْدٍ سجينْ !

سـافو ومـا فنُّهُ ! مـا أراهُ سـوى
أداةِ مطـامعـهِ الواسعـهْ

غَداً يَستَغلُّ غَرامَ الحسـانِ
سبيلاً إلى الشُّهرةِ الـذائعهْ

يصيبُ بهنَّ خلودَ اسمِهِ
وهنَّ قرابينُهُ الضائعهْ

تمنَّيْتُ لو أطلقتْنا السماءُ
ويا حبَّذا لو بعثْتَنا معَهْ

انتقام

بليتيس ألا حبذا الأرضُ مغدىً لنا
وإن بشَّرتْها المنايا بنا

وما الأرضُ بالمنزلِ المستطابِ
ولكنَّهُ ثأرُ أترابنا

لنشربَ منْ دَمِ هذا الفتى
مُصَفّى الرحيقِ بأكوابنا

ونجعلَ من حشرجاتِ الرجالِ
تحيَّةَ شادٍ لأنخابنا

سافو ونسلُبُ ما رُزِقوا مِنْ حِجىً
ونهدمُ ما رفعوا من قِبابْ

ونبني لهُمْ نُصُباً خالداً
يكونُ على الدَّهرِ رمْزَ العقابْ

تطوفُ بهِ لعناتُ السَّماءِ
وترصدُهُ مُثْلاتُ العذابْ

تاييس ولكنْ أرى غيرَ ما قلتُما
وما الغدرُ في الرأي كلُّ الصوابْ !

إذا خَلَتِ الأرضُ منْ طيرِهمْ
فمن ذا يُحَيِّ الجمالَ القسيمْ ؟

ومن يُطلِقُ الحبَّ من وَكرِهِ
على خَطَراتِ الغناءِ الرَّخيمْ ؟

وفيمَ نُرَقِّشُ هذا الجناحَ
ونصقلُهُ ببنانِ النعيمْ ؟

طيورَ السماءِ ! حَذَارِ الوقوعَ
على حَطَبٍ في الثَّرى أو هشيمْ ؟

دنيا النساء

بليتيس تخاطب تايس في الم وغضب

أيُغريكِ بالحبِّ سُودُ اللِّحَى
غِلاظُ الشِّفاهِ ، العراضُ الطِّوالْ ؟

كأنَّ الهوى صُنْعُ أيديهِمُ
فَمِنْ غيرهِمْ كلُّ عيشٍ مُحَالْ ؟

إذا شئتِ كانَ لنا عالَمٌ
يَحوطُ الأُنوثةَ فيهِ الجلالْ

حَمَتْ رِقَّةَ الجنسِ رَبَّاتُهُ
فليسَ بها حاجةٌ للرجالْ !

لكلِّ اثنتينِ هَوىً واحدٌ
تَلاقَى على سِرِّهِ مهجتانْ

وَعُشٌّ يَضُمُّهما في المساءِ
وروضٌ به في الضُّحَى يعبثانْ

وفي رُكْنِ خِدْرِهما مِغْزَلٌ
وفوقَ الأريكةِ قيثارتانْ

وتحتَ الوسادةِ أُقصوصةٌ
لقلبينِ لم يَرْوِها عاشقانْ

تاييس
وماذا ترى صَنَعَ العاشقانْ ؟
وما ذكرياتُ الليالي الحسانْ ؟

حديثُكِ ، إنْ لم يكنْ بِدْعةً ،
فَحُلْمٌ جرَى في قديمِ الزمانْ

وصيحةُ مُخفقةٍ في الهَوَى ،
مُعَربدةِ الرُّوحِ ، سَكْرى اللسانْ

أُعيذُ الأُنوثةَ هذا الهوانْ
وفيها الدهاءُ القويُّ الجَنانْ !

الكيد العظيم

تاييس مسترسلة في كلامها

لنا الكيدُ إنْ خَذَلَتنا القُوَى
أحابيلُ شتّى وفنٌّ عجابْ

تَلَقَّاهُ عن مَلَكات الزّمانِ
أقاصيصَ لم يَرْوِ عنها كتابْ

وقد نستعيرُ صفاءَ النميرِ
وقد نستمدُّ صراعَ العبابْ

وقد نسحبُ الليلَ فوقَ القلوبِ
وَنُغري العيونَ بقوسِ السَّحابْ

نساقِطهُم من غِواياتنا
أزاهرَ تَنْدَى بماء الشبابْ

إذا لألأتْ فوقَ مَوْجِ الشُعورِ
أثارتْ بهمْ ظمأً للسَّرابْ

بألوانِها الحُمْرِ جَمْرُ الغَضَا
وفي نفحِها لفَحَاتُ العذابْ

هو الفنُّ لا ترتوِي روحهُ
بأشهَىْ من الأُرجوانِ المُذَابْ

هو الحسنُ فَنَّانُنَا العَبقَريُّ
هو الحبُّ سلطانُنا القَاهِرِ

ممثِّلهمْ ... لُعْبَةٌ في يَدَيْهِ
وَمثَّالهُم إِصْبَعٌ فاجِر

وألحانُهم .. من فحيحِ العروقِ
يُصَعِّدُها الوَتَرُ السَّاخِرِ

ورسَّامُهم .. صَنَمٌ مُبْصِر
فَإنْ جُمِعُوا فَهُمُ الشَّاعِرُ !

قُلُوبٌ مُدَلَّهَةٌ بالجَمالِ
تَرَى فيهِ معبودَها المُلْهَمَا

هو الرجلُ القلبُ ، لا غيرُهُ
فأودِعنهُ القَبَسَ المُضرَما

أنِمنَ بهِ الشَرسَ المُستَخفَّ
وأيقِظنَ فيهِ الفَتَى المُغرَما

إذا ما اقتحمتنَّ هذا السياجَ
فقد خَضَعَ الكونُ واستسلما !

سافو ولكنْ حَذارِ ! ففي طبعنا
لِيَانٌ يسمُّونَهُ بالوداعهْ

وَفيهِمْ جَراءَةُ مستأسدٍ
تَحَدَّى المَنيَّةَ باسمِ الشَّجاعهْ

تاييس وَهِمتِ ، فذلك هَزْلُ الرِّجال
وفنٌّ أجزْنا عَلَيهِمْ خداعهْ

نُذيبُ بِهِ صُلبَ أعصَابهمْ
وفي رِقَّةِ العودِ سِرُّ المَناعهْ

شيطان الشاعر

سافو أطَلنَا الأحادِيثَ عَنْ عَالَمٍ
مُلَثَّمَةٍ أرضُهُ بالخَفَاء

جَعَلنَاهُ مَطمَحَ أحلامنا
كأنَّا شَقينا بِسُكنَى السَّماءْ

طَوَانا عَلَى حُبِّهِ شَاعِرٌ
كَثيرُ المجانةِ نَزْرُ الحياءْ

أثارَ المَلائكَ في قُدْسِهَـا
وَأوْقَعَ في سِحْرِهِ الأبرِياءْ

بليتيس عَجِبْتُ لَهُ كَيفَ جازَ السماءَ
وَغَرَّرَ بِالمَلإِ الطّـاهِـرِ !

آيَمْرَحُ في الكَوْنِ شَيطانُهُ
بِلا وَازِعٍ وَبلا زَاجِـرِ ؟

دَعي الوهْمَ «سافو» ولا تَحتقِري
« بليتيسُ » معجزةَ الشّـاعرِ

فَمَـا نَتّقِيهِ بِحَيَّـاتِنَـا
إذَا هُوَ ألقَى عَصَـا الساحرِ

وكانت تسمع ضجة كلما ارتفعت روح الشاعر في معارج السماء

تاييس « بليتيسُ » هلْ هوَ ذاكَ الخيالُ
المُجَنّحُ بينَ حَوَاشي الغيوم ؟

عَشِيّةَ صَـاحَ بِأترَابِنَا
وَقَدْ أخطأتهُ قِسِيُّ الرُّجومْ ؟

وَقِيلَ لَنَـا مَلَكٌ عاشِقٌ
يُسَرّي الهمومَ ببنتِ الكرومْ ،

يَجوبُ السّمَاءَ إذا مـا انتَشَى
يُعَرْبِدُ بَينَ خُدورِ النجومْ ؟

بليتيس أعاجِيبُ شَتّى لِهذا الفَتَى
وأعجبُ منهـا الذي تَذْكُرينْ

كأنَّ أحَـادِيثَهُ بَيْنَنَـا
أسَـاطيرُ آلِهَـةٍ غـابرينْ

إذا كانَ للفَنِّ هـذا الصِّيَـالُ
فَوارَحْمَتَـا للجَمَالِ الغَبينْ

وددْتُ لَوْ انّيَ في إثْرِهِ
دَرَجتُ على الأرضِ في الدارجينْ

تاييس أتَغْنِينَ بالشعرِ شَيْطَانَهُ ؟
خَيَالية" أنتِ ، أمْ شـاعرهْ ؟

بليتيس بَلِ الشعر آسرُهُ المستَبِدُّ
فَيَالَيْتَ لي روحَـهُ الآسرهْ

وَيَاليتَ لي وَثَبـاتِ الخَيَـالِ
وَقوةَ أرْبَابِهِ القَـاهِرهْ

لصيَّرتُهُ مُثْلَةً في الحَيَـاةْ
وَسُخْرِيَةَ البَعْثِ في الآخرهْ !

الفن الشهيد

تاييس صفي لي « بِليتيسُ » هذا الأملْ
وَماذا ابتدَعْتِ له مِنْ حِيَلْ !

بليتيس أُدَلِّهُ هـذا الفَتَى بالجمـالِ
وَأُسْمِعُهُ مِنْ رَقيقِ الغزَلْ

وَأُورِثُهُ جَنَّةً بالرحيـقِ
وَأحرِمُهُ رَشَفَاتِ القُبَلْ

إلى أنْ تحَــرّقَ أعصــابُهُ
وَيَصْرعهُ طائفٌ مِنْ خَبَلْ

وَأحفرُ بَعْــدَ الردى قَبْرَهُ
هنــاكَ عَلَى قِمّةِ الهَــاوِيَهْ

وَأغرِسُ في قَلْبِهِ زَهْرَةً
مِنَ الشّــرِّ رَاوِيَةً نامِيَهْ

سَقَتْهَــا سمومُ شَرَايينِهِ
وَرَفّتْ بِهــا روحهُ العَــاتِيَهْ

تخفُ إليْهــا قلوبُ الرجــالِ
وَتَرْجِعُ بالشوكَةِ الــداميَهْ

إذا جَنّهــا الليــلُ لاحَتْ بِهِ
كَعَيْنٍ من اللّهَبِ المضطرِمْ

تَثورُ الشياطينُ مِنْ عطرِهَا
كَمِجْمَرَةِ السّاحِرِ المُلتثِمْ

إذا استافَهَا الرّجُلُ العبقريُّ
تَحَوّلَ كالحَيَوَانِ الوَخِمْ

تَضجُّ البَــلاهَةُ مِنْ حَوْلِهِ
وَيَنْظُرُ كالصّنَمِ المُبْتَسِمِ !

تاييس هَبِي الشعرَ أولاكِ مِنْ مُلكِهِ
سَمَاءَ الألُوهةِ ذاتَ البُرُوجْ

وَنصّ المعــانيَ عَنْ جَانِبَيْكِ
فَمنها الثّرَى ، وإليكِ العُروجْ

فَمَا تَصنعينَ إذا مـا بُعِثْتِ
وَاحِدَةً مِنْ بَنَـاتِ الزُّنوجْ

ألَمْ تقرَئي قِصَّةَ « السامريِّ »
وما صَنَعَ القومُ بعدَ الخروجْ ؟

جنون الحيـاة !

نَبَـا مَنْطقُ الوَحيِ في سمعهمْ
وَخَفَّ عَلَيْـهِ رَنينُ الطرَبْ

وَمَدُّوا العيـونَ إلى فِتْنَةٍ
تَجَسَّدُ في حَيَوَانٍ عَجَبْ

تَرَامَى بأحْضَـانِهِ غَادَةٌ
أفادَ صِباها شبوبَ اللَّهَبْ

جنونُ الحَيَـاةِ وَأهْوَاؤهَا
أُنُوثَتُها وَبريقُ الذَّهَبْ !

فأينَ من القَوْمِ سِحرُ البيـانِ
وصيحَةُ «موسى» قُبَيل الوداعْ ؟

هُمُ الناسُ لا يعشَقونَ الخيالَ
إذا لَمْ يَكُنْ حافزاً للطّماعْ

هُمُ الناسُ لا يعبدونَ الجَمَالَ
إذا لَمْ يَكُنْ نُهزةً للمَتَـاعْ

هُمُ الناسُ لا يألفونَ الحَيَـاةَ
إذا لَمْ تكنْ مَعْرِضاً للخِـدَاعْ ،

معرض الحيــاة !

تَمَاثيلُهُ بَعْضُ أجْسَامِنـا
وَقَدْ صاغَهَا العبقريُّ الصَّنَاعْ

وَلَوْحَاتُهُ صُوَرُ العـارِياتِ
إذا مَزَّقَ الفَنُّ عَنْها القِنَاعْ

أبِالشِّعرِ تُغْوينَ هـذا الفتى ؟
وهِمْتِ إذنْ وَجَهِلْتِ الطِّباعْ !

ألَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةُ الآدميِّ
وشهوةُ تلكَ الذئابِ الجِيـاعْ ؟

فزع وعتــاب

بليتيس

في فـزع من حديث صاحبتيها عن بعثها زنجية

رَجَعْتُ لِنَفْسي فَلا تَغْضَبَا
وَكُفَّا العتـابَ وَلا تُنْهِبا

لَقَدْ رُعْتُمانِي بهـذا المـزاحِ
وَأبْدَعْتُما نَبَأً مُغْـرِبا

سَرَتْ بيَ مِنْ ذكـرِهِ رِعدةٌ
كَأنِّي لَبِسْتُ بِهِ الغَيْهبا

« أتاييسُ » لا كنتُ بنتَ الزنوجِ
وَلا شِمْتُ أُمّاً بِهِـمْ أوْ أبا !

السحر الاسود

تابيس

ضاحكة من فزع بليتيس قائلة لها في معابثة

وَصَمْتِ الخليقةَ في بَعْثِهمْ
كأنَّهمُ الحَدَثُ المنكَرُ
وَما أخطأ الطيفُ ألوانَهُ
وَلكنَّهُ اللَّهَبُ الأحمَر

أبوهمْ ، كَمَا زَعَموا ، آدَمٌ
وَحَواءُ أمُّهمُ المُعنصِر

لَهُم أعينٌ تَتَمَلَّى الجَمالَ
وَأفئدةٌ بالهَوَى تَشْعرُ

لَهُمْ نارُهمْ في أقاصِي الدُّجَى
وَأبياتُهم في أعالِي الكهوف

وَسِحرُ الطبيعةِ في عُرْيها
إذا هَتَكَ الفجرُ عنها الشُّفُوف

وَنايٌ يُقَسِّمُ فيهِ الربيعُ
ويسكبُ شَجْوَ المساءِ الهَتُوف

ورقصٌ يُمَثِّلُ قلبَ الحياةِ
إذا ما استُخِفَّ بِنَقْرِ الدفوف

تَفَرَّدَ فنُّهمُ بالخَفَاءِ
وَصِيغَ بِفِطْرَتِهمْ واتَّسَمْ

يَعيشُ جَديداً بأرْواحهِمْ
وَإنْ عاشَ فيهمْ بروحِ القِدَمْ

له بأسُ « مــانا » وإيحاؤه
إذا اضطربتْ رُوحُــه بالألمْ

وَرِقّةُ « هاوايَ » في شَدْوها
إذا جاشَ خــاطرُها بالنّغَمْ

رُقْيَــة

سانو وتابيس تشيران الى بليتيس اشارات السحرة وتنطقان بصوت واحد

ألا فَلْيَكُنْ لكِ من فنهمْ
سموُّ اللظى وعتــوُّ الجبــالْ

ألا فَلْيَكُنْ لكِ من سحرهمْ
فنــونٌ تُعَطِّلُ سحرَ الخبــالْ

ألا فَلْيَكُنْ لكِ من نارهمْ
وشــاحُ مؤلهَّــةٍ بالجَمَــالْ

إلى الأرضِ فانتقمي للنســاءِ
وكوني بهــا مِحنةً للرجــالْ • !

عــودة

هرميس وقد عاد في طريقه الى حيث الحوريات بعد أن ودع الفنان على أفق الأرض

هرميس ســلامٌ لَكُنَّ عذارى السمــاءْ
الحوريات ســلامٌ لهرميسَ روحِ الإلهْ
هرميس أرى وَمْضَةَ الشــرِّ في جوِّكُنَّ
وأسمــعُ صــوتاً كأنّي أراهْ

يلاحقني في رحـاب السمـاء
ويرتـجُ في مسمعي صـداه

« لقد فارقَ البشرُ غُرّ الوجوه
وشاعَ الذبولُ بوردِ الشفاه ! »

الحوريات أجلْ ، أيهـا الملَكُ المجتَبى
صدقناكَ فاغفر عذابَ الضمير

لَقَدْ مَرَّ كالطيرِ من قرْبنـا
فتىً في رعـايةِ ربٍّ خطـيرْ

رآنا فأعرَضَ عنـّا ، ولـَمْ
يُحَيِّي السمـاءَ بروحٍ قريرْ

تَخـايلَ عُجباً بأوْهَـامهِ
وأمعنَ في شَـرّهِ المستطـيرْ

هرميس ظلمتنَّ هـذا الغلامَ البريءَ
وقد غَضّ من ناظـريهِ الحـذَرْ

أهَـلَّ بقلبٍ كَفَرْخِ القَطـا
يرفرفُ تحتَ جَنـاحِ القَـدَرْ

رَآكنَّ فيـهِ وَحَيَّـا بـهِ
فَلَمْ أدْرِ حَـاجَتَهُ للنظـر !

الحوريات وَكَيْفَ تكلّمَ قَلْبُ الفتَى
وَمـا هُوَ إلاّ سَليلُ البَشَرْ ؟

هرميس هُوَ ابنُ السمــاءِ وَلكِنــَّهُ
من النقصِ تَركيبُه والتمــامْ

صَنــاعُ الطبيعةِ ، بَلْ صُنْعُها
فَمِنْهـــا دَمامتُهُ وَالوســـامْ

يَسِفُّ إلى حيثُ لا يَنْتَهي
وَيَسْمو إلى قمـــةٍ لا تُرَامْ

وَيُسْقَى بكأسٍ إلهيـــةٍ
مُــرَنَّقَةٍ بالهَــوَى وَالأثامْ

نَقيضانِ شَتَّى فَمــا يَسْتَقِرُّ
عَلَى غَضَبٍ مِنْهُما أوْ رِضاءْ

تَحَدَّى الحَيَــاةَ وَآلامَهَــا
ببــأسِ الجَبابرةِ الأعليــاءْ

يَزيدُ عُتُوًّا عَلَى نارِهــا
وَيَلْمعُ جَوهرهُ مِنْ صَفاء

وَيَنْشَقُّ عَنْ نَضْرَةٍ قَلْبُهُ
وَإنْ طَمَرَتْهُ ثُلوجُ الشتــاءْ

هُوَ المَرِحُ الشــارِدُ المستهامُ
شُرودَ الفراشةِ عِنْــدَ المَسَاءْ

حَبَتْهُ الألُوهَةُ رَوْحاً يَرَى
وَيَنْطِقُ عنهــا بوحيِ السمــاءْ

يَحُسُّ الخَيَالَ إذا ما سَرَى
وَيلمسُ ما في ضميرِ الخفاءْ

وَيَبْتَدِرُ النجمَ في أُفْقِهِ
فَيرشُفُهُ قَطْرَةً مِنْ ضِيَاءْ

أرَتْهُ السماءُ أعاجيبَها
وَرَوَّتْهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بَدِيعْ

فَضَنَّ بلألاءِ هذا الجَمَالِ
وَخافَ عَلَى كنزهِ أنْ يَضيعْ

أبى أنْ يُبَدِّدَهُ ناظِراهُ
فَأطْبَقَ جفنَيْهِ ما يَسْتَطيعْ

فَإنْ شارفَ الأرضَ نادَتْ بِهِ
فَفَتَّحَ عَيْناً كَعَيْنِ الرَّبيعْ

الفنان الاول

هنالكَ حَيْثُ تَشِبُّ الحَيَاةُ
وَحَيْثُ الوجودُ جنينُ العَدَمْ

وَحَيْثُ الطبيعةُ جَبَّارَةٌ
تَشقُّ الوهادَ وَتَبْني القِمَمْ

وَحَيْثُ السعادةُ بنتُ الخيالِ
وَلَذَّتُها مِنْ مَعَاني الألَمْ

وحيثُ الطريدانِ شجَّا الكؤوسَ
وَمَجَّا صُبَابَتَها مِنْ قِدَمْ

رَنَا ، وَالطبيعةُ في حَلْيِها
وَحَوّاءُ عارِيَةٌ كالصَّنَمْ

فَمِنْ أينَ سارَ وأنّى سَرَى
تَصَدَّتْهُ مُقْبِلَةً مِنْ أمَمْ

هنالكَ أوَّلُ قلبٍ هَفَا
وَأوَّلُ صَوْتٍ شَدَا بالنَّغَمْ

وَأوَّلُ أنمُلَةٍ صَوَّرَتْ
وخَطَّتْ عَلَى اللوحِ قبلَ القَلَمْ

فَمَالَكِ حَوّاءُ أغْوَيْتِهِ
وَأعْقَبْتِهِ حَسَراتِ النَّدَمْ ؟

لَقَدْ كانَ راعيَكِ المجتَبى
فَأصبَحَ راميَكِ المتَّهَم ؟

وَلَوْلاكِ ما ذَرَفَتْ عينُهُ
وَلا شامَ بارِقَةً فابْتَسَمْ

وَعاشَ كَمَا كانَ آباؤهُ
يُغَنّي النجومَ ويَرْعَى الغَنَمْ !

الفنان الأعمى

لأجلكِ يَشْقَى بلمحِ العيونِ
وَيُصْرَعُ بالنظرةِ العابِرَهْ

لَوَدَّ إلى الأرضِ لو لم يُصِخْ
أو ارتَدَّ بالمقلَةِ الحاسِرَهْ

وَكَمْ مِنْ فَتىً عَزَّها سمعُهُ
وَغَضَّ عَلَى حَذَرٍ ناظِرَهْ

عصاها ، فنادتْ ، فلم يَسْتَمِعْ ،
فَحَلَّتْ بِهِ لَعْنَةُ الفاجِرَهْ ؟

لَهُ مُقْلَتَانِ عَلَى ما وَعَى
من الألَقِ الطُّهْرِ مختومتانْ

ففي عقلهِ حَرَكاتُ الزَّمان
مُصَوَّرَةٌ ، وَحدودُ المكانْ

وَفي قَلْبِهِ أعينٌ ثَرَّةٌ
بها النارُ طاغِيَةُ العنفوانْ

وَفي كُلِّ خاطِرَةٍ نَيْزَكٌ
يَشُقُّ سناهُ حجابَ الزمانْ

إذا ما هَوَتْ وَرَقَاتُ الخريفِ
أحسَّ لها وَخَزَاتِ السِّنانْ

وإن سَكَبَتْ زهرَةٌ دمعَةً
فمن قلبهِ انحدرتْ دمعتانْ

وَمِنْ عَجَبٍ شَدْوُهُ للربيعِ
وقد يُخطيءُ الطيرُ شدوَ الأوانْ !

وَقيثارةُ الرِّيح ما لحنُها
سوى الريحِ في جفوةٍ أو حنانْ

عوالمُ جَيَّاشةٌ بالمُنى
وَدنيا بأهوائِهَا تضطربْ

من اللانهاية ألوانها
مشعشعةٌ بالندى المنسكبْ

ففيها الصباحُ ، وفيها المساءُ ،
وَبينهما الشَّفَقُ الملتَهِبْ

تطوفُ بها صَدَحَاتُ الطروبِ
وَتسهو بها أنَّةُ المَكتئبْ

حنان

الحوريات يخاطبن هرميس :
لكَ الحبُّ فيما أتاحتْ لنا
سريرتُكَ السَّمحَةُ الطاهرَهْ

ومن مَلَكٍ مِثلُ هذا الحديثِ
طُمأنينةُ المُهَجِ الحائرَهْ

عَطَفتَ على قَلبِ هذا الفتى
قلوباً عَلَى فَنّهِ ثائرَهْ

وَصَوَّرتَه مَلَكاً ناقماً
عَلَى آدميتهِ الجائرَهْ ! !

هرميس
أجَل هُوَ ذاكَ وَلَوْ زِدتكنَّ
لزِدتُنَّ عطفاً على فنِّه

وَما ذَنبُ روحٍ نَمَتهُ السماءُ
إذا ضَجَّ في الأرضِ من سِجنه

تَعَلَّقَ مهواهُ فَوْقَ النجومِ
وَحَوَّمَ وَهناً عَلَى كِنّهِ

لينعَـمَ في ظِلِّه لَحظَـةً
وَيملأَ عَينَيهِ من حُسنهِ

لَهُ وَلَعٌ بخدورِ النجـومِ
إذا ما تَخَلَّصَ مِنْ طيفِهِ

ويارُبَّ لَيلٍ كَوادي الخيـالِ
دَعَتهُ الحَقيقَةُ مِنْ جَوْفِهِ

فَسارَ يَضُمُّ صدورَ الرُّبابِ
وَيَستضحكُ النُّورَ في سُدْفِه

وَغابَ كَأُعجوبةٍ في الدُّجى
تَحارُ الأساطيرُ في وَصفِهِ !

(هرميس ينظر الى غمائم بيضاء قريبة وكأنما يترقب شيئاً عندها)

عَلَى الأرضِ شيطانُهُ الحائمُ
وَفي الكونِ وجدانُهُ الساهمُ

مضى سابحاً في عُبابِ الأثيرِ
كَما يَسْبَحُ النظرُ الحالمُ

يَدورُ فَلا أُفقٌ يَنتَهي
إليهِ ، وَلا كَوْكَبٌ هائمُ

وَحَيثُ هُوَ الآنَ فيمن أرى
هناكَ على سِرِّهِ جاثِمُ !

سافو هناكَ ؟

بليتيس هنـاكَ ! كأنّي أراهُ !

هرميس نعم ، خلفَ هــذا الغمامِ الرقيقْ

إذا مــا عطفتــنَّ ناديتُــه
عسى الآنَ من روْعِهِ أنْ يُفيقْ

ألا أيتُهــا الروحُ مني السلامُ
وَأنتَ بحبِّ العَذَارى خليقْ

عرائسُ أحــلامِـكَ المــاثلاتُ
وَما أنا إلا مَلاكٌ صــديقْ !

صمت   الحوريات يبدو عليهن القلق ويترقبن في لهفة حديث هرميس

هرميس لَقَدْ طَلَعَ الفجر ، يا شاعري
وَكادَتْ تزولُ نجومُ الصبــاحْ

وَحانَ الرَّواحُ فودِّعْ خِباءَكَ
وادنُ أُحَدِّثْكَ قبــلَ الرَّواحْ

الشــاعر أتهتفُ بي أنتَ ؟ أم هُنَّ ؟ أمْ
نذيرُ الردى والقضاءُ المتــاحْ ؟

بليتيس تُراكَ سمعتَ أحــاديثنـــا ؟
الشــاعر لَقَدْ نَقَلَتْهَـا إليَّ الــرياحْ !

عجبتُ لحوريَّةٍ في السمـاءِ
وَيأخذُ أهــلَ السماءِ العجبْ

أتحــلُمُ بالأرضِ مخمــورةً
من الدمِ ، راقصةً في اللهبْ ! ؟

وتُغري بيَ الموتَ ، لا جانياً ،
وَلكنها ثورةٌ من غضب ؟

برئتُ من الإثمِ حوريَّتي
فرُدِّي الظنونَ وخلِّي الريَب !

حــواء

أأبغضُ حــواءَ وهي التــي
عرفتُ الحنــانَ لهــا والرِّضى ؟

وَباعَ بهـــا آدمٌ خُلْدَهُ
وَلَوْ لم يَكُنْ لتمنَّى القضـــا

وَرِثتُ هواها ، فرُمتُ الحياةَ
وَحَبَّبَ لي العــالمَ المبْغَضَا

أراها علَى الأرضِ طيفَ النعيمِ
وَحُلْمَ الفــراديسِ فيما مضى

وَكانَتْ حياتي مَحْضَ اتّبَاعٍ
فَصَارَتْ طرائفَ مِنْ فَنّهـا

وَكانَ شبابي صَمْتَ القفارِ
وَرَجْعَ الهواتفِ من جِنّهـا

فَعَادَتْ ليــالي الصِّبا وَالهَوَى
أرقَّ المقــاطعِ في لحنهــا

وَأفرغتُ بؤسي في حضنهــا
وَأترَعتُ كأسي مِنْ دَنّهــا !

وَكَمْ ذكـريات ٍ لَهَـا عَذْبَة ٍ
أعيشُ عَلَيْها وَأحيـا بهـا

لهـا في دَمِي خَلَجاتُ الحيـاة ِ
كأنِّي خُلِقْتُ بأعصـابهـا

مُسامرتي حين يَمْضِي الصِّبا
وَتَهْتفُ رُوحِي بأحبـابهـا

وَتخلو بِيَ الدارُ عِندَ الغُروب ِ
وَأجلسُ وحدِي على بابهـا ! !

بَدَتْ شِبْهَ عابسة ٍ فانثنيتُ
وَقَدْ زايلَ الشمسَ لألاؤها

وَخِلْتُ الحيـاةَ وَضوضاءَها
تَموتُ عَلَى الأرض ِ أصداؤُها

وَكَفَّ عن الهمس ِ حتى النسيمُ
وَأمسَكَ عن لَعِب ٍ ماؤهـا

وَناديتُ ، فالتفتتْ لا تُجيبُ
وَلَكِنْ دَعَـانيَ إغراؤهـا

وَمَرَّتْ إزائي فَتَـابَعتُهـا
بقلبي ، وَعيني إلى أُمِّهـا

رَأيتُ مفاتِنَهـا غـير تلكَ
وَإنْ لَمْ يَخَلَّدْنَ في جسمِهـا

وأبصرتُ من حولهـا الـكائنات ِ
جَوَانحَ تَهفو إلى ضَمِّهـا

وَيَحنو الصبـاحُ عَلَى ثغرِها
وَقَدْ جُنَّ شَوْقاً إلى لثمِهـا

يساءلني القلبُ عن أمرِهَـا
وَأسـألهُ أنا عَنْ سرِّهـا

وَيعطفني في الهـوَى ضعفُها
وَأنسَى بأنّيَ في أسرِهـا

وَتَبْدي ليَ الأنجُم الوامقـاتُ
رَفيفَ الأماني على ثغرِهـا

فَأحسبُ أنَّ اهتزازَ الحيـاةِ
صَدَى حبِّها وَرُؤى سحرِها !

لِكِذْبَتِها تستحبُ الحيـاةُ
وَيَصفو الزمانُ بتغريرِهـا

وَيأخُذني الشكُ في قَوْلهـا
فَتقنِعني بأسـاريرِهـا

وَتَعصفُ بي شَهْوَةٌ للجـدالِ
فَتسكِتني بمعَـاذيرِهـا

غَفَرْتُ لَهـا كلَّ أخطائهـا
سِوَى دَمعتيْنِ لتبريرِها !

أُحـاولُ أفهمهـا مَـرَّةً
فَأعيـا بِهَـا وَبِتَفكيرها

أمَخلوقَةٌ هيَ ؟ أم ربَّـةٌ
تَسيرُ الخلائقُ في نيرِهـا ؟

وَمـا سِحرُها ؟ ألتكوينها ؟
وَمـا حسنُها ؟ ألتصويرها ؟ !

تقولُ الطبيعةُ بِنتي ! وما
أُحِسُّ لَهَـا بعضَ تأثيرهـا !

أعندَ الطبيعةِ هـذا الدلالُ ؟
وَفي دِفْئِها مثلُ هـذا الحنانْ ؟

إذا قيلَ لي : هاكَ مُلكَ الثرى ،
ودنيـا الشّبابِ ، وعُمْرَ الزمانْ

فمَا لذّتي بالـذي نِلتُه ،
وَمـا نَشْوَتي برحيقِ الجِنانْ ،

كرعشةِ رُوحي وهزّاتِهـا
وصدري على صدرها واليـدانْ !

وغَنَّتْ فأسمعني صوتُهـا
صَدى الرُّوحِ في خَلجاتِ البدنْ

عَميقاً كأنفذِ مـا في الحيـاةِ
وَأبعَدِ مـا في قرارِ الزّمن

فأحسَسْتُ كيفَ تطيشُ العقولُ
وتسهُو القلوبُ وتصحُو الفِتنْ

وقالَ لهـا الحسنُ يا رَبتي !
فقالت له «كلُّ شيءٍ حسنْ» ! !

رآهـا على النبعِ بعضُ الرُّعـاةِ
مصوَّرةً في إِطـارِ الغصونْ

فقـالوا أحُلُم" تَراهُ العيونْ ؟
أفي الغابِ حوريّة" ؟ من تكونْ ؟

وَمَسَّ مزاهرَهُمْ روحُهـا
فرفَّتْ بهـا خالداتُ اللحونْ

وَباتَتْ تعـانقُ أحـلامَهـمْ
وقدْ كادَ يرقُصُ حتى السكونْ !

ولاحتْ بمـرأىً لعينيْ فتى
طوى البحـر ليسَ لهُ من قرارْ

تَفَتَّحُ عن صدرِهَا موجتـانِ
وينشقُّ في الفجرِ عنهـا المحَـارْ

رَآهـا فَجُنَّ غَراماً بِهـا
وَغَنَّى بها الليـلَ بعدَ النهـارْ

وَقالـوا تعشَّـقَ جِنِّيـةً
فتىً شـاعر" تائه" في البحـارْ !

قَضَى اللهُ أنْ تُغوِيَ الخالدينَ
وَتُغـرِيَ بالمجدِ عُشّاقَهـا

لَقِيتُ على بابِهـا الفـاتحينَ
وَغـارَ الفتـوحِ وأبواقَهـا

وكـلٌّ مُدِلٌّ عصيٍّ القِيَـادِ
دَعَتْـهُ الصبـابةُ فاشتاقها

سَلا مَجْدَهُ الضَّخْمَ في قُبْلَةٍ
تُذِلُّ وَتُسْعِدُ مَنْ ذاقها !

أمـانيُّ شَـتـَّـى تمثلّنَ لي
بكلٍّ وضيءِ الصِّبـا ناعـمِ

مـُبـَعـْثـَرةً ، حولها في التـُّرابِ ،
بقـايا الدُّمَى في يدِ الحاطمِ

تـَمـُرُّ بهـا وهي في ضِـحْـكها
ومـا ذَرَفـَتْ دمعـةَ النـَّـادمِ

فـَيـَـالـَكِ مِنْ طِـفـْـلـَةٍ فـَذَّةٍ
وَرُحْماكِ سَيِّدَةَ العـالـَمِ !

بليتيس يحـاولُ بالشعـرِ إغـراءَنا
سـافو (مخاطبة سافو) : لنؤمنَ وَاحـدةً وَاحـدَهْ !

بليتيس هو الموقفُ الضَّنكُ مَا يـَتـَّقـِيه
تاييس كـَما يـَتـَّقِي باشقٌ صـائـِدَهْ

سـافو مـَتـَى كان صَـبـّاً عطـوفَ الفؤاد
وهـذي قصـائدهُ الجاحـدَهْ ؟

ألاَ ذَكـِّـرِيه بمثـَّـالـِهِ
وَنادِي بحيـَّتـِهِ الخـالـدَهْ

قلوب الشعراء

الشـاعر ظـَلـَمْتِ الفنـونَ وأربابـَهـا
وَمَـا كنتِ حوريَّتي ظالمَهْ

قلـوبٌ تـَلـَذُّ بتعـذيبها
غـرائزُ عاتيـةٌ عـارمَهْ

تـرَنِّحهـا سَـكَرَاتُ الهَوَى
وَتُوقظهـا الفِـتَنُ النـائمَه

صَحَتْ من خـمـار مَلذّاتهـا
تُعنّقُ أهواءَهـا الآثمَـه

ألا مـا لأُختيك ؟ مـا تبغيانِ ؟
أقلبيَ وَالخنجـرَ المُنتَضَى

خـذاهُ ! اقتلاهُ ! ولا ترحماهُ !
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ أنْ يَنْبِضَا

أذيقـاهُ مـا شئتما واغرسَـا
بِهِ الشر ملتهبـاً مُرْمِضَـا

فَلَنْ تُنْبِتَا فيهِ إلاّ السلامَ
وَالحبّ • • وَالزهَرَ الأبيضا !

إناءٌ من النُّـورِ طَافَتْ بهِ
يَدُ الحبِّ غارسةُ الـزّنبقِ

تُغـاديهِ شـاديةٌ في الـدُّجى
وَراقصَةٌ في الضُّحى المشـرِقِ

بأجنحةٍ كـرؤى الخـالدينَ
لغَـيرِ الصَبـابةِ لَمْ تَخفِقِ

وَقلبيَ من قَدَحٍ في السمـاءِ
وَمِنْ نَبْعِ آلهـةٍ يستقي ! !

سافو أتخشى لِقانا سليلَ السماءْ ؟
في تهكم أتحذرُنا أم تخافُ الضِّياءْ ؟

الشاعر مُحَدِّثتي ما أحبَّ اللقاءَ
يهم بالظهور فيحس أن له جسداً وانه لم يعد روحا مجرداً لَقَدْ حالَ جسميَ دونَ اللقاءْ

وَكنتُ تخلّصتُ مِنْ طيفِهِ
فَلَفّتْهُ حَولي يَدٌ في الخَفاءْ

كأنّيَ أهذِي بأضغاثِ حُلْمٍ
أو اني ضللتُ طريقَ السماءْ ! !

تاييس بليتيس..سافوْ..الفرارَ ! الفرارَ!
فَقَدْ لبسَ الروحُ طيفَ البشرْ !

أنبْصِرُهُ جَسَداً عارياً ؟
وَنقربهُ ؟ تلك إحدى الكُبَرْ !

هرميس عَلى رِسْلكنّ فَقَدْ عاقبَتْهُ
بأقوالكنّ بَنَاتُ القَدَرْ

تاييس لَقَدْ عاقبَتهُ بأشعارِهِ
فياليته ما هذَى أوْ شَعَرْ

الحوريات يلتفتن الى هرميس وقد سمعن الشاعر يصرخ في مخبئه

هرميس أتصرخُ ؟ وَيحَكَ إنّ السماءَ
لتَأخذُها صَرخاتُ الألَمْ

من الغيمِ ، يا شـاعري ، فالتمس
دِثاركَ واخصِف بهِ من أمَمْ

وَخُذْ مِنْ جنـاحيَّ مـا تتَّقِي
بِهِ في السماءِ عثـارَ القـدَمْ

وَأُقسمُ ما رُمْتُ غيرَ الحنـانِ
وَإنّي زعيـمٌ بهـذا القَسَمْ

الرجل !

يسمع صوت من وراء غمامة قريبة تنشق عن الشاعر في موقف اضطراب
سافو تنظر اليـه في دهشة بينما تاييس وبليتيس متجهتـان الى هرميس

سـافو بليتيس ! تاييس !

الحوريات ماذا ؟

سـافو انظـرا . . .
فثمَّتَ أُعجـوبةٌ تظهـرُ

هرميس تعالَ فتى الشّعرِ

تاييس يا للسمـاءِ !
أبِالشعرِ أمْ بالفَتَى تَسْخَرُ ؟

سـافو أهـذا هـُو الآدميُّ العظيمُ ؟

بليتيس ألا شدَّ مـا يَخدَعُ المنظرُ

تاييس تَصَوَّرْتُهُ مِنْ أحـاديثه
فَتـىً لوَسـامتـه يؤثـرُ

هرميس تريدينــهُ صــورةً أم فتىً
تهلّلَ فيه الحِجَى وابتسمْ ؟

ســافو رأيتُ الرجولةَ كــلَّ الجمــالِ
هو الرَّجُلُ الفَرْدُ في المزْدَحَمْ

تراهُ على النبعِ يُعْلِي الغطــاءَ
وَيُدْلِي الدِلاءَ ويَسقِي الغنَمْ

ويحدو العــذارى إلى دارهنَّ
حَيِيَّ الخُطى« موسويَّ» القَدمْ

هرميس لشدَّ الذي قُلْتـِه ، يا ابنتي ،
كَلاماً توهَّجَ منــهُ الحنينْ

تَعالَيْ هنــا والثمي جبهــةً
هزأتِ بهــا وهي حُلْمُ السنينْ !

بليتيس أمنخَمَلِ السُّحْبِ هذا الدثارُ ؟
تدنو من الشاعر وتلمس بيدها صدره وتمر بها على وجهه
ومن حمإِ الأرضِ هــذا الجبينُ ؟

هرميس دَعِي طيفَهُ وانظــري روحَــهُ
ففيهــا الصِّبا والجمــالُ المبينْ

بليتيس هل الرَّجُل الروحُ ؟
تاييس لا . إنّهُ
مُحَيّا تَرقرقَ فيهِ الوســامْ

وعينــانِ بالسحرِ تستأثرانِ . .
ســافو خيالٌ لَعَمْرُكِ هــذا الكلامْ !

مُحيًّا وعينانِ ...؟ مافي الرجـالِ
سوى كلِّ أصيدَ سَبْطِ القوامْ
ذراعاهُ تستدرجـانِ الخصورَ
وَفي شفتيهِ حـديثُ الغـرامْ !

هرميس محدثا نفسه في قلق وذهول

تنزَّهْتَ عَنْ شُبْهةٍ عالَمِي
وَلا رابني فيـكَ مـا أسمَعُ
عهـدتُ البراءَةَ فيمن تُظِلُّ
فمـالِيَ من ريبةٍ أفزَعُ ؟
وأبدعـتَ خَلْقـاً وَلكنني
أراهُ إلى عَبَثٍ ينـزعُ
سَبَى السحر أجملَ أرواحهِ
فأنطقهـنَّ بِمَـا يخـدعُ
أفي عالمِ الرُّوحِ تفشو الظنونُ ؟
وَينطـقُ روحٌ بهـذا الكلِمْ ؟
أُسـائلُ نفسي أشيطانةٌ
توسوسُ لي ؟ أم مَلاكٌ أثِمْ ؟
أم الشـكُّ آذنني بالصِّراع ؟
أمْ حَـلَّ بي غَضَبُ المنتقمْ ؟

صوت السماء
في موج من الانغام الشجية

بل البعثُ آذنهنَّ الغـداةَ
فَلا تَلْحَهُنَّ وَلا تَتَّهِمْ

هي الآدميــةُ طــافَتْ بهنَّ
وَتلكَ غرائزُها وَالطبــاعْ

غَــداً تَدرجُ الرُوحُ في طيفهــا
وَما الطيفُ للرُوحِ إلاّ قِنــاعْ

سترقدُ في غَوْرِهَا الذِّكريات
وتُوقظهنَّ السنــونُ السِّرَاعْ

وَتَمشي لحاضرها في الحَيَــاةِ
بمصباحِ ماضٍ خَفيٌ الشُّعاعْ

وَكَمْ نبأةٍ كالحديثِ الجديدِ
وَمــا هُوَ إلاّ القَديمُ السماعْ

من الخيرِ والشر إلهــامُهــا
مَقَــادِرُ تَجري بهنَّ اليراعْ

فَدَعْ للسمَــاءِ تَصَاريفَها
فَقَدْ أذِنَ البعثُ بَعْدَ انقطاعْ

هرميس مخاطباً الشاعر وقد اخذ طريقه في السماء: وداعاً ، صديقي • •

الشــاعر في حيرة وذهول: إلى أينَ تمضي • ؟

هرميس : ملوحاً بيده: إلى الملتقى ، فالوَدَاعَ !

الشــاعر والحوريات ينظرن اليه في عطف وابتسام: الوداعْ • !

أغنية الرّياح الأربع

« نظمها شاعر مصري عاش قبل الميلاد بما يقرب من ألفي عام ، ونوّه بكشفها ونقلها الى الفرنسية العلامة الجليل الأب دريتون عام ١٩٤٢ وانمّها وقدّم لها شاعر مصري محدث بعد الميلاد بما يقرب من الفي عام ، محاولاً ان يتخيّل قصّتها وان يهيىء لها جوّاً مسرحياً يترسل فيه الحوار التمثيلي بروح ذلك العهد البعيد الذي نظمت فيه »

توطئة

من كلمة للعلامة الأثري الآب دريتون
قدم بها « أغنية الرياح الأربع »
La Chanson des Qautre Vents
في كتاب بالفرنسية نشرته مجلة « لاريفي
دوكير » عام ١٩٤٢

تقوم هذه الأغنية على الحوار ، فبعد اربع مقطوعات تغني كلاً منها فتاة ، يدخل رجل فيحييهن ويشرع في خطفهن ليستولي على الرياح الممثلة فيهن ، فيغريهن بإثارة الفضول في نفوسهن ، وذلك بأن يعرض عليهن زيارة سفينته (وتلك كانت خطة البحارة الفينيقيين في عهد هذه الأغنية يلجأون إليها عندما يريدون اقتناص الجواري من بلاد البحر الأبيض) ولما قوبل طلبه بالرفض ، لم يستسلم للهزيمة كما هو واضح من المقطوعة الأخيرة في الأغنية « إن وسائلي لا تنفد » ، ولكن لسوء الحظ لم نعثر على تكملة الأغنية والوسائل التي لجأ إليها الرجل واكبر الظن انها مما يثير الشراهة (Gourmandise) التي تكشف مواطن الضعف في النساء

ويبدو من قراءة هذه الأغنية انها لم تصل إلينا كاملة بل امتدت إليها

د التفيير ، تشهد بذلك مقطوعتها الثالثة التي تتغنى بريح الشرق فإنها زيد على المقطوعات الأخرى ، وربما تعمد ذلك الذي قام بجمع اجزائها حتى تبدو هينة سهلة

ومهما يكن من امر هــذا الحذف فإن هذه الأغنية قد وسعت من أفاق معارفنا عن اقدم نصوص الأدب المصري واضافت إلى معلوماتنــا شيئاً جديداً جديراً بالتقدير

ولسنا مغالين إذ نقول انها أثبتت وجود شعر غنائي مليء بالخيــال والعذوبة في مثل هذا العهد البعيد

((درينتون))

زمن الرواية : في عهـد الأسرة التاسعة المصرية ، اي منـذ اكثر من اربعة آلاف عام

مكانهـا : بدات وقائعهـا في ميـنـاء بيبلوس من أعمـال فينيقيا (بيروت(١) الآن) وكانت آشور العظيمة تبسط سلطانها السياسي إذ ذاك على فينيقيا والكلدان وميزوبوتاميا وارض كنعان ولبيبلوس حـديث ذائع في التاريخ المصري سواء السياسي او الديني أو الأدبي تقراه في رسائل تل العمارنة التي وجدت من عهد الملك أخنـاتون وفيما أشار إليـه « برستد » من نصوص قصيدة « ملاح السفينة المحطمة » ، وفي النصوص الدينية لقصة الاله أوزريس إله الخصب والخير عندما قتله اخوه « ست » إله الجدب والشر وأودع جثته صندوقاً القـاه في اليم فحمله التيار إلى ميناء بيبلوس حيث استقر في جـذع شجرة تعرفت عليها إزيس بسحرها وتوصلت بفتنتها الى اقتلاعها والابحار بها إلى مصر

وتنتهي وقائع القصة في شاطىء مصر غربي ميناء « رافيـا » أول الثغور المصرية من جهة الشرق (رفح الآن)

---

(١) على التحقيق مكان جبيل من أعمال لبنان

الأشخاص :

باتُوزيس : المغني المتجول شاعر مصري صاحب فن ورب خيـال ، يعيش ليـومه قبـل غده

أزْمُرْدا : القرصـان الفـاتن رجـل فينيقي أنيق البزة رياضي الجسـم خلاب الحديث

حَرْوازا : سوداء الشعر تمثل جمال الشرق

مِريتـا : سـوداء الشعر والعينين تميل الى الرقص والغناء والمرح ، تمثل طابع الغـرب

ويشافا : شقراء اوروبية في صورتها وتكوينها وزيها تمثل الشمال

اسميتـا : زنجية هيفاء تمثل الجنوب

آرُسْطُفَان : صاحب الحانة.رجل يوناني ماديُ النزعة.بين الكهولة والشيخوخة

انتجونا : زوجة أرسطفان شابة يونانية جذابة الطلعة ، خيـالية

ماتوكا : عبد أسود رئيس خدم سفينة القرصان أزمردا

حَرْشاف : بحار فينيقي

داريوس : بحار يوناني

سِرنَبَالْ : بحار اسباني

إرشـرا : امرأة أشورية صديقة حرشاف

نِفِرْتَايْ : امرأة أشورية صديقة داريوس

أزيرو : عملاق فينيقي من الشذاذ الافاقين

شيـلا : خليلة أزيرو

سمارا : خليـلة قديمة لأزيرو

النكرات المسرحية :

جماعة من البحارة الاغريقيين والشماليين والشرقيين

غانيـات وبنات هوى

جوقة من الفتيات الراقصات مختلفات الأعمار يمثلن عرائس الامواج

جماعة من العبيد السود يعملون في سفينة القرصان أزمردا

الفصل الأول

حانة «الملاّح التائه» حانة صغيرة انيقة، مزدانة بالقناديل الزجاجية الملونة، رفعت على جدرانها صور تمثل مغامرات العشاق في العصور الأولى ذات باب عريض مواجه لرصفة البحر بميناء «بيبلوس» أرسطفان الخمار وزوجته انتجونا في صدر الحانة منهمكان في تجفيف الاقداح وصفّها بعناية، وقد اخذ ظل المساء يمتد على الشاطيء

أنتجونا يا لَلْمَسَاءِ الجَميلْ

أرسطفان لأنتِ أجْمَلُ مِنهُ

أنتجونا أرسطُفانُ النبيلْ

لِسَانُهُ لَمْ يَخُنْهُ

قَوْلٌ بِغَيرِ دَليلْ

لا يَصْفَحُ القَلْبُ عَنْهُ

أرسطفان فَمٌ عَنِ التقبيلْ

وقد مال عليها يقبلها

إنْ صُنْتِهِ لَمْ أصُنْهُ !

ثم يربّت على خدها ،هو يقول

أسرعي ، يا أنتجونا ، أسرعي
قد طوى المغربُ أطرافَ النهارِ

سوف لا يبُقِي هنا مِنْ موضعِ
قادَةُ السُفنِ وَرُوّادُ البحارِ

وَهمو في كُلِّ زِيٍّ مُبْدَعِ
قد خَلَتْ منهُ حوانيتُ التّجارِ

انتجونا دَعْ حَديثَ الزيِّ باللهِ دَعِ
أنت تُذْكي ، في دَمي ، شعلةَ نارِ

أوَ ترضى أن أُرَى في المرفَعِ
بإزاري ذاك أو ثوبٍ مُعَارِ ؟

ارسطفان أقصري ، يا أنتجونا ، واسمعي
لَكِ مني ، في غدٍ ، أغلى إزارِ ؟

انتجونا في غَدٍ تَنسَى وَعَشراً تَدَّعِي
وقد زمت شفتيها وَسراويلُكَ مَلأى بالنُضارِ !

أرسطفان تَبّاً لهَا شَرَاهَةُ النساءِ
تُغْرِي بهنَّ أقبَحَ الأشيَاءِ

يَحلُمنَ في الصباحِ وَالمَسَاءِ
بالحَلْيِ وَالجوهرِ وَالأزياءِ

يمر في هذه اللحظة باتوزيس وهو يتأمل ما حوله فيسترعي انتباهه منظر الحانة فيقف ببابها ويعتمد قيثاره ويسترسل في الانشاد

هيمــانُ هيمــانُ ، يا غرامي
ظمــآنُ ظمــآنُ للمـــدامِ

مُشرَّدُ اللبِّ ليسَ يدْري
تعاقبَ النّــورِ و َالظــلامِ

هيمــانُ مِنْ حــانةٍ لأُخـرى
بلا قــرارٍ وَلا زمَــامِ

يَشُدُّ قيثــارَهُ وَيَشْــدو
للنجمِ ، للريحِ ، للغمــامِ !

يَخْطبُ ودَّ الكؤوسِ حيناً
وودَّ شُــرَّابهــا الــكِرَامِ

يُلقي أغــانيَّــهُ وَيَلْتقي
مَبــاذِلَ القــومِ بابتِسَامِ

أُذْناهُ لا تَسْمَعَــانِ إلاَّ
تَصفيقَ راحٍ وَضِحْكَ جامِ

عَيْنَــاهُ لا تُبْصِرَانِ إلاَّ
مطـالعَ الحسنِ وَالوَســامِ

هيمانُ ظمآنُ ، يا غرامِي

ارسطفان (الى باتوزيس)
كثــيرونَ مثلكَ مرُّوا بنــا
فرَدُّوا الــزبائنَ عَنْ بابنــا

وَبثُّوا السآمةَ في شَرْبنــا
فَفَرِّجْ ببُعْدِكَ عَنْ كَربنا !

باتوزيس يا أيُّهـا السيِّدُ لا تُقنِصني
ولا تَكُنْ مِنْ رَحْمَةٍ مُوئِسي

إنْ صَفِرَتْ كفَّايَ من دِرْهَمٍ
فَمَا أنا بالرجلِ المُفلسِ

أرسطفان وَما يكونُ لونُ هذا الغِنَى ؟

غِنى الخيالِ ؟

باتوزيس بَلْ غِنَى الأنفسِ !

غَنِيتُ بالنَّفسِ فلَمْ أحتفِلْ
بالزائِلَيْنِ الزَّادِ والملبسِ

عندي كنوزُ الفَنِّ وَهَاجَةً
فهاتِ لي كأساً ، وَخُذْ ، واقبسِ

لو كُنتَ في « طيبةَ » يوماً معي
رأيتَ باتوزيسَ في المجلسِ

يَسقيكَ مِنْ خَمْرَةٍ كُهَّانها
مصريةً عَذراءَ لَم تُمْسَسِ

عَلَى رَخيمِ الشدوِ في رُفقَةٍ
من الكرامِ الطِّيبي المغرسِ

أنتجونا من طيبةٍ أنتَ ؟

باتوزيس أجلْ

انتجونا حبَّذا
مَغْدايَ في شتائِها المشمسِ !

باتوزيس لكنتُ ، يا سيِّدتي ، أغتــدِي
بعاطفة إليــكِ في خمــائلِ السُّندسِ
بكلِّ ما اختــارتْ وَما جَمَّعَتْ
إلهتي مِنْ زَهَــرِ اللّوتَسِ
وَقَلَّ أنْ يُهْدَى لهــذا الصِّبا
وَالحسنِ كَنْزُ النَّهَرِ الأقدسِ !

أنتجونا أيهــا المنشدُ الغَريبُ فَتىً أنتَ مُعْجِبُ
منكَ عَنْ طيبةَ الغنــاءُ جميــلٌ مُحبَّبُ

باتوزيس حَبَّــذا النهر وَالشراعُ بِهِ الرِّيحُ تلعبُ
غنــاء بينَ شَطَّينِ كالزَّبرجــدِ ، وَالمــاءُ مُذْهَبُ
رَاح مَــلاّحُهُ الشَّجيُّ يُغَنِّي فَيَطْــربُ
وَعَلَى الأُفْقِ وَالحقولِ نَشيــدٌ وَمَوْكِبُ
أيهــا الزّارعونَ ، ما تُنبِتُ الأرضُ طيِّبُ
أُقطفوا زَهْرَ أوزريسَ وَمِنْ خَمرِهِ اشربوا !

أنتجونا في شبه حلم لذيذ ، تنظر الى زوجها وقد كفت يدها عن الأقداح ، وهي تقول :

أنتجونا هــذا النشيدُ الجميلْ يَشْدو بنَجوَانا
مَلاّحُ وادي النيــلْ بالأمسِ غَنَّـــانا
وَهَــزَّ بالترتيــلْ موجــاً وَشطآنا

باتوزيس أيُّ صَدىً هَزَّني وَأيُّ حُلْمٍ عجابْ
مسترسلا في غنائه هَلْ لي إلى موطني يا ربَّتي مِنْ إيابْ ؟

يا ربّتي ردّدي هذا النداءَ الجميلْ
أليومَ أمْ في غدِ أرى ضفافَ النيلْ ؟ !

أنتجونا يا لَلفتى دمعُهُ يجري على القيثارْ
أرسطفانُ ادْعُهُ فالليلَ عيدُ البحارْ
وشدوهُ وَقعُهُ تحلو بهِ الأسمارْ

أرسطفان ذكرتِ مراحنا ، يا أنتجونا
وأيامَ الصبابةِ والتمنّي
وليلاتٍ « بطيبةَ » ساحراتٍ
رُؤاها لم تغبْ ، في الدهرِ، عنّي

أنتجونا وظلّتنا على خضرِ الروابي
وزورقنا على الموجِ المغنّي

أرسطفان وشدوَ رعاتِها في كلّ فجرٍ
على جرسِ القطيعِ المطمئنّ

أنتجونا وترجيعَ الحمائمِ وهي تهفو
حوائمَ بالنخيلِ المرجحنّ

أرسطفان ديارٌ منْ بني فرعونَ طالتْ
بأُسٍّ منْ حضارتِها وركنِ
إذا أبوابُها فتحتْ أطلّتْ
عجائبُ لمْ تجلْ يوماً بظنّ
تنسّي صنعَ آشورٍ وتجلو
روائعَ ملهماتٍ كلّ فنّ

أرسطفان يملأ قدحاً ويضعه على المائدة ، أنتجونا ترفعه وتقدمه الى باتوزيس ، وهي تقول :

إشربْ ، وَغَنِّ الآنَ ، يا شاعري
واقْضِ هنا الليلَ مع السَّامرِ

وَهاتِ لَحْنَ البَلَدِ الساحرِ
مصرَ التي ما بَرِحَتْ خاطري

باتوزيس يشرب القدح دفعة واحدة ، وينحني شكراً وهو يغني

خَمْرَةٌ طِيبِيَّةٌ أمْ بابليهْ
هذِهِ نفحةُ روحٍ قُدُسيهْ

مِنحةُ الحُسْنِ بكفَّيْ أريحيهْ
تمنحُ الرحمةَ قَلْبَ البشريهْ

لَكِ ، يا أجملَ ربَّاتِ البريَّهْ ،
دَعوَةٌ صادِرَةٌ مِنْ أصغريَّهْ !

تسمع ضجة من بعيد تقترب ، فيقف باتوزيس بباب الحانة متطلعاً وهو يقول

أرَى ساحةَ الميناءِ شتَّى مشاعلٍ
تَبُثُّ سَماءَ البحرِ شتَّى مفاتنِ

رَبابنةُ السُّفْنِ المواخِرِ أقبَلوا
يُحيُّون عيدَ الماءِ ، عيدَ السفائنِ

يَلوحونَ من أقصى الطريقِ بموكبٍ
تصايحَ فيه كُلُّ نشوانَ ماجنِ

ألا حبَّذا عيدُ البحارِ وحبذا
شرابي فيه أو شجيُّ ملاحني !

أنتجونا أرسطفانُ انظرْ جَمالَ الموكبِ
واسمعْ لذيَّاكَ النشيدِ المطربِ

أراهمُ مِنْ بُعْدٍ كأنَّهمْ
في مرقصٍ يلهونَ أوْ في ملعبِ

كلُّ فتىً ضمَّ فتاةً ومشى
يخطرُ في زهوِ المحبِّ المعجبِ

أُنظرْ إليهم ،

أرسطفان أنتجونا ، ما أرى
غيرَ خليطٍ هائجٍ مؤلَّبِ

من الرجالِ العابثينَ ، بينهمْ
أخُ الأثامِ والغرامِ القلَّبِ

وبائعاتِ الحبِّ في أسواقهمْ
من النساءِ جامعاتِ الذهبِ !

حبيبتي ، أخشى عليكِ شكرَهم
في حانتي ، فاجتنبيهمْ واذهبي

أنتجونا مِمَّ تخافُ ؟ فتنةً أمْ غيرةً ؟
تظنُّ بي سوءاً ؟ أما وثقتَ بي ؟

أرسطفان إصغيْ إليَّ الآنَ ، يا صغيرتي
وامضي إلى مخدعكِ المحبَّبِ

أنتجونا كلا ! سأبقى ههنا

أرسطفان بلِ اذهبي
ولا تثيري غضبي

أنتجونا بلْ اغْضَبِ ! !

أرسطفان (يأخذ بيد زوجته مشيراً لها الى باب خلفي)

هــذا طريقُكِ ، فاذهبي بأمانِ
سارَ الهتــافُ على طريقِ الحانِ

إنّي أخافُ عليكِ وسوسةَ الطّلى
في كأسِ عربيدِ الصّبا نشوانِ

وَهبَ المخاطرَ عمرَهُ ، فشبابُهُ
أحــلامُ كأسٍ أو خيــالُ غوانِي

وأخافُ نظرةَ جــارحٍ متربّصٍ
تُخفِي حُلاهُ حبائلَ القرْصانِ

غَزِلاً، إذا ساقَ الحديثَ حَسبتَه
ربَّ الخيــالِ وشاعرِ الوجدانِ

يُغوِي إناثَ الجنِّ لا يَعيا بهــا
حِيَــلاً ، ويقنصها بطرفِ بنــانِ

أرسى سفينتَهُ هُنــاكَ كأنهــا
مقصورَةُ العشّاقِ في بستــانِ

ملعونةُ الحُجُراتِ ، كلُّ أثاثِها
قَيَدُ الضحيّةِ أو سِياطُ الجانِي

إنْ يَدْعُ زائرةً لَهَــا فسبيلُها
سوقُ الرقيقِ وعالمُ النسيانِ

عن قنْصِ جاريةٍ وخطفِ أميرةٍ
كم عندَ قُرصانِ البحــارِ أغاني !

تخرج أنتجونا من الباب الخلفي كأنها متضايقة

أرسطفان وأنتَ ، يا باتوزيس ، هيَّا
إملأْ فَضَاءَ المَسَاءِ شَدْوَا

وَابعَثْ أغانيكَ مفرحاتٍ
آناً ، وآناً يسِلْنَ شجْوَا

وَإنْ علَتْ ضَجَّةُ السُكارى
فالْهُ مَعَ الشاربينَ لهْوَا

وَلا تَضِقْ بالشَّبابِ صدرا
وَظُنَّ ما يَنطِقونَ لَغْوَا

يقترب موكب الملاحين وهم ينشدون نشيدهم حتى يدخلوا الحانة بأزيائهم البهجة وهم مستمرون في نشيدهم ويأخذون أماكنهم

نحنُ قادةُ السفينِ نحنُ سادةُ البحارْ
لا يَعزُّنا السِّفارُ أوْ يهزُّنا الخَطارْ
عيدُنا من الجمالِ ، والجلالِ ، والفخارْ
نحن سادةُ البحارْ
ألبحارْ

أحد البحارة: ألبحارُ مَهْدُنا

الجميع وَالسفينُ مَجْدُنا

أحد البحارة: قَدْ عشقناها شراعاً خافقا

بحار آخر : أيُّنا لَمْ يَكُ يوماً عاشقا ؟

الجميــع لابنةِ المــاءِ عَروسِ الجــارياتِ
عيدُها أجمــلُ أعيــادِ الحيــاةِ
أيُّ عيــدٍ مِثلُهُ في الكائناتِ !

أحد البحارة: غادَةٌ عُشّاقُهــا في كُلِّ ثغــرِ
تعشقُ المجهولَ والوجهَ الغريبــا

بحار آخر تحملُ الأشواقَ مِنْ بَحْرٍ لبحرِ
الجميــع وَهي لا تؤثرُ بالقُربِ حبيبا

أحد البحارة: عَنْ أبيها وَرِثَتْ حُبَّ الصراعِ
يَوْمَ لاقى الأرضَ غضبانَ عتيًّا

بحار آخر طفــلةٌ ترقُصُ في ظــلِّ الشّراعِ
بحار آخر : وَتقودُ الموجَ وَالنــوءَ العصيًّا
الجميــع إنّهــا بنتُ البحــارْ
ألبحــارْ

(الجميع يصفقون ويهللون)

سرنبال أيهــا الخمّارُ عَجِّلْ بأباريقِ المـــدامِ
هاتِنــا من خَمرة الشر قِ أوفاويقَ الغــرامِ

أرسطفان يسرع بالاقداح والأباريق

الجميع يملاون اقداحهم ويرفعونها وهم ينشدون مع الاعادة وبالطرق على الموائد احدهم يغني الشطر الأول والجميع يرددون الشطر الثاني

غَنّوا الكأسا يا أصحــابي
حَيّوا الشمسا في الأكوابِ

سرنبال بالله ما أجمَلَ هـذي الحانهْ
وهو يتأمل الحانة
وَضيئةٌ جدرانُهـا مـزدانهْ
بالصُّوَرِ الـرائعةِ الفتـانهْ
تُمَثِّلُ الصبـوةَ وَالمجـانهْ

حَرشاف صاحبُها الملاَّحُ في البحرِ شَرَدْ
داريوس وَربما يَعُودُ آخـرَ الأبدْ

سرنبال لا ! بَلْ حَسَا شرابَهُ حتى نَفِدْ
داريوس فهـام في اللجَّةِ يعصر الـزَّبدْ

حَرشاف بَلْ عبثتْ جنيـةٌ برأسـهِ
سرنبال فَظَنَّهـا إحـدى بنـاتِ جنسهِ

حَرشاف يا وَيحهُ مـا نَفعهُ بنفسهِ
وَهوَ أسـيرُ حُبِّهِ وَكأسهِ ؟

سرنبال أغاصَ في البحـرِ أمْ قدَحِ الخمْـرِ
حَرشاف أمْ أبحَرِ الشِّعرِ مِنْ حَيثُ لا يدري ؟

داريوس يا أيهـا الخمَّارُ ، قُلْ وَدُلَّنا
من صاحبُ الحانةِ ؟ أينَ ؟ قُلْ لنا

أرسطفان من صاحبُ الحانةِ ؟ من هذا ؟ أنا !
دهشا
داريوس أنتَ ؟ عجيبٌ أنْ نَراكَ بَينَنَا

حَرشاف أُنظـر إلى وجهـكَ في المـرآةِ
ضـاحكا
وَصِف لَنَـا عجيبةَ الحَيَـاةِ

داريوس مِنْ أيِّ غابٍ ، يا وحيدَ القَرْنِ

سرنبال — وما اسمُكَ الصحيحُ ؟ لاتُكنِّي !

أرسطفان — أرسطفــانُ

مبتسما

حَرشاف — عَلَمٌ مَغلوطُ

صِحَّتُهُ وَشَكلُهُ المَضبُوطُ

ممسكا بشعرات شارب أرسطفان — تُنبيءُ عَنهُ هــذِهِ الخيوطُ

سرنبال — أرسطفــانُ أنتَ أخطبُوطُ

داريوس — حِرشافُ هذي شَعراتٌ مُضحكهْ

سرنبال — يَلفُّهنَّ بِيَــدٍ مرتبكَهْ

داريوس — في شاربٍ يَرْعَدُ مثلَ السمكهْ

حَرشاف — إليَّ، يا داريوسُ ، هاتِ الشبكهْ !

(ضحك متـواصل)

أرسطفان
هامسا متضرعا — بــاتوزيسُ هيا غَنِّي

ذدهم عنِّي بصدى لحنِ!

يرتقي باتوزيس مائدة ويشير الى ارسطفان
فيناوله قدحاً فيرفعه عالياً ، وهـو ينشد

جَددوا ، يا أيهــا الصَّحبُ ، مَسَرَّاتِ الزمانِ

إنَّ هــذي لَيلَةَ الحبِّ فَضجوا بالأغــاني

إرفعوا الأقداح ملأى ، واشــربوا نَخبَ الحسانِ !

الرجال يرفعون أقداحهم والنساء يصفقن رافعات الأقداح

حَرشاف للصواحبِ الحسانِ

امـرا للشبـــابِ

نفـراي للغـــزلْ !

سرنبال للقـــدودِ

داريوس للخـــدودِ

حَرشاف للثغـــورِ

باتوزيس للقبـــلْ !

داريوس للعيـــونِ

حَرشاف للفتـــونِ

سرنبال للجنـــونِ

باتوزيس للأمـــلْ !

امـرا نَخْبَ صَاحبي الجَميل كُلُّ شـاربٍ نَهَـلْ !
واقفة رافعة قدحها

يميل عليها حرشاف فيقبلها والجميع يهتفون

تحيـا القُبَلْ يحيا الغَزَلْ

حَرشاف وَنَخْبَ عينيكِ ، يا جميلَهْ
رافعاً قدحه
مشيراً الى امـرا

داريوس يا أظـرفَ الغـانياتِ طُـرّاً

نفـراي تُغيظني أمْ تـريدُ حيـلَهْ ؟
وهي تجذبه

داريوس إنّي أُحَيِّي صَنيعَ إمرا

نفـراي قَوْلٌ تَوَقَّعْتُ أنْ تقـولَهْ !

داريوس نِفْرَايَ لا شكَّ أنتِ غَيْرَى !

نفـراي غَيْرَى ؟ أمِنْ هذهِ الهَزيلَهْ ؟

ساخرة

داريوسُ أنتَ امتَلأتَ خَمْرَا

داريوس بَلْ أنتِ نفـراي ! أنتِ سكرى

نفـراي داريوسُ مالك عَيْنٌ تطيقُ وَهَجَ ضيائي

أُنظـرْ لوجهي قليـلاً وَلا تَذُبْ من حيـاءِ

أيُّ الجَميـلاتِ مني أحَـقُّ بالإطـراءِ

«بيبلوس» تعرف سحري وَفِتْنَتِي وَروائي

إذا خطـرتُ الهوينا وَالعاشقونَ وَرائي

مِنْ كُلِّ سابٍ جميلٍ جَمٍّ الصِّبـا وَالثراءِ

لَوْ نالَ تقبيلَ ثغـري أتى بمُلْكِ السماءِ

لكنْ صَدقتُكَ حُبِّي وأنتَ ، في البحرِ ، ناءِ

داريوسُ مالكَ عَهْدٌ لأَنتَ زيرُ نسـاءِ

ثم تثب فجأة واقفة ملقية بمعطفها نازعة وشاحهـا ، وتبدأ في رقصة خـلابة مثيرة تشرئب اليها الأعناق ، وتتردد صيحات الاعجاب ثم تنتهي رقصتها فتقف حانية راسها ، مضمومة اليدين على صدرها ، بين التصفيق والهتاف ، وتلمع الفتنة في عيني داريوس فينحني مقبلاً قدميها مادا ذراعيه لضمها ، وهو يصيح

هيا اهتفوا ، أيها الرجالْ

لربَّةِ الحسنِ والدلالْ
نفرايَ معبودةِ الجمالْ

داريوس داريوش يحنو عليها يَبحثُ عنْ شَفتيها

في اذن امرا

امرا قدْ خرَّ بينَ يدَيها مُقبِّلاً قدَميها

ويحتضنها داريوس وينزل بها وهي مغمضة العينين موسدة راسها صدره ، وهو يناجيها

ضَعي هنا رأسكِ ، يا حبيبتي
لشدَّ ما أهواكِ ، يا جميلتي

أَرْني إليَّ ، واغفري خطيئتي
أنا الغيورُ ، فاصفحي عنْ غيرتي

(ويقبلان بعضهما)

حَرشاف والآن ، يا أيها النساءْ هيا إلى الرقصِ والغناءْ

وفجأة يدخل ازمردا الحانة بزيه العجيب ومشيته المهيبة دون اكتراث بالجميع ، فيسترعي منظره الانظار ، ويأخذ مكانه بانحراف في آخر الحانة بينما ينظر اليه باتوزيس من طرف خفي ، وهو يقول لنفسه

باتوزيس مَنْ ذلكَ الوجهُ يبينُ نصفُهُ ؟
هذا فتًى ما غابَ عنّي وَصْفُهُ
جَبينُهُ ، وعينُهُ ، وأنفُهُ
أذاكَ أزمَرْدا ترى ! أمْ طيفهُ ؟
يا للّعينِ لمْ يُصِبْهُ حتفُهُ
حيّاً أراهُ والصِّبا يَحفُّهُ
والخمرُ في الأقداحِ تستخفُّهُ

داريوس أيُّها الخمّارُ هيّا أترعِ الكأسَ وناولْ

حَرشاف لاتَدَعْ في الدَّنِ شَيّاً واسقنا من خَمرِ بابل

ويسري المرح في جو الحانة من جديد ويسرع ارسطفان بأباريق الخمر فيهتف سرنبال

سرنبال أيهــا الشادي ، أما تُسمعنا لحناً شجيّاً ؟

نفــراي غنّنا ، يا شـاعرَ الحبِّ ، قصيداً عبقريا

داريوس قِصَّةً مصريَّةَ الألحـانِ وزناً ورويّاً

امــرا أو نشيداً أسيويّاً

حَرشاف أيهــا المصريُّ هيَّــا

يعتمد باتوزيس قيثاره ويأخذ في الانشاد حيناً والغناء حيناً آخر ويشترك معه الجميع في بعض أبياتهـا

يَرْوي لكم ، في الشعرِ ، باتوزيس
أجمَــلَ مــا يُرْوَى

من قَصَصٍ أوحتْ بِهِ إيزيس
يُعْجِبُ مَنْ يَهوَى

ويستثيرُ الوجدَ والشجوا

فيما مضَى ، منغابرِ الأيامْ كان فتىً مـلاَّحْ
نهارُه أو ليـلُه أحـلامْ بالغيــدِ والأقداحْ
مستغرِقاً في اللّهوِ والأفراحْ

جُنَّ بآشوريةٍ هيفـاءْ معبودةِ الحُسْنِ
كانتْ لهــا سفينةٌ في الماءْ أمـيرَةُ السُفْنِ
شراعُهــا أُعجوبَةُ الفَنِّ

وَلَيْـلَةً مَرَّ فَغَنَّاها أغانيَ الحبِّ
فاستمهلتْ تُصغي، فحيَّاها تَحِيَّةَ القَلْبِ
فأومأتْ تدعوهُ مِنْ قُرْبِ
وعلَّمتهُ القنصَ والأسفارْ في الغربِ والشرقِ
فطوَّفا في قاصياتِ البحارْ أوْ لُجَّةِ العشقِ
عامين مَـرًّا كسَنَا البرقِ
ولَيلةً في الشاطيء الفضّي أسرى إلى القنصِ
بينا دَنتْ من شعبِ الأرضِ سفينــةُ اللّصِّ
تدبُّ في خوفٍ وفي حرصِ
وخَدَعَتْها رنَّةُ الصوتِ من هاتفٍ بالبــابْ
يصيحُ في حشرجةِ الموتِ يا رحمــةَ الأربابْ
هــذا غريقٌ في ثنايا العبابْ
وأوقَعتْها نخوةُ الإحسانْ في قبضةِ القرصانْ
ولَم يزَلْ عاشقُها الولهانْ من سالفِ الأزمانْ
يسألُ عنها الرِّيحُ والخلجانْ
وقالَ راوٍ حــدَّثوا عنهُ في قِصَّتيْ نُوحِ
إنَّ إلهاً زُوِّجَتْ منهُ في عالمِ الــرُّوحِ
فأنجبتْ آلهــةَ الــرِّيحِ !
فإن سمعتم في صدى الأمواج أو لَحْنِ شاديكمْ

أُغنيَّةٌ تهفو على الأثباجْ حَيْرى تُغاديكمْ
فهيَ لها ، وهيَ تناديكمْ !

حَرشاف: يا للفاجر يا للغادرْ

داريوس: أينَ نَراهُ ! أو نلقاهُ ؟

باتوزيس: سَلْ إلهَ الرِّيحِ عنهُ إنْ أردتَ الثأر منهُ !
هُو في كُلِّ مَكانٍ جاثمٌ إنْ تفتَقِدْهُ
وَهُوَ في كُلِّ زَمانٍ إنْ تَسلْ عنه تجدهُ
وَتَرَاهُ بَيْنَنَا الآنَ وَإنْ لَمْ تَعتقدْهُ
مَثَلٌ للشر مَهْما يَطوهِ الدهرُ يعدْهُ

امرا: أنَقْضِي هذه الليلةَ أسرَى هذهِ الحانَهْ ؟
وَفي بيبلُوسَ ألوَانٌ مِن اللّذاتِ فَتَّانهْ

حَرشاف: هَلُمُّوا ، أيها الإخوان ، فالليلةُ حُسَّانهْ

نفراي: وَهذي الغُرَفُ الحَمْرَاءُ بالإغراءِ ملآنهْ

داريوس: وَمعشوقاتنا يَنْتَظِرْنَ مِنْ آنٍ إلى آنهْ

سرنبال: هَلُمُّوا قَبْلَ أنْ يهجرَ طَيرُ الفَجْرِ أوكانهْ

حَرشاف: وَيَجْرِي الشَّفَقُ الأوَّلُ فوقَ الماءِ عِقْيانَهْ

داريوس: وَيَدْعو صاحِبُ الفُلْكِ إلى الدفَّةِ سفَّانهْ

باتوزيس: فَلْنَرْفَعِ الأكوابْ
وَلْنَدْرِ الأنخابْ

سرنبال في صحة الإغراء

نفراي وامرا: والغرف الحمراء

حرشاف بل نخب باخوس

داريوس وحور بيبلوس

الجميع ينشدون في صوت واحد ، وهم يغادرون الحانة

فليحي باخوس ولتحي بيبلوس

حرشاف فواتن الدنيا هيا بنا هيا
وهو يأخذ بذراع امرا

ويغادر الجميع ، ما عدا أزمردا ، وقد ألقوا بنقودهم ، ثمن الشراب ، على الموائد فيسرع ارسطفان الى جمعها مبتهجاً

باتوزيس إليّ بجرعة قد جفّ حلقي
الى أرسطفان متعمداً تجاهل ازمردا
وأوهى المعزف الشادي بناني

ارسطفان يملأ قدحاً ويسرع به الى باتوزيس ضاحكاً مرحاً

إليك إليك ، باتوزيس ، فاشرب
معتقة مختمة الدنان

لقد أبدعت في شدو ولهو
كما أبدعت في نظم الأغاني !

أزمردا وهات له بشانية فإني
للخمار مشيراً الى باتوزيس
طربت كأن آلهة تغني

لقد غناك طيبي نبيل
أراه كأنه لم ينأ عني

تَحَدَّرَ من ضِفافِ النيلِ حتى
أتى آشورَ في ثوبِ المغنِّي

مشيراً لباتوزيس أباتوزيسَ هاتِ الكأسَ هيَّا
تعالَ ، تعالَ ، وادنُ الآنَ منِّي

سمعتكَ في الطريقِ فجئتُ أُصغِي
إليكَ ، وأنت في سُبُحاتِ فَنٍّ

وَأزْمَرْدا صديقكَ لم تَخُنْهُ
فراسَتُه ، وصوتُك لم يَخُنِّي !

باتوزيس يتصنع الدهشة والفرح معاً ، يحمل قدحه ويخف به الى أزمردا وهو يقول

يا لَفجاءاتِ الفَرَحْ ! وَيا لَنشوةِ القدحْ !
أأنتَ أزْمَرْدا ؟ أحقاً أنتَ ؟ أمْ أنتَ شَبَحْ ؟

مشيراً الى ثياب ازمردا هذا الجلالُ ! ما أرى ؟ أرى نفائسَ الحللْ
كَأنَّهـا أُسطورَةٌ يَبْرُزُ لي منها بَطَلْ
أقولُ مَنْ هـذا الأميرُ في صِدارةِ الذَّهَبْ !
وَهـذِهِ الجَوَاهِرِ المضوِّئاتِ كالشهُبْ !

أزمردا وَلا تَقُول بَلْ فَتىً عَرَفْتُهُ على الزَّمَنْ
كُنَّا مَعاً نَعمَلُ في البَحرِ وَنَقتادُ السُّفُنْ !

باتوزيس نَخبَ الثراءِ العَظيمْ
رافعاً قدحه نَخبَ الصديقِ القَديمْ

أزمردا نَخْبَ الغنـــاءِ الــرخيـــمْ
رافعا قدحه وَنَخْبَ ضَيفِي الــكريمْ

باتوزيس ضيفُكَ ! ما تَعْنِـي ؟ وماذا تُريدْ
تضيفني أنتَ الثــريُّ العَتيــدْ
وَلَمْ أكُنْ غيرَ مُعَنًّ شَــريدْ
في أيٍّ قصـرٍ أو بنــاءٍ مَشيدْ ؟
تقيمُ في هــذا المكانِ السعيدْ ؟ !

أزمردا أُقيمُ في قصرٍ ؟ وَفيم القصورْ
وَطَوْعَ سلطانيَ هــذي البحورْ
أؤمُّ فيهــا حاليــاتِ الثغورْ
مبتهجَ الآصــالِ نَضرَ البُكورْ
عَلَى شراعٍ قرمزيٍّ جسورْ
منطلقاً يَغزو سَمَــاءَ النسورْ
ولا يَني بينَ الصَّبــا والــدَّبورْ
يثيرُ أهــواءَ الحســانِ الحــورْ
حتى تُرَى في ظِلِّهِ المَنشورْ
يحملهـــا إلى الغــدِ المقــدورْ !

باتوزيس سِرُّكَ ، يا صاحِ ، عرفتُ مكمنَهْ
سفينكَ الراسي وعيشُ القرصنهْ
يا للثراءِ ، وَيَحَهُ ، ما ألعَنَهْ !

أزمردا ألا تزالُ ، يا فتى ، مهــذارا
مُحَــدِّثاً أوْ منشِــداً ثَرثارا
تُلَفِّقُ الألحــانَ وَالأشعــارا
تَتَّهِمُ السفينَ وَالبحـــارا

وَتَخْلُقُ القَراصِنَ ابتكارا
في صُورةٍ تكسو الرِّجال عارا ؟
باتوزيس عارُكَ لن يُمحَى ولن يُوارى !

أذاكرٌ أنتَ أزمردا منعَّمةً
بيضاءَ كالشمسِ في أبهى مطالعها ؟

إذا مَشَينَا على الميناءِ ترمقُها
خَلْسَا ، وعيناكَ نارٌ في مدالعها

خدعتني عن خُطاها وهي واثبةٌ
مِثْلَ الغزالةِ تلهو في مراتعها

حتى ظفرتَ بها غدراً وطِرْتَ بها
مثلَ الرياحِ أضَلَّتْ خَطْوَ تابعِها

قَنَصْتَهَا قَنصَ جبَّارٍ وما شفعتْ
لديكَ حتَّى الدوامي من مدامعها

يابؤسها ، وهي في الأسواق عاريةٌ ،
ويا لَهَا بين شاريها وبائعها !

معروضَةُ الجسمِ تلتفُّ العيونُ بها
تَكادُ تنفذُ من أخفى مقاطعها

كأنها دُمْيَةُ المثَّالِ يفحصُها
نقَّادُهُ ليروا أخطاءَ صانعها

كأنَّها الشاةُ والقصَّابُ يَنقُدُها
بمثلِ ما جَسَّ لحماً في أضالعها

روايَةٌ كلمـا مَرَّتْ يُجَدِّدُهـا
قرصانُ بحرٍ ويُحيي من وقائعها

فاذكُرْ مصائبَ آباءٍ بما اجترحَتْ
يداكَ ، أو أُمَّهاتٍ في فواجعهـا

واذكر فتاتكَ إن صرت الغداةَ أباً
وكانَ مِثلُكَ مَقدوراً لطالعها !

أزمردا أراكَ كما فارقتُكَ الأمسَ شاعرا
على الدهرِ عِربيداً ، من الناس ساخرا

تَرامى بكَ الحاناتُ تشدو بمزْهَرٍ
تُغنّي السُّكارى والنساءَ العواهرا

حوانيتُ لهوٍ أنتَ فيها فَراشةٌ
تَظَلُّ على أضوائِها العمر حائرا

وسادُكَ كرسيٌّ عتيقٌ بحانةٍ
إذا ضافكَ الخمّارُ وامتَنَّ آجرا

ومن عجب تُزْري على الجاه والغنى
وتسألُ بي هذي الحُلَى والجواهرا

وتهزأُ بي بين السُّكارَى وما أرى
بهـم غيرَ فَتّاكٍ يلَصُّ المواخرا

باتوزيس وغَدْرُكَ أزمردا ! تكلَّمْ فإنني
أرى منك وحشَ الغاب أنقى أظافرا !

أزمردا رويدكَ، باتوزيس ، ما كنتُ غادراً
وما كنتُ إلاّ أسيويّاً مُغامرا

أبيعُ الصبايا الهائماتِ على الطوى
لأمنحنَّ العيشَ ريّانَ ناضرا

وأخدعُ فيهنَّ الرجالَ وربما
نَسَلْنَ نجوماً أو ولدنَ عباقرا

وأغشى بهنَّ الدُّورَ عاليةَ الذُّرَى
لأجعلَ منهنَّ الإماءَ حرائرا

وآلهةً فوقَ الشعوبِ يسُمنها
مقادةَ ربّاتٍ يَقُدْنَ المقادرا

فخَلِّ خيالَ الفنّ للساعةِ التي
يدينُ لكَ المالُ النُّهى والخواطرا

هو المالُ غفّارُ الخطيئاتِ فالتمسْ
به خالقاً يَعفو ويبطشُ قادرا

باتوزيس أيُّها السَّاحرُ دَعني كُفَّ هذا السحر عنّي
أيُّ أنغامٍ مِنَ السِّحرِ مُرتَّاتٍ بأُذْني
كِدْتَ أنْ تَبلغَ ما لَمْ تَبلغِ النشوةُ منّي
كِدْتُ أُلقي في يَدِ الشر بِسَيْفي وَمِجنّي
لا عَلَيْنا الآنَ من هذا التحدّي والتجنّي
لكَ سلطانُكَ في البحرِ ، ولي كأسي ولحني !

أزمردا ولَكَ الخيالُ العبقريُّ يصوغُ آلهةَ الرياحْ
مترنّماتٍ بالعشي مغنّياتٍ بالصَّباحْ
تَختالُ تذكرهنَّ في قِصصٍ منَ الكَذِبِ الصُّراحْ
قِصصٍ تُنَمّقُ لا إزيسُ بهنَّ تعلمُ أو بتاحْ !
وتروحُ تغمزني ، وأنتَ تَجِدُ في قولِ المزاحْ !

باتوزيس وينكَ أزمردا دَعِ الظنَّ ولا
تَحسَبِ القصَّةَ من هَزْلِ الحياةِ

كنتُ في « طيبةَ » من عامٍ مضى
وتَسَمَّعتُ لأخبارِ الرُّواةِ

فَتَيَاتٌ أربعٌ يظهرنَ في
كلِّ عامٍ صُوَراً مختلفاتِ

رائعاتٍ يتخطَّرنَ عَلَى
هذهِ الأمواجِ مثْلَ النَّسَماتِ

أزمردا حبذا هُنَّ ، ألا صِفهنَّ لي
كيفَ يطلعنَ ؟ وفي أيِّ الجهاتِ ؟

باتوزيس فَوقَ شطِّ رَمْلُهُ من ذهبٍ
لؤلؤيِّ الماءِ دُرِّيِّ الحصاةِ

من يَحُزْهنَّ يَحُزْ مُلْكَ الثَّرى
وَمقاليدَ البحارِ الطاغياتِ

ازمردا آهِ ، لو يَسْنَحْنَ لي كنتُ إذن
سَيِّدَ البحرِ وربَّ الغَزَواتِ !

كنتُ ، باتوزيسَ ، أحبوكَ الغِنَى
وَمَسرّاتِ العصورِ الخالياتِ

باتوزيس يا لأطماعكَ أزمردا ، أفي
ملكوتِ الريحِ ، قف ! بعضَ الأناةِ !

أزمردا أوَ أنتَ باتوزيسُ تؤمنُ بالقوَى المتجسِّداتِ ؟

وَبهــذه الأرواحِ في صُورَ الإناثِ مُصَوَّراتِ ؟
أوَ أنتَ تؤمنُ !

باتوزيس كيفلا ! والروحُ كُبرى المعجزاتِ
نحيـا كآلهةٍ بهـــا ونعيشُ من بعدِ المماتِ

أزمردا هذي الروايةُ من نسيجِ الوهمِ أو صُنعِ الخيالِ
أوَ أنتَ تؤمنُ ؟

باتوزيس لستُ أُومنُ بالخديعةِ والضّلالِ
آمنتُ بالرُّوحِ القــويِّ يهــدُّ طاغيةَ الرِّجــالِ
ويصبُّ صــاعقةَ السمــاءِ على العتيِّ من الجبــالِ

أزمردا لَمْ يَكُنْ عهدي بباتوزيسَ نشوانَ يُجادلْ
وَلَقَدْ أغمدتُ سيفي ، وَهو لا زالَ ينــاضلْ
أنتَ ضيفي ، فقمِ الآنَ ، وَدَعْ هــذي المبــاذِلْ
وتهنّأ بالكرَى العــذبِ وصِلْ ما أنتَ واصــلْ
مِنْ ذواتِ القــرطِ والشّنفِ وربّاتِ الخــلاخلْ
وَليَكُنْ حُلْمُــكَ حــورياتِ آشــورَ وَبابلْ

باتوزيس (مغضباً) لكَ عُذري ، يا أخــا الودِّ ، فمــا أنتَ بقــائلْ ؟

أزمردا يا أيهــا الفَتَى الــرقيقُ ، لا تَكُنْ مُعــاندي
أنتَ أخي ، فلا ترُبْكَ ، يا أخي ، مقاصدي
ذَكَــرْتُ عَهــدَنا القــديمَ وَالوفاءُ شــاهدي
فَرَاعَني أنّي أراكَ في هَــوَانٍ شــاردِ
تَقتــاتُ كالهــرّةِ مِنْ سَــوَاقِطِ المــوَائدِ
تَعالَ في سفينتي ، وَكُنْ أخي وَساعِدِي

وَاستقبلِ الدُّنيـا وَغَنِّ للغـنَى المُـواعدِ
وَذُقْ مبـاهجَ الحَيَـاةِ عَذْبَةَ المَـوَارِدِ
دَعِ الخَيَـالَ وَاطّـرحْ تَوافهَ العَقَـائِدِ
وَخُضْ ملاحمَ الرجالِ ، وَاقتحمْ ، وجالدِ !

باتوزيس قُلْ لي مساءَ الخيرِ ، يا صديقي
وَلنفترِقْ كُـلٌّ إلى طـريقِ !

وفجأة تعلو ضجة بباب الحانة حيث يبدو « أزيرو » متعلقة بذراعه « شيلا ومن ورائه جماعة من الرجال والنساء بينهن « سمارا » ، ويأخذ أزيرو مكانه مواجها لأزمردا وهو يقبل شيلا فيندفع رجل من الجماعة اليه

أزيـرو إليـكَ عنّي الآن ؟ مـا ترومُ ؟

الـرجل أطلبُ حَقّي ، أيُّهـا الزعيمُ !

أزيـرو أهُنَـا حَقُّـكَ ، يا لئيمُ ؟

الـرجل
بصوت جهوري
أنا اللئيـمُ ؟ بَلْ أنا المَـلومُ !

أزيـرو إلامَ تَهـذِي أيهـا المَحْمومُ
غـداً أراكَ . .

الـرجل
مهددا بيده
موعدٌ محتـوم ! !

أزيـرو
وهو يلعب بسيفه علامة التهديد
ألا تعيشُ ، يافتىً ، إلى الصباحْ ؟

الـرجل
وقد تقلص وجهه
ألاَ أعيشُ ؟

أزيـرو
متوعداً ساخراً
لا تَخَفْ وَلا تَرُعْ !

الـرجل ممن أخافُ ؟ منكَ !
في استخفاف

أزيـرو بل من السلاحْ
مشيراً لسيفه

الـرجل عفواً أزيرو نحن في الهوى شَرَعْ
في شراسة هـذا سِلاحٌ لم يُعَـدَّ للكفاحْ
غَداً غِنَـاءٌ أوْ بكاءٌ وَفَزَعْ !

أحد الجماعة يا للشقيِّ قَدْ نَجَـا بنفسِهِ

شيـلا كَيْفَ أزيرو لَمْ تَطِحْ برأسِهِ

أزيـرو لا لَنْ أمُـدَّ إصبَعاً للمسهِ
غـداً أراهُ

أحد الجماعة راقـداً في رمسهِ !

شيـلا أرسطفـان هيِّءِ الشرابا
مصفقة

سمارا إمـلأ لَنَـا الصحافَ وَالأكوابا

أزيـرو فاكِهَةً وَخَمْـرَةً عجـابا

ويسرع أرسطفان بالأقداح بادئاً بأزيرو وشيلا واضعاً أمامهما صحفتين من العنب والتين ويمر بالجميع موزعاً الأقداح فيرفعونها وهم يهتفون

نَخْبَ الزّعيمِ نشربُ ونلعبُ ونطربُ

شيـلا هَيّـا اشـرَبوا هَيّـا اطـرَبوا

أزيرو يقبلها ثم يهمس في أذنها ويخرج من صدارته شيئاً وهو يهتف

شيـــلا اغمضي ناظـريكِ واقتربي
عنـدي َكنز" إليـكِ أ ُهـديه

تغمض عينيها وتقرب وجهها منه فيضع في عنقها عقداً مصاغاً من دنانير ذهبية صغيرة والجميع ينظرون بلهفة بينما تنهض سمارا من مكانها في غيظ وكمد

شيـلا (وهي تتحسس عنقها)
ماذا أزيرو وَضعتَ في عُنقِي ؟
عِقـد" ؟

أزيـرو
أجَل ْ ، يا حبيبتي ، تيهي
أجَمـل ُ عِقْدٍ رأيتُه ُ ، وَأرى
جيـدَكِ أمسى أحبَّ مـا فيهِ

شيـلا (الى سمارا وهي تتأمل العقد)
هـاكِ انظـريهِ !

سمارا (في خبث)
نظرت ُ . . واعَجبي !
بعضُ نحاسٍ وبعضُ تمـويهِ

(مشيرة الى عنق شيلا)
لَو ْ كانَ هـذا أحبَّ ما فيهِ
ما باتَ مِن ْ دِرهَمٍ يساويهِ

شيـلا (غاضبة)
لو كنت ُ مثلَكِ ، يا سمارا ، لاختفيت ُ عن العيون ْ

سمارا (وهي تشير الى ازيرو)
لو كانَ لي رَجَل"لكنت ُ..ولست ُ أعلم ُ ما أكون ْ !
لكن سَرِقنت ُ وهكذا يَسبىَ الرجال ُ ويَسرقون ْ ! !

شيـلا (صارخة في سمارا)
وَيحَكِ ، يا سـارقةَ الجيوبِ !

سمارا أشرَفُ من سـارقةِ القـلوبِ !
وهي تشيح عنها
شيـلا أأنتِ ، يا عَدُوَّةَ الجمـالِ
سمارا بَلْ أنتِ ، يا خـاطفَةَ الرجـالِ
في حـدة

أسْطَى من القرصـانِ في السفينهْ
كَيْدُكِ ، يا قرصانةَ المدينهْ ! !

وينهض ازيرو حانقاً فيصفع سمارا ويدفع بها بقوة بين قدمي ازمردا وهي تنشج بكاء ، فيرفعها أزمردا ويجلسها على كرسيه بينما يتقدم ازيرو منه صائحاً

تَنَحَّ عنهـا ، أيُّها القرصانُ !

أزمردا وَمَنْ تكون ، أيُّهـا السكرانُ ؟
بصوت رائع

فيستل ازيرو سيفه وفي لمحة خاطفة يجرد ازمردا سيفه ويضرب به سيف أزيرو فيكسره ويقف ازيرو عاجزا

أزيـرو قد خُنْتَني !
مدمدما
أزمردا بل خانكَ الجنانُ
في عنف وهو ينزع قلنسوته
أُنظرْ لوجهي أيُّها الجبانُ !

(وتتردد صيحة من جوانب الحانة)

أزم.....ردا أزم.....ردا

أزيـرو أزم.....ردا
وهو ممتقع الوجه

ويتراجع الرجال والنساء متلاصقين خوفا وهم يرددون هذا الاسم في رعب وفزع ، بينما يغمد أزمردا سيفه ويتناول قلنسوته ، ويشير الى باتوزيس فيهرع اليه طائعاً ، ويسير الى جانبه كالمسحور ، وهما يغادران الحانة تتبعهما سمارا بين هذه الصيحات والهمسات !

ستـــار

الفصل الثاني

المنظر الأول

أزمردا ، سفينته الصغيرة الأخاذة المنظر راسية في الصباح في مكان غربي ميناء « رافيا » على شاطىء غريب منبسط متألق الرمال فيه زهرات برية مختلفة الألوان ونبت جميل وشجرات صغيرة من النخيل والزيتون منتثرة بينها بعض الصخور وعلى الأفق تبدو أشباح سحاب وجبال. أزمردا وماتوكا يتأملان في دهشة الشاطىء

ماتوكا سَيِّدي ! ما أرى الغداةَ إزائي ؟

ازمردا شاطيءٌ ضاحكُ الثرى والماءِ

ماتوكا فيهِ نبتٌ ، وفيه زهرٌ جميلٌ ،

وَظلالٌ تموجُ في أضواءِ

أزمردا كالذي تَذْكرُ القوافلُ عَنْهُ

كُلَّ عامٍ في مستهَلِّ الشتاءِ

مُلْتَقَى العابرينَ من أرضِ كنعا

نَ إلى مِصْرَ أو حمى سَيْناءِ

مـاتوكا أيُّ روحٍ خفيَّـةٍ ، أيُّ ريحٍ
حَمَلَتنا بأجنُحٍ في الخفـاءِ ؟

نَشَرَتْ ذلكَ الشراعَ وأمَّتْ
ذلكَ الشـاطيءَ العجيبَ الرواءِ

أزمردا نحنُ في أوَّلِ الطريقِ إلى مصـر
(وكأنه لم يسمع كلام ماتوكا) وَهـذي عجيبـةُ الأنبـاءِ

مـاتوكا يا لِهذي الـرمالِ تلمعُ والأصدا
(تاركا أزمردا موجهاً الى البحر منحنياً يبحث بين الأصداف والرمال) فُ فيهـا كثـيرةُ اللألاءِ

فلأُفتشْ فيهنَّ عن دُرَّةٍ عصمـا
ءَ وَلتُحسنِ الحظوظُ لقـائي !

أزمردا يا ماتوكا الـزمِ الحذرْ نحنُ في موقفِ الخَطَر
تطمَعُ الآنَ في اللآ لِيءِ ، ياهزْوةَ القدرْ !

مـاتوكا منكَ ، يا سيدي ، عرفتُ متى ألزمُ الحذَر
(وهو مستمر في بحثه) وَتَعَلَّمْتُ سَيدِي كيف لا يَقنعُ البشرْ !

أنا ، في البحرِ ، باحثٌ عَنْ يتيمٍ منَ الدُّرَرْ
مثلَمَـا أنتَ باحِثٌ عن يتيماتِكَ الأُخَرْ !
ألصبـايا المُرْتَحَـا تُ منالدَّلِّ والخفرْ !

أزمردا أيهـا الغِرُّ ، لا تغُـرُّ كَ برَّاقَةُ الحَجَر
جِفَّ حَلْقاً من الظمـا ذاكَ بَرْقٌ بلا مَطَر

ويستمر ماتوكا في عمله غير مصغ الى كلام سيده فينصرف أزمردا عنه ويجلس على صخرة ، وهو يقول

عِشْتُ عمري بذلك البحرِ ألقَى
فيهِ شَتّى الرياحِ وَالأنواءِ

غيرَ أنّي لم ألقَ مثلَ رياحِ الأ
مسِ ! يا للعواصفِ الخرساءِ !

أهيَ تلك التي تحدَّثَ باتوز
يسُ عنها في مَجْلسِ الصهباءِ ؟

فتياتُ الرِّياحِ ، آلهةُ المو
جِ المغنّي ، عرائسُ الدأماءِ ؟

قِصَصٌ من خرافةٍ أوَّلَ النا
سُ بها كُلَّ حادثٍ بقضاءِ

وأساطيرُ « طيبةٍ » ، ربَّةِ السِّـ
ـحرِ ، ومهدِ الخيالِ والإغراءِ

وَعجيبٌ رُقادُنا لا نُحِسُّ الـ
ـفلكَ تجري وَلا هدير الماءِ

أترَى باتوزيسُ دَبَّرَ أمراً
فسقاني واشتطَّ في إسقائي !

ورآني أغطُّ في النومِ فانسـ
ـابَ خفيفاً كالحيَّةِ الرقطاءِ

ثم حَلَّ الشراعَ ، وانتزعَ المر
ساةَ ، مستلهماً مَهبَّ الهواءِ

لا ! فأينَ العبيدُ أم أينَ ماتو
كا الشديدُ الحرصِ القويُّ الدهاءِ

لا ! فما زال باتوزيسُ صريعَ الـ
ـكأسِ نَهْبَ الأحـلامِ والأهواءِ

هو في مُخدعي كما باتَ ، يَهذِي
بالسُّكارى ، وبالطِّلى والغنـاءِ

فليكن مُنشِدَ السفينةِ أحتـا
لُ بهِ في مواقفِ الإغـواءِ

كلما أطبَقتْ فِخاخي على صيـ
ـدٍ غريرٍ من نافراتِ الظبـاءِ

غاشياتِ الأسـواقِ في كلِّ مينـ
ـاءٍ ، ومنهنَّ صاحباتُ الخبـاءِ

كانَ عيدُ البحارِ موسمَ صيدي
في ديارٍ بالمُغـرياتِ مِـلاءِ

عُدْتُ منها صِفرَ اليدينِ بيومٍ
لم أُفِقْ فيهِ من خُمـارِ المسـاءِ

فلتكن وجهتي إلى الغـربِ علِّي
ظـافرٌ من غنيمتي بلقـاءِ !

ثم يقف ازمردا متطلعاً الى الأُفق البعيد متأملا صفاء السماء ، وهو يقول :

يا عينُ ما أجمـلَ هـذا الصباحْ
يثيرُ في نَفسي قَويَّ الطِّمـاحْ
للصيدِ ، والكأسِ ، وحُبِّ المَراحْ

تبدو في هـذه اللحظة أربع فتيات جميلات كأنهن قادمات الى نزهة على الساحل وهن يتمخطرن صفاً واحداً متماسكات الايدي فيما يشبه الرقص الموسيقي الموقّع ، فيشيع في نفسه الرجاء ويفرك كفيه مبتهجا ، وهو يقول

(لنفسه) يا عينُ ، ما هذي الوجوهُ الصِّباحْ
وَهـذهِ القاماتُ مثلُ الرِّماحْ
طوالعُ الحسنِ ، الصبايا ، المِلاحْ
حبائلي ، لا يُخطئنك النَّجاحْ
وهل يُتاحُ الصيدُ لي ؟ هل يُتاحْ ؟

الفتيات وقد اقتربن من مكان أزمردا وهن مبتهجات باليوم الجميل ومنظر الميناء وينظرن الى أزمردا وهو يحني رأسه قليلا ويشير بيديه تحيه لهن

أزمردا عِمْنَ صباحاً ، أيها الحسانْ
الفتيات وعِمْ صباحاً ، أيها الرُّبَّانْ
أزمردا أمبحراتٌ ؟ حبَّذا الأوانْ
فالبحرُ صفوٌ كلّهُ أمانْ
حتّى الرياحُ مسَّها الحنانْ
أو عطفتنها للكرى الشطئانْ
سفينتي ، يا حسنُ ، لو تُزانْ
بكنَّ أو يُسعدها الزَّمانْ

ازمردا يتوجه اليهن باسماً بعد ان اتمّ كلامه ، فيبتسمن له ويقفن كأنما يتفرجن على سفينته الراسية بينا يختلسن النظرات منه ومن زيّه الغريب الجميل

حروازا أيتها الربّان ، لسنا مؤذناتٍ برحيلِ
نحنُ ما جئنا إلى الشاطيءِ نسعى لسبيلِ

مريتـا إنهـا تسليةُ النفسِ ، وإرضاءُ الميولِ
بَينَ نورِ الأُفُقِ الضاحكِ والبحرِ الجميلِ

أزمردا حبـذا أنتنَّ ، في الشاطيء ، تَخطرنَ مليّـا
يا أرقَّ الحورِ ، يا أجملَ من رفَّ عليّـا
حبّـذا هـذا الحَديثُ العَذْبُ منكنَّ إليّـا
(الى حروازا) خبِّريني أنتِ ، يا حسناءُ ، يا أُختَ الثريّا
صَوتكِ الساحرُ يَسْري نَغَماً في أُذُنيّـا
وَبعينيَّ فتونٌ مِنْ سَنَـا هـذا المُحَيّـا
أترَى تَسكُنُ هـذا الواديَ الخِصبَ النديّا ؟
حَبذا الدارُ التي تَمنَحُنها العيشَ الرضيّا
خَبِّريني ، أينَ ألقَى ذلكَ المَغنَى الوَضيّـا
لأُحَيِّيهِ إذا ما جِئتُ صُبحاً وَعشيّا

حروازا يا أخا الرِّقّةِ وَالزيِّ العَجيبِ
أنتَ لا شَكَّ غَريبٌ ههُنـا

إنْ تَسَلْ عن مرفإِ النيلِ القريبِ
فاتّجِهْ غَرْباً على هـذي السَّنا

مريتـا أو تَسلْ عن ذلك الوادي الخصيبِ
فهو مَغنى الأُنسِ ، أو روضُ المُنى

ويشافا نَلتَقي فيهِ عَلَى شَطٍّ حَبيبِ
كلَّ عامٍ ما دَعَا الشّوقُ بِنـا

اسمينا ما لَنَا مِنْ مَنْزِلٍ فيهِ رَتيبِ
مِصْرُ مِنْ أطرافها دارٌ لَنـا !

ثم يعدن الى خطراتهن الأولى متماسكات الأيدي فيما يشبه الرقص الموقع ، متجهات في طريقهن الأول مبتعدات عن ازمردا

ازمردا
هاتفاً بعد تفكير خاطف كأنما كان يدبر في نفسه أمراً

هذه اللحظة الجميلة حلم البحر، حلم السفائن الراقصات
سِرن وامرحن، أو تغنَّين ما شئتُن، وانعمن بالصبا والحياة
وليكن يومكنَّ، يا فتياتي، يوم عيد لهذه الكائناتِ !

ويشافا
ناظرة خلفها

رَجل" مُعجِب" وَأعجَبُ منهُ
زِيّهُ المُذهَبُ الجميلُ الشّياتِ !

ويظهر ماتوكا في هذه اللحظة مقبلا من الشاطيء فيرى الفتيات الاربع ولا يصدق ما يراه ، وينظر الى أزمردا فيراه واقفاً في مكانه شاخصاً الى الفتيات وكأنه مأخوذ وحين يرى ماتوكا ازاءه يقول :

أزمردا

آذنَني بوجهكَ الظهورُ
فغَابَ عَنّي الأُنسُ وَالحبورُ
وأنتَ ، يا أسودُ ، يا مغرورُ

مشيراً الى الفتيات وهن يبتعدن

تَظهَرُ مِنْ حَيثُ يغيبُ النورُ !

ماتوكا
شاخصاً حيث يشير ازمردا

أأبصر حور البحر يمرحنَ، أم ترى
هو الشاطيء المسحور، أم أنا أحلم ؟

أزمردا

بل الواقعُ المرئيُّ حور" فواتن"
دعاهنَّ لَهو" أوْ دعاهنَّ مأثمُ

تحايلتُ أدعوهنَّ حتى حَسِبْنَني
أخا صَبْوَةٍ أوْ شاعراً يترنَّمُ

وسدَّدتُ سهمي في الصميمِ فصدَّهُ
خيال" خَفِيّ ، أوْ جلال" مُلَثَّمُ

رأيتُ قُوىً فيهنَّ لم أرَ مثلها
كآلهةٍ عُلْويةٍ تَتَكَلَّمُ

ماتوكا أمِنكَ تعلّمتُ الجراءةَ والسُّطا
وَألقاكَ أزمردا تَهمُّ فتحجمُ ؟

أزمردا رويدكَ ، ماتوكا ، فما تلكَ خطّتي
وَلا أنا مِمَّنْ يُستثارُ فيهجمُ

وَلي قدرةٌ ليستْ تعفُّ ، وجرأةٌ
يخافُ سُطاها القَسْوَرُ المتأجِّمُ

وَأشتفُّ أهواءَ النفوسِ بنظرةٍ
تذوق الطّلى في الدَّنِّ، وهو مختّمُ

وَلكنني أحتالُ بالشّعر وَالهوى
وَأستلهمُ الحسنَ الخيالَ وَأُلهمُ

وَيا رُبَّ صَيْدٍ نفّرتهُ ضراوةٌ
وَأسلسهُ في القيدِ لفظٌ مُنغّمُ

ماتوكا وَلكنْ قُواهنَّ العجيباتُ !

أزمردا لا ترَعْ
فَلَلمنطقُ الخلاّبُ أقوى وأعظمُ

مشيراً الى لسانه بقطعةِ هذا اللحمِ يمضغها الفَمُ
أُزلزلُ أركانَ الجبالِ وَأحْطِمُ

ماتوكا وَإنْ هنَّ حاولنَ الفِرارَ !

أزمردا حبائلي
تَشدُّ على الريحِ الفضاءَ وتدْهَمُ

أتَفلِتُ من كفّي قنائصُ أربعٌ ؟
لَهنَّ جميعاً لي متاعٌ ومَغْنَمُ !

ماتوكا أثرتَ فضولي بالكلامِ فما ترَى
وقوفَكَ ترنو نحوهنَّ وتبسمُ ؟

أزمردا لأمضي في آثارهنَّ وَأتَقي
خُطاهنَّ حتى يظهر المتكتَّمُ

أراهنَّ لا أبدو ، وأسمعُ لا أُرَى
كأني خيالٌ ضائعُ الظلِّ مُبْهَم !

ماتوكا وما تَنتَقِي ؟

أزمردا إنَّ النساءَ غرائزٌ
تحسُّ دبيبَ الوهم إذ يَتَوهَّمُ

ماتوكا وما تبتغي ؟

أزمردا أسرارَهن وَإنها
مفاتيحُ بابٍ خَلْفَهُ الحظُّ يجثمُ

ماتوكا إليهنَّ أزمردا ! إليهنَّ لا تَقِفْ !

أزمردا أآلهة الشرِّ انظري كيفَ أُقدِمُ !
وهو يلف طيلسانه
على كتفه بقوة

وينطلق ازمردا في اثر الفتيات

ستار

المنظـــر الثـــاني

بقعة خضراء تشبه الواحة ذات شجر ونبات خلف صخرة بيضاء تحجبها عن البحر ، وعن الأنظار ؛ يهبط اليها الفتيات دون أن يشعرن بتعقب أزمردا لهن وقد اختفى وراء الصخرة مطـلاً عليهن من فجوة صغـيرة فيراهنَّ وقد أخـذن يخلعن غلائلهنّ الشفافة ويلقينها على العشب بينما تنشد حروازا

حروازا

إلى صخرتنـا البيضـاء بينَ المـــاءِ والخُضْرَه
تعـالي ، يا مريتـا ، وارقُصي رقصَتَك الحُرَّه
على ترنيمةِ اسْميتّا ، وشـدوِ الموجِ للصَّخرَه
وغنّي أنتِ ويشـافا بصـوتٍ سَـاحرِ النَّبْرَه
أغـانيَّ الـرِّياحِ على حـوافي الأعيُنِ الشَّـرَّه
وأنتِ ، عرائسَ الأمواجِ ، قد أفشى الهوى سرَّه
ونادتكِ شِفـــاه" من زُهـورِ الأرضِ مفتـرَّه
فهبّي من وراءِ البحـــرِ ، أو فانطلقـي عَبْرَه
وَغَنّي مَعَنَا لحنَ النَّـدى الرَّفافِ بالزَّهْرَه
وَتَلْعَـابَ السَّحابِ إذا أثارَ البرقَ أو غَـرَّه

وفجأة تتردد من فضاء البحر ضحكات مطربات وتثب عرائس الامواج شاديات راقصات مرسلات الشعور شبه عاريات ، يتحلّين بضفـائر الورد والاصـداف البراقة ويملأن جوانب المـكان ، بينما يأخـذن جميعهن في الرقص التوقيعي ، وهن ينشدن

عرائسَ المـــوجِ نحنُ الحبيبـاتُ
لَنَـا على المَـرْجِ للّهــوِ ميقـاتُ

★ ★ ★

إنْ يَطْلُعِ الفَجْرُ تَتفَتّحِ الأصداف
وَيَصْدحِ البَحْرُ في موكبٍ زفزاف

★ ★ ★

لبّيكِ قَدْ جئنـا بالجسمِ وَالروحِ
فَسَلْسِلي اللّحنـا آلهــةَ الـرّيحِ

★ ★ ★

عُشّاقنـا نامـوا عَنْ فجرنا الوهّاجْ
وَالأفقُ أنغـامُ وَالشطّ وَالأمواجْ

★ ★ ★

ما مَتّعـوا النفسا بِطَلْعَةِ الحورِ
أوْ مَلأوا الكأسـا من خَمرةِ النـورِ

وينتهين من انشادهن بانتهاء مريتا من رقصتها فتتقدم ويشافا وتبدأ اغنيتها

ويشافا أنا أُخْتُ الصَّبـا أنا بنتُ الشمالْ
أنا روحُ الصِّبـا أنا حُلْمُ الخيَـالْ

★ ★ ★

طَوّقَتْ سـاعدي بحر« إيجا » الجميلْ
وَاحتَوَتْ باليَـدِ شَطَّ مصرَ الظليلْ

★ ★ ★

أتَشَهّى الـرقَادْ وَأُحبُّ المـرَحْ
مَنْ يَجيءْ بالودادْ جِئتُهُ بالفَـرَحْ

★ ★ ★

ليس يشكو المـلالْ   مَنْ صفا لي هَواهْ

إنَّ ريحَ الشمَالْ   هيَ ريحُ الحياهْ

الفتيات ساءَلتُ آلهتي ، فكانتْ لي الـرياحُ وكنتُها
(ينشدن) وَهيَ الحياةُ ، كمـا سألتُ إلهتي أُعطِيتُها
أحيـا بهـا أبَدَ الزمانِ ، وفي يَدي ملكوتُها

حروازا أنا ريحُ الشَّرقِ أو بِنتُ الضياءْ
تتقدم وهي تغني أنا مَنْ تَمْنَحُ أنفاسَ الشروقْ

بِيَـدي أفتَحُ طاقاتِ السمـاءْ
عن نَدىً يَسْبي ولأْلاءٍ يَرُوقْ

أصْحَبُ الشمسَ إلىضَحوتِهَا
وَهي تَسْعَى وَيَدَاها في يَدي

هَيَّأتْ لي الشمسُ في ساحتها
مَنزِلَ الحبِّ وَعيشَ الرَّغَدِ

كَمْ ترى يُشغفني حبُّ الطَّعامِ
مثل « آبيس » اشْتِهاءً وهيـامَا

نَهم" يُغـري بمضغٍ وَالتهـامِ
مثل « سيتٍ » حين يشتاقُ الطعاما

أنا بِنتُ الشرقِ ، أوْ روحُ سَناهْ

أنا ريحُ الشرقِ ، أو ريحُ الحياهْ

الفتيـات ساءَلتُ آلهتي ، فَكانتْ لي الرياحُ وَكنتُها
(ينشدن) وَهي الحيـاةُ ، كمـا سألتُ إلهتي أُعطيتُها

أحيا بها أبَدَ الزمانِ ، وَفي يَدي ملكوتُها

مريتا أنا ريحُ الغَـــربِ بِنـْـتُ الآبادِ
أنا هَمْسُ القلبِ أنا رَجْعُ الشادي
أنا رَمْـزُ الحبِّ في هـذا الوادي

أنا التي أعبُرُ الصحراءَ فوق خُطىً
مِنْ ذِكرياتٍ وَأحلامٍ وأشواقِ
أنا التي اتَّخذَتْ رُوحي لها وَطَناً
أجسادَ آلِهةٍ عانينَ عُشَّاقِ

لم أرْنُ يوماً ورائي ، غيرَ ناظرةٍ
إلاّ لِضَوْءٍ بأُفْقِ الغربِ خَفَّاقِ

يهتاجني موجهُ والشمسُ سابحةٌ
في مثلِ بحرٍ من النيرانِ ألاّقِ

مَضى حبيبي ولم أبْرَحْ لعَوْدَتهِ
على الرُّبى بفؤادٍ جِدٍّ مُشْتاقِ

والليلُ يُرْخي على شعري جدائلَهُ
فوقَ الرِّمالِ ، وزادَ البردُ إرهاقي

وقد سندتُ بكفي جبهتي ، وهوتْ
قيثارَتي من يدي من طول إطْراقي

من قبلِ ما كان في الوادي وضفَّته
مَلْكانِ مُخْتَلِفا عَهْدٍ وميثاقِ

الفتيات ساءَلتُ آلهتي ، فكانتْ لي الرياحُ وكنتُها
(ينشدن) وَهي الحياةُ ، كما سألتُ إلهتي أُعطيتُها
أحيا بها أبَدَ الزمانِ ، وفي يَدي ملكوتُها

اسميتا أنا بنتُ الجنوبِ ، ريحُ الحياةِ
تتقدم وتغني أنا زِنجيّةٌ تَسوقُ الماءَ

أنا حبُّ الثرَى، وحلْمُ النبات
فيهِ أحيَا وأبعَثُ الأحياءَ

أنا سِرُّ الحَيَاةِ والكائناتِ
إنَّ ريحَ الجنوبِ ريحُ الحياةِ

الفتيات ساءَلتُ آلهتي ، فكانتْ لي الرياحُ وكنتُها
(ينشدن) وَهي الحياةُ ، كما سألتُ إلهتي أُعطيتُها
أحيا بها أبَدَ الزمانِ ، وفي يَدي ملكوتُها

ويسرع الفتيات وهن يتضاحكن في ارتداء غلائلهن وقد سارت عرائس الموج الى البحر ، فيغادر أزمردا مكانه ويدخل عليهن فجأة فتشرئب العيون اليه وهو في زيه الفاتن الرائع فيشيع الصوت بينهن ، وهو يقول :

أزمردا أيها الفاتناتُ ، أيتها الأرواحُ ، أنتنَّ يا رياحَ السماءِ
ياجميلاتُ ، هل لكنَّ بأن تقبلنَ مني تحيّتي وولائي ؟
ماتُراها أسماؤكنّ ، ومن واهبُ هذي الصفات الأسماءِ
من تراهُ ؟ ومن حباكنَّ هذا البأس والملك واسع الأرجاءِ ؟

حروازا قد وُلدنا من قبل أن يبعث الناس لعيشٍ مقدَّرٍ وهلاكِ
مريتا ووجدنا من قبل أن يوجد الأرباب ، من قبل دورة الأفلاكِ
ويشافا قبلما يغتدي إلى الصيد قنّاص ويهوي طير صريع شباكِ

قبلما تعلقُ الحبالُ بثورٍ أوثقتهُ ، فما له من فكاكِ

اسميتا قبلما لامس الهوى جسم «ماتريت» ، ومسته قبلة المشتاقِ

مريتا قبلما ضَمَّها ذراعُ مُحبٍّ ، واحتوتها أحضانه لعناقِ

حروازا قبلما أُشبِعَتْ رِغابُ إلهٍ ، أزليٍّ ، مصوِّرٍ ، خلاَّقِ
منحتني إلهة الريح سلطاني هذا ، فسدت في الآفاقِ ! !

أزمردا (الى حروازا)
يا رَبَّةَ الحسنِ تَعَالَيْ معي
سفينتي في ذلكَ المَوْضِعِ

ألقِي عَلَيْهَا نَظْرَةً وَارجعي
هلاَّ نزلتِ الآن ؟ هيَّا معي !

حروازا
لا . . إنَّ لي سفينتي مهيَّأهْ
تجري إلى الثَّغرِ تؤمُّ مرفأهْ
حيثُ أُعِدَّتْ لي فيه مُنشأهْ
منشورةٌ قلوعُها مُضَوَّأهْ
مأمونةٌ على المَدى سبيلُها
ألفُ ذراعٍ لو علمتَ طولُها
أرقَى بها معارجَ السماءِ
للشمسِ في منزلها الوضَّاءِ

أزمردا (قائلا لنفسه)
أأقول قد ذهبت محاولتي سدى ؟
هيهات إن وسائلي لن تنفدا !

أيَّتُها الربّاتُ ، إنْ تَجْهَلْنَني فَمَعْذِرَهْ
لِقَاؤكنَّ قسمةُ الآلهةِ المُقَدَّرَهْ
عرفتكنَّ بالوجوهِ وَالخُطَى المعبِّرَهْ

(مشيراً لحروازا) ألَسْتِ حروازا ابنةَ المطالعِ المنوَّرَهْ ؟

حَبيبةَ المَشرقِ أو أنفاسَهُ المُعَطّرَهْ

(الى ويشافا) أَلَسْتِ ويشافا ابنةَ الشواطيءِ المُنَضّرَهْ ؟
طيفَ الشمالِ ، روحَهُ القَويّةَ المؤثّرَهْ

(الى مريتا) أَلَسْتِ أنتِ ، يا مريتا ، الفتنةَ المصوّرَهْ ؟
حُلْم المَساءِ ، ربّةَ المغاربِ المعصفرَهْ

(الى اسميتا) وَأنتِ ، يا اسميتّا ، ابنةَ الينابعِ المفجّرَهْ
إلهةَ الغابَةِ ، عذراءَ الجبالِ المقمرَهْ

حروازا عقولُنا مما رَوَيْتَ ، يا فتَى ، مُنبهرَهْ

مريتا لا شكَّ أنتَ من وَراءِ الكَوْنِ رُوحٌ مُحتضَرَهْ

اسميتا إنْ لَمْ تَكُنْ مشعوذاً أُوتيَ عِلمَ السَّحرَهْ !

أزمردا (الى الفتيات) ياجميلاتُ، يافواتنُ، يا أظرفَ مامثّلتْ صفاتُ السماءِ

يا أرَقَّ المسمَّياتِ بأحلَى
ما جرَى في الشفاهِ مِنْ أسماءِ

فَلْيَزِدْكُنَّ مِنْ شبابٍ وحسنٍ
كُلُّ صُبْحٍ مُجَدَّدٍ وَمساءِ

ورعتْ خطوكُنَّ آلهةُ الوادي
على الأفقِ ، والثرى ، والماءِ

يا حَريّاتُ بالذي ما تراءى
لعيانٍ ، وَلا جرَى بسَماعِ

ما السفينُ المجنّحاتُ تَناهَى
طَرَفاها بألفِ ألفِ ذراعِ

كالتي صَفّقَتْ لكُنَّ مَجاديـ
ـفَ وَحَيَّتْ بقرمزيٍّ شراعِ

جَمَعَتْ مِنْ عجائبِ البرِّ والبـ
ـحرِ ، وَمِنْ كلِّ لذةٍ وَمتاعِ

كلُّ مـا في سفينتي طوعُ أيديـ
ـكنَّ ، من كلِّ جَوهَرٍ وَثيابِ

مِنْ شفوفٍ وَرْدِيَّةٍ نَسَجتهـ
ـنَّ العـذارى عرائسُ الأربابِ

مِنْ يواقيتَ ، مِنْ يتيمِ لآلٍ
ما رأتها في الحُلْمِ عَيْنُ كعابِ

مِنْ طيوبٍ بكفِّها قطرَتها
مَلِكاتُ الجمالِ مِنْ كلِّ غابِ

ويشافا	كَم مرحنـا بشراعٍ	وَسَبحنـا بسفينِ
اسميتا	وَسَمعنا من خَيَالٍ	وَعَرَفنا مِنْ يقينِ
مريتـا	أيثنا تؤثرُ بالجوهَرِ	وَالـدرِّ المصونِ ؟
حروازا	أيثنا تؤثرُ بالطِّيبِ	وَبالثوبِ الثمينِ ؟
ويشافا	أيها يصلحُ لي عندكَ	يا ربَّ الفتـونِ ؟

أيُّهـا الفـاتن بالرِّقَّةِ وَاللَّحظِ المبينِ

أزمـردا
الى ويشافا

أيهـا القادمةُ الحسناءُ من خُضْرِ البقـاعِ
أنتِ ، يا مَنْ طوَّقت « إيجةَ » منهـا بذراعِ
واحتوَتْ أطرافَ مصرٍ بينَ رفّافِ الشُّعاعِ
أنتِ ، يا باعثـةَ البهجة في قلبِ الصـديقِ
لكِ عنـدي كلُّ فَتّانٍ من الثَّـوبِ أنيقِ

يُبرِزُ الفتنةَ من ساقيكِ والقدُّ الرشيقِ
لَكِ عندي مِزْهَرٌ صُنْعُ أساطيرِ الشمالِ
وَحْيُ موسيقاهُ بوهيميةٌ بِنْتُ خيالِ
وَهو لحنٌ فاضَ من بينِ سحابٍ وَجِبالِ
شَعْرُكِ المرسلُ ، يا شقراءُ ، ما أبلغَ سحرَهْ
إنْ تَحَلَّى مِنْ أوانيِّ الحبيباتِ بزَهْرَهْ
وَزَهَتْ في مفرقيهِ من بحارِ الشَّرقِ دُرَّهْ
لكِ عندي تحتَ ضوءِ الأُفُقِ الشرقيِّ حجرَهْ
وَوِسادٌ عَبْقَرِيٌّ إن غَفَتْ عيناكِ فترَهْ
حشوُهُ ريشُ نعامٍ لم يرِ الصائدُ وكرَهْ

حروازا

وَأنا ، ماذا ترَى أعددتَ لي
من طيوبٍ ، وشفوفٍ ، وحُلِي
أيها الشادي الرقيقُ الغَزَلِ

أزمردا
الى حروازا

يا أسيويَّةُ أنتِ ، يا غيداءُ ، يا بنتُ الضياءْ
يا من وهبتِ الشرقَ أنفاساً مُسَلْسَلَةَ النقاءْ
يا مَن تُفَتِّحُ عَنْ عيونِ الماءِ طاقاتِ السماءْ
أنفاسُكِ الذهبيَّةُ النشوى بصهباءِ الشروقْ
لِم لا يُناسمهنَّ عِطرٌ في إناءٍ مِنْ عَقيقْ
مَزَجَتْهُ ساحرةٌ بسِرِّ الحبِّ في زَمَنٍ سَحيقْ
أحرَى بلبَّتكِ الجميلةِ ، يا جميلةُ ، عِقْدُ ماسْ
لصفاءِ روحِكِ أو لِذاتكِ في أشعتهِ انعكاسْ
مافي كنوزِ الأرضِ منهُ ، وما لجوهرِه جناسْ
أحرى بإصبعكِ الرهيفةِ خاتمٌ ، بَلْ خاتمانْ
تومِي بأحكامِ المقاديرِ فيهما ياقوتتانْ

ما خُتِّمَتْ بهما متوَّجَةٌ عَلَى عرشِ الـزمانْ
أحرى بقامتك الرشيقةِ مُطرفٌ ضـافي الذيولْ
رَسمتْ عَلَيْهِ يَدُ الهوى أحـلامَ فاتنـةٍ قتولْ
شهبٌ وأزهـارٌ ، وليس لهـا أُفولٌ أو ذبولْ
فإذا احتـوتك سفينتي نِلْتِ الـذي أبدعتُـهُ
وَطعمتِ من ثَمَـرٍ من الكَرْمِ الجنيِّ جمعتُـهُ
وَشَـرِبتِ من قدَحٍ بخَمْـرِ إلهتي أترعتُـهُ

حروازا يا أخَـوَاتي ، هَـلْ رأيتُنَّ فتـىً في حُسْنِهِ
مـا ضَرَّنا ألاَّ نكونَ عنـدَ حُسنِ ظنِّهِ

مريتـا أُختـاه ، ما أحـذرُ غيرَ سحـرِهِ وفَنِّهْ

حروازا لا تحذَري ، إني أرَى الطّيبَةَ مِلْءَ عينِهِ
يَكادُ قلبهُ يُضيءُ في بَيَـاضِ سِنِّهِ

ويشافا أسمعتِ ألطَفَ مِنْ عبارَتِهِ
حروازا وَرَأيتِ أجمَلَ مِنْ إشارَتِهِ
وَيَدَاهُ تَعْبَثُ في صـدارتهِ ؟

مريتـا أغراكِ ، يا حوّاءُ ، سَبْطُ القوامْ
إنتَظِرِي حَتَّى يتمَّ الكلامْ

أزمـردا أُختَ « يا هو » ، إلهةَ الصحراءِ
الى مريتا
يا جمـالَ الطبيعـةِ العـذراءِ

أيهذي الصبيةُ الحيَّةُ الأشواق، ذاتَ الغلالة السوداءِ
لكِ عندي قيثارة لحنها الذكرى،وأصداؤها حفيفُ المساءِ
يسمعُ الطيرُ صوتَها فيلبّي وتُلبّي الوحوش في البيداءِ
أنتِ ، يامن ترفرفين على الوادي بأنفاسك العذابِ النديّهْ

آنت ، يامن تراقصين على النبع ظلال الأصائل العسجديَّه
حق هذا الشعر المكلل شف نسجت وشيه يد الأبديَّه
خالدات سمات حسنك فيه رائعات آياته السرمديَّه
حق هذا الخصر النحيل إزار من نضار مقدس وجمان
حق تين الأذنين قرطان من در بحار مسحورة الخلجان
حق هذا الفم الرقيق سلاف عصرت من حدائق النسيان
قبلما قبلت خطاك ربى الوادي وقامت عليه مملكتان

الفتيات

وبشانا ومريتا وحروازا

إنّا نرى الفاتنا ينسى فتاة الجنوب !
أمّا يرى أختنا تكاد شوقاً تذوب ؟
ألوقت قد فاتنا واليوم وشك الذهوب

أزمردا

الى اسميتا

حييت، يا بنت جبال القمر يامن تطلين على المنحدر
فيضحك البرق ويبكي المطر ويتغنى بالحياة الشجر
حييت ، يا فرعاء يا ربة السحر
يا من تسوق الماء من منبع النهر
يا نشوة الملاح في الليلة القمراء
يا فتنة الفلاح في الضفة الخضراء
عقيصة الشعر حق لها حق
ذوب من العطر لم يحوه حق
مزاجه النور في شفتي زهره
كم ودت الحور من ذوبه قطره
عبيره يغري آلهة الغاب
بالرقص للجمر والجسد الصابي
جيدك ما أحلاه في لونه الفتان
ينحر لو حلاه عقد من المرجان

حبَّـــاتُهُ الحُمْـــرُ تَذكو بهـا الأشواقْ
لَمْ يَنْمِهـا بحـرُ بل مُهَجُ العشـاقْ
يا سِحْرَ مـا يُبدي ذراعُكَ الوَهَّـاجْ
تَزْهَى به عنـدي أسـورةٌ من عـاجْ
مـا في الثرى منـهُ جوهـرُهُ الفَـردُ
إفريقيـا عنـهُ تسـألُ والهنـدُ

حروازا يا أخَواتي ، حانَ وقتُ الوداعْ
إنتَصَفَ اليومُ ومالَ الشُعاعْ

ملتفتة الى ازمردا إلى غَدٍ .. ألقـاكَ ، يا صاحبي
في موكبِ الشمسِ وظِلِّ الشِّراعْ

مريتـا فَلْنَبْقَ حـروازا إلى أن نَرَى
حواشي الظِّـلِّ تلفُّ الطريقْ
فالقَيظ يُلقي جَمْـرَهُ والثَّرَى
مفازةٌ في هَبَوَاتِ الحـريقْ

حروازا وَدِدْتُ لكنِّيَ أخشى السُّـرَى
وحدي ، والمَشْرِقُ ناءٍ سحيقْ !

أزمـردا كمـا شِئتِ فاتنَةَ المشرقِ
ولكنْ عِديني ...

حروازا غـــداً نلتقي !

وبينما تنسق حروازا ثوبها ايذاناً بالرحيل تنتحي مريتا بويشافا واسميتا جانباً ، وهي تقول

مريتـا يواعِدُها وحدَها !

اسميتا وهيَ لا تفكّرُ في ذلكَ المـزلقِ

ويشافا لعلَّ بهـا صبـوةً

اسميتا صبـــوة" ؟

مريتـا ومـا هيَ والآدميُّ الشّقـيِ

ويشافا ولِمْ لا ، وفي وجهِهِ مَنحة"
من الجـاذبيّةِ والـرَّونقِ ؟ !

اسميتا وَفي صَـوتهِ رَنّة" حـلوة"
من الحبّ سـاحـرةُ المنطقِ

مريتـا أتلقـاهُ لا تَتّقِي غَيّـهُ ؟

اسميتا وَكيفَ ؟ أآلهـة" تَتّقِي ! ؟

مريتـا عِصمة" نحنُ في السمـاءِ وَفي الأرضِ كالبَشَر
يتسـاوى ابنُ آدمٍ ــ وإله" ــ إذا شَعَر
إنْ أحبّـا فلا خـلافَ وَلا فَرْقَ في الأثر

ويشافا يا مريتـا ، تَقَدّمِي وخُذي موقفَ الحذرْ

اسميتا فَلْنَحُلْ دونَ شَرّهِ أُختُنا منه في خَطرْ !

ولا تكاد تتم هـذه العبارة حتى تهم حروازا بالانصراف وقد وضعت يدهـا في يد ازمردا ، وهي تقول

أيهـا السيّدُ الرقيقُ ، وداعاً . . . إلى اللقـاءْ !

ويشافا أمْهلِي . . .

مريتـا بل تريّثِي نحنُ في موقفٍ سواءْ
مـا علينـا وَلم تَحُلْ بعـد إشراقةُ السماءْ
إن مَضَينـا إلى السفينةِ في موكبِ الضيـاءْ

وَرَأينا كنوزَها وظفِرنا بما نشاءْ !

أزمردا حبَّذا هذه السماحةُ منكنَّ والرضاءْ
مبتهجا
حبَّذا في سفينتي ذلكَ الودُّ والصفاءْ !

حروازا أوَ تذهبنَ ؟
وقد سحبت يدها من أزمردا

مريتا لحظةً قبل أن يقْبِلَ المساء !
بعد تردد

حروازا أوَ تذهبنَ وحدكنَّ ؟

مريتا وما عنكِ من غَنَاءْ !

حروازا أتصدّقنَ قَوْلَهُ ؟

مريتا أتَشكّينَ ؟

حروازا لا مِراءْ

أزمردا أسفاً رَبَّتي فما قلت زوراً ولا ادّعاءْ
مندفعا في خبث

حروازا هاتِ برهانكَ المبينَ ومِنَّا لكَ الوفاءْ !

يخرج أزمردا من صدارته ياقوتة كبيرة ذات بريق اخاذ ويقدمها الى حروازا بين نظرات الاعجاب

أزمردا إليكِ ، إليكِ ، يا حسناءُ ، سِحْرَ العينِ والتُّبِّ
بصوت مؤثر
ورمزَ المجدِ ، والسلطانِ ، والفتنةِ ، والعُجْبِ
خُذي ياقوتةً حمراءَ تحوي صورةَ القلبِ

هـــديةُ رَبَّةٍ الرَّباتِ من عاشقِهــا الصبِّ !

حرّوازا وهي تتأملها مشدوهة — كلونِ الدمِ

مريتـــا وهي تحدق فيها — والغـــيرةِ

اسميتا وهي تلمسهـــا — والشهـــوةِ

ويشافا وهي تتنهد — والحُبِّ !

أزمـــردا في حمـــاسة — خُذِيها وافتِني الأربابَ ، يا معبودتي ، واسْبِي
ألا ولتَمْلِكي العــالَمَ من شـرقٍ إلى غَــرْبِ

مريتـــا — وكيف أراكَ لم تُحْرِزْ بهــا العــالمَ إحــرازا ؟

أزمـــردا — هو السرُّ الــذي أُلْهِمتُهُ وحيــاً وإعجــازا
فهــذا جوهــر ضَنَّتْ بهِ الــرَّباتُ إعــزازا
ولم يُخْلَقْ لغــير إلهــةٍ تُنْمَى « بحــروازا »

مريتـــا — أعنــدك غــيرُهُ ؟

أزمـــردا — عنــدي وطــوبى للــذي فازا

ويشافا — يواقيت" ؟

اسميتا — وبالأسمـــاءِ ؟

أزمـــردا — إسهاباً وإيجازا !

وهو يشير بيديه اشارات رائعة

ألهمتني السماءُ أين أراكنَّ فطوّفتُ في البحارِ القصيّه
ولبيلوسَ باسم إيزيس أبحرتُ بروحٍ من القضاءِ خفيّه
ونقلت الكنين من كنز أوزريس والتاج والعصا العسجديّه
ويواقيتَهُ ولؤلؤَهُ المنظوم حتّى القيثارةَ السحريّه

ثم قادتْ سفينتي حيثُ أنتنَّ وقادتْ أقدامكنَّ إليهْ

وبأسمائكنَّ آلهةَ الريحِ سرى صوتُها على شفتيهْ

إنَّ ألفاً من الهدايا لحروازا وكلٌ خُصَّتْ بألفِ هديهْ

(وهو يمد يديه لهن) يامريتا، وياويشافا، وياسميتا، ألا ضَعن َأيدياً في يديهْ

سرن بي الآنَ للسفينة، للكنز، وخذن الودائع القدسيهْ !!

ويقبل الفتيات الأربع على أزمردا ويسرن به كالمسحورات متجهات الى السفينة

ستـــار

الفصل الثالث

مخدع القرصان أزمردا في مقدم سفينته ، حجرة انيقة وثيرة الأثاث ، معلق فوق السرير بهـا سيف لماع رائع ، وبحوائطها حلقات من حبـال ، وسياط متنوعة ، يجاورهـا بهو السفينة وهو رحب مزدان بقناديل زجـاجية وبه أثاث متواضع باتوزيس مضطجع على السرير بمخدع الربان ، والنوافذ الصغيرة حوله مسدلة الستائر غير نور منبعث من شعاع الضحى يتخللها من كوة صغيرة ، يدخل ماتوكا حـاملا مائدة طعام بعد أن يطرق البـاب :

باتوزيس مَنْ ههُنـا عنـدي ؟
وهو يتقلب في وساده

ماتوكا عبـــدُكَ مـاتوكا !

باتوزيس مَنْ أنت ؟ من ؟ عبـــدي !

ماتوكا عبـــدُكَ مـاتوكا !
وهو يتقدم بالمائدة
في دهشة واضطراب حُيِّيتَ ، يا سيـدي وطابَ هـذا النَّهـارْ

لم آتِ في موعـدي بوجبَـــةِ الإفطار

باتوزيس ماذا جَرى ، يا ترُى أكادُ لا أفهَـم

ماتوكا إنَّ الـذي قد جـرى أعجبُ لو تعلمُ

قد حملتنـا الـرياحْ ونحنُ صرعى الكَرَى
وما رأينـا الصبـاحْ إلاَّ بهـذا الثَّرَى !

باتوزيس أيُّ ثَرىً ؟

ماتوكا شاطيءٌ تضحكُ فيهِ الرِّمالْ
نسـيمُهُ دافيءٌ وَماؤهُ سلسـالْ
يَعـرفُهُ مِنْ سناهْ رُبابنُ البحـرِ
أوَّلُ مـا نلقـاهْ من طَـرَفَيْ مصرِ !

باتوزيس مصرٌ ؟

ماتوكا أجَلْ مصر ! ونَحنُ فيهـا الآنْ
من دوننـا ثَغرُ من دونهُ يومـانْ

باتوزيس ما زِلتُ مـربوكا من هـذهِ الأحـلامْ
مشيراً الى المائدة
ما تلكَ ماتوكا ؟

ماتوكا مائدةٌ من طعـامْ
مائـدَةٌ حـافِلَهْ كثـيرةُ الإغـراءْ
جاءَتْ بهـا قافلهْ تدلفُ من سَينـاءْ
من كلِّ روضٍ بهيجْ فاكهـةٌ ناضجـهْ
وكلِّ لحـمٍ نضيجْ وَبَقْـلَةٍ طازجَهْ
وإنْ تَشَـأ فالـرحيقْ مُهَيّـأٌ مُخضَرُ
من كلِّ لَوْنٍ عَتيقْ شميمـهُ يُسـكرُ

طوّف كالكوكبِ على توالي السنينْ
من شاطِيءِ المغربِ إلى بحارِ الصينْ
بين السّنا والنّدَى وفي الرياحِ الهُوجْ
والحَرُّ يُذْكي الصّدى والقَرُّ يذرُو الثلوجْ
تحيّةُ الإخوانْ في بُكَرِ الصيفِ
من سيِّدِي الرُّبانْ لسيِّدي الضيفِ !

باتوزيس والسيّدُ أزمردا هل قامَ من النّوْمِ الآنا ؟

ماتوكا هو عندَ الشاطيءِ يستقصي
نَبَأً ويُسائلُ رُكبانا
إن شاءَ سيِّدي أمَرْ
أرفعُ هاتيكَ السُّتُرْ

ويمضي ماتوكا في رفع الستائر باشارة من باتوزيس فيغمر نور الضحى المخدع ، باتوزيس يحملق فيما حوله فيروعه منظر السيف المتألق بشعاع النهار

باتوزيس ما ذلك الشيءُ أرَى ؟
مشيراً الى السيف
يكاد يبهرُ النّظر
أحِليَةٌ نادِرَةٌ
أم ذاكَ من ماضٍ أثَر

ماتوكا بل ذاكَ سيفُ سيِّدي
متباهيا
وعَوْنُهُ على الخَطَر
حديثُهُ مِلءُ البحو
رِ والثُّغورِ والجُزُرْ

هُــوَ الــرَّدَى إذا مَـشَى

فَـكُـلُّ كائنٍ خَـبَــــر

باتوزيس وَمَـا السِّياطُ هـذِهِ ؟

ماتوكا ألسنَةٌ مِنَ الشَّــرَر

في حماسة

يُـلـينُ لَذْعُها الحديـ

ــدَ أو يفتِّتُ الحَجَــر !

تُخرِسُ أو تُنطِقُ مَنْ

تَشْكو الكلامَ والحَصَرْ !

باتوزيس وهــذه الحبــالُ ؟

ماتوكا هُنَّ من حَبَائلِ القَدَرْ !

مترسلا في حماسته

تلتفُّ بالسُّوقِ الرِّقا

قِ والمعاصمِ النُّضُــر

وَلا تـرقُّ للـــدُّمو

عِ ضارعاً بهـا الحَوَرْ !

باتوزيس كَفَـاكَ ماتوكا كَفَـا

مستهزأ

كَ فالحديثُ لا يَسُر !

قَرِّبْ إليَّ الكأسَ أوْ

هـذا النضيجَ وَالثَّمَـرْ !

ماتوكا يسرع بالمائدة فيضعها أمام باتوزيس وقد جلس في السرير ، وهو يقلب أنواع الشراب فيختار لونا ويملأ به قدحه ويشربه ويأكل قطعة من النضيج .

باتوزيس طيِّبة" هـذي السـلا ف والطعـامُ طيِّبُ
شبه مسرور
إنّي علَى مو ْثقٍ أز مردا وعهدي أشرَبُ
قلْ لي ماتوكا أأنتَ للجنوبِ تُنْسَبُ ؟
إنَّ بلاداً أنجبَتـكَ للكرامِ تُنْجِبُ

ماتوكا أيُّ البـلاد هـذه أذكـرهـا لسيِّدي ؟
شبه متألم
جهلتُ من أيْنَ أنا وَأيْنَ كانَ مولدي !
دَرَجْتُ في هـذا الوجودِ والخفاءُ مُوْجِدي
كأنما أمسِيَ يأتي بَعْـدَ يومي وغَـدِي
مـا للعبيـدِ في مصـا يرِ الحيـاةِ من يدِ
وليسَ ماتوكا الرئيسُ غيرَ عَبْـدٍ أسـوَدِ
حَبَـاهُ أزمردا الحيـاةَ جَمَّـةَ التَرَغُـدِ
وقد تغيرت لهجته الى العنف
و بَثَّ فِيَّ رُوحَـهُ رُوحَ قضاءٍ مُرْصدِ
يَصُـولُ بالسَّوط إذا شَـاءَ وبالمهَنَّـدِ
وَيَفتَـدي سيِّـدَهُ ، دمي فداءُ سيِّـدي !

باتوزيس حَبَـاكَ أزمردا الحيـاةَ ؟ عَبَثٌ مُضَلِّلُ !
أنتَ أسـيرُ بَطْشه ، بسحـرهِ مُغَلَّلُ
سَبتْكَ منهُ قوة" تَصْرَعُ أو تُقَتِّـلُ
أنتَ وأزمردا سَـواء" والأُصـولُ تعـدلُ
ألستَ إنسَـاناً تُحِس مثلَهُ وتعقـلُ ؟

تفعلُ ما يوحِي بهِ الضميرُ أو لا تفعلُ ؟
كيفَ تعيشُ لا رجاءَ في غدٍ تؤمّلُ ؟
يرعاكَ أزمردا وأنتَ في قثواكَ ترفلُ
فإن مرضتَ أو هَرِمتَ أنتَ منهُ مهملُ
أُنظر إلى الأطيارِ في أجوائها تنقّلُ
سيدةً تصعدُ ما شاءتْ هنا وتنزلُ
مُوَطّأً لها السحابُ والثرى مُذَلّلُ
تبني الحياةَ في الوكونِ حُرّةً وتنسلُ
لها الضياءُ والفضاءُ والنّميرُ السلسلُ
هي الحياةُ حُرّةً في طائرٍ تُمثّلُ
حَقّكَ لا منٌّ به عَلَيْكَ أو تَفَضُّلُ

ماتوكا يا سيِّدي ، أنّى لي الكونُ الذي تُخيِّلُ
أنّى لمثلي ذلك العالَمُ ؟ إنّي أجهلُ !
سفينتي هي الحياةُ ، والغدُ المؤمّلُ
قد طابَ لي في ظلّها العيشُ وطابَ المنزلُ
ومن كساءِ سيدي الرُّبانِ هذا المخملُ
وَمِنْ شَرابهِ أعلُّ هانئاً وأثملُ
أيُّ حياةٍ لي من هذي الحياةِ أجملُ !

ثم ينحني ويغادر الحجرة بالمائدة ويظل باتوزيس مبهوتاً ثم يعاوده الكسل ،

فيتمدد على الفراش بينما يدخل الى البهو أزمردا ومعه الفتيات الأربع وهو يحييهن باسما ، وبينما هن يتأملن البهو ومنظره والصور وجلود الحيوانات المعلقة على جوانبه ، يعتذر اليهن ازمردا ليعدّ الكنز ويختفي من باب صغير وهن منشغلات عنه يتهامسن

ريشافا (متعجبة)
أهـذهِ السفينةُ المـوعودَهْ
حـاملةُ العجـائبِ المنشودَهْ ؟ !

مريتـا (حائرة)
ماذا أرى ؟ طاقاتُهـا مسدودهْ !

اسمينا
وراءهـا كنوزُهُ المرصودَهْ !

حروازا
تَمهَّلي ! سـوف نرى وُعُودَهْ
وَالفِتَنَ الرائعةَ المشهودَهْ

مريتـا
أُحسُّ بصـوتِكِ المهموسِ هِـزّاتٍ من العطفِ

حروازا
لَقَـدْ جـاءَ ببرهـانٍ

مريتـا
وَهَـلْ ياقوتةٌ تكفي !

حروازا
أيغـريني ترابيٌّ بهـذا الوضعِ وَالوصفِ ؟

مريتـا
لَقَـدْ أغراكِ حـروازا بأمـرٍ ظاهـرِ الزَّيفِ

ويشافا
وَكِدْتِ على ذراعيـهِ من الفتنـةِ أن تُغْـفِي

حروازا (مبتسمة)
حَزَرْتُ حديثكنَّ هناكَ حينَ غَضَضتُ من طرفي
مريتـا ... لا يغـرتَّكِ ما أظهـرتُ من ضَعفِ
فهـذا عَبَثٌ منّي وبعضُ اللهو

مريتـا
والظَّرْفِ

حروازا أردتُ به لأعرفَ ما يَسرُّ لنــا وما يُخفي !

اسمينا وكيفَ إذا تحدَّانا ؟

ويشافا ونحنُ على شفا جُرْفٍ ؟

حروازا أ آلهــةٌ تخافُ الناسَ ؟ هــذا منتهى السُّخْفِ !

في قوة واعتــداد

مريتــا وإن لم ينفعِ اللينُ ؟

حروازا أخَذْتُ الأمرَ بالعُنْفِ !

إذا واجهتهُ فاصْمُدْنَ من حولي ومن خلفي !

ويسمعن أصواتاً بالحجرة المجاورة فيخفضن من أصواتهن ، ويتــمعن حيناً الى مصدر الصوت وينظرن حيناً آخر الى محتويات المكان ، ثم يميل بعضهن على بعض وهن يتهامســن قلقات بينما يدخل أزمردا من باب خلفي على باتوزيس في المخدع وهو شديد الاضطراب المزوج بالفرح هامساً في انفعال

أزمــردا هنَّ هنــا ! هنَّ ! باتوزيسُ أمــا
تسمعُ أصواتهنَّ بالبـــابِ ؟
هنَّ هنــا ! هنَّ ! باتزيس أفِقْ
أُخْــرجْ عليهنَّ غيرَ هيَّـــابِ !
أعِــدَّ قيثــاركَ ، استثرْ نغماً
يروضُ حتى الوحوشَ في الغابِ
حتــى تراهنَّ بينَ شــاديةٍ
وَبينَ رقّاصــةٍ بأكوابِ !
يكادُ قلبــي لمــا ظفرتُ بــهِ
يَطــيرُ من فرحــةٍ وَإعجــابِ

باتوزيس (وهو ينهض من الفراش مبهوتا)

من هُنَّ أزمردا أثرتَ نفسي
ورُعنتَ أوهامي وهجتَ حِسّي ؟

أزمــردا (مشيراً بأصبعه على فمه)

لا ترفعِ الصــوتَ وَقلْ بهمسِ
فهنَّ يسمعنَ خفيضَ الجرْسِ

آلهةُ الرِّياحِ حُلْمُ الأمسِ
لقَيتهنَّ في شــروقِ الشمسِ

بينَ الغيــاضِ والصخور المُلْسِ
يرقصنَ في غــلائلِ الدمقسِ

ما زلتُ أحتــالُ بغيرِ يأْسِ
حتــى تَسمَّعنَ لضعفِ الجنسِ

وَجئنَ في ابتهــاجة وَأُنسِ

باتوزيس

بل هــذه تخيُّلاتُ الكأْسِ !

مــا هنَّ إلاّ من بنـــاتِ الإنسِ
وَقَعنَ في تــدبيرك الأخسِّ

ويحكَ أزمــردا وويحَ نفسي
أحسَبُ أن اليومَ يومُ نَحسِ !

أزمــردا (ملاطفا)

تُنكرُ ما شِمتُ بعينيْ رأسي ؟
مَسَّكَ باتوزيسُ أيُّ مسِّ !

باتوزيس

وهبْ أنهنَّ كما قُلْتَــهُ فمــاذا بآلهةٍ تصنعُ ؟

أزمــردا

أسخرهنَّ قوىً ينتظمن شراعيَ ماقادني المطمعُ
أسيراتِ بأسيَ أو صاحباتيَ أرسو كما شئتُ أو أقلعُ

وأغزو بهن منيعَ الثغورِ وأجني الثراءَ وأستمتعُ

باتوزيس أتطمعُ في ملكوتِ السمـــاءِ ؟

أزمـردا هو المـرءُ مـا عاشَ لا يقنعُ

باتوزيس خُلِقنَـا غرائزَ منهـومة
فليست تُروَّى ولا تَشبعُ !

أزمـردا تعـالَ معي واتَّبِعْ حكمتي
فدونَ سعـادتنـا إصبعُ !

باتوزيس ألم يَكفِ ما حُزتَهُ من غِنىً
ومَا تقتني من غريبِ النسـاءْ ؟

أضـاقتْ بمنسركَ الكائنـاتُ
فحاولتَ تخطفُ حتى الهواءْ ؟

أزمـردا ليضحكني مِنكَ هـذا الحديثُ
خيـالٌ بديعٌ وقولٌ هـُراءْ

دليلُ الحيـاةِ اغتصابُ المتـاعِ
ومـا الزهدُ إلاّ دليـلُ الفنـاءْ

تمتَّـعْ بأوفرَ مـا تستطيعُ
ولا تقتصدْ واغتصبْ ما تشاءْ

باتوزيس يا لمســاءِ الحـانةِ اللعينَهْ
صائحاً
قَـدْ قادني لهـذه السفينَهْ

أزمـردا مـا هـذه الخفّةُ والرعونَهْ
ملاطفاً في ثورة نفس ضارعاً
كفَى صياحاً والزمِ السَّكينَهْ

أو لا فَدَعْ هيئتَك الرزينَهْ
وأكثرِ الضّحكَ وزِدْ رنينَهْ

وهـاتِ من وادي الهوى لحونَهْ
مسحورةً ، مخمورةً ، مجنونَهْ !

باتوزيس ضـارعاً
سـألتكَ الآلهـةَ الحـزينَهْ
لا تؤذِ هـذي المُهَجَ المفتونَهْ

فإنهـا بريئـةٌ مسـكينَهْ

أزمـردا
أنتَ فتىً لم يطـّرحْ مُجـونَهْ

يسألني الرَّحمـةَ وَالمعونَهْ
ولو رأى الخمرةَ في قِنينَهْ

لبـاعَ دنيـاهُ بهـا ودينَهْ !
دَعْ عنك هذي المُثُلَ الأفينَهْ !
ولا تُضِعْ فُرصتـكَ الثمينَهْ !

باتوزيس غاضباً
عهديَ ، يا قرصانُ ، لَنْ أخونَهْ
ما كنتُ أزمردا ، ولن أكونَهْ ! !

أزمـردا
أجننتَ باتوزيس ويحـكَ ! لا تُثِرْ هـذا النزاعْ

أنسيتَ حُلْوَ حديثنا ، والكأْسَ ضاحكةَ الشعاعْ

ورواةَ طيبةَ عن بنـاتِ الـرِّيح آلهـةِ البقـاعْ

فيمَ التشاؤمُ ، والتنكّرُ ، والتغيّرُ ، والخـداعْ ؟

ولِمَ الصيـاحُ إذا دعوتُك للـرويّة والسمـاعْ ؟

أتريدُ تُسمعهنَّ صوتكَ ؟ لا رجـاءَ ولا انتفاعْ !

أحكمتُ أمري ، والعبيدُ هنـا على أُهَبِ الصراعْ
بإشارةٍ تَهوِي السياطُ وسيفُ أزمـردا الشجاعْ
إنّي عرضتُ عليـكَ أجملَ ما ادَّخرتُ من المتاعْ
لكنْ أبيتَ وخـانني فيـكَ الغـرائزُ والطبـاعْ
فاسلمْ بنفسك باتزيسُ ! ولا سـلامَ ولا وَداعْ !
عمَّـا قليـلٍ يهتفُ الداعي وينطلقُ الشـراعْ ! !

ويسرع باتوزيس بمغادرة الحجرة بينما يرتفع صـوت من البهو المجاور ، هو صوت القلق المستحوذ على الفتيات وازمردا داخل عليهن

حروازا ما هـذه الضجَّةُ والصياحُ
نسمعُ والرؤيةُ لا تُتـاحُ
كأنمـا تَقْتتلُ الأشبـاحُ
منحولنا أو تَثِبُ الأرواحُ!

أزمـردا معـذرةً ، أيَّتها الملاحُ
فخادمي قد هـزَّهُ المِراحُ
فانزلقتْ من تحتـه الألواحُ
وانتثرتْ من كفّهِ الأقداحُ
فضجَّ واستخفَّهُ الصياحُ !

مريتـا والكنزُ ؟

أزمـردا بعـد لحظة يُتاحُ

ويشافا ياقوتُه ودرُّهُ اللمـاحُ ؟

أزمـردا والذَّهبُ المقدَّسُ الصُّراحُ!

اسمينا عمـا قليلٍ تُظلمُ البطـاحُ

ويصعبُ الغــدوُ والرواحُ

أزمــردا هنيهةً حتــى تجيءَ الرّاحُ

ويظهر ماتوكا في مخدع سيده حائراً وهو يشير الى ازمردا دون أن تراه الفتيات فيسرع اليه أزمردا وحروازا تقول له

حروازا أسْرِع فقد راحَ بنا المراحُ

ماتوكا إنّ السجينةَ في غيــابة قبوهـــا
لأزمردا
ليستْ تكفُّ تمــرُّداً وصِيــاحا

قطعتْ عـُصابتهــا فجئتُ أذودُها
فهوتْ تُحطّمُ في يدي المصبــاحا

لولا العنايةُ طار بعضُ شــرارِهِ
وطوى السفينةَ شعلةً واجتــاحــا

أزمــردا زِدْها عذاباً ..

ماتوكا سيدي عذّبتُهــا
فأبَتْ وقد مُلِئَتْ دماً وجــراحا

أزمــردا إنْ لم تكفَّ عن الصياحِ فألقهــا
في اليمِّ ..

ماتوكا أخشى صَوتَها الفضّاحا
يعلو فيملأُ زائراتِكَ ريبــةً
أو يستخفُّ لنجدةٍ مــلاّحــا

أزمــردا والحلُّ ماتوكا ؟

ماتوكا تعالَ معي لهــا
فلربما أبدتْ رضىً وسماحا

ويسرع ماتوكا بأزمردا الى قبو السفينة وحين يختفي خيالهما يظهر باتوزيس نجأة من مخبئه خلف باب المخدع ، ويدخلُ على الفتيات الأربع متفرساً فيهن متلفتاً وراءه من الخوف

حروازا (وقد بوغتت برؤية باتوزيس) من أنتَ ، أيها الفتى وكيف جِئْتَ ههنا !

باتوزيس (هامساً) لا وَقْتَ للسؤال من أنتِ هنا ، ومن أنا !
أنتنّ في سفينةِ القُرصانِ . . لا وقت لنـا . . !

حروازا ومن يكونُ !

باتوزيس قاتلٌ يمـلأ شَرُّهُ الدُّنَا
بل هو أزمردا . . .

حروازا وما تَراهُ صـانعاً بنـا ؟

باتوزيس أراهُ صـانعاً بكنّ ؟ ! ويحكنّ إنْ دَنا !

حروازا هوّنْ عليكَ، لا تَخفْ أذًى ، ولا تخشَ ضنى
آلهـةُ الـرياحِ نحنُ فارتَقِبْ صنيعَنـا
ولا يَرُعْك إنْ رأيتَهُ يحـومُ حولَنـا

ويشافا ومن تكونُ ، يا فتى إنا نَراكَ مُحْسِنا !

باتوزيس من بنـي مصـر باتزيسُ الشجيُّ المعـذَّبُ
شـاعرٌ ، واسمهُ هنـاكَ مغَنٍّ ومطـربُ

مريتـا من بني مصرَ باتـزيسُ ؟

اسمينا إلى أين تذهبُ ؟

باتوزيس أنا ، في هــذه الحيــاة ، شــريد" مغــرَّبُ

أينَ ؟ لا أينَ أذهبُ ! أنا في التّيهِ أضــربُ ! !

وتــمع وقع أقدام أزمردا وهو قادم من أقصى الــفينة متجهاً الى مخدعه

باتوزيس هــذي خطاهُ

مريتــا قــد أتى !

حروازا بل اسمعي

مريتــا أهو قريب" من هنــــا ؟

باتوزيس في المخــدعِ !

مشيراً

حروازا أخــائف" ؟

وقد رات باتوزيس يتحرك من مكانه

باتوزيس بل ثابت" في موضعي !

مريتــا أنتَ شجــاع"

باتوزيس رَبَّتي تشجعي !

وهو يتأهب للقاء خصمه

وبينما أزمردا في مخدعه يسرع في تقلد سيفه يدخل عليه ماتوكا ويقف خلفه مبهوتاً فيلتفت اليه أزمردا ويدرك أن وراءه شيئاً

أزمــردا مالي أراكَ واجمــاً مُرتاعــا

ماتوكا يا سيدي عفوَكَ لن تُراعــا

لكنْ . . .

أزمــردا تكلّمْ ، زِدتني صُــداعا

ماتوكا إنَّ سمارا خَانَتِ الأتبــاعا

كما أمرتَ ، سيّدي ، مُطاعا

فتحتُ دونَ بابهــا المصراعا

فأفلتتْ وانسرقتْ خداعا

كأنهــا الظلُّ امّحى وضــاعا

أزمــردا (خائفاً) وأين تمضي ؟ أتشقُّ القاعا ؟

أم تستحيلُ بيننا شعــاعا ؟

أسرعْ مَتُوكا،ولتكنْ شجاعا

إطووا الحبالَ وانشروا الشراعا

واتوا إليَّ ههنــا سِراعــا !

ويدخل أزمــردا من باب المخدع على الفتيــات فيرى باتوزيس بينهن وهن متحفزات وفي عيونهن بريق الغضب ، فيفهم الموقف ويقف صامتاً واضعاً يده على مقبض سيفه

باتوزيس (ساخراً) أقبلتَ أزمــردا وليس تحيةٌ
للزائراتِ ، ولا عليَّ سـلامُ !

أزمــردا صَهْ ، يا أجيرَ العــاهراتِ ، فإنما
قربُ الحرائرِ من خطاكَ حَرامُ !

باتوزيس أتسبُّ ضيفَكَ أو صديقك جهرةً؟
عجبــاً ؟ فأينَ الودُّ والإكــرامُ ؟

أزمـردا ضيفي ؟
سارخاً

حروازا أتُنكِرُ ؟

أزمـردا بل وأغسلُ إثمَهُ
بدمائهِ

باتوزيس لو تغسلُ الآثامُ
ساخراً
أُنظر عيونَ الزائراتِ فإنها
رَصَدٌ عليكَ ولعنةٌ وضِرامُ

أزمـردا دعهنَّ .
صارخاً

باتوزيس بل دعهنَّ أنتَ

أزمـردا أجَلْ وما
مستخفا
تَبغيهِ ؟

باتوزيس مالي باسمهنَّ كلامُ !

أزمـردا قسماً بكنَّ فما أردتُ خيانةً
الى الفتيات
بل عطفَ آلهةٍ بكنَّ يُشامُ !
ما رُمتُ إلا أن تكنَّ صواحبي

باتوزيس ما كلُّ شيءٍ في الحياةِ يُرامُ

حروازا لِمَ لَمْ تصارحْنا ، وكيف دَعَوْتَنَا
للكنزِ ؟

مريتـا أوزوريسُ والإلهامُ

أزمـــردا هذي طباعُ الآدميِّ ، وهــــذه
أطمــاعُـهُ

باتوزيس فرضٌ عليـــهِ لزامُ !
ساخراً

مريتـــا بَلْ حيلةُ القرصانِ أنتَ أرَدْتَنا
صَيْداً يُبـاعُ فِراؤُهُ ويسامُ

حروازا وبكم تسوِّمنــي إذا مــا بِعتَني
والشُوقُ حَوْلَكَ ضجةٌ وزِحامُ

ويشافا أُنظرْ جمـــالي •
مدنية اليه بوجهها

اسمينا بل تأمل فِـتنتي •
تدور حول نفسها

باتوزيس يا للرشاقةِ كلكنَّ غَرامُ !
صائحاً طرباً

مريتـــا أو كنتَ تطمعُ أن تُسخِّرنا قُوىً
لسفينةٍ يحدو بهــا الإجــرامُ ؟

أزمـــردا خيرٌ لكنَّ الصمتُ

حروازا قُلْ خيرٌ لنــا
وهي تواجهه
بيديكَ تسليمٌ !

مريتـــا أو استسلامُ !

باتوزيس أوَثِقْتَ أزمردا بهنَّ ؟
ساخراً

أزمـردا كمـا تـرَى

ثـِقـَتـِي بموتكَ •

باتوزيس ما يـُفيـدُ الذ َّامُ

مصطنعاً الملاطفة

أزمـردا قادتـكَ باتوزيـسُ آخـرُ خطوةٍ

وهو يجرد سيفه

(ويهم بطعن باتوزيس)

للموتِ ! خـُذْها ما عـَليَّ مـَلامُ !

حروازا قـِفْ • •

تحول بذراعها دونه

أزمـردا لا

حانقاً

حروازا حـَـذارِ •

أزمـردا بلِ ابتعـدي

محاولا الاندفاع

رُدِّي ذراعـَكِ

حروازا لا يـُردُّ حـِمـامُ !

بصوت رائع

وهي تلوح بقبضتها في وجه أزمردا

يا أيهـا النفسُ الأثيمةُ أقصري

وقـِفي مكانـَكِ خانـَكِ الإقدامُ !

وتقف مريتا ويشـافا واسميتا وراء حروازا وهن ينفخن فاذا بقوة هائلة كالعاصفة تدفع أزمردا وماتوكا وعبيده الى الوراء ، وتقع السيـاط من أيدي الرجال وهم يرجفون رعباً وتتجمد ذراع أزمردا وتتقلص أصابعه حول مقبض سيفه وجسده يهتز بعنف كأنه يصارع جباراً لا يرى ، ويسقط السيف من يده فيحاول استرداده جاثياً فلا يستطيع وهو يهدر

أزمــردا ماذا أُحسُّ ؟ ما أرى ! ماذا أصابَ مِسْمعي
أنفاسكنَّ تِلكَ ؟

باتوزيس بَلْ هَبَّةُ ريحٍ زعزعِ

حروازا خَدَعتنَنَــا

أزمــردا لم أخــدعِ

حروازا أيَّ كلامٍ تدَّعي !
ســوف ترى نهــايةً بمثلهــا لم يُسمعِ ! !

أزمــردا
وقد خفت صوته
أهــكذا أنتنَّ ، يا للهــولِ ! يا لمصرعي !
لم أدرِ قبــلَ اليومِ ما سِرَّ الــرياحِ الأربعِ
إذا تألَّبْــنَ على سفينةٍ بموضــعِ
فيــا لَكنَّ من قُوىً تُخضعُ منْ لم يخضعِ !!

صائحا إليَّ ماتوكا إليَّ

ماتوكا سيِّدي !
وهو لا يستطيع حراكا

أزمــردا أنتَ معي ..
أينَ الرجالُ ؟ ..

ماتوكا هم ..
وقد حبس صوته

أزمــردا أما
تَرى ؟ إليَّ أسرع ..

أسرع إليَّ

ماتوكا لا أطيقُ ..

باكيـاً

أزمـردا آه مـا عُدْتُ أعي !

وهو يركع متخاذلا

وتترقرق الدموع في عين أزمردا فيذهل باتوزيس لما يراه فيحدق وكأنه لا يصدق

باتوزيس ويحـكَ أزمـردا أفي عينيكَ بعضُ أدمعٍ ؟

أحقـاً ذي دموعُك أم خِـداع الخـوفِ والألَمِ

أتبكي ، أيهـا التمساحُ

أزمـردا لا تَشْمتْ ولا تَلُـمِ

بصوت خائف

صديقي أنتَ باتوزيس أنقـذني من العَـدمِ

ألا صفحاً فهـذي سـاعةُ التكفيرِ والنَّـدَمِ ! !

وينظر الى الفتيات ضارعاً ، وهو يقول :

هـذي الدموعُ وجدتُهـا فوَجَـدْتُ إنسانيتي

أنتنَّ أرجعتنَّ لي مـا عَـزَّ من أُمنيـةِ

هـذا الشُعور حُرِمْتُهُ عُمري ، فيا لسعادتي

أحسستُ أني الآن إنسـان" لأولِ مـرَّةٍ

وهي الحيـاةُ بهـا التقيتُ على لقـاء منيَّتي !

مريتـا وإذا عَفَوْنا عَنْكَ !

متأثرة

أزمــردا يا للنّبل ، يا للرّحمَةِ

الى مريتا

أحسنتِ لي ، وَمَحَوْتِ مني الآن كُلَّ خطيئةِ

فلأفنينَّ العمــر في الإحسانِ باسمِ إلهتي

حروازا بعض هذا الحنانِ ماتاب لكن خرَّ عجزاً فراح ينطق كذْبا

إنّه في مفازعِ الموتِ يحتالُ ليلقى سِلماً ويرتدُّ حرْبا

أزمــردا رحمةً ربّتي فما أستطيع الآن قولاً ولست أملكُ عتْبا

ضارعاً

يا ابنة الشرقِ ! أنتِ أيتها الحسناء يا من ملأت قلبي حُبّا

لم يعدْ بعدُ ما أخاف فأخفي عنك حبّي ، ما كان حبي ذنبا

إن يكن حان مصرعي فعديني بعد موتي وتلك آخر رُغْبى

إمنحيني بعض العزاء ولا تلقي بجسمي في اليمِّ أفقدْكِ غصبا

وسِّديه عشبَ المكان الذي فيه التقينا ، ففيه أمسيت صبّا

عندما قبّلتْ محياكِ عيناي وضمّت صبابتي منك قلبا

فإذا ماسريتِ فجراً فمسّي جسداً مقفراً من الرّوح جدْبا

عانقيه ظلاً أحبّكِ روحاً كشعاع الصباح، ريّان، عذْبا

واسحبي فوقهُ الظلال ومدّي ورقاً ناضرَ الأفانين رطبا

وإذا أبلَتِ الليالي كياني، فاسكبي فوقهُ الغمائمَ سكبا

أو فذرّيه في الفضاء كما شئتِ وأنّى سريتِ شرقاً وغربا

إنها ميتةٌ ألذُّ من العيشِ فلا تحرمي مُحبّكِ قرْبا ! !

وتسمع ضجة وصيحات تتردد بها جوانب السفينة ، واذا بسمارا ممزقة

الثياب دامية اليدين شاحبة الوجه تظهر هاربة من الباب ووراءها عبدان يتبعانها في أيديهما السياط ، وهي تلوذ بالفتيات الاربع فيحطن بها منصرفات عن ازمردا دون انتباه

حروازا — من أنتِ ، أيتهـا الفتاةُ ؟

سمارا — أنا المكبَّـلة السجينَهْ
وأنا ضحيةُ ذلكَ الوحشِ الـذي تتأملونَهْ

باتوزيس — هذي سمـارا بنتُ ببلوسَ وحسناءُ المدينَهْ
بالأمسِ أنقذْتُها ولم أفطنْ لخدْعتهِ المشينَهْ

سمارا — باسـمِ الوفاءِ تبعتُهُ طَوْعاً إلى هـذي السفينَهْ
وكثرِ الخيـانةِ والأذى ، ومبـادئَ الشرِّ اللعينَهْ
وظننتُهُ رجلاً فكانَ النَذلَ مُبتدعاً فنونَهْ
(تشير الى جراحها) أنقـذني بالله ، وانظرنَ الجراحـاتِ الثخينَهْ

حروازا وقد انشغلت بالفتاة دون أزمـردا فينفك عنه سحرها الذي كان مسلطاً عليه بتأثير ذراعها ، ويشعر بالدماء تجري في عروقه فيمد ذراعه في غفلة عنهن ويتناول سيفه ، ويهم واقفاً ووراءه العبيد وقد تبدلت هيأته وبدا الشر في عينيه ، وهو يصيح

أزمـردا — هيَّـا رجالي أذِنَ الكفاحُ

باتوزيس — إلى الوراءِ ، أيتُهـا الوَقَاحُ
(صائحاً وقد شرع العبيد يتقدمون) دماؤكم أوَّلُ ما تُبـاحُ !

أزمـردا — لا تسمعوا فقولُهُ مِزاحُ
سكرانُ قد هِيجَ له جماحُ!

باتوزيس
وقد رأى أزمردا هاجماً بسيفه

ما أنت، ياقرصانُ، والسلاحُ
رأسُـــك أزمردا به يُطاحُ !

حروازا
وقد رفعت ذراعها في وجه أزمردا فيقف بغتة

هذا هو القرصان ، يا أرواحُ
قنــاعهُ عن وجهه يُزاحُ

أزمــردا
وهو يحاول الحركة فلا يستطيع

خيرٌلكنّالصمتُلا الصّياحُ

حروازا

ماذا تقولُ ؟

أزمــردا
في عنف

أقلعَ الملاّحُ ..!

حروازا

طغيتَ واستشرى بك الطّماحُ

مريتــا | **ويشافا** | **اسميتا**
في غضب وثورة ملوحات بأيديهن مهددات

يا لِصُّ !
يا مفضوحُ !
يا فضّاحُ !

حروازا والفتيات مندفعات الى جانب باتوزيس رافعات ايديهن وقد بدات العاصفة من جديد

الفتيات

حَقّ عَليكَ الموتُ ، يا سفّاحُ
نحن الردى والقَـدَرُ المتــاحُ
لَنــا الفضاءُ الرحبُ والجنــاحُ
نطـيرُ لا يَعـزّنا السّــراحُ

حروازا إن نُغرقِ الفلكَ فلا جُنَاحُ
سفينةُ القرصانِ تُستباحُ
هيَّا بنا .. إعصفنَ ، يا رياحُ !

وتعصف الرياح الاربع بالسفينة فتتخبط الابواب وتطير الستائر وتسقط الصور من جوانب البهو ويتكفأ العبيد ، صارخين محاولين الهرب من الابواب ويقع أزمردا جاثيا بينما تثب الرياح الاربع في خفة من جانب السفينة الموشكة على الغرق ومعهن باتوزيس وسمارا

ستار الختام

پاتوزيس يرثي أُزمردا

عثرنا على هذه القصيدة التي يرثي فيها باتوزيس أزمردا وقد هبطت الفتيات الاربع به في مكان من ساحل البحر ، مذهولاً مما مر به ، وهو متجه بعينيه الى فضاء البحر وأمواجه مشيراً الى مكان السفينة الغارقة والفتيات حوله ينظرن حيث يشير ، وهو ينشد

أثَرٌ لَيسَ يُلمَحُ   وخيــالٌ مُجَنَّحُ
وشراعٌ مُحَطَّمٌ   حولَهُ الموتُ يَسبحُ
مُغــرَقاً لا تَهـزُّهُ   نَسمةٌ أو تَرَنُّحُ
يحتـويهِ مـزمجـرٌ   مظـلمُ الغورِ أفيحُ
غرقتْ تلكُمُ السفيـنةُ   وانفضَّ مسرحُ
مـا لرُبَّانهـا الطمو   حِ ! أما عادَ يطمحُ ؟
ويحهُ وهوَ ذاهـلٌ   أغبرُ الوَجهِ أكلحُ
يتـكفتًا رجـالُه   حولَهُ وهو يَضبحُ
بعـدَ ما كانَ بينهمْ   يتغنّـى وَيَمـرحُ
غَرّهُ السيفُ مُصْلَتاً   بالمنـايا يُلـوِّحُ

لا يُبالي إذا رمى كيفَ يَفري ويذبحُ

خالني إذ دَعوتُه دعوةَ الخيرِ أمزحُ

عاشَ لو قدَّرَ النصيحةَ أو كانَ يُنصَحُ

يحسنُ الشرُّ بالغريزةِ والخيرُ يقبحُ

صاحب الأمسِ ، لا رحيقَ ، ولا كأسَ تصدحُ

فاشربِ اليومَ من إنائكَ بالموتِ يطفحُ

أمِنَ البحرُ مِخلبيكَ ، وشطٌ ، وأبطحُ

وعذارى كأنهنَّ الأقاحُ المفتَّحُ !

محصناتٌ تصيدهنَّ وتُغوي وتفضحُ

أيها الصَّقرُ ، لا تُغَرَّ ، فللرِّيحِ أجنُحُ !

يتلقَّاكَ بأسُها صامداً لا يُزَحزَحُ

هُنَّ من رحمةِ السماءِ مَقاديرُ تسنحُ

فإذا الطائرُ السجينُ طليقٌ مُسرَّحُ

وإذا الصائدُ الغشومُ صريعٌ مُطرَّحُ

من دَمِ الغدرِ قلبُهُ سائلُ العرقِ ينضحُ

فامضِ لا فرحةٌ بموتكَ ! ما الموتُ يفرحُ

قد عفا عنكَ هالكاً قدَرٌ ليس يصفحُ !

الأم
مكسيم چوركي
ترجمـــة :
الدكتور فؤاد ايوب
المحامي سهيل ايوب
٦٠٠ ق.س.ل.

*

المؤلفـات الـكاملة
انطون تشيخوف
ترجمـــة :
الدكتور فؤاد أيوب
المحامي سهيل ايوب
٣٥٠ ق.س.ل.

*

نيتوتشـكا
فيدور دستويفسكي
ترجمة الدكتور سامي الدروبي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

قوي كالمـوت
چي ده موپاسان
ترجمة : ابراهيم الحلو
٣٥٠ ق.س.ل.

*

تولستـوي
ستيفان زفايج
ترجمة الدكتور فؤاد أيوب
٣٥٠ ق.س.ل.

*

عقـل وعاطفة
جين اوستن
ترجمة : رضا حواري
٤٥٠ ق.س.ل.

*

الساعة الخامسة والعشرون
كونستانتـان جيورجيو
ترجمة : لجنة الترجمة
٧٠٠ ق.س.ل.

*

روائع من الأدب السوفييتي
نخبة من الكتاب
ترجمة : المحامي سهيل أيوب
٣٥٠ ق.س.ل.

*

حب وطلسـم
اونوريه ده بلزاك
ترجمة : فريد انطونيوس
٤٠٠ ق.س.ل.

*

حيـاة صاخبة
چي ده موپاسان
ترجمة : ابراهيم الحلو
٣٠٠ ق.س.ل.

حيـــاتي

ايزادورا دونـكان
ترجمة : لجنة الترجمة
٤٠٠ ق.س.ل.

*

الموسيقي الأعمى

ڤلاديمير كورولنكو
ترجمة : الدكتور سامي الدروبي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

ابنـة الضـابط
الكسندر پوشكين

ترجمة الدكتور سامي الدروبي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

مراسلات بين چوركي وتشيخوف
مكسيم‌چوركي ــ انطون‌تشيخوف

ترجمة : جلال فاروق الشريف
٣٥٠ ق.س.ل.

*

روائع من الأدب الألمـاني
نخبة من الكتاب
ترجمة : الدكتور فؤاد ايوب
٣٥٠ ق.س.ل.

*

حب وحـرب
رومـان رولان
ترجمة الدكتور فؤاد أيوب
٢٥٠ ق.س.ل.

*

الاخوة كرامازوف (١ ــ ٢)
فيدور دستويفسكي
ترجمة : لجنة الترجمة
١٥٠٠ ق.س.ل.

*

النفوس الميتة
نيقولاس چوچول
ترجمة : انطون‌حمصي ــ يوسف بنا
٤٥٠ ق.س.ل.

*

الجريمة والعقـاب (١ ــ ٢)

فيدور دستويفسكي
ترجمة : لجنة الترجمة
١٢٠٠ ق.س.ل.

*

الحرب والسلم (١ ــ ٤)

ليوتولستوي
ترجمة : لجنة الترجمة
٢٨٠٠ ق.س.ل.

*

سقوط باريس

إيليا اهرنبورغ
ترجمة : لجنة الترجمة
١٠٠٠ ق.س.ل.

*

الأعماق

مكسيم چوركي
ترجمة :
الدكتور فؤاد ايوب
المحامي سهيل ايوب
٤٠٠ ق.س.ل.

*

العاصفة (١ ـ ٢)

إيليا اهرنبورغ
ترجمة : لجنة الترجمة
١٥٠٠ ق.س.ل.

*

حرس الفتوة

الكسندر فاديف
ترجمة : لجنة الترجمة
٨٠٠ ق.س.ل.

*

بين الناس

مكسيم چوركي
ترجمة : ليان ديراني
٤٥٠ ق.س.ل.

*

قصة زويا وشورا

ليوبوف كوسمودميانسكايا
ترجمة : المحامي سهيل ايوب
٤٥٠ ق.س.ل.

*

الساقطون

مكسيم چوركي
ترجمة :
الدكتور فؤاد ايوب
المحامي سهيل ايوب
٥٠٠ ق.س.ل.

*

أين الله

مكسيم چوركي
ترجمة : نظير زيتون
٤٠٠ ق.س.ل.

*

مرتفعات ويذرنج

إميلي برونتي
ترجمة : لجنة الترجمة
٣٥٠ ق.س.ل.

*

ذكريات من بيت الموتى

فيدور دستويفسكي
ترجمة : المحامي جرجيس فتح الله
٥٠٠ ق.س.ل.

*

مذلون مهــانون

فيدور دستويفسكي
ترجمة : الدكتور سامي الدروبي
٦٥٠ ق.س.ل.

*

حيـــاتي

مكسيم چوركي
ترجمــة :
الدكتور فؤاد أيوب
المحامي سهيل أيوب

*

الــزوج الأبدي

فيدور دستويفسكي
ترجمة : الدكتور سامي الدروبي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

لحن كــرويتزر

ليــو تولستوي
ترجمة : الدكتور سامي الدروبي
٢٠٠ ق.س.ل.

*

مراعي السمــاء

جون شتــاينبك
ترجمة : الدكتور فؤاد أيوب
٣٥٠ ق.س.ل.

*

الصبي الأسود

ريتشارد رايت
ترجمة : المحامي سهيل ايوب
٣٥٠ ق.س.ل.

*

المذهب المــادي والثورة

جان بول سارتر
ترجمــة :
سامي الدروبي ـ جمال الأتاسي
١٠٠ ق.س.ل.

*

أصل العــائلة

فريدريك إنچلز
ترجمة : الدكتور فؤاد ايوب
٣٥٠ ق.س.ل.

*

بؤس الفلسفة

كارل ماركس
ترجمة : اندره يازجي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

إبكِ ، يا بلدي الحبيب

آلن باتون
ترجمة : جورج طرابيشي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

بتهـــوفن

رومان رولان
ترجمة الدكتور فؤاد أيوب
١٠٠ ق.س.ل.

*

صـــديقان

جورج ده هاميل
ترجمة : ابراهيم الحلو
٢٠٠ ق.س.ل.

*

٢٦ رجلاً وفتـــاة

مكسيم چوركي
ترجمة : المحامي سهيل ايوب
١٠٠ ق.س.ل.

*

المتمـــردون

بوريس چورباتوف
ترجمـــة : لجنة الترجمة
٢٠٠ ق.س.ل.

*

مجموعة قصص

أوسكار وايلد
ترجمـــة : حسن البحيري
١٥٠ ق.س.ل.

*

في سبيل الســلام

نخبة من الكتاب
ترجمة : المحامي سهيل ايوب
١٠٠ ق.س.ل.

*

اتالا ورينـــه

شـــاتوبريان
ترجمة فريد انطونيوس
١٠٠ ق.س.ل.

*

في امـــيركا

مكسيم چوركي
ترجمـــة : لجنة الترجمة
١٢٥ ق.س.ل.

*

اللا أخـــلاقي

أندريه جيـــد
ترجمـــة : لجنة الترجمة
٢٠٠ ق.س.ل.

*

المركـــيزة

جورج صـــاند
ترجمة : المحامي سهيل ايوب
١٢٥ ق.س.ل.

*

مفكرو الثورة الألمـــانية

ادمون ڤرمي
ترجمة : المحامي خيرت فخري
٤٠٠ ق.س.ل.

*

القادة السوڤييت يتحدثون

الجنرال س.كالينوڤ
ترجمة : الدكتور يوسف شقرا
٣٥٠ ق.س.ل.

*

ليرمنتـــوف

الــدكتور فؤاد ايوب
١٢٥ ق.س.ل.

*

ديان بيـــان فو

صـــلاح دهني
١٠٠ ق.س.ل.

*

رأس المال (١ ـ ٣)

كارل ماركس
١٥٠٠ ق.س.ل.

*

تاريخ الثورة السورية

الدكتور محي الدين السـفرجلاني
٥٠٠ ق.س.ل.

*

الحرب الذرية المقبـلة

الكولونيل ف.ا. ميكشه
ترجمــة :
العقيد الطيار الركن هيثم الكيلاني
٢٥٠ ق.س.ل.

*

محاكمات نورمبرغ

الدكتور ج.م. جلبرت
ترجمــة :
فتح الله مشعشع ـ جورج صايغ
١٢٥ ق.س.ل.

*

أثر التسلح في التــاريخ

الجنرال فوللر
ترجمــة : لجنة الترجمة
٢٥٠ ق.س.ل.

*

الأهداف الاستعمارية

وراء مشــروع مارشــال
احمد الشيباني
١٥٠ ق.س.ل.

*

تاريخ الخلافة الأموية والعباسية

الدكتور رفيق المهايني
٥٠٠ ق.س.ل.

*

أساطين الموسيقى العالمية

صميم الشريف
٤٥٠ ق.س.ل.

*

نقد الدين والفلسفة

جان إيف كالفيز
ترجمة
سامي الدروبي ـ جمال الأتاسي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

التربية المثلى

الفريد بينه
ترجمة
خيرت فخري ـ كامل بنقسلي
٥٠٠ ق.س.ل.

*

مختصر المنطق (١ ـ ٢)

الدكتور جمال المحاسب
٣٥٠ ق.س.ل.

*

مستقبل المراة العربية

منير الشريف
٢٠٠ ق.س.ل.

*

الوسيط في المنطق (١ ـ ٢)

الدكتور جمال المحاسب
الدكتور حافظ الجمالي
٨٠٠ ق.س.ل.

*

النصوص الادبية

الدكتور خلدون الكناني
الدكتور شكري فيصل
٥٠٠ ق.س.ل.

*

علم النفس ونتائجه التربوية

الأستاذ حافظ الجمالي
الدكتور سامي الدروبي
٨٠٠ ق.س.ل.

*

الى اين يسير الاستعمار الأميركي

هنري كلود
ترجمة : الدكتور بدر الدين السباعي
٥٠٠ ق.س.ل.

*

سنوات المصير للحرب الليبية

فون ايزيبيك
ترجمة الملازم رضا استنبولي
٦٠٠ ق.س.ل.

*

حــرب صليبية في اوروبا

الجنرال دوايت ايزنهاور
ترجمة : ابراهيم عبود
٣٥٠ ق.س.ل.

*

وقائع من الحــرب الفلسطينية

القائد طارق الأفريقي
٢٠٠ ق.س.ل.

*

هؤلاء الصهيونيون

بشير كعدان ــ شفيق شالاتي
٣٠٠ ق.س.ل.

*

مختصر الأخلاق (١ ــ ٢)

الدكتور جمــال المحاسب
٣٠٠ ق.س.ل.

*

الانشاء الفلسفي

الدكتور جمــال المحاسب
٢٠٠ ق.س.ل.

*

البخـــلاء

الجـــاحظ
١٠٠٠ ق.س.ل.

*

تاريخ الحياة الموسيقية

مصطفى الصواف
١٠٠٠ ق.س.ل.

*

الحكومات البرلمانية

جون ستيورت مل
ترجمة : إميل الغوري
٣٥٠ ق.س.ل.

*

حجـة الوداع

ابن حـــزم
تحقيق الدكتور ممدوح حقي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

تاريخ الدعوة الاسماعيلية

مصطفى غالب
٤٥٠ ق.س.ل.

*

تاريخ الحضارة العــربية

الدكتور جورج حداد ــ راتب الحسامي
١٠٠٠ ق.س.ل.

*

العـروض الواضح

الدكتور ممدوح حقي
٢٥٠ ق.س.ل.

*

التربية البـدنية

ميسر السيد
٣٠٠ ق.س.ل.

*

رحـلة الى عالم مجهول

جوليـا ديفيز

ترجمة : ابراهيم عبود

١٥٠ ق.س.ل.

*

بحث في الحرية

جون ستيورت مل
ترجمة الدكتور نعيم الرفاعي
٢٥٠ ق.س .ل.

*

صباح الخير ، يا آنسة دوف

فرانسيس ج. باتون
ترجمة : احمـد عزت طه
١٢٥ ق.س.ل.

*

النصوص الأدبيـة

الدكتور كناني ـ الدكتور فيصل
٥٠٠ ق.س.ل.

*

اسس التربية البـدنية

الدكتور زهير الشربجي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

الفتـاة والموت

مكسيم جوركي
ترجمـة :
الدكتور فؤاد ايوب
المحامي سهيل ايوب
٤٠٠ ق.س.ل.

*

المواطن والمجتمع

هيرمن هيجدورن
ترجمة الدكتور سليم سلامه
٢٥٠ ق.س .ل.

*

الاجناس والشعوب

بويد ـ ازيموف
ترجمة : ابراهيم عبود
٢٥٠ ق.س.ل.

*

العالم السينمائي

الدكتور ابراهيم الكيلاني
١٠٠ ق.س.ل.

*

اليد الماهرة

كامل بنقسلي ـ احمد صعيدي
٥٠٠ ق.س.ل.

*

تربية الوليد

الدكتور حمدي المحملجي
١٠٠ ق.س.ل.

*

علم الاجتماع الريفي

الدكتور جمال المحاسب
٥٠٠ ق.س.ل.

*

مشاكل العالم العربي

محمد عزة دروزة
٤٥٠ ق.س.ل.

*

انطباعات مغترب في سورية

عبد المسيح حداد
٢٠٠ ق.س.ل.

*

الساعة الأخيرة

ميخائيل سيباستيان
ترجمة حسيب الكيالي
١٥٠ ق.س.ل.

*

نساء عالمات

ادنا يوست
ترجمة : ابراهيم عبود
١٥٠ ق.س.ل.

*

شعراء وشهداء من بلغاريا

سليمان احمد سليمان
١٥٠ ق.س.ل.

*

الشابي ، النبي المجهول

مصطفى الحبيب بحري
٦٠ ق.س.ل.

*

عبقرية العرب

الدكتور عمر فروخ
٣٠٠ ق.س.ل.

*

قصص شامية

الفة عمر باشا الادلبي
٢٠٠ ق.س.ل.

*

الأشياء وملاحظة البيئة

كامل بنقسلي ـ محمد واثقي

٥٠٠ ق.س.ل.

*

تاريخ الشرق والغرب

الدكتور عابدين حماده

٥٠٠ ق.س.ل.

*

مذكرات علم النفس (١ ـ ٢)

جبران بشاره

٢٠٠ ق.س.ل.

*

الثمرات في اللغة والأدب

أسعد الامام الحسيني

٢٥٠ ق.س.ل.

*

مستقبل المرأة العربية

منير الشريف

٢٠٠ ق.س.ل.

*

روض البشر في أعيان دمشق

الشيخ جميل الشطي

٥٠٠ ق.س.ل.

*

الأبيوردي

الدكتور ممدوح حقي

٤٥٠ ق.س.ل.

*

غانية وقديس

احمد الشيباني

٢٠٠ ق.س.ل.

*

تراجم أعيان دمشق

الشيخ جميل الشطي

٣٠٠ ق.س.ل.

*

ديوان ابن حزم

الدكتور ممدوح حقي

٧٥٠ ق.س.ل.

*

عصر النبي وبيئته

الاستاذ محمد عزة دروزة

٧٥٠ ق.س.ل.

*

الوجيز في الادب العربي

جماعة من أساتذة الادب

٣٥٠ ق.س.ل.

*

الأرض والاصلاح الزراعي في سورية

عبد الهادي عباس
١٠٠٠ ق.س.ل.

*

الامة العــربية

الاستـــاذ زكي الارسوزي
٢١٠ ق.س.ل.

*

مشاكلنا القومية

الاستـــاذ زكي الارسوزي
٣٠٠ ق.س.ل.

*

الاعجوبة العاشرة للطاقة النووية

كاريتول بيرل
١٠٠ ق.س.ل.

*

ديوان الأمير عبد القادر الجزائري

تحقيق الدكتور ممدوح حقي
٢٥٠ ق.س.ل.

*

خفايا المراهقة

معــروف زريق
٢٠٠ ق.س.ل.

*

الملاح التائه علي محمود طه

المحامي سهيل أيوب
١٢٠٠ ق.س.ل.

*

من الشعر اليوناني الحديث

المطران الياس معوض
٢٥٠ ق.س.ل.

*

ايليا ابو ماضي شاعر المهجر

زهير ميرزا
١٥٠٠ ق.س.ل.

*

العرب والعروبة (١ ــ ٣)

محمد عزة دروزه
٣٠٠٠ ق.س.ل.

*

ابراهوم لنكولن حياته ورسائله

بول انجل
٣٠٠ ق.س.ل.

*

الوطن العربي

الدكتور عزة النص
٥٠٠ ق.س.ل.

*

وداعاً يا أفاميه

الدكتور شكيب الجابري
٤٠٠ ق.س.ل.

*

ثورة الشيخ صالح العلي

عبد اللطيف اليونس
١٧٥ ق.س.ل.

*

قدر يلهو

الدكتور شكيب الجابري
٢٥٠ ق.س.ل.

*

أوراس

أحمد عبد المعطي حجازي
١٠٠ ق.س.ل.

*

العبقرية العربية

زكي الأرسوزي
٣٥٠ ق.س.ل.

*

ماساة فلسطين

الاستاذ محمد عزة دروزة
١٠٠ ق.س.ل.

*

ريلكه

ترجمة الدكتور ممدوح حقي
٣٠٠ ق.س.ل.

*

الاسس التحررية للقومية العربية

الاستاذ احمد الشيباني
٣٥٠ ق.س.ل.

*

الفن الذي يحتاجه الشعب

الاستاذان القدسي والدرع
٢٥٠ ق.س.ل.

*

نافذة على الحياة

الاستاذ اسكندر لوقا
١٠٠ ق.س.ل.

*

لحن لم يتم

الاستاذ ميشل اراكيلو
٣٠٠ ق.س.ل.

*

كافـر

زهير ميرزا
٣٠٠ ق.س.ل.

*

الاخلاق والتربية المدنية

(١ ـ ٣)
الدكتور جمال المحاسب
٣٠٠ ق.س.ل.

*

الخلافة

توماس ارنولد
الدكتور جميل معلا
٣٠٠ ق.س.ل.

*

المراهق

مارجوري كنبان رولنجز
الدكتور سليم سلامه
١٠٠ ق.س.ل.

*

قصة سان فرانسيسكو

شالوت جاكسون
ترجمة : نصرة نصار
١٥٠ ق.س.ل.

*

الجاحظ

شارل بلات
ترجمة : الدكتور ابراهيم الكيلاني
٦٠٠ ق.س.ل.

*

الصواريخ والقذائف والاقمار

شارل كومبز
ترجمة : ابراهيم عبود
١٥٠ ق.س.ل.

*

كارولين وجوهره

ماري اوهارا
ترجمة : سليم سلامه
٣٠٠ ق.س.ل.

*

شجاعة السعادة

دوروثي طومسون
ترجمة : تماضر توفيق
٤٥٠ ق.س.ل.

*

عبد الوهاب البياتي

رائد الشعر الحديث
بأقلام نخبة من الكتاب
٢٠٠ ق.س.ل.

*

الفئة والحضيرة

للمقدم و الرئيس
توفيق شاتيلا جادو عز الدين

*

بعث الامة العربية (١ ـ ٤)

زكي الأرسوزي

٤٠٠ ق.س.ل.

*

قوس قزح

الدكتور شكيب الجابري

٢٥٠ ق.س.ل.

*

التيــار

أحمد الصافي النجفي

٣٠٠ ق.س.ل.

*

الحان اللهيب

أحمد الصافي النجفي

٣٠٠ ق.س.ل.

*

معجم الشعراء

ابو عبيد المرزباني

١٠٠٠ ق.س.ل.

*

في ظلال الوعي

سعد صـــائب

١٥٠ ق.س.ل.

*

نفط العــراق

احمد حكمت سليمان

٣٥٠ ق.س.ل.

*

ابراهام لنكولن محرر العبيد

هو دوجرتي

٣٥٠ ق.س.ل.

*

الحرية والكرامة الانسانية

محمد زكي عبد القادر

٤٥٠ ق.س.ل.

*

عالم ولكنه صغير

الاستاذ عادل ابو شنب

١٥٠ ق.س.ل

*

الرشاش برونينغ عيار ٧ر١٢

للرئيس مصطفى شاكر و الملازم أسعد طباخ

*

المسدسات الرشاشة

برته طويلة وبرته قصيرة ستين

للرئيس برهان قصاب حسن

*

السرية في النظام المنضم

للرئيس جادو عز الدين و الملازم نايف عطواني

*

شرطة الجيش في الميدان

المقدم بشير طباع و الملازم عيسى عجمي

*

المشاة المنقولة

للرئيس مصطفى شاكر و الملازم صبحي الشربتجي

*

اشارات مورس العالمية

المقدم طارق الكيلاني و الملازم حيدر شريقة

*

١ ــ بطاقة مذكرات
٢ ــ نظام الكلية العسكرية
٣ ــ نظام مدارس الرتباء

*

قتال المدرعات

للمقدم حسني جروس

*

قتال المشاة

للعقيد محمد صفا

*

قتال المشاة بالتعاون

للمقدم امين نفوري

*

السيارات الميكانيك والسواقة

للمقدم فائز موسى القدسي

*

الجندي والحضيرة

للعقيد : محمد صفا

*

الطبغرافية

للرئيس : جميل حجار

*

المدرعات

للمقدم اسعد اسماعيل

*

السيارات ــ الاصلاح والعناية

للمقدم : فائز موسى القدسي